دار الكتب والوثائق القومية

حدائق الأزاهر

في مستحسن الأجوبة والمضحكات
والحكم والأمثال والحكايات والنوادر

للقاضى

أبى بكر محمد بن محمد بن عاصم الغرناطى

قرأه وعلق حواشيه وقدم له

أبو همام عبد اللطيف عبد الحليم

مطبعة دار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة

(١٤٣٥ هـ - ٢٠١٤ م)

الهيئة العامة
لدار الكتب والوثائق القومية

رئيس مجلس الإدارة

أ. د. عبدالناصر حسن

ابن عاصم، محمد بن محمد بن محمد أبو بكر، ١٣٥٩ - ١٤٢٦.

حدائق الأزاهر فى مستحسن الأجوبة والمضحكات والحكم والأمثال والحكايات والنوادر / أبى بكر محمد بن محمد بن عاصم الغرناطى؛ قرأه وعلق حواشيه وقدم له أبوهمام عبداللطيف عبدالحليم .. القاهرة: دار الكتب والوثائق القومية، ٢٠١٤.

٣٩٨ ص ؛ ٢٩ سم.

تدمك 8 - 1085 - 18 - 977 - 978

١ - الأهاجى والفكاهات

أ - عبدالحليم، أبو همام عبداللطيف (معلق ومقدم)

ب - العنوان

٨١٧

إخراج وطباعة:

مطبعة دار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة.

www.darelkotob.gov.eg

رقم الإيداع بدار الكتب ١٣٧٦٧ /٢٠١٤

I.S.B.N. 978 - 977 - 18 - 1085- 8

الإهــداء

إلى ذكرى صديقيّ العزيزين :

ـ فرناندو دى لاجرانخا الشنتمرى

ـ ومحمود محمد الطناحى .

أبو همّام

مقدمة

لهذا المؤلَّف مكانة تجعل تحقيقه وإخراجه للناس أمرا لزاما ؛ ذلك أنه يمثل خلاصة الثقافة العربية فى الأندلس ، حين كانت فى طريقها للإشاحة ، ولم تكن المعركة مسألة جيوش تحارب فحسب ، بل كانت الثقافة أيضا معها فى خندق واحد ، يعتورها ما يعتور الناس من هزيمة وانتصار ؛ أو على الأقل نهضة من هزيمة ، ولانقول انتصارا ؛ لأن كفة المعارك كانت تميل ـ أوانئذ ـ إلى جانب القشتاليين ، الذين كانوا قد صمموا منذ أمد على سحق المسلمين نهائيا ، فى ذلك البلد العزيز النائى ، وقد حدث هذا بالفعل حين سقطت غرناطة فى الثانى من يناير ١٤٩٢ ، وإن لم يسقط معها كل أثر إسلامى ، بل ظل ـ ربما حتى الآن ـ يشيمه الناس فى سحنة الوجوه ولون العيون ، وعبق الثقافة العربية الإسلامية .

وكان «حدائق الأزاهر» لابن عاصم يمثل قمة النهاية فى عصره ، احتقب من كل شيء بطرف ، وهذا هو معنى الأدب بالمفهوم العام آنذاك ، كما أنه يمثل الثقافة الشعبية ، إذا فهمنا « الشعبية» على وجهها الصحيح ، لا على أنها الأغنيات والمواويل الشعبية باللغة العامية كما يشيع لدى جمهرة غفيرة من الناس ، وهو أمر خطأ ، وإلا فإن العربية الفصحى لاتمثل الشعب ، وهو كلام من الغرابة أن نجد من يعيره سمعه .

الشعبية هنا لاصلة لها باللغة ، بل تعنى الثقافة العامة التى ترضى نزعة الناس ، وتشبع أميالهم وأذواقهم بلغة راقية ، فيها التهذيب والتعليم ، والترقيق والموعظة ، والنادرة المستملحة ، بل فيها أيضا ما تسقط معها الكلفة أحيانا ، ولاتثريب على هذا ، ما كان الإنسان سوىّ المنازع والأميال ، يتخلل هذا كله آية كريمة ، وحديث شريف ، وبيت شعر رائق ، وحكمة حسنة ، ومثل سائر ، وكل هذا كان يجد الإقبال الشديد من الناس ، على اختلاف ثقافتهم ؛ لأنهم يجدون فيها أنفسهم وصدى لما يختلج بها ، ومن ثم شاعت هذه المصنفات فى العربية مقروءة ومسموعة ممن يقرأ للأميين ، ولولا ذلك الإقبال لما كان لها ذلك الشيوع ، ولاحجة فيما يقال : إنها كتبت للملوك والأمراء ، ورفعت إليهم ليقال بعد ذلك : إنها أدب غير شعبى ؛ وهو كلام يحتاج إلى قدر من العته لتصديقه أو سماعه والمبالاة به ؛ لأن الملوك والأمراء من الشعب أولا وأخيرا ، ولولا قيمة هذه المصنفات لدى الناس ـ قبلهم ـ لما أثابوا عليها ، وربما يكون الأمير المرفوع إليه المصنف جاهلا ، أو غير

عربى ، لكنه يحكم أمة عربية للأدب فيها صوت مسموع ، على الحاكم أن يستجيب له ، وإن لم يعرفه ، أو لم يرض ذوقه ، ثم إن الحاكم - آنذاك - كان هو وزارة الثقافة الآن يقوم بدور الناشر ودفع المكافآت ، وهذا يفسر إقبال المؤلفين على كتابة مصنفاتهم ، وإقبال الناس عليها ، أدب من الشعبية فى الصميم .

أما لغة هذا الأدب الشعبى فشىء يستحق التريث .

قيل كلام كثير عن واقعية اللغة ، وكيف تقاس على قد الموقف ، وهو كلام صحيح فى إطاره المحدد ، حين لاتعنى الشعبية عامية اللغة فى كل المواطن ، وإلا فإن كلاما كثيرا فى مصادر الأدب العربى القديمة ، ومنها «حدائق الأزاهر» وفيه نقول شتى من تلك المصادر ــ لانتخيله ــ إلا مرويا كما ورد فيها ، ولا نظن أن المؤلفين وصلت إليهم تلك الروايات الأدبية أو التاريخية أو تلك النوادر والأمثال بلغة عامية ثم حرروها بلغة فصحى راقية أو «بلغة نموذجية» كما يحب أن ينعتها المرحوم الدكتور إبراهيم أنيس [انظر مقدمة كتابه : فى اللهجات العربية] .

إن ذلك التحرير ــ إن تم ــ على الأقل فى بعض المواطن - وهى كثيرة - ، أو فى فترة معينة أو بيئة محددة ، يفقد اللغة شيئا مهما ، ومن ثم تفقد النادرة أو الحكاية كل شىء .

نعتقد أن اللغة العربية الفصحى ــ فى فترة محددة وبيئة محددة أيضا - على الأقل فى قلب جزيرة العرب ، ودعك من التخوم والثغور ، وفى زمن كان يتحدث الناس فيه الفصحى سليقة ، كانت لغة الناس حتى فى حياتهم اليومية ، فإذا أراد أحدهم أن يخاطب أخاه فى أمر من أمور البيع أو الشراء أو الأمور الحياتية العادية خاطبه بلغة فصيحة سليمة كالتى وصلت إلينا فى كتب الأغانى والكامل ، والأمالى وغيرها من نظائرها ، ربما يتأنق الناس فى الخطب والرسائل - على ندرتها قديما - وفى الشعر بالطبع ، على غير ما يتأنقون فى حديثهم اليومى ، لكنه البون الذى بين السلامة والجمال ، ونعتقد أن القول بغير ذلك يجعل لغتنا ميتة أشبه بالبرابى القديمة لا يقولها الناس إلا كتابا أو خطباء أو مترسلين ، وهو شىء يضيق عنه التخيل ، ودعك من قوانين اللغات وتطورها ، وإلا فالقرآن الكريم والحديث الشريف جاء كلاهما فى ذروة البلاغة والفصاحة ، وبلغه النبى ــ صلوات الله عليه ــ إلى الناس وفهموا عنه ، وإلا فرسالته لم تؤد الغرض منها ، وحديثه الشريف يؤكد ما نذهب إليه ؛ لأن فيه حوارا وحديثا فى أمور الناس اليومية من عبادات ومعاملات بين

النبى وبين قومه ، ولم يأت بالعامية التى نحسبها ضربة لازب فى تطور اللغات وتاريخها ، والبلاغة النبوية مضرب المثل ، وحياته ـ عليه الصلاة والسلام ـ مقيدة بكل دقائقها من قول أو فعل أو تقرير ، ولو كان فيها كلام عامى ـ ننزه عنه النبى ـ لورد إلينا كما هو بنصه ، وحوله حفظة ، ذواكرهم أشبه بالمصورة اللاقطة أو بالصمغ لاتكاد تخرم شيئا ، وكان تحنثهم أيضا مضرب المثل فى الرواية بلفظها ، ولاعبرة بما ورد من ألفاظ فى مخاطبة قبائل معينة ، أو نطق بعض الألفاظ بصورة خاصة ، فإن هذه ظواهر نادرة ، وهى لاتطعن فى صحة ما ذهبنا إليه ؛ لأنه كلام فصيح أيضا ، فإذا قيل عنه (ﷺ) «ليس من امبر امصيام فى امسفر» ، وهو يعنى «ليس من البر الصيام فى السفر» ، فهو كلام فصيح ، خضع لبعض ظواهر صوتية نحن لانعتد بها كثيرا ، ولا نعتد بما يناظرها من ظواهر أخرى كالإمالة والقلب والترادف والمشترك اللفظى ، وكلها لاتنفى فصاحة اللغة وسلامتها ، ولعل العلامة ابن جنى ألمح إلى شىء من ذلك فى بابه الذى عقده بعنوان «اختلاف اللغات ، وكلها حجة» فى كتابه الخصائص ، وكلامه دقيق ، يجب التلبث عنده كثيرا ، لفهم مسألة اللهجات على وجهها ، وعدم إعطائها فوق ما تستحقه كما هو الحاصل فى عصرنا ، يقول ابن جنى عن تلك اللغات : «إلا أن إنسانا لو استعملها لم يكن مخطئا لكلام العرب ، لكنه يكون مخطئا لأجود اللغتين ، فأما إن احتاج إلى ذلك فى شعر أو سجع فإنه مقبول منه ـ غير منعى عليه»[(١)] .

فالمسألة هنا ــ من كلام ابن جنى نفسه ــ هى عدم الخطأ ، وفصاحة الكلام ثابتة ، وإن كانت خلاف الشائع أو الأجود ، والتفت إلى لغة الشعر والنثر الخاصة ؛ لأنه يرى ـ كما نرى الآن ـ أنها لغة داخل اللغة ، بخصائص جمال الفن ، لابخصائص السلامة وحدها ، لأنها موجودة أصلا .

ولعل فى إيراد بعض النوادر أو الحكايات التى وردت فى كتابنا هذا ، وهى منقولة من مصادر أقدم ، ما يدفع بما نعتقده إلى حيز الشاهد الواقعى ، ويخرجه عن دائرة الاعتقاد الفرضى :

١ـ وقال أمير لأعرابى : قل الحق ، وإلا أوجعتك ضربا ، فقال : وأنت فاعمل به ، فوالله ، إن ما أوعدك الله به على تركه أعظم مما توعدنى به .

---

(١) انظر هذا الباب فى الخصائص ، وانظر ص ٤٨ من كتاب الدكتور إبراهيم أنيس فى اللهجات العربية . الطبعة الثالثة ١٩٦٥ ــ الأنجلو المصرية .

٢ ـ وقدم رجل من بنى مخزوم على عبد الملك بن مروان ، وكان زبيريا ، فقال له عبد الملك : أليس الله قد ردك على عقبيك؟ قال : ومن رد إليك يا أمير المؤمنين ، فقد رد على عقبيه ، فسكت عبد الملك ، وعلم أن قوله كان خطأ .

٣ ـ وأمر عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه بعقوبة رجل ، فقال له رجاء بن حيوة : إن الله قد فعل ما تحب من الظفر ، فافعل ما يحب من العفو ، فعفا عنه .

٤ ـ وقعد معاوية بالكوفة يبايع الناس على البراءة من على بن أبى طالب رضى الله عنه فقال له رجل : يا أمير المؤمنين ، نطيع أحياءكم ، ولا نبرأ من موتاكم ، فالتفت معاوية إلى المغيرة وقال : هذا رجل ، فاستوص به خيرا .

٥ ـ وقيل لمعاوية : أى الناس أحب إليك؟ قال : من كانت له عندى يد صالحة ، قيل : فإن لم تكن ؟ قال : فمن كانت لى عنده يد صالحة .

٦ـ وأتى عبد الملك بن مروان برجل يسرق ، فأمر بقطع يده فأنشأ يقول :

يدى يا أمير المؤمنين أعيذها بعفوك أن تلقى مكانا يشينها
ولاخير فى الدنيا ، وكانت حبيبة إذا ما شمالى فارقتها يمينها

فأبى إلا قطعها ، فقالت له أمه : يا أمير المؤمنين ، واحدى ، وكاسبى ، فقال : بئس الكاسب كان لك ، وهذا حد من حدود الله ، قالت : يا أمير المؤمنين ، اجعله من بعض ذنوبك التى تستغفر الله منها ، فعفا عنه .

٧ـ وأتى الحجاج بأسرى من الخوارج فأمر بضرب أعناقهم ، فقدم فيهم شاب ، فقال له : والله ياحجاج ، لئن كنا أسأنا فى الذنب ، فما أحسنت فى العقوبة ، قال : أف لهذه الجيف ، أما كان فيهم من يقول مثل هذا ، وأمسك عن القتل .

٨ـ ونظر المأمون إلى جارية له ، وبيدها سواك ، فقال لها : كيف تجمعين سواكا؟ قالت : محاسنك ، يا أمير المؤمنين فاستحسن ذلك منها .

٩ـ ورأى المنصور أحد أولاد الأشتر ، فهم بقتله ، فقال : يا أمير المؤمنين ، ذنبى أعظم من نقمتك ، وعفوك أوسع من ذنبى ، فإن لم أكن للعفو لسوء ما أتيته أهلا ، فأنت له أهل ، فاستحسن قوله ، وعفا عنه .

١٠ ـ وأتى الحجاج برجل من الخوارج ، فأمر بضرب عنقه ، فقال له : أخرنى يوما ، قال : ما تريد بذلك؟ قال : أؤمل فيه عفو الأمير ، مع ما تجرى به المقادير ، فتركه .

تلك نقول لم نرد بها التقصى ، وإلا خرج بنا الكلام عن بابه من التمثيل ، وتجزى فيه الأمثلة قليلها . ولانستطيع إلا التيقن من أنه كلام نبت هكذا ، من فم قائله ، جاء عفو البدائه فى معظمه ، حيث لا مجال لإعمال الذهن والتروى ، ولايدفع هذا بأن المواقف تجعل من البكىء لسنا مفوها ، لأن هذا الكلام جرى على ألسنتهم ، كما ورد إلينا ، ربما تتغير لفظة ، لكن جل أو كل الكلام كما هو ، ولو كانت العامية سليقة لسبقت الفصحى ، وحلت محلها ، وهذا يدل ــ قطعا ـ على أن الفصيحة سليقة ، وكان يتحدثها الناس ، كما نتحدث نحن العامية الآن ، دون غرابة من قائلها أو متلقيها ، وهذه الفصاحة النابتة عفوا على أسلة ألسنة هؤلاء ممن استشهدنا بكلامهم ، ومثله كم هائل فى المصنفات العربية ، هى التى حققت لهم العفو أو الاستحسان ، وقد استوى فى النطق بهذه اللغة الفصحى البدو والحضر ، حتى غشيت هذه الأمة غاشية اللحن والعجز ، وأسوأ من ذلك كله «تسويغ العجز» بمنطق التطور ، وجعله هو القاعدة التى يجب أن تفسر بها الأشياء ، وابتعد الناس عن «حرشة الضباب وأكلة اليرابيع ، وأخذوا اللغة من أهل السواد ، أكلة الكواميخ والشواريز!(١)

حين ذلك تخلت الفصحى ـ لغة الناس ـ عن مكانها ومكانتها ، وحلت محلها لغة أهل السواد ، وإن بقيت الأولى فى محرابها الأدبى والعلمى ، اللغة الراقية ، أو النموذجية إن أردت ، وحين تخلت ، تخلى عن الأمة هذه شىء كثير هو جوهرها ، ونغبت دعوات العامية يسوغها العلماء بمنطق يستتر فيه العجز ، واستبد العجز حتى صار عندنا ما يسمى بالأدب الشعبى العامى .

ولا يعنى ورود أمثال هذه الشواهد ـ وهى كثيرة ـ أنه ليس ثمة نوادر محررة ، ابتدعها الرواة ، ونسبوها إلى غيرهم ، فإن ذلك كثير أيضا ، وفى هذا الكتاب «الحدائق» نوادر من هذا الطراز ، لا تخطئها عين القارئ ، حين يطالع مثلا حكاية حج أبى نواس ، ودعابات دعبل ومسلم بن الوليد فقد تدخل فيها المحرر بتوشيات يقتضيها السباق ، أو ابتدعها أصلا .

بيد أن فى كتابنا إلى جانب ذلك طائفة صالحة من الألفاظ العامية ، أو بابا كاملا من كلام العوام من أهل الأندلس ، قصد إليه أصحابه قصدا ، ونبت هكذا على ألسنتهم ،

(١) انظر الفهرست لابن النديم ص ٩٢ .

ونقله المؤلف ـ كما هو ـ ولو حاول أن يحرره فصيحا لنبا عن الذوق وعن الغرض الذى وضع من أجله ، لكن هذا جاء متأخرا ــ زمنا ــ عن الفترة السابقة التى أتينا بنماذج منها فى هذا المقام ، والجاحظ علل شيئا شبيها بذلك فى كتابه "البخلاء" حيث يعتذر عن ورود الكلام كما هو ، عاميا أو "لحنا" كما يسميه ، كما ينقل الفصيح أيضا كما هو حيث ورد على ألسنة أصحابه فصيحا أومعربا ، وتلك دقة فى أمانة النقل حتى فى الهزل ، فما بالك فى المقامات الجادة التى يتحنث فيها الرواة وخاصة رواة الحديث ، وفى هذا درس لطائفة من النحاة لا يستشهدون بالحديث النبوى . مدعين أنه يجوز روايته بالمعنى ، وإزاءهم طائفة كبيرة تجوز الاستشهاد به ، ونحن معهم ، معولين على أمانة الراوى وجودة حفظه وتحرجه أن يقول إلا بما يعلم ، وحتى لو غير لفظة ، فإنه لا يخرج عن حد الكلام النبوى الفصيح .

يقول أبو عثمان : "وإن وجدتم فى هذا الكتاب ــ يقصد البخلاء ــ لحنا أو كلاما غير معرب ، أو لفظا معدولا عن جهته ، فاعلموا أنا إنما تركنا ذلك ، لأن الإعراب يبغض هذا الباب ويخرجه من حده ، إلا أن أحكى كلاما من كلام متعالمى البخلاء ، وأشحاء العلماء كسهل بن هارون وأشباهه[١] .

والتخفف ــ حتى من الإعراب ــ فى بعض الأحوال لا يخرج الكلام عن سواء الفصحى ، ما كانت اللفظة فى موضعها ، وواضحة الإبانة عن مدلولها ، والإعراب ليس كل النحو ، ولا كل الفصاحة بل هو طرف منهما ، وإن كان يبين فى كثير من الحالات التى لا يستغنى عنها المقام ، فإذا قالت السيدة التى كانت تتشفع فى ولدها هذه العبارة التى قالتها : «اجعله من بعض ذنوبك التى تستغفر الله منها» ووقفت بالسكون على كثير من كلماتها فإن قولها لم يخرج عن حد الفصاحة اللغوية ، ولم يهبط إلى أن تقول ما نترجمه عاميا الآن : «ياريت تخليه ذنب من ذنوبك يا سيدى ، وبعدين استغفر الله منه» . ومعلوم أن هذا كلام آخر غير الكلام الأول ، وما نتخيل أن السيدة قالته ــ هكذا ــ فى مثل ذلك المقام ثم ترجمه الناقل أو الراوى ، ثم إن للغة الفصحى ــ بالطبع ــ "كيمياء" تنفث السحر فى هوامد الكلام . فى المواقف العسيرة ، فيستوى كائنا حيا ، لم يخلق إلا هكذا .

(١) البخلاء ج١ ص٧٨ ، وانظر مع بخلاء الجاحظ ص١١٥ ، فاروق سعد دار الآفاق الجديدة ــ بيروت الطبعة الثالثة

ولعل فيما قدمنا عن الفصحى المستعملة ـ سليقة ـ على ألسنة الناس ـ دون مبالاة كبيرة بالخلافات ـ وهي ضرورة أيضا ـ بين أقاليم أصحابها ، لعل في هذا غنية لمن أراد أن يعتقد ما اعتقدنا ، ولدينا كلام كثير في هذا الصدد نرجئه إلى بحث مستقل ، وفي قليل ما قدمنا حسبٌ لمن شاء .

ولهذا الكتاب حكاية تروى .

حين كنت في إسبانيا طالب بعثة عنيت بالمخطوطات الأندلسية ، استجابة للطبع أولا ، وزرت أماكن كثيرة تقبع فيها هذه المخطوطات وغيرها ، وصورت بعضها ، ونسخت بعضا ، واستجابة كذلك ـ بجانب الطبع ـ إلى مسألة من لا ترد مسألته من شيوخنا المحققين ، وفي مقدمتهم صديقي وأستاذي أبي فهر محمود محمد شاكر ، وكان كثيرا ما يحثني على إخراج ما لدى من المخطوطات ، وينعى عليّ اهتمامي بالترجمة على حساب التحقيق ، وصديقاي وأستاذاي د . الطاهر مكي ، و د . محمود مكي ، أو «المكيان» كما يقول أصحاب الدراسات الأندلسية من العرب والإسبان ، وهما يعرفان ما عندي من مخطوطات الأندلس واهتمامي بها ، ولهما في هذا الحقل جهد ضخم أكبر من هذه الإشارة ، فاستجبت مغتبطا ، مع علمي بوعثاء الطريق ، وقلة الزاد .

لكن في سنة ١٩٨٠ كنت أترجم دراسات صديقي الأستاذ فرناندو دي لاجرانخا عن الحكايات العربية المهاجرة إلى الأندلس المنشورة في مجلة الأندلس وغيرها ، والتي جمعها كتابي «تأثيرات عربية في حكايات إسبانية» فلفت نظري أنه يعود إلى مخطوط «حدائق الأزاهر» لابن عاصم ، ومنه نسخة في مكتبة مجمع التاريخ الملكي بمدريد ، وهي في حوزة الأستاذ غرثيه غومث ، ولم أمكن من الاطلاع عليها ، أو تصويرها . مع صلتي الوثيقة بالأستاذ لاجرانخا ، ومجاملة الأستاذ غومث لي ، وإهدائه لي بعض كتبه ، حين زرته مع الأستاذ لاجرنخا في داره ، وحين رأيت أنه لا أمل في حوزة مصورتها ، لتحقيقها ، تفضل ـ مشكورا ـ صديقي لاجرانخا ، فأهداني نسخته الخاصة ـ ولا يملك غيرها ـ من الطبعة الحجرية المغربية ، وشرعت في قراءتها كلها ، وفك إغماضاتها ، لعدم الإلف بيني وبين الخط الأندلسي ، ونسخت بعض صفحاتها ، ثم حالت حوائل دون التمام ، وعدت إلى مصر ، وفي نفسي رغبة ملحة في إنجاز ما شرعت فيه ، لكن نسخا أخرى عرفتها ، إحداها نسخة الإسكوريال ، وهي من أهم النسخ ، قرأت عنها في مقال للأب براوليو

خوستيل ، برغم أننى غربلت فهارس الإسكوريال مرارا ، ولم أقف عندها ، فرغبت إلى صديقى الدكتور محمد رشاد غنيم ــ وكان طالب بعثة آنذاك فى مدريد ــ الأستاذ بكلية الطب بالمنصورة ، فلم يتوان عن تصويرها على ميكروفيلم وأرسلها إلى بمصر ــ جزاه الله خير الجزاء ــ وأثناء عملى فى هاتين النسختين ، وقعت بالمصادفة على مخطوط آخر بدار الكتب المصرية ، فرغبت فى تصويره ، ولم أجد عندهم مخطوط الإسكوريال ، فطلب مدير الدار أن أهديهم الميكروفيلم الإسبانى ، نظير تصويره وتصوير نسخة دار الكتب ، وكان ما أراد ، وبذا اجتمع لدى ثلاث نسخ :

١ ــ نسخة الإسكوريال ورمزنا لها بالحرف (س) ،

٢ ــ نسخة دار الكتب المصرية ، ورمزنا لها بالحرف (د) .

٣ ــ نسخة فاس الحجرية ، ورمزنا لها بالحرف (ح) .

وكل هذه النسخ بالخط الأندلسى ، وهو خط فيه طرافة تدفع قارئه إلى مزيد من الحماسة حين يفك مغالقه ، وفيه أيضا تأنق ، ربما تدفع إليه طريقة كتابته ، وسوف يرى القارئ الصفحات الأولى والأخيرة من تلك النسخ ، وإن كان التصوير سيجعل من وضوحها صعوبة .

أما نسخة فاس الحجرية فقد تدخل فيها ناسخها وبخاصة فى الحديقة الخامسة «أمثال العامة وحكمها» بحيث اختصرها جدا ، وأبقى على ثلثيها تقريبا ، ولذا جعلنا معولنا فى هذه الحديقة بالذات على الأخريين (س ، د) وفيهما تمام هذه الحديقة ، وليس على هذه النسخة تاريخ طبعها ، وتقع فى تسع عشرة صفحة وثلاثمائة ، وفى الصفحة ثمانية عشر سطرا ، وأخطاؤها قليلة إلى حد كبير ، وفى هوامشها ــ وهى قليلة جدا ــ تدخل من الناسخ ، أو المصحح إن شئت ، حيث يصحح خطأ ، أو يضع كلمة نسيت فى المتن .

ونسخة دار الكتب المصرية (د) تقع فى ١٤٧ ورقة تحت رقم ١٨٣٣ أدب وعليها خاتم دار الكتب الخديوية المصرية ، وفى الصفحة عشرون سطرا ، وفيها خروم تخل بعدد من الصفحات أشرنا إليها فى مواضعها ، وفى بعض الأحيان عدم ترتيب فى الأوراق ، وفى آخرها شعر بعضه لابن عباد الأندلسى الإشبيلى ، يبدو أن الناسخ وضعه فى مجلد واحد مع حدائق الأزاهر ، خاصة أنه ختم كتابنا بما تختم به الكتب عادة بالصلاة على النبى

صلى الله عليه وسلم ، وفى هوامشه ـ وهى أكثر من النسخة السابقة ـ بعض الشروح أو التعليقات ، لم نشأ أن نأتى بها لعدم ضرورتها .

أما النسخة الأخيرة (س) الإسكوريال فهى تحت رقم ١٨٧٥ ، ولها رقم آخر لعله أقدم وهو ٤٢ ، وتبدأ بكلام جاء فيه : بسم الله الرحمن الرحيم ، وصلى الله وسلم على سيدنا ومولانا محمد المصطفى الكريم عليه وعلى آله وصحبه وسلم . روى مالك عن أبى الزناد عن الأعرب عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إذا قلت لصاحبك أنصت والإمام يخطب يوم الجمعة فقد . . وبعدها بياض أو سواد ، ثم جاءت هذه العبارة : ومن طريق آخر ، ومن ثم محو ، بعده : جمعة له ، أنصتوا رحمكم الله ، وواضح أن البياض فيه من قبل : فقد لغا ، ومن لغا لا » كما فى الحديث الشريف ، وروى من طرق متعددة ، وقد جاء فى البخارى ج٢ ص١٦ ، ولكنى لا أرى وجها لذكر هذا الحديث بعد العنوان إلا إذا أراد الناسخ أن يشعر قارئ هذا الكتاب بأن يحسن الإنصات ، وليس ـ بالطبع ـ من كلام ابن عاصم بل من زيادة الناسخ ، الذى زاد أيضا فى آخره ما يلى :

«هذه مرشدة الخلان ، ونصيحة الإخوان لسيدنا ومولانا الشيخ عمر بن الوردى نفعنا الله به وبأمثاله»

وهى قصيدة لامية من بحر الرمل ، فى رشد ونصيحة ، وهى خارجة عن الكتاب أيضا ، وهذه النسخة من أصح النسخ الثلاث ، ومن أوفاها وتقع فى الترقيم الأوروبى الحديث فى ٢٦٤ صفحة .

لكن أى النسخ أقدم ؟ ويمكن اعتبار الحجرية مخطوطة أيضا ، وإن طبعت حديثا ، لأن طبعها مثل التصوير للمخطوطة القديمة ، لا يمكن الجزم بقدم واحدة على أخرى ، ولذا جعلت الثلاث مرجعا ، وأخذت بالأوفى فى أيها كان ، وذلك لأقدم نسخة تامة فيما أتصور ، مع عرفانى أن ثمة نسخا أخرى فى العالم منها نسخة لندن التى ترجم حديقتها الخامسة وقدم لها : دون إميليو غرثيه غومث ، فى مجلة الأندلس عدد XXXV . سنة ١٩٧٠ ، ولم أمكن من الاطلاع عليها ، ونسخة أخرى فى الخزانة العامة بالرباط ، ولم أطلع عليها أيضا ، وأنا أرى جمع كل مخطوطات كتاب شىء مثالى ، ومطمح نرنو إليه ، لكنى

أرى أيضا أن الاجتزاء بالبعض صالح ما كانت النسخ واحدة ، وليس فى بعضها إضافات تجعل من تحقيق الناقص شيئا غير مجد ، وليس الحال هكذا فى النسخ التى بين أيدينا ؛ لذا رأيت أن التلبث حتى العثور على تلك النسخ الأخرى التى أشرت إليها ، وربما ثمة غيرها ـ هو تلبث لا يفضى ـ إلا إلى إضاعة وقت ، وحين نرى أن ما هو ناء عن أيدينا فيه إضافة ، فنحن حريون أن ننظر فى هذا الشأن مرة أخرى إن شاء الله .

وقد أردت أن أنهى هذا الكتاب فى القاهرة ، لكن مشروعات علمية وفنية عاقت إنجازه ، وإن كنت لم أترك العمل فيه بين الفينة والفينة ، وكنت أسوف الأمر مع نفسى ومع الأصدقاء الذين يستحثوننى على الإنجاز ، وحين خرجت تلك المشروعات إلى النور ، رأيت أن الوقت قد آن لإخراج الحدائق ، فحملته معى إلى مسقط حيث أعمل فى جامعة السلطان قابوس ، وأنجزته فى مدة يسيرة نسبيا ، وإن كنت لم أعثر على كل ما أريد من مصادر يقتضيها التحقيق ، وكان الإخوة العمانيون أسخياء بما لديهم حين تشح المكتبات العامة ، والمرء يعمل أفضل حين يكون بجوار مصادره الخاصة فى داره ، حيث تسعفه حين لا تسعف المصادر ولو كانت هى هى ، ولذا يرى القارئ أننى عدت إلى طبعات مختلفة للكتاب الواحد ، وكان هذا عسيرا ، وعسيرا بالنسبة للقارئ ، ونشير فقط إلى كتاب كالعقد الفريد والأغانى ، فقد رجعنا إلى طبعات مختلفة .

ولم نشأ أن نقف عند اختلاف النسخ إلا إذا كان فى الاختلاف فائدة نقدرها ، وكان فيه إضافة ، وأهملنا ما يمكن أن يكون إتخاما للهوامش . كزيادة حرف أو حذفه ، وصرفنا كل وكدنا إلى ما نظنه مفيدا ، ودليلا للقارئ ، من ذلك مثلا مصادر كثير من النوادر أو الأخبار أو الحكايات فى الكتب السابقة على كتابنا ، وارتأينا أن ثمة مصادر أساسية تواترت لدى المؤلف ، وكان عليها جل توكئه .

أما طريقتنا فى التحقيق بجانب مراجعة النص فى النسخ الثلاث ، فتنحصر فى كلمة واحدة هى : إخراج النص قريبا من الدقة أو مما وضعه المؤلف ، وكنا متحنثين غاية التحنث فى هذه المسألة ، وكانت الكلمة الواحدة أحيانا تدور فى رأسى الليالى ذوات العدد لنرى لها وجها تقوم به ، ولا نزعم أن كل المشكلات قد وجدت حلها ، بل نزعم أن دائرتها محدودة جدا ، ولا تكاد تمثل شيئا بجانب ما حل من معضلات .

وقد خرجنا الآيات القرآنية ، والأحاديث النبوية وتخريجها فى غاية من العسر ؛ لأن درسنا للحديث لا يزال يتسم بالنقص الشديد حتى بين المتخصصين ، وقد استحر الموت

ـ المجازى والحقيقى ـ بالحفظة لهذا الفن ، ونادر جدا أن تعثر على طلبتك بين رجاله ـ وبعضهم ـ وهم كثير ـ لا يستطيع قراءة الحديث قراءة صحيحة ، ولا أعلم هل صنع العلم الحديث ما يمكن معه "تخزين" الأحاديث فى ذاكرة الحاسوب ، لا أدرى ، وليته يفعل إن لم يكن فعل ، وكانت هذه القضية عسيرة لولا أن يدا كريمة من زميلى الكريم الدكتور الطاهر الدرديرى ، السودانى المولد والدار ، امتدت إلى ، فكانت نعم المعين ، فجزاه الله خير الجزاء .

ثم جاء تخريج الشعر ، وهو وحده يمثل ديوانا وسطا بين مادة الكتاب ، ولم يذكر المؤلف نسبته لقائليه إلا فى حالات شديدة الندرة ، فكان على أن أعود إلى مظانها ، وبعضه كانت الذاكرة تسعف به ، وبعضه كان يعتاص ، ولذلك نسبت أكثره ، وبقى أقله ، ولعله يعرف فيما بعد .

أما النوادر أو النثر عموما فقد حاولنا أن نردها إلى مظانها الأقدم كما قلنا ، وكان التوفيق حليفنا فى شىء كثير ، وأشرنا إلى مواطن الاتفاق أو الاختلاف ما وجد .

وبعض هذه النوادر له مشابه فى الأدب الإسبانى ، وانتقلت إليه من الأدب العربى ، ومسالكه إليه فى طى الفروض والاحتمالات ، وبعضها واضح اليقين ، وأشرنا إلى كثير من ذلك فى الهوامش ، لكنا سنزيد البحث فيه فى هذه الكلمة فيما بعد .

وللأمثال العامية فى الأندلس كلام يصعب أن نوفيه الآن ؛ لأننا نتصور أن دراسة لغوية تدرس الأصوات والدلالة فى هذه الأمثال ، حقيقة أن تقفنا على لغة أهل الأندلس فى تلك الفترة من تاريخ الإسلام الأندلسى ، كما تحتاج إلى دراسة اجتماعية ربما يقوم بها أهل الاختصاص ، وهى عسية أن توضح صورة هذا المجتمع ـ من أمثاله ـ وهو يصارع الموت والدمار ، أو ينفخ فى الذبالة الأخيرة من ناره آنذاك ، وكانت نسخة فاس الحجرية شديدة الإخلال بهذه الحديقة فاعتمدنا على النسختين الأخريين ، وراجعناها على نسخة لندن ـ فى الإسبانية وفيها نقص ـ والتى نشرها دون إميلو غرثيه غومث ، وعلى نسخة نشرها فى كتاب تكريم طه حسين ، المرحوم الدكتور عبد العزيز الأهوانى خاصة وأنه رجع فيها إلى مخطوطات القاهرة وباريس والإسكوريال ومدريد والمتحف البريطانى ، وقدم لها بدراسة جيدة مقارنا بين أمثالها وأمثال الماركيز دى سانتيانا ، وألمح إلى أمثال أخرى سابقة ، لذا نحيل عليها القارئ ، إلا أن الدكتور الأهوانى لم يخرج الشعر الفصيح فيها واكتفى بفروق النسخ التى عاد إليها ، وهو جهد مشكور بكل المقاييس .

والدكتور الأهوانى ـ رحمة الله عليه ـ حجة فى عامية أهل الأندلس ، ومجادلاته فى أزجال ابن قزمان مع دون إميلو لها صفحات فى مجلة الأندلس ومجلة المعهد المصرى للدراسات الإسلامية بمدريد .

وعنوان الكتاب "حدائق الأزاهر" بصيغة الجمع ، وليس بصيغة الإفراد كما جاء فى بعض الروايات "حديقة الأزاهر"(١) ، كما جاء أيضا "حدائق الأزهار"(٢) ، مع "أو" التى للشك ، ولا داعى له ، لموافقة السجعة "النوادر" التى جاءت فى ساقة العنوان ، وقد اعتمدنا صيغة "الجمع" فى المضاف "حدائق" لورودها فى أكثر من مخطوطة ، وعليها المعول .

والعنوان تقليد مساوق "للنوريات" الشعرية والنثرية فى المشرق والأندلس ، ولعل كتاب "الزهرة" لأبى داود الظاهرى والحدائق لأبى فرج الجيانى ـ ولم تصل إلينا غير فصول منه ـ ، وكتاب "الروض المعطار" و "البديع فى وصف الربيع" للحميرى(٣) ، وكتاب "ريحانة الكتاب ، وروضة التعريف" لابن الخطيب(٤) ثم جاء من بعده المقرى فى كتابيه "أزهار الرياض" و "نفح الطيب" ، وغيره مما يعسر استقصاؤه ، ثم جاءت الحدائق حاوية مادة الكتاب ، وهى تعنى "الفصول" أو "الأبواب" حاشا المقدمة التى أبان فيها ـ منهجيا ـ عن خطته فى رسم الكتاب ، وجمع شتاته ، وإن كان العنوان ذاته يشى بمادة الكتاب "فى مستحسن الأجوبة والمضحكات ، والحكم والأمثال ، والحكايات والنوادر" ، وهى لا تخرج عن هذا الإطار ، أو عما يمكن تسميته بالأدب بالمعنى العام "الأخذ من كل شىء بطرف" أى شىء من المنظوم والمنثور ، مع ما يشحذ رغبة القارئ فى مواصلة القراءة ، وتلك خطة قديمة كان فارسها رجل مثل أبى عثمان الجاحظ ، وغيره من كبار كتاب العربية .

والحدائق لا تسير على نسق واحد طولا وقصرا ، بل إن بعضها يحتوى على أبواب أو فصول ، ولعل القدماء عندنا كانوا "يرمزون" بهذه المادة المقدمة إلى الملوك والأمراء إلى

(١) انظر : تاريخ الفكر الأندلسى ، أ .ج . بالنثيا ، وترجمة الدكتور حسين مؤنس ص ٤٣٠ .
(٢) انظر : تأثيرات عربية فى حكايات إسبانية . ف . دى لاجرانخا ، وبترجمتنا .
(٣) انظر ـ مع شعراء الأندلس والمتنبى ـ غ . غومث ، ترجمة د . الطاهر مكى ص١٥٤ وغيرها .
(٤) انظر : المرجع السابق ـ فى أماكن متفرقة .

الوسيلة المثلى للسلوك الإنسانى ، أو الآداب العملية إلى جانب «الآداب» الفنية أو من خلالها ، وما كان فى ذرعهم أن يجابهوا الملوك والأمراء بما يريغون البث به إلا من خلال مادة كهذه ، مبثوثةفى رقائق المواعظ ، أو حكمة آبدة ، أو نادرة لطيفة ، أو نكتة مستحسنة أو حتى مستقبحة ، وما كان الذوق العربى ـ وكان سليما ـ يستهجن هذا الاستقباح ، لأنه يراه الصوره المتممة لصورة الحياة من كل جوانبها ، كما نحاول ـ مراءاة وتصنعا ـ هذه الأيام استهجان هذا الجانب ، ونرتكب أفظع منه أعمالا لا مجرد أقوال ، وفى الحديث الشريف ، وكلام الأئمة الكبار ، والمؤلفات العربية "المحترمة" شىء كثير من هذا الذى نأنف من إساغته ، ويطالب البعض بتنقية كتب التراث منه ، وهى جريمة بشعة أن نقدم على هذا الصنيع الذى يهدر ثقافة أمة ، وصورتها الاجتماعية ، فى عيون الأجيال التالية ، ثم إن هذه المسائل لا تفسد إلا أخلاق الفاسدين أصلا ولن تزيد الفاسدين واحدا .

وليس من اللازم أن أورد عناوين الحدائق والفصول التى تحتويها ؛ لأنها فى فهرس خاص آخر الكتاب ، ثم إنها مذكورة فى مقدمة المؤلف ، وذكرها هنا تزيد لا معنى له .

بيد أن الحديقة الخامسة جاء عنوانها كما يلى : "فى أمثال العامة وحكمها" والحديقة التى قبلها فى "الوصايا والحكم" ، وواضح أن الحكم الأولى فى الرابعة حكم فصيحة تواترت على الألسنة ، أما الثانية فضميرها "حكمها" يعود على "العامة" ، وقد توقفنا عند العطف بين الأمثال والحكم العامية ، وارتأينا أن المؤلف لم يأت بها عفوا ، بل إنه ربما يريد أن يفرق بين المثل وبين الحكمة ، ولعل الفرق الذى نحسبه هو أن المثل له مضرب ومورد ، والحكمة لا تحظى بهذا ، على الأقل فى بداية النطق بالمثل ، وربما شاع المثل فصار حكمة ، وتنوسى مورده ومضربه ، وأغلب الأمثال ـ فيما نرى ـ فصيحة وعامية تعبيراتها "مصورة" ، وكأنها تحتقب قصة أوحت بها حين نشأت .

أما الحديقة الثانية والثالثة وفيهما أبواب تحوى أخبار المغفلين ، والمجان ، والمجنونين وما هو من طرازها فما نظن ذلك إلا من قبيل «الإحماض» الذى عرف عن أهل الفقه والدراسات الإسلامية فى العصر القديم ، وكانوا صادقين مع أنفسهم ، ففيهم هذا الجانب المرح العابث فى بعض الأحيان ، دون أن يصابوا «بعقدة» التزمت والتحنث الكاذب فى معظمه ـ كما هو الحال الآن ـ والقارئ يرى ذلك كله ـ ليس فى هذا الكتاب وحده ـ بل فى أغلب الكتابات العربية القديمة ، حين كانت السلائق العربية الإسلامية غير مشوهة ، وتتمتع بحظ وافر من السلامة النفسية والعقلية ، ولم تكن حياتهم كلها لهوا

محضا ، بل كانت تجمع بين كل مظاهر الحياة الطبيعية ، ولعل ابن عبد ربه والفقيه العظيم ابن حزم القرطبى ، وأبا بكر البرذعى ، وأبا البقاء الرندى وغيرهم من المشارقة والمغاربة ، كانوا مصدرا من مصادر فقيهنا ابن عاصم .

ولعل المؤلف أيضا ـ مثله مثل سابقيه ـ يشعر فى نهاية كتابه بأن عليه أن يستغفر الله ، مما يكون قد ند عن قلمه ، فأفرد الباب الثالث من الحديقة السادسة لحكايات الأولياء والعباد ، والصلحاء والزهاد ، وقال : "عسى الله أن ينفع بهذا الباب وأهله ، ويجعله كفارة للأبواب المتقدمة من قبله" ، وقد صنع ابن حزم الصنيع ذاته ، فى طوق الحمامة ، ويبدو أن ذلك تقليد قديم أندلسى ، حيث كان الشعراء ـ أنفسهم ـ حتى المعروفون بخلع العذار أحيانا ـ يكتبون ما سموه «ممحصات» وجاءت على وزن قصائد قديمة لهم ، كفارة لتلك السابقة إذا كانت تحوى مجونا أو لهوا يتحرجون منه فى أخريات حياتهم ، وجاء الوشاحون فصنعوا الصنيع ذاته وسموا عملهم «مكفرات» على طريقة موشحاتهم القديمة وزنا وقوافى ، ومراجعة للعقد الفريد ، وأزهار الرياض ، ونفخ الطيب تدعم ما نقوله .

ومادة الكتاب مشرقية !!

وهذا أمر مستغرب من مؤلف غرناطى فى آخر عهد الإسلام بالأندلس .

غير أن الاستغراب يزول إذا علمنا أن ثمة سابقين عليه فى تلك الطريقة ، ولعل ابن عبد ربه أبرز ممثل لهؤلاء فى كتابه «العقد» الذى حمل إلى الصاحب بن عباد فقال قولته الذائعة «بضاعتنا ردت إلينا» ، وهى قولة حق فى جوهرها ، وإن حمل «العقد» شيئا من أخبار الأندلس ، إلا أنه بالقياس إلى المشرق تعد قليلة ، وكذلك الأمر فى «الحدائق» .

وفى تصورنا أن ثمة طريقتين فى الأندلس للتأليف الأدبى ؛ طريقة تقتصر على الأندلس ورجاله وتاريخه وشعره وأدبه عامة ، وكأنها تريد أن تقول إن لنا لحظا لا يقل عن المشارقة ، ومن أبرز مصادر هذا الضرب «المغرب فى حلى المغرب» لابن سعيد ، وإن كان قد أتمه فى المشرق ، وله كتاب آخر عن المشرق ، وكتاب «المقتبس» لابن حيان ، و«الإحاطة فى أخبار غرناطة» لابن الخطيب وكتبه الأخرى ، وطريقة ثانية تكتب عن المشرق ورجاله وتاريخه ، وكأنها تريد أن تقول أيضا : إن هنا معرفة بالجذور القديمة وإن شط المزار ، وليس حظنا من معرفتكم بأقل من حظكم بمعرفة أنفسكم ، وهذا الضرب طبيعى ؛

لأن البلدان النائية من جسم العالم العربى الإسلامى تميل إلى الاتصال بهذا الأصل البعيد ، أو بذلك القلب ، وليس من الغريب أن نجد فى الأندلس مدرسة نحوية وتمسكا بمذهب إمام دار الهجرة مالك رضى الله عنه ، وحين أراد ابن حزم أن يبعد عنه تمسك «بالظاهر» ، ومثل هذا الضرب ابن عبدربه كما قلنا آنفا ، ويمثله معنا ابن عاصم .

ويضاف إلى ابن عاصم سبب آخر لا يتمثل عند لاحقه ابن عبدربه ؛ لأن صاحبنا ألف كتابه ورياح الخطر تحدق بآخر حصن إسلامى فى الأندلس ، وعلى الغرناطيين أن يتمسكوا ــ ما أتيح لهم ذلك ــ بكل ما يربطهم بالقلب الإسلامى فى المشرق ، وإن كان هذا التمسك لم يجد إلا يسيرا حتى أفلت شمسهم ، فضلا عن أن مملكة غرناطة مرت بمراحل متعددة ، كانت فى بعضها تقترب من القشتاليين حتى فى لباسهم وحروبهم وآلاتها ، وأحيانا تقترب من المغاربة المسلمين ، فتتخذ اللباس العربى ، وآلات الحرب العربية أيضا ، وكان الغالب عليهم فى أول مملكة بنى نصر التزيى بزى القشتاليين ، وليس الزى وحده هو الشارة ، بل إن شارتهم هى الخضوع التام لملك قشتالة ، «ولقد أظهر Prieto Vives فى دراسة ألقاها فى مجمع التاريخ الملكى ، أن المملكة النصرية جاءت إلى الوجود كإقطاعة أو محمية تابعة لسان فرناندو ملك قشتالة ، ويؤكد أن ملوك بنى نصر المتبرجزين لم يكن لهم من مظاهر المسلمين إلا ما هو ضرورى لكى يتسامح معهم رعاياهم» ، ويتابع دون إميليو غرثيه غومث فيقول : «كثير من الوثائق التاريخية المتصلة بالملك العالم ألفونسو العاشر تحمل توقيع «دون أبو عبدالله بن نصر ملك غرناطة الخاضع للملك . . .»[(١)] .

ولعل ذلك القول له سند من مؤرخ عربى أندلسى هو ابن سعيد الذى يتحدث عن زى أهل الأندلس ، وأن أغلبهم يترك العمائم ، ويظهر حاسر الرأس ، حتى القضاة والفقهاء فيقول فى شهادة عيان : «ولقد رأيت عزيز بن خطاب أكبر عالم بمرسيه ، حضرة السلطان فى ذلك الأوان ، وإليه الإشارة ، وقد خطب له بالملك فى تلك الجهة وهو حاسر الرأس ، وشيبه قد غلب على سواد شعره ، وأما الأجناد وسائر الناس فقليل منهم من تراه بعمة فى شرق منها أو غرب ، وابن هود الذى ملك الأندلس فى عصرنا رأيته فى جميع أحواله ببلاد الأندلس وهو دون عمامة ، وكذلك ابن الأحمر الذى معظم الأندلس الآن فى يده ،

(١) انظر مع شعراء الأندلس والمتنبى ــ ترجمة د . الطاهر مكى ص٢٢٤ .

وكثيرا ما يتزيى سلاطينهم وأجنادهم بزى النصارى المجاورين لهم»[(١)] .

ويؤكد ابن الخطيب ما قاله ابن سعيد فيقول : «وزيهم فى القديم ــ أى فى بدء المملكة النصرية ــ شبه زى أقتالهم وأضدادهم من جيرانهم الفرنج»[(٢)] .

أما فى الفترة الأخيرة من تاريخ المملكة النصرية فتبدو غرناطة أمام أعيننا مشرقية على نحو لم تكنه يوما ، ولم يعد اسم الملك النصرى يرد فى الوثائق المسيحية بالصورة التى كان يرد عليها من قبل «دون أبو عبد الله بن نصر ملك غرناطة وتابع الملك» فقد أصبح يدعى ــ طبقا للتقاليد الإسلامية «مولاى بو عبد الله ، إن افريقية المرينية كانت تؤثر بقوة فى الأندلس الإسلامى ، وتفرض عليه عاداتها وحتى نظمها ، وطبقا لابن الخطيب ، كان الجنود يروحون ويغدون فى ملابس وأسلحة غير التى كان الجند فيها عند بدء الدولة النصرية»[(٣)] .

وفى تلك المرحلة الثانية لم يتوقف الأمر عند الزى وشارة الملك ، بل كان هذا ذاته صدى أو تعبيرا عن الزى العقلى والشعورى فى تلك الأمة ، ولم يكن أمامها إلا الاتجاه إلى الثقافة المشرقية (الأم) ، والباعث هنا مختلف تماما عن الباعث الذى كان وراء مشرقية كتاب كالعقد الفريد لابن عبد ربه ، كان هنالك دالة بثقافة تتعدى حدود الأندلس ، والآن انصدعت هذه الدالة لتبدل الأحوال التى ستئول إلى الموت ، وكأن ابن خلدون ــ والذى وصفه أورتيجا إى جاسيت ، Ortega Y Gasset بقوله : إن زهور عصر النهضة القادم دفعت بربيعها قبل أوانه فى نخاع هذا البدوى الممتاز»[(٤)] ، كان يعنى ذلك التحول بقوله : «وإذا تبدلت الأحوال جملة ، فكأنما تبدل الخلق من أصله ، وتحول العالم بأسره ، وكأنه خلق جديد ، ونشأة مستأنفة ، وعالم محدث»[(٥)] .

وآنذاك ألف ابن عاصم كتابه هذا ، وكأنه كان يعتصر الليمونة على نحو أقوى لانتزاع آخر قطرة فيها ، وأطعمها مذاقا ــ كما يقول غرثيه غومث ــ فى أسلوبه المصور ، وفى ترجمة رائعة قدمها أستاذنا الطاهر مكـى ، وليس فى الحدائق روعة ابن الخطيب ولا اتساع ثقافته ، ولا شاعريته ، ولا نثره المعقد ، الرداح بالزينة ، بل جاءت الحدائق صدى لثقافة مشرقية أو نقلا لها ، مع شىء يسير من التصرف فى المواد الأولية .

(١ ، ٢) المرجع السابق ٢٢٥ ــ ٢٢٧ . وانظر المصدرين اللذين أخذ منهما المؤلف هذه النصوص .
(٣) المرجع السابق ٢٢٧ ، ٢٢٨ .
(٤ ، ٥) المرجع السابق ٢٣٢ .

وفى الكتاب مادة أندلسية !

وهى فقيرة ، ما كان غرض المؤلف أن يحوى كتابه مادة مشرقية أولا وأخيرا ، تتراوح بين نوادر مع المعتمد بن عباد ، ووزيره ابن عمار ، ونوادر النحوى الشلوبينى المستحمقة ، والتى كأنها تؤكد الصورة التى رسمها ابن شهيد فى روعة عظيمة فى رسالته عن التوابع والزوابع ، والتى صور فيها النحويين صورا هزلية لكنها تخلو من السخرية المرة والحرد ، بل تبعث على الابتسام فحسب ، وكذلك نوادر اعتماد الرميكية ، وبعض شعر ابن سهل اليهودى ، ويتخلل ذلك كله نوادر حدثت مع المؤلف نفسه ، شاهد عيان ، ومن ذلك نادرة خاله ابن جزى ، ويتحدث عنه الأستاذ محمد عبد الله عنان فيقول : الكاتب الشاعر ولد بغرناطة سنة ٧٢١هـ ، وانتظم منذ فتوته بين كتاب السلطان أبى الحجاج يوسف ، وحظى لديه ، ومدحه بطائفة من القصائد الرنانة ، ثم غضب عليه ونكبه فغادر الأندلس إلى العدوة ، ودخل فى خدمة السلطان أبى عنان المرينى ومدحه . وكان بارعا فى النثر والنظم ، ذكره ابن الأحمر فى نثير الجمان ، وأشاد بمقدرته ووصفه بأنه أعظم شاعر فى عصره ، وكانت وفاته بمراكش ٧٥٧هـ ــ ١٣٥٦م ، وهو الذى أنشأ رحلة ابن بطوطة من مذكرات صاحبها حسبما ينوه بذلك فى خاتمة الكتاب»[١] .

والمادة الأندلسية الحقيقية هى الحديقة الخامسة فى أمثال العامة وحكمها بالأندلس ، وفيها يتقيل ابن عاصم خطى سلفه ابن عبد ربه فى العقد الذى أفرد بابا خاصا لها فى موسوعته الضخمة هو الجوهرة فى الأمثال ووشم الأمثال ببعض الشعر كما صنع ابن عاصم أيضا من بعده ، ورتب ابن عبد ربه أمثاله حسب الموضوعات لا على حسب حروف الهجاء كما فعل ابن عاصم وجمع صاحب العقد إلى الأمثال العربية القديمة الأمثال العامية لكنه عربها وجعلها فصيحة ، وكأنه كان يقصد بالعامية ، ما هو شديد الذيوع منها على ألسنة الناس ، وشبيه بهذا ما نسمعه من أفواه العامة الآن حين يستشهدون بحكمة للمتنبى أو قول مأثور يلحنون فيه بعض الشىء لكنه أقرب إلى النطق الفصيح ، يقول ابن عبدربه : «وضممنا إلى أمثلة العرب القديمة ما جرى على ألسنة العامة من الأمثال المستعملة»[٢] والأمثال المستعملة هنا كأنه يقصد ما جرت به أمثال ألسنة العامة دون أن يكونوا أصحابها كما أشرنا آنفا .

---

(١) نهاية الأندلس ص٤٧٠ ، وانظر نفح الطيب وأزهار الرياض ج٣ ص٢٨٤ ، ج٢ ص١٨٩ .

(٢) العقد جـ ٣ ص ٨١ .

أما ابن عاصم فبدأ الطريق الذى بدأه ابن عبد ربه ولكنه افترق عنه ، إذ اقتصر على أمثال العامة فى الأندلس ، ورتب أمثاله أبجديا ، على طريقة الأندلسيين ، وترتيبها كالتالى : أ ب ت ث ج ح خ د ذ ر ز ط ظ ك ل م ن ص ض ع غ ف ق س ش هـ و لا ى . فضلا عن الخط الأندلسى الذى يفترق عن المشرقى فى الفاء والقاف فالأول يميز بنقطة أسفل الحرف ، والثانى بنقطة واحدة فوقه . ومجموعته هى أكبر مجموعة لدينا أو وصلت إلينا ـ على الأقل ـ من أمثال العامة فى الأندلس ، وكأنه أراد ألا يخلو كتابه من أثر أندلسى ، ولعله آخر أثر للأمثال العامية فى الأندلس ، ولكنه إلى جانب هذا جعل الشعر ـ وأغلبه مشرقى ـ بمثابة الشاهد على المثل العامى الأندلسى الذى أورده ، وكأنه يريد أن يقول إن لهذه الأمثال القاصية أصلا تحور إليه فى المشرق ، وأمثاله غير معربة ـ بطبيعة الحال ـ وما هو ببدع فى ذلك فالأمثال العامية يستهجن فيها الإعراب كما يستهجن فى الأزجال ، حسبما هو وارد عن ابن قزمان ، وحسبما أشار الجاحظ من قبل فى أول «البخلاء» وأوردنا النص سابقا .

ونعتقد ـ وإن لم يكن لدينا دليل واقعى حتى الآن ـ أن ابن عاصم كان يعرف طرفا من اللغة القشتالية ، نظرا للاختلاطات بين المجتمعين العربى والقشتالى ، واضطرار الطائفتين أن تعرف كل منهما ـ إلى حد ما ـ لغة الأخرى ، على الأقل فى حدود التعامل اليومى ، ولعل هذا يشبه ما نراه الآن فى المجتمعات الخليجية التى تكثر فيها العمالة الوافدة من آسيا كالهند والباكستان والبنغال ، وغيرهم فإن هذه المجتمعات اصطلحت على لغة التفاهم فيما بينها بالقدر الذى يسمح بجريان الحياة ، «والاصطلاح» الذى أومأنا إليه جاء عفوا ـ بطبيعة الحال ـ لا أن الناس اجتمعوا واتفقوا على تلك اللغة المستخدمة فى التخاطب ، وكانت الحياة فى غرناطة على شىء شبيه بهذا ، وإن كانت الحال تختلف هنالك حيث الاختلاط حربى أكثر منه سلميا ، وإن كان لم يتخلف هذا الاختلاط فى الحالتين ، وربما يؤيد ما ذهبنا إليه أن رجلا فى ثقافة ابن عاصم وفى عمله الرسمى ـ القضاء والوزارة ـ ما كان يجهل لغة عدوه أو جاره آنذاك ، وإن ظهرت آثار هذه المعرفة فى حدود شديدة التواضع فى مؤلفاته ، بل فى حدود الندرة ، ولعل الأمثال ـ ويشاركه فى معرفتها غيره ـ وقليلا من الكلمات القشتالية الواردة فى غير الأمثال مما

عرفناه ومما لم نعرفه ـ قراءة ـ تشى بشىء من ذلك الوقوف على القشتالية ، وفى الطرف المقابل بالتأكيد كان كثيرون من الأقتال ـ حسب لفظ ابن الخطيب ـ يعرفون اللغة العربية لا تلفظا فقط ، بل كتابة أيضا ، لأنها لغة المجتمع الراقى والمتحضر ثقافيا ، وإن كان أهله يرقصون رقصة الموت فى ثياب ملطخة بالدماء على حد تعبير غرثيه غومث .

ومصادر ابن عاصم فى كتابه متعددة ، لكننا نشير إلى أهمها بإيجاز :

بالطبع كان مصدره فى الأمثال ابن عبد ربه ، وابن هشام اللخمى ، وأمثال ابن قزمان ، وما تتلفظ به العامة طازجا في الشارع والسوق على أيامه ، إلى جانب المصادر المشرقية فى الأمثال وإن لم تكن رئيسة بالنسبة له فى هذا الباب ، وهذا يفسر كثرة الأمثال لديه عن سابقيه لأنها تجاوزت ثمانمائة مثل .

أما مصادره في الحدائق الأخرى فيمكن أن تتركز فى :

ـ العقد الفريد لابن عبد ربه .

ـ البيان والتبيين للجاحظ .

ـ البخلاء للجاحظ .

ـ الحيوان للجاحظ .

ـ أخبار الحمقى والمغفلين لابن الجوزى .

ـ الأمالى لأبى على القالى .

ـ طبقات فحول الشعراء لابن سلام .

ـ الأغانى للأصفهانى .

ـ دووابن الشعراء من أمثال بشار وأبى نواس ، ودعبل والمتنبى وغيرهم .

ـ زهر الآداب للحصرى .

إلى جانب كتب الحديث ، وكتب أخرى مترجمة عن الفارسية والهندية ، فثمة حكايات تنسب إلى هاتين الأمتين ، وكانت العرب واقفة على أخبارهما ، ولعل القدح المعلى فى هذه المصادر كلها كان العقد الفريد لأنه كان ـ أى ابن عاصم ـ يأتم به فى رواية الحكاية ، رغم ورودها فى مصادر أخرى ، وكان يميل إلى الأخذ برواية ابن عبدربه[١] ، كما أن هناك طائفة وردت فى كتب ما قبل الإسلام ، وما كان ابن عاصم يرجع إليها بقدر ما يرجع إلى الكتب العربية الإسلامية التى أوردت هذه الأخبار عن الأمم السابقة .

وخطته فى كتابه دقيقة إلا ما كان من تكرار لبعض النوادر المتشابهة فى أبواب متعددة ، وهذا أمر يسير ، غير متواتر ، لكن المتواتر لديه أنه واع جيدا للنوادر والحكايات التى تتصل بسبب بعضها ببعض ، فتأتى ـ مثلا ـ أخبار المعلمين متعاقبة إلا ما ندر ، وكذلك أخبار عن الطفيليين والحمقى ، والمجانين يعقب بعضها بعضا ، حتى الأخبار المتصلة بشخصيات تأتى متصلة أيضا ، وذلك يحور إلى أن المؤلف مدرك بخيوط منهجه تماما ، وإن كانت الخيوط تتشابك أحيانا ، ونوادره فى معظمها موجزة إلا ما كان من حكايات مطولة أورد لها بابا خاصا ، وهذا يحمد للمؤلف ، حتى إنه فى نقله لبعض الحكايات المطولة فى مصادره التى عاد إليها ، جعلها مختصرة تبعا للباب الذى وردت فيه .

وللحدائق تأثير فى الإسبانية .

أما هذا التأثير فلا يمكن عزوه إلى أن الكتاب قد ترجم إلى القشتالية ، وأصاب ذلك الذيوع الذى يجعل تأثيره محدد المسالك ، إذ لا نعرف له ترجمة إلى تلك اللغة ، وربما تنكشف الأمور فيما بعد ، فنرى ترجمة له ترجح هذا الاحتمال ، لكن نوادر كثيرة فى هذا الكتاب لها مشابه فى مصادر إسبانية قديمة وحديثة ، وقد درس بعضها الأستاذ ف . لاجرانخا ، وترجمنا أكثرها فى كتابنا «تأثيرات عربية فى حكايات إسبانية» ، وإن كان بعض هذه الحكايات انتقل إلى الإسبانية عن طريق مصادر أخرى سابقة لابن عاصم مثل كليلة ودمنة ، والأغانى ، والعقد ، وفاكهة الخلفاء وسراج الملوك ، والتبر المسبوك وغيرها من المصادر شرقية وأندلسية ، لكن بعضها وارد عند ابن عاصم وبطريقة تؤكد أنه كان مصدرا للمصدر الإسبانى مباشرة ، وإزاء غيبة الدليل الواقعى فليس أمامنا إلا أن يرجع

(١) راجع ما كتبناه عن حكاية المرأة الحالمة وجرة العسل ، أو قصة الناسك وجرة السمن الواردة فى كليلة ودمنة والعقد الفريد ، وكيف أن ابن عاصم اختار رواية العقد الموجزة .

هذا النقل إلى المصادر الشفوية التى تتمثل فى انتشار الثقافة العربية فى الأندلس عن طريق الاختلاط بين المجتمعين ، وكان للموريسكيين القسط الأوفر فى نقل تلك الثقافة شفويا أو كتابيا إلى ذلك المجتمع الجديد الذى فرض عليهم ، أو فرضوا عليه ، وربما تجزئ بعض الأمثلة هنا ، اكتفاء بما قدمناه فى الهوامش من إشارات :

لعل أوضح الأمثلة هو تأثير الأمثال العامية فى الحدائق على أمثال الماركيز دى سانتيانا ١٣٩٨ ــ ١٤٥٨ ، وهو معاصر فى بعض فترات حياته لابن عاصم ، وكان الماركيز قائدا حربيا فى المنطقة الحدودية بين الأندلس وقشتالة ، كما كان مثقفا ، وكتب مجموعة أمثاله بناء على رغبة ملك قشتالة دون خوان كما كتب ابن عاصم كتابه إلى سلطان غرناطه فى عصره ، ونعتقد أن سانتيانا قرأ الحدائق أو الأمثال ، أو قرئت له من عربى يعرف عامية أهل الأندلس أو من قشتالى يعرف تلك اللغة ، ولا نتفق مع الدكتور الأهوانى فى التشكيك فى أن ابن عاصم هو الذى أوحى إلى سانتيانا بجمع أمثاله[1] ، بل نحن مطمئنون ــ دون إسراف فى الشك ــ أن الماركيز تقيل ابن عاصم ، وكان كتابه بين يديه حين جمع تلك الأمثال ، حتى لو لم يكن يعرف العربية ، أو عامية أهل الأندلس ، فإنه لن يعدم المسالك إلى تلك المعرفة ، وقد أورد الدكتور الأهوانى نماذج عددها واحد وعشرون مثلا ليدلل على التشابه بين المجموعتين ، واقتصر على ما اتفق لفظه ومعناه بينهما ، تاركا ما اختلف لفظه واتفق معناه ، لمجرد التشابه فى المجتمعين أو فى المجتمعات الإنسانية عامة ، لكن الاتفاق التوءمى بين هذه الأمثال الواردة فى المجموعتين لفظا ومعنى لا تفسير لها عندنا إلا النقل الحرفى ، غير عابئين بتوارد الخواطر ، أو اتفاق المجتمعات أو الاختلاط ، بل نعبأ بشيء لا سبيل إلى الطعن فيه وهو النقل الحرفى ، ومراجعة الواحد والعشرين مثلا الواردة فى المجموعتين والتى قارن بينها الدكتور الأهوانى تؤكد ذلك ولا تجعلنا ننقل منها شيئا هنا خشية الإطالة والتزيد ، لكنها تنطق بنفسها أن أمثال ابن عاصم كانت بين يدى سانتيانا مخالفين بذلك الدكتور الأهوانى ، والمجاورة التى لم يرها دليلا هى دليلنا ، والوسيلة لهذه المعرفة حددناها آنفا ، ولا سبيل إلى دفعها ، ولا تدفعنا إلى هذا الاعتقاد حماسة عربية بل رؤية ما ينبغى أن يرى ، ولو كان الكاتب عربيا بدلا من سانتيانا ووجدنا تشابها بينه وبين كاتب أوروبى آخر ، أى لو اختلفت جنسية الآخذ

(١) راجع بحثه فى كتاب تكريم طه حسين ص٢٥٣ .

والمأخوذ منه ، لمال بنا اللوم والإنحاء إلى جانب العربى ، وتبرئة الأجنبى كما هو الحال فى كثير من الدراسات العربية المقارنة هذه الأيام ، وإن كان الدكتور الأهوانى ــ عليه رحمة الله ــ بنجوة من هذا المزلق ، وإن لم يحسم القضية حسما واضحا والإجهاز عليها لا يعوزه كبير عناء فيما نرى .

وفى كتاب Floresta Espanola لمؤلفه Melchor de Santa Cruz de Duenas ويمكن ترجمته "الأيكة الإسبانية" ، ومؤلفه كتبه فى الثلث الأخير من القرن السادس عشر ، وأثر هذا الكتاب فى مؤلفات أخرى مناظرة ــ نستطيع العثور على طائفة من كتاب ابن عاصم وبالطبع من كتب عربية أخرى سابقة ، وطريقته فى التأليف هى طريقة ابن عاصم المعروفة فى العربية ، وكتاب الأيكة كله نوادر على طريقة النوادر العربية ، ويحوى اثنى عشر بابا كل باب يحوى جملة من الفصول ، وإن كانت شخصيات النوادر تدور حول شخصيات قشتالية ، وإن كان ثمة فصل يتحدث عن العرب المسلمين ، وهو الفصل السادس من الباب الخامس "De Moros" ، ويتناول الكتاب فى مجمله طوائف من الناس تضم الكرادلة وطوائف رجال الدين على اختلاف فئاتهم ، والقواد ، والجنود ، والأطباء والطلاب ، والقضاة والكتاب ، والحمقى ، والمجانين ، والعرجان ، والعميان ، والنسوان القباح ، والأرامل ، وغير ذلك من طوائف الناس .

ولا يقتصر الأمر على هذا التصنيف القريب من تصنيف الكتب العربية وخاصة الحدائق ــ ونرجح أن حكاياته كانت حديث الألسنة فى المجتمع القشتالى إبان عصر المؤلف ــ بل تعداه إلى صلب النوادر نفسها ، فضلا عن أن عنوانه قريب من عنوان الحدائق والكتاب ــ كاملا ــ يحتاج إلى ترجمة نقوم ببعضها الآن حتى يتيسر الانتهاء منه ، ويقدم هو وغيره مثلا حيا على الأثر العربى الأندلسى فى التآليف القشتالية آنذاك .

ولعل هذه الطوائف نجدها تقريبا فى حدائق الأزاهر ، كما نص ابن عاصم فى مقدمته فهو يتناول الولاة والأمراء والكتاب والشعراء ، والأئمة والخطباء ، والمؤذنين والفقهاء ، والوعاظ والحكماء ، والأعراب والغرباء ، والمجان والظرفاء ، والمجنونين والعقلاء ، والطفيليين والبخلاء ، وحذاق الجوارى والنساء ، وغير ذلك من طوائف الناس .

ومنظر البيت الكئيب المظلم مشهد يتكرر فى التصانيف العربية وكذلك فى الإسبانية وخاصة فى "حياة لاثاريو دى تورمس" وأول من أورده البيهقى فى كتابه "المحاسن والمساوئ" حيث يقول : وقيل لابن رواح الطفيلى : كيف ابنك هذا ؟ قال : ليس فى الدنيا شىء مثله ، رأيت نادبة خلف جنازة وهى تقول : وا سيداه ، يذهب بك إلى بيت ليس فيه ماء ولا طعام ، ولا فراش ولا وطاء ولا غطاء ولا سراج ولا ضياء ، فقال : يا أبه ، يذهبون به إلى بيتنا»[١] .

ثم ورد المشهد فى الأغانى منسوبا إلى ابن دراج[٢] ، أما فى الحدائق فقد ورد غير منسوب إلى أحد ، وهو كذلك وارد فى لاثاريو دى تورمس ، بل إلى "سائل" فى كليهما ، ويرى لاجرانخا[٣] أن صيغة التجهيل هذه ترجح أن يكون ابن عاصم مصدرا مباشرا ، لا المحاسن والمساوئ للبيهقى ، ولا الأغانى ، ولا المستطرف وهو تال للحدائق .

وهذا المشهد فى لاثاريو يقول : بينما أنا أصعد فى الشارع مفكرا فى كيفية استغلال هذا الريال على أحسن وجه وأنفعه شاكرا الله على ما وهب سيدى من مال ، إذا بى أواجه فجأة بميت كان يحمله على محفة عند أسفل الشارع قسيسون وناس آخرون ، فارتكنت إلى الجدار لأفسح لهم الطريق ، وبعد مرور الجثمان وبالقرب منه جاءت امرأة ، لابد أنها كانت زوجته ، وهى متشحة بثياب الحداد ، وتصحبها نساء أخريات كثيرات ، وكانت تبكى وتصرخ صرخات شديدة وتقول : زوجى ، وسيدى ، إلى أين يحملونك ، إلى إلى المنزل الكئيب البائس ، إلى المنزل المظلم كالكهف ، إلى المنزل الذى لا يؤكل فيه ولا يشرب" فلما سمعت هذه الكلمات ، ظننت أن السماء أطبقت على الأرض ، وقلت : أوه ، يا لشقائى ، إنهم يحملون هذا الميت إلى بيتنا ، فتركت طريقى ، وشققت لى طريقا بين الحشد ، وبأسرع ما أستطيع نزلت إلى حيث منزلنا وبعد أن دخلته أغلقت بابه بكل عجلة مستغيثا بسيدى وفضله ، ومعانقا إياه لينجدنى ويدافع عن المدخل ، ويمنعه من دخول المنزل ، فاضطرب واعتقد أن الأمر يتعلق بشئ آخر وقال لى : ماذا جرى يا غلام ، لماذا تصيح ؟ ما بك ؟ ولماذا تغلق الباب بهذا العنف ؟ فأجبته : أوه ، يا سيدى ، تعال هنا

(١) المحاسن والمساوئ ــ ط . أبو الفضل إبراهيم ج٢ ص ٤٤٠ .القاهرة ١٩٦١ .

(٢ ، ٣) انظر الأغانى ــ ج١٥ ص٣٦ . وانظر دراسته فى الأندلس .

بسرعة ، إنهم يحضرون ها هنا ميتا ، فقال : ميت كيف ؟ فقلت : نعم ، ميت ، لقد التقيت به هناك فى أعلى ، وكانت زوجته تقول : زوجى وسيدى ، إلى أين يحملونك ، إلى المنزل الكئيب البائس المظلم كالكهف إلى المنزل الذى لا يؤكل فيه ولا يشرب ، نعم يا سيدى إنهم قادمون إلى هنا»[١] .

والحكاية فى الإسبانية أكثر ملحا ، وإن كان الفحوى واحدة وهى قريبة من حكاية ابن عاصم ، ولا داعى لأن نقول إنها كانت هى ورصيفاتها من الأدب الشعبى الشفوى الشائع بين الناس آنئذ .

وحكاية أخرى لدى ثيرفانتس فى مجموعة أقاصيصه القصيرة بعنوان : "ربح الأصدقاء" ، درسها الدكتور الطاهر مكى جيدا فى كتابه "فى الأدب المقارن ـ دراسات نظرية وتطبيقية" ، وترجم حكاية ثيرفانتس ، وأورد الأصل العربى مما قر فى ذاكرته أيام الطلب ، وكان بعيدا عن مصادر مكتبته حين كتب هذا الفصل ، ولم يستطع أن يعثر على المصدر الذى استقى منه ثيرفانتيس وقال : ولمن شاء بعد ذلك أن يراجع نصها فيما يتوهم من مظان الأدب العربى فى العصر الوسيط»[٢] .

والحق أن روايته التى خزنتها ذاكرته قريبة من النص الإسبانى الذى ترجمه ، لكنى ـ استجابة لرغبته ـ ارتأيت أن أصل حكاية ثيرفانتس موجود فى الحدائق ، وهى فى الباب الأول "الحكايات المستطرفة والأخبار المستظرفة" من الحديقة السادسة ، وتبدأ بقوله : وحكى الحسن بن خضر عن أبيه قال لما أفضت الخلافة إلى بنى العباس الخ" . والمشاهد فى الحكايتين واحدة ، وإن اختلف المجير فى كلتيهما ففى العربية رجل وفى الإسبانية امرأة ، وثيرفانتس وصلت إليه بلا ريب ضمن حكايات عربية أخرى التقطها من العرب إبان إقامته فى الجزائر وقد عاش فيها زمنا وكانت الجزائر واحدة من أولى الأقطار العربية التى اتخذها المطرودون من عرب الأندلس وجهة لهم[٣] .

ومما يرشح أن ابن عاصم أصل لحكاية ثيرفانتيس أن الحكاية التى قرت فى ذاكرة الدكتور مكى تبدأ هكذا : يحكى أنه فى إبان فتح الأندلس» .

---

(١) حياة لا ثاريو دى تورمس ـ ترجمة عبد الرحمن بدوى ـ ص٨٥ وما بعدها ط . المعهد الإسبانى العربى ـ مدريد .
(٢) انظر : فى الأدب المقارن ـ د . الطاهر مكى ص٣١٩ .
(٣) المرجع السابق ـ ٣١٨ .

والحق أن عبارة "فتح الأندلس" هى الوليجة التى نطمئن إليها ، لأن الحوادث التى تضمنتها حكاية ابن عاصم حدثت حين أفضت الخلافة إلى بنى العباس ، وذلك التاريخ هرب فيه عبدالرحمن الداخل الأموى ، و"فتح الأندلس" من جديد مرة أخرى ، وبدأ معه عصر جديد ، وكان المختفى فى الحكاية الغرناطية إبراهيم بن سليمان بن عبدالملك .

ونقف الآن لدى حكاية موجودة عند الكاتب الشاعر الأرجنتينى خورخى لويس بورخس ت ١٩٨٦ ، فى كتابه "ألف ليلة وليلة" وقد نشرت فى المغرب مترجمة إلى العربية فى كتاب بعنوان "المرايا والمتاهات" وأعاد نشرها الأستاذ جمال الغيطانى فى جريدة الأخبار فى الملحق الأدبى تحت عنوان "حلم النائم بين التنوخى وبورخس" ، وأورد الحكايتين بتاريخ ١٩٨٨/٨/١٠ ، وهى بالفعل منقولة من المصدر العربى ، وعلقنا على ذلك في حينه بأن بورخس أخذ الحكاية كأنها ترجمة مغفلا الأصل الذى أخذ منه ، وقد صنع ذلك مرارا ، مع أنه لا يحب العرب ولا جنسهم ، ويتعصب عليهم ، وارتأى البعض الآخر أن هذا من شأن «تلاقح الثقافات» إلى ما غير ذلك من «الكلمات الكبرى» التى لا نفهم معناها . . !!

وحكاية بورخس يمكن أن يكون مصدرها ابن عاصم أيضا ، مما نقل سماعا أو دون فى كتب الأدب الإسبانى فى العصور الوسطى ، وراقت لبورخس فضمها إلى كتابه حين سمعها أو قرأها ، أو أنه قرأها فى كتاب «الفرج بعد الشدة» للتنوخى المتوفى فى القرن الرابع الهجرى ، مترجمة إلى إحدى اللغات الأجنبية ، وإن كنا نرجح أن ابن عاصم ربما يكون أقرب من ذلك المصدر المشرقى ـ ولا نعرف له ترجمة أوروبية ـ ويتفق التنوخى وابن عاصم فى رواية الحكاية ، مما يدل أن ابن عاصم آخذ من سلفه حاشا توشيات يسيرة لدى المتأخر ، أما بورخس فقد "قلب الوضع" كما يقولون ، فبدلا من أن يذهب الحالم إلى مصر ذهب إلى أصبهان ، والخاتمة واحدة فى الحكايات الثلاث[1] .

وتتبع الأثر فى الأدب الإسبانى فى تلك المقدمة يخرجها عن إطارها ، ويقتضى ذلك بسط كلام ربما نعود إليه فى كتاب خاص ، وبين يدينا مواد كثيرة من ابن عاصم وغيره فى الآداب الإسبانية ، ونقصد بها إسبانيا وأمريكا اللاتينية ، وكلها تثبت فضلا يحاول

(١) راجع الحكاية فى الباب الأول من الحديقة السادسة فى الحدائق .

أصحاب "تلاقح الثقافات" نفيه عنا ، ولو كان الآخذ عربيا لاشتجرت الأقلام والأسنة تجرده من كل أصالة ، ولعلنا نذكر معركة "حمار الحكيم" وتأثره أو أخذه من الشاعر الإسبانى خوان رامون خمينيث كتابه "أنا وحمارى" ولم يكن الحكيم قد أخذ شيئا من هذا الكتاب ، وهى شنشنة معروفة ، يستخذى أصحابها أمام كل ما هو أوروبى حتى لو كان وشم السرقة والأخذ على يده ، ولا يحتاج إلا إلى عينين تبصران . . !!

ولم يقف تأثير هذا الكتاب ـ بنمطه هذا ـ فى التصنيف العربى من بعده ، بل امتد إلى مؤلفات كثيرة تحذو حذوه ، وربما حتى العصر الحديث ، حاشا ما يتصل بالأمثال العامية الأندلسية ، وإن كان بعض المؤلفين ألف فى أمثال العامة ببلده مثل أحمد تيمور باشا فى الأمثال العامية المصرية ، كما صنع أمثاله فى بلاد أخرى .

وهذا يدل على أن الأخذ من كل شىء بطرف كان متداولا بين المؤلفين ، حتى انصرف الناس عنه تأليفا ، وإن لم ينصرفوا عنه سماعا حكايات تروى ، سواء أكانت تأليفا أم رواية عن حفظ .

غير أن العصر الحديث ـ للأسف الشديد ـ أغفل نوادره ـ فى عصر المطبعة ـ فاقتصر على ترديدها سماعا دون أن يعنى بالتدوين ، ولو جمعت نوادر الظرفاء من عصرنا لكان لنا أدب يناظر أبرع الفصول فى العقد ، والإمتاع والمؤانسة ، وعيون الأخبار ، والكشكول ، والمستطرف وغير ذلك مما هو من نظائرها ، والذى يتذكر نوادر البابلى ، وإمام العبد ، والبشرى ، وحافظ ، والعقاد ، والمازنى ، وطاهر أبو فاشا ، وأحمد مخيمر ، ومحمود غنيم والعوضى الوكيل ليأسى كل الأسى أن كل ما قالوه ـ شعرا ونثرا ـ لم يدون ، ربما كان بعضه يخدش الذوق المعاصر ـ وهو يتحذلق بلا مسوغ فى هذا الحرج ـ لأن هذا كله لا يشكل ما يحتويه شريط واحد من شرائط الصور المتحركة الهازلة ، فضلا عن أن هذا الأدب يجئ مصورا بارع التصوير ، وخاصة ما يتصل منه بالأهاجى المتبادلة بين بعض هؤلاء ، إذ لا يقل عن تصوير ابن الرومى وتشخيصه ، وبراعة النادرة ، وسرعة البديهة التى عرف بها هذا النمط من الرجال ، فأى ثروة خسرناها بسبب التنطس الذى لا معنى له حين لم ندون هذه النوادر عن هؤلاء الظرفاء ، إنه عصر ظالم بكل المقاييس ، وويل لمن يأتى بعدنا حين لا يعرف كل ما كان يدور بيننا ليقف على صورة صادقة لهذا العصر الذى ننتسب إليه . . !!

وكانت مفاجأة أن ينشر هذا الكتاب فى بيروت بتحقيق الدكتور عفيفى عبد الرحمن ، فى سنة ١٩٨٧ ، لكنها لم تقعد بى عن متابعة تحقيقه وإخراجه ، إذ أننى نشرت خبرا مفصلا فى مجلة «أخبار التراث» التى تصدر عن الكويت سنة ١٩٨٥ تقريبا ـ وفيما أذكر ـ عن إخراجى لهذا الكتاب قبل أن أعرف أن الدكتور عفيفى بصدد إخراجه ، فضلا عن أننى أعتقد أن الكتاب الواحد يمكن أن يخرجه أكثر من واحد ، خاصة أن المحقق الفاضل لم يرجع إلا إلى مخطوطة واحدة هى مخطوطة الخزانة العامة ، ثم النسخة الحجرية ، أما نحن فقد رجعنا إلى نسخة الإسكوريال ، ونسخة دار الكتب المصرية ، إضافة إلى النسخة الحجرية ، وليس من غرض هذه الكلمة أن نقارن بين عملنا وعمل الدكتور عفيفى ، إلا أن من الواجب أن نقول إن عمله اتسم بالعجلة ، فضلا عن معرفته بالأدب الأندلسى متواضعة ، ودعك من معرفته بالإسبانية فلا صلة له بها ، وهذان الأمران ضروريان لأى عمل يتعلق بالأندلس شعرا ونثرا ، تاريخا ، وفكرا ، وهما عون لمن يتصدى لهذا الحقل ، ليرد الأشياء إلى أصولها ، وليقدم دليلا للتأثير والتأثر حين يكون من الضرورى معرفة ذلك ، وهذا ما قمنا به دون تواضع كاذب .

كما اتسم التحقيق بعدم تخريج الشعر والأحاديث النبوية ، ولم يحاول أن يرجع النوادر إلى مصادرها وهذا ما قمنا به أيضا ، وقد سوغ المحقق الفاضل عدم عمله هذا هو خشيته من تضخم الكتاب .

وليس من غرض هذه الكلمة أيضا أن تقارن بين العملين ، ولا أن تقف عند طائفة من الملاحظات التى يمكن أن نلاحظها على المحقق ، ولكننا سنقف على شىء طريف يدركه القارئ لأول وهلة ، وهو أن الهوامش التى طرز بها المحقق الكتاب فيها كثير من المفارقات حتى ما هو بعيد عن الأندلس وتاريخه .

ـ جاء فى ص ٥٦ ط د . عفيفى ، يعرف بالجماز : يقول : هو جماز بن هبة بن منصور الحسينى ، ولى المدينة فى عهد السلطان برقوق (ت٨١٢هـ ـ ١٤٠٩م)

ـ وجاء فى ص ٩٤ ، خبر فى متن الكتاب عن الجماز أيضا ـ وفيه مجون فى الخبرين ـ يتعلق بمحمد بن يزيد المهلبى ـ ويعلق المحقق معرفا بالمهلبى ـ توفى (١٩٦هـ ـ ٨١١م) . وبعده مباشرة خبر للجماز مع الفتح بن خاقان وعرف به المحقق أنه توفى (٢٤٧هـ ـ ٨٦١م)

فأى التاريخين نصدق ؟ جماز السلطان برقوق ، أم جماز المهلبى والفتح بن خاقان .

ـ كثير من العبارات فى متن الكتاب تحتاج إلى مراجعة لأن السياق يأباها . ففى ص١٥٠ جاء من يوم فارقتكم ما رأيت ضرا ، والصواب "خيرا" وفى الصفحة نفسها «وهو يعرج فمه» وصوابها "وهو يعوج" ، وفى ص١٨٧ "هذرة قومه" وصوابها "مدره قومه" .

أما الشعر ففيه خلل عروضى كثير ويكفى مراجعة يسيرة ليرى القارئ ما نؤمه ، يقول فى ص١٩٠

خل على أخوا الأحزان إذ ظعنا من بطن مكة بالتسهيد والحزنا

والبيت من البسيط ، وهو كذا مكسور ، وينكسر النحو معه أيضا وصوابه :

خلّى علىّ أخو الأحزان إذ ظعنا من بطن مكة التسهيد والحزنا

بتحقيق همزة التسهيد ، أو بصرف "مكة" منونة ، وضم التسهيد إليها ، وبذا يصح أن يعطف عليها الحزن المنصوب .

وفى ص ١٩٢ «هذه أَمْتَكُ من عمرو بن معدى كرب» ولا وجه لها وصوابها «أفتك» من عمرو . . .

وفى ص١٩٩ جاء هذا البيت :

فلا تعبن يوما محيا مبرقعا فربما أشجاك ما أنت عائب

وهو مكسور هكذا ، صحته "فربتما" ، وحتى فهارس الشعر خلط بين القوافى فى بعض المواطن .

وجاء ذكر على بن بسام النحوى المشرقى ، فخلط بينه فى التعريف وبين ابن بسام الشنتريني ، وجعل المشرقى أندلسيا راجع ص٢١٦ .

كما جعل شريح القاضى أندلسيا أيضا لتشابه الأسماء ، والمقصود المشرقى راجع ص٢١٤ .

والتقصى غير وارد وغير مطلوب وبين يدى ملاحظات تناهز المئتين ، لأن الطبعتين مختلفتان ، فضلا عن هذه المقدمة التى تلمسنا فيها بعض الأشياء المتعلقة بالأندلس وإسبانيا عموما ، والتأثير والتأثر ، وضبط الكلمات الأندلسية الواردة فى متن الكتاب لأنها وردت خطأ فى التحقيق الأول .

والفضل فى أن أخرج هذا الكتاب بعد أن خرج من قبل يعود إلى أستاذنا الطاهر مكى ـ أجزل الله مثوبته ـ فهو الذى أشار على بكثير مما قمت به فى التحقيق من ضبط الشعر وتخريجه والأحاديث ، والتعليقات التى كثرت فى كل حديقة على حدة حتى بلغت فى جملة الكتاب فوق الألف هامش .

وليس فضل الأستاذ الجليل بقاصر فقط على عملى هذا ، بل هو وراء كثير من أعمالى الفنية والعلمية ، بسعة أفقه ، ووده المنخول لأصدقائه وتلاميذه ، ويسره أن يعمل الناس ، ويحتفى بعملنا كاحتفائه بشىء عزيز لديه كأنه عمله هو ، فإذا أزجيت له الشكر خالصا هنا ، فهو شكر يمتد إلى أعمالى كلها ، جزاه عنى الله بأفضل ما يجزى به الصادقين المخلصين .

ومن هنا أكملت تحقيق الكتاب ، وكان منسوخا قبل أن يخرج تحقيق الدكتور عفيفى عبد الرحمن ، فراجعت المخطوطات موازنا بينها ، وصنعت ما بوسعى أن أصنعه ليخرج النص دقيقا ، وقريبا مما توخاه مؤلفه .

أما المؤلف فتبقى له كلمة موجزة أيضا .

وقد أجمع الناس على خطر مكانته علما ورياسة وأدبا وبيتا ، فخاله ابن جزى كما قلنا آنفا ، وكان من المعدودين ، ولكن إجماع الناس هذا لم يجعل المادة التى بين أيدينا وافرة عنه ، خاصة أنه ولى قضاء الجماعة بغرناطة وكان وزيرا ، ومن شأن هذين المنصبين أن يجعلا ترجمته وافية فى المصادر الأندلسية أو المشرقية ، لكن يبدو أن مصادر ضاعت ، وفيها ترجمة وافية له ، كما ضاعت بعض كتبه ، ولم يبق منها إلا اثنان .

ولد أبو بكر محمد بن عاصم القيسى الغرناطى فى غرناطة ٧٦٠ ـ ١٣٥٨ وتوفى ٨٢٩ ـ ١٤٢٦ ، وبرع فى النحو والمنطق والبيان والفقه ، وتولى الوزارة للسلطان يوسف الثانى ١٣٩١ ، ثم ولى قضاء الجماعة بغرناطة ، وبرز فى النثر والنظم ، ووضع عدة قصائد وأراجيز ، تناول فيها بعض مسائل من علم الأصول والقراءات والفرائض والنحو وغيرها ، وله كتاب «تحفة الحكام فى نكت العقود والأحكام» وهو مختصر فى الفقه ، وقد طبع بمصر وترجم إلى الفرنسية ويقع فى أرجوزة عدتها ١٦٩٨ بيتا نشرها مترجمة للفرنسية تحت عنوان :

Traité de droit musulman, La Tohfat d' Ibn Acem. Texte arabe avec Traduction Commentaire Juridique et notes philologiques. Por: O. Houds et Fr Martel - "Alger - Paris" 1883 - 1893.

ولا زال الطلاب يدرسونها فى مسجد فاس إلى اليوم(١) .

وله ابن يلقب بابن الخطيب الثانى ـ على عادة أهل العصر فى المبالغات ـ يكنى بأبى يحيى ، وله ترجمة مطولة فى أزهار الرياض للمقرى ، وقد شرح تحفة أبيه ، وتولى كأبيه منصب الكتابة والوزارة ، وكتب رسالة عن أحوال غرناطة وعصره وما دهاها من آثار التفرق والفتنة ، ووصف فيها أساليب السياسة القشتالية فى الكيد والتفريق بين المسلمين أسماها «جنة الرضى فى التسليم لما قدر الله وقضى» ونقل المقرى منها نبذا عديدة فى أزهار الرياض(٢) . وربما تكون آخر تأريخ لغرناطة الإسلامية ، وهى بقلم رجل يلقب كما قلنا ـ ولو مبالغة ـ بابن الخطيب الثانى .

وأبو يحيى له كلام عن أبيه يجمل بنا أن ننقل طرفا يسيرا منه يقول : مولاى الوالد يكنى أبا بكر إن بسطت القول ، وعددت الطول ، وأحكمت الأوصاف ، وتوخيت الإنصاف ، أنفدت الطروس ، وكنت كما يقول الناس فى المثل «من مدح العروس» وإن أضربت عن ذلك صفحا وآثرت غضا من البنوة وسفحا فلبئسما ما صنعت ، ولشد ما أمسكت المعروف ومنعت ، ولكم من حقوق الأبوة أضعت ، ومن ثدي المعقة رضعت ، ومن شيطان لغمصة الحق أطعت ، ولم أرد إلا الإصلاح ما استطعت ، وإن توسطت واقتصرت ، وأوجزت واختصرت ، فلا الحق نصرت ، ولا أفنان البلاغة هصرت ، ولا سبيل الرشد أبصرت ، ولا عن هوى الحسدة أقصرت . . . فقد كان رحمه الله علم الكمال ، ورجل الحقيقة ، وقارا لا يخف راسيه ، ولا يعرى كاسيه ، وسكونا لا يطرق جانبه ، ولا يرهب غالبه ، وحلما لا تزل حصاته ، ولا تهمل وصاته ، وانقباضا لا يتعدى رسمه ، ولا يتجاوز حكمه ، ونزاهة لا ترخص قيمتها ، ولا تلين عزيمتها ، وديانة لا تحسر أذيالها ، ولا يشف سربالها ، وإدراكا لا يفل نصله ، ولا يدرك خصله ، وذهنا لا يخبو نوره ، ولا ينبو مطروره ، وفهما لا يخفى فلقه ، ولا يلحق طلقه»(٣) .

---

(١) راجع نهاية الأندلس ص٢٨٨ ـ محمد عبدالله عنان ، وراجع تاريخ الفكر الأندلسى ترجمة د . حسين مؤنس ص٤٣٠ .

(٢) راجع نهاية الأندلس ص٤٨٩ ، وأزهار الرياض ج١ ص٥٠ ، ١٦٧ ، وقد نشر «جنة الرضى» فى الأردن .

(٣) أزهار الرياض ج٣ ـ ص٥ ، ٦ ـ نشرة المغرب والإمارات العربية .

وكلام الابن عن أبيه مطول يراجعه من يشاء فى أزهار الرياض ، لكن فيه إلى جانب كلام الأبناء إدراكا لقيمة علم الأب ، وديانته ، ورئاسته ، وفيه أيضا رسم دقيق لصورة النثر فى تلك الفترة التى تهتم بالمحسنات البديعية على أوفاها حتى تلتزم ما لا يلزم فى السجعة ، وهى كلمة تنبئ عن طريقة الأب فى الكتابة ، لأن متن كتابه منقول ، وليس أمامنا من نثره إلا تلك المقدمة وفيها طريقة احتذاها الابن ، وهو سر أبيه ، حذا حذوه .

تولى الأب الوزارة بعد عزل الوزير الأول ابن زمرك شاعر الحمراء لمحمد السابع ولد يوسف الثانى(١) فى سنة ١٣٩٢ ، ويبدو أنه ــ أى ابن عاصم ــ كان قد وزر ليوسف الثانى من قبل ، إن صح ما يقوله أنخل جونثالث بالنثيا ، وربما كان ابن عاصم لا يستطيع البقاء طويلا فى منصبه لأن العصر كان عصر فتن وقلاقل ، ومؤامرات ، ويكفى أن ابن الخطيب دبر قتله ابن زمرك تلميذه وقتل التلميذ كما قتل أستاذه من قبل أشنع قتلة ، وربما كان ابن عاصم على كثير من الطيبة والصراحة لا يستطيع معها أن يتنفس فى هذا الجو المشحون بالفتن ودسائس القصور ، فكان قضاؤه للجماعة افتكاكا له من قيود الوزارة الثقيلة .

وكتابه الذى بين أيدينا رفعه إلى يوسف الثانى ، وأهداه إليه ، أما كتبه وعدها عشرة فلم يبق لنا إلا اثنان الأرجوزة ، وحدائق الأزاهر ، وبقيت عناوين كتبه الأخرى ، فربما يعثر عليها الناس فيما بعد ، فتتضح صورة ابن عاصم كما يجب وكما يستحق .

ونحن بنشرنا هذا الكتاب إنما نفى ببعض دين فى أعناقنا للأندلس ، الفردوس المفقود ، ولم ندخر وسعا فى البحث والتقصى ، نائين عن مصادرنا الخاصة فى القاهرة ، وفى النية ــ إن شاء الله ــ أن نقفو هذا الكتاب بكتب أندلسية مخطوطة أخرى بين أيدينا ، وبعضها نسخ مفردة ، ما بين رسالة صغيرة ، وكتاب ضخم ، ونشكر ــ بصدق ــ كل من أعان فى إخراج هذا الكتاب سواء أكان بالفعل أم بالقول ، وفى انتظار من يصحح لنا أى خطأ وقعنا فيه ، فلله وحده العصمة ، ومنه القبول .

ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا .

أبو همام

---

(١) راجع ــ مع شعراء الأندلس والمتنبى ــ غرثيه غومث ــ وترجمة الدكتور الطاهر مكى ص٢٥٩ .

غيره [illegible] في ... [illegible]

عسى فرج يأتيه بلطفه تداركه على الشقة الصبا فرجاء عنقها

ومنها فلا نامت احاظيها المرابع جيوبها ونادى البلابل العيس من ... العصا

محب العيس ... غير سكرة متى ... أشعثها

غيره يا أرض الغرب لنا شوق يا الدمع يبيض مورده بهوى ... الدهر نفيرا

وقال ابن ... رحمه الله ... عملت

ور...

يا ... عن ... الله عن ... ١٤٦٧

هل ... ومن ... في ...

ويعود ... بنسبتي ... في ... العقل

وقال ... اخرة ...

ومن ... الكف ... في ...

تراها ... بغير ... الناس ... فطمرا

ومما مدح به عبد الرحيم ... ابن ...

يا ... المجد ... وطرف ...

وليس ... ونعم ... الجوهر

ابا حسن ... العطارج

ومدح على بن عبد الغني ... المتنزه ...

انا ... المدح ... ابي ...

... الملك ... على ... البكر ...

... الاب ...



الصفحة الاولى من مخطوطة الاسكورال



الصفحة الاخيرة من نسخة الاسكورال


بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله

الحمد لله الذي نطقت بحمده افواه الالسنة في رياض البلاغة على افنان الاقلام * ورتعت بحور من توحيده وتنزيهه وتمجيده بحار العقول والنفوس الى سواحل الفهوم فتحلت بدرر الكلام * وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد رسوله الذي رفع الله به منار الاسلام * وبعثه رحمة للانام * واختصه بمنزلة لا مطمع فيها لذوي الاكرام * فشهد له اهل السموات والارض بالتفضيل ونطقت برسالته وتخبير جلالته التوراة والانجيل فهدى الخلق الى منار السبيل ودعا على بصيرة من ربه الى دار السلام * ورضي الله عن آله الكرام * واصحابه البررة الاعلام * اولي المناقب الواضحة البينة منارا والمآثر الصادقة الاعلام الذين جاهدوا في الله حق جهاده في غاية من نصرة الحق وعبادة خير قيام * ففازوا في الدنيا بصحبته وفي الاخرى بجواره في دار المقام * ونستوهب من الله سبحانه لهذا المقام العلي المؤيد بالجهاد والنصر السعيد تأييدا وتمكينا ومددا إلهيا ... امكينا ونصرا عزيزا وفتحا مبينا وملكا مخلدا ابدا على الدوام ويدوم مدى الايام * مستقام مولانا وعصمة ديننا ودنيانا المعروف بالحكم والعدل الجامع بين اوصاف الفضل في البأس والنوال والمكا...

أول صفحة من طبعة فاس الحجرية.

ودفع الى غلام له اربعة دراهم يشتري بها فواكه للمجلس فمر الغلام بمجلس
منصور بن عمار الواعظ وهو يسأل للفقير شيئا ويقول من دفع له اربعة دراهم
دعوت له اربع دعوات فدفع له الغلام الدراهم فقال له منصور ما الذي
تريد ان ادعو لك به فقال اريد ان يعتقني الله من رق العبودية فدعا منصور
وامن الناس على دعائه فقال الثانية يا غلام فقال ان يخلف الله علي
الدراهم فدعا له وامن الناس ثم قال له والثالثة يا غلام فقال
ان يتوب الله على مولاي فدعا وامن الناس ثم قال والرابعة يا غلام فقال
ان يغفر الله لي ولمولاي ولك يا منصور وللحاضرين فدعا منصور وامن الناس
على دعائه فرجع الغلام فقال له مولاه لم ابطات فقص عليه القصة
فقال وبم دعا فقال سالت لنفسي العتق فقال اذهب فانت حر فقال والثانية
فقال ان يخلف الله علي الدراهم فقال لك اربعة الاف درهم فقال والثالثة
فقال ان يتوب الله عليك فقال قد تبت الى الله عز وجل فقال والرابعة فقال ان
يغفر الله لي ولك وله وللحاضرين فقال هذا ليس الي فلما بات
راى في المنام كان قائلا يقول له انت فعلت ما كان اليك افترانا لا نفعل ما
كان الينا قد غفرنا لك وللغلام ولمنصور وللحاضرين اجمعين وصلى الله
على سيدنا ومولانا محمد وعلى اله وصحبه وسلم تسليما
ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم واخر دعوانا ان
الحمد لله رب العالمين

اخر صفحة من طبعة فاس الحجرية.

هامش ١

ـ جاء بعد العنوان في الإسكوريال هذه العبارة : بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله وسلم على سيدنا ومولانا محمد المصطفى الكريم عليه وعلى آله وصحبه وسلم . روى مالك عن أبى الزناد عن الأعرب عن أبى هريرة رضى الله عنه قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا قلت لصاحبك أنصت والإمام يخطب يوم الجمعة فقد . بعدها بياض أو سواد . ثم هذه العبارة : ومن طريق آخر ومن ثم محو . بعده جمعة له . أنصتوا رحمكم الله . وواضح أن البياض يمكن أن يكون [فقد لغا ، ومكان المحو . ومن لغا لا .] إلى نهاية الحديث المعروف .

ثم جاء بعد ذلك من تحت : رقم Fod. 1875

مهداة

لكنى لا أرى وجهـا لذكر هذا الحديث النبوى بعد العنوان ، إلا إذا أراد الناسخ أن يشعر قارئ هذا الكتاب بأن يحسن الإنصات .

ـ وفى نسخة دار الكتب المصرية جاء بعد العنوان : قال الشيخ الفقيه القاضى أبو بكر محمد بن محمد بن عاصم رحمه الله تعالى .

بعدها ١٤٧ ورقة . رقم ١٨٣٣ أدب .

مقدمة المؤلف

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه .

الحمد لله الذى نطقت بحمده صوادح الألسنة فى رياض الأفكار ، على أفنان الأقلام ، ورمت بجواهر توحيده وتنزيهه(١) وتمجيده بحار العقول والنفوس ، إلى سواحل الطروس ، فتحلت به صدور الكلام . وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد رسوله الذى رفع الله به منار الإسلام ، وبعثه(٢) رحمة للأنام . واختصه بمنزلة الاصطفاء والإكرام ، فشهد له أهل السماوات والأرض بالتبجيل(٣) ، ونطقت برسالته وتحقيق جلالته التوراة والإنجيل ، فهدى الخلق إلى قصد(٤) السبيل ، ودعا على بصيرة من ربه إلى دار السلام ، ورضى الله عن آله الكرام ، وأصحابه البررة الأعلام ، الذين جاهدوا فى الله حق جهاده ، وقاموا بنصرة أكرم(٥) عباده خير قيام ، ففازوا فى الدنيا بصحبته ، وفى الآخرة بجواره فى دار المقام ، ونستوهب من الله سبحانه لهذا المقام العلى المؤيدى الجهادى النصرى اليوسفى تأييدا وتمكينا ، ومجدا دائما وعزا مكينا ، ونصرا عزيزا وفتحا مبينا ، وملكا مخلدا أبدا على الدوام ، ويدوم مدى الأيام ، مقام مولانا ، وعصمة ديننا ودنيانا ، المعروف بالحكم والعدل ، الجامع لأوصاف الفضل ، ذى البأس والنوال والمكارم التى تضرب بها الأمثال ، حامى حمى الإيمان ، الباذل نفسه الكريمة فى رضى الرحمن ، الحاكم فى رعيته بما أمر الله به من العدل والإحسان ، عين ملوك زمانه وسائر الأزمان ، مذل الكفار ، وممهد(٦) البلاد والأقطار ، المحيى بحسن سيرته ، وخلوص سريرته ، مآثر جدوده الأنصار ، المحرز من المفاخر الملوكية ، والمناقب الإمامية مايحق للملة بها الافتخار ، ناصر(٧) الدنيا والدين ، فخر الملوك

---

(١) فى [د] ولعالى تنزيهه .

(٢) فى [د ، س] وابتعثه .

(٣) فى [د] بالتفضيل ، ولعل «بالتبجيل» أولى لسياق السجعة التالية : الإنجيل ، وفيها لزوم مالايلزم .

(٤) فى [س] صدق السبيل ، ولعل ما فى [ح] أولى أخذا من الآية الكريمة : وعلى الله قصد السبيل .

(٥) فى [د] بنصرة الحقيقة ، و[ح] أدق لاقتران الجهاد فى الله بنصرة النبى الكريم ، وللسجعة القائمة بين :جهاده وعباده .

(٦) فى [د] ومنقذ البلاد .

(٧) فى[س] منار الدنيا .

والسلاطين ، الغنى[1] بالله أبى عبد الله بن مولانا أمير المسلمين أبى الحجاج بن مولانا أمير المسلمين أبى الوليد بن نصر ، وصل الله تعالى سعوده ، وحرس وجوده ، ونصر ألويته السعيدة وبنوده ، فهو الذى نصر الله به السنة والكتاب ، وأوى الإسلام وأهله منه إلى أمنع حمى وأعز جناب ، واختصه [2] فى هذه الحضرة الجزيرية الأندلسية بفريضة الجهاد ، وتكتيب الكتائب وتجنيد الأجناد ، ومهد بملكه العادل ، وعدله الشامل الأقطار والبلاد ، وألف على محبته ، ولزوم طاعته قلوب العباد ، وهدى به الخلق إلى طريق الرشاد ، فالنفوس على حبه مفطورة ، والقلوب برجاء سيبه وهيبة سيفه معمورة ، والألسنة على جميل ذكره ، ولزوم حمده وشكره مقصورة[3] ، زاده الله بسطة فى ملكه ، وجعل جميع البلاد تحت حكمه وملكه ، وأدام للإسلام والمسلمين دولته السعيدة المنصورة ، وعمر بالسعد الدائم ، والعز القائم منازله الرفيعة وقصوره .

أما بعد فإنى جمعت فى هذا الكتاب من طرف الأخبار ، ورائق[4] الأشعار ، ومستحسن الجواب ، ومضحكات المولدين والأعراب ونوادر الحكم والأمثال والآداب مايستحسن ويستطرف ، ويستملح ويستظرف[5] من كل نادرة غريبة ، أو نكتة عجيبة ، أو حكاية بارعة ، أو حكمة نافعة ، أو قطعة شعر رائعة ، أو مخاطبة فائقة ، مع مايستفاد فى ذلك من الوقوف[6] على مناقب الملوك ومآثرها ، ومحامدها ومفاخرها ، ومكارم أخلاقها وشيمها ، وشرف أنفسها[7] وهممها ، وجميل أفعالها وكريم محلها واحتمالها ، وعدلها ووفائها ، وبأسها وسخائها ، وخوفها ورجائها ، وحزمها واتقائها ، وعزمها وإمضائها ، وصفحها وإغضائها ، وجدها واعتنائها ، وسطوتها وحنانها ، واستقباحها واستحسانها ،

(١) أخلت [ح] بقوله : أمير المسلمين قبل : الغنى بالله ، وهى فى [د] المستغنى بالله .

(٢) أخلت [د ، س] بهذه العبارة : واختصه فى هذه الحضرة الجزيرية الأندلسية بفريضة الجهاد ، وهى ضرورية لفهم السياق ، ولأن الأمير ـ آنذاك ـ كان هو المختص فى تلك الحضرة بالجهاد وحده .

(٣) هذه اللفظة من [د ، س] وفى [ح] مقهورة ، وربما كانت ـ كما أثبتناها أدق .

(٤) فى [س] روائق .

(٥) أخلت[س] بهذه الكلمة ، وهى ضرورية للسياق النغمى .

(٦) فى[د ، س] من الوقوع .

(٧) اللفظة ـ جمعا ـ من [س] .

وسيرها[١] وعوائدها ، وجوائزها وفوائدها ، إلى غير ذلك من معرفة سنن من تقدم من الولاة والأمراء ، والكتاب والشعراء ، والأئمة والخطباء ، والمؤذنين والفقهاء ، والوعاظ والحكماء ، والأعراب والغرباء ، والمجان والظرفاء ، والمجنونين والعقلاء ، والطفيليين والبخلاء ، وحذاق الجوارى والنساء ، وأهل التصنع والرياء ، والزهاد والأولياء ، فأخذت فى تبويبه وترتيبه ، واجتهدت فى تهذيبه وتقريبه ، واعتنيت بتأليفه وجمعه ، ورددت كل جنس إلى جنسه ، وكل نوع إلى نوعه ، وجعلت الشكل فيه مع شكله ، وضممت المثل إلى مثله ، ليسهل النظر فيه على مطالعه ، وتحصل الفائدة لقارئه وسامعه ، فجاء بحمد[٢] الله سبحانه حسن الترتيب ، بديع التهذيب ، فهو روضة آداب ، ومتعة أحداق وأسماع وألباب ، فيه تسلية للنفوس ، وترويح للأرواح ، واستجلاب للمسرات والأفراح ، وراحة الخاطر ، وأنس المجالس والمسامر ، وتحفة القادم ، وزاد المسافر ، وسميته حدائق الأزاهر فى مستحسن الأجوبة والمضحكات والحكم والأمثال والحكايات والنوادر ، وجعلته ست حدائق : الحديقة الأولى : فى المجاوبة البديهية والمخاطبة المرضية ، وفيها ثلاثة أبواب : الباب الأول فى مسكت الجواب ومفحم الخطاب ، الباب الثانى فى مستحسن الأجوبة التى هى عن ذكاء قائلها معربة ، الباب الثالث فى أبيات شعر وقعت جوابا ، واستعملت خطابا ، الحديقة الثانية : فى مداعبة يستجلب بها السرور ، ومضحكات تميل إليها النفوس ، وتتشرح بها الصدور ، وفيها خمسة أبواب : الباب الأول فى ترويح الأرواح بمستحسن المزاح ، الباب الثانى فى المضحكات المستحسنة ، الخفيفة على الألسنة ، الباب الثالث فى المضحكات المستملحة ، وإن كانت ألفاظها مستقبحة ، الباب الرابع فى المضحكات الشعرية ، الباب الخامس فى المضحكات المطولات . الحديقة الثالثة فى نوادر أولى العقول والألباب ، وحكايات المستخفين والمغفلين من المولدين والأعراب ، وفيها ثلاثة أبواب : الباب الأول فى النوادر المستغربة ، والنكت المستعذبة ، الباب الثانى فى أخبار الأعراب والمتنبئين ونوادر المجان والمستخفين ، الباب الثالث فى أخبار المغفلين وأهل البله ، ومايحكى عن المجنونين ، ومن لاعقل له .

---

(١) اللفظة ـ جمعا ـ من [د]والسياق يقتضيها .

(٢) فى [س] بحول الله .

الحديقة الرابعة : فى الوصايا والحكم وفيها باب واحد .

الحديقة الخامسة : فى أمثال العامة وحكمها ، وفيها باب واحد .

الحديقة السادسة : فى الحكايات الغريبة ، والأخبار العجيبة ، وفيها ثلاثة أبواب : الباب الأول فى الحكايات المستطرفة والأخبار المستظرفة ، الباب الثانى فى مختار الحكايات والأخبار ذوات الأشعار ، الباب الثالث فى حكايات الأولياء والعباد ، والصلحاء والزهاد ، وعسى الله أن ينفع بهذا الباب وأهله ، ويجعله كفارة للأبواب المتقدمة من قبله ، إنه ولى التوفيق ، والهادى إلى سواء الطريق .

الحديقة الأولى
فى المجاوبة البديهية والمخاطبة المرضية

وفيها ثلاثة أبواب :

الباب الأول

فى مسكت الجواب ، ومفحم الخطاب .

قال عقبة بن أبى معيط لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين أمر بضرب عنقه يوم بدر : من للصبية [١]؟ قال : النار .

وقال معاوية[٢] بن أبى سفيان لرجل من سبأ من أهل اليمن : ما كان أحمق قومك حين قالوا : ﴿رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا﴾[٣] أما كان اجتماع الشمل خيرا لهم ؟ فقال اليمانى : قومك أحمق منهم حيث قالوا : ﴿إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾[٤] أفلا قالوا : إن كان هذا هو الحق من عندك فاهدنا له .

وقال معاوية[٥] أيضا لابن عباس رضى الله عنه : أنتم يابنى هاشم تصابون فى أبصاركم ، فقال له ابن عباس : وأنتم يابنى أمية تصابون فى بصائركم .

ودخل زيد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب على هشام بن عبد الملك بن مروان فلم يوسع له أحد فى المجلس ، ولم ير لنفسه موضعا يجلس فيه ، فقال ياأمير المؤمنين : إنه ليس أحد إلا وله من مجلسك موضع فقال له هشام : اجلس حيث انتهى بك المجلس لا أم لك أنت الذى نازعتك نفسك الخلافة ، وأنت ابن أمة . فقال[٦] له زيد يا أمير

---

(١) فى [د ، س] يا محمد بعد السؤال .

(٢) هذه الحكاية واردة فى البيان والتبيين ـ جـ ٤ ص٧١ ، وكذلك فى العقد الفريد ـ جـ ٢ ص١٠٠ ، ولعلها هنا أجمل وربما أدق ، وإن كانت متأخرة ، لرد كل واحد منهما بآية من القرآن ، أما الرواية الأخرى فتقول : ما كان أجهل قومك حين ملكوا عليهم امرأة .

(٣) سورة سبأ . الآية ١٩ .

(٤) سورة الأنفال ـ الآية ٣٢ .

(٥) أخلت [د ، س] بهذه النادرة ، وهى موجودة فى العقد الفريد ـ جـ ٢ ـ ص ٩٣ .

(٦) «له» من [س] .

المؤمنين إن الأمهات لايقعدن بالرجال عن الغايات ، وقد كانت أم إسماعيل عليه السلام أمة فلم يمنعه ذلك من أن يبعثه الله نبيا ، وأخرج من صلبه محمدا صلى الله عليه وسلم . وكان إسحاق أمه سارة حرة ، وقد مسخ الله بعض ولده قردة وخنازير .

وقال[1] معاوية لعقيل بن أبى طالب أنا خير لك من أخيك ، فقال : إن أخى آثر دينه على دنياه ، وأنت آثرت دنياك على دينك فأنت خير لى من أخى ، وأخى خير لنفسه منك .

وقال له يوما آخر : أين ترى عمك أبا لهب ؟ فقال : فى النار مفترشا عمتك حمالة الحطب ، وكانت أم جميل امرأة أبى لهب بنت حرب بن أمية بن عبد شمس .

وقال ابن حازم يوما لكاتبه يضحك منه[2] : أين تريد ياهامان ؟ قال : أبنى لك صرحا .

وقال الأحوص للفرزدق : متى عهدك بالزنى يا أبا فراس؟

قال : مذ ماتت العجوز أمك .

وقال يهودى حين قتل عثمان رحمه الله ، ووقعت الفتنة : إنما عهدكم بنبيكم منذ كذا ، وقد فتنتم ، فقال له رجل من المهاجرين : ياعدو[3] الله ، ماجفت أقدامكم من جواز البحر حتى قلتم لموسى : ﴿اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ﴾[4] .

ورمى الحجاج حجرا بين يدى أعرابى ، وقال له : أخبرنى أذكر هو أم أنثى؟ فقال له الأعرابى : ارفع لى ذنبه وأخبرك .

وقال رجل لامرأته ، وكان قبيحا ، : إنى أتمنى أن أرى إبليس ، قالت له : أنا أريكه ، قال : وكيف ذلك ، فأخرجت له مرآة ، وقالت له : انظر إلى وجهك .

وقال محمد بن داود يوما لابن سريج ، وقد أكثر عليه فى السؤال : أبلعنى ريقى ، فقال له ابن سريج : قد أبلعتك دجلة والفرات .

---

(١) وردت هذه النادرة فى : العقد الفريد ـ جـ ٢ ص٩٣ .

(٢) «يضحك منه» من [د ، س] .

(٣) «ياعدو الله» أخلت بها [د] .

(٤) سورة الأعراف ـ الآية ١٣٨ .

وقال أمير لأعرابى : قل الحق وإلا أوجعتك ضربا ، فقال : وأنت فاعمل به ، فو الله إن ما أوعدك الله به على تركه أعظم مما توعدتنى به .

وقال مولى لبنى هاشم : رأيت ذا الرمة ، وقد عارضه رجل فقال له ، يهزأ به : يا أعرابى ، أتشهد بما لم تره ؟ قال : نعم ، قال : بماذا؟ قال : أتشهد أن أباك . . . أمك .

وكان للفضل بن سهل وصيفة ظريفة ، كثيرة الملح والنوادر وكانت ساقية ، وكان أبو نواس يولع بها ويمازحها ، فقال لها يوما : إنى أحبك وتبغضيننى فلم ذلك ؟ فقالت له : لأن وجهك والحرام لايجتمعان .

ويروى أن بثينة دخلت على عبد الملك بن مروان ، فحدد النظر إليها ، وقال يا بثينة : ما رأى فيك جميل حين قال فيك ما قال؟

قالت : يا أمير المؤمنين ، ما رأى فيك الناس حين ولوك الخلافة ، فضحك عبد الملك حتى بدت له سن سوداء ، كان يخفيها ، وماترك لها من حاجة إلا قضاها يومئذ .

وحكى حماد الراوية قال : أخبرنى خالد بن كلثوم ، قال : أخبرنى رجل من بنى أسد أنه أدرك ميا . وكان أعور ، قال : رأيتها فى نسوة من قومها ، فقلت : أيتكن ميّ؟ فقال النسوة : ماكنا نرى أنها تخفى على أحد ، هذه هى ، قلت : والله ما أدرى ما كان يعجب ذا الرمة منك ؟ وما أراك كما كان يصفك ، فتنفست ، وقالت : يرحم الله غيلان ، إنه كان ينظر إلى بعينين ، وأنت تنظر إلى بعين واحدة .

وكان بسجستان رجل يقال له بدر بن المناقر ، وكان أبوه طلب فى سرقة الإبل ، فجلس إلى أبى الهندى الشاعر ، وجعل يعرض له بالشراب ، فقال أبو الهندى : إن أحدكم يرى القذاة فى عين أخيه ، ولايرى الجذع فى است أبيه .

ومر نصر بن سيار بأبى الهندى ، وهو يتمايل سكرا ، فقال له نصر : أفسدت شرفك بإدمانك الخمر ، فقال أبو الهندى : لو لم أفسد شرفى لم تكن والى خراسان .

ومر[1] الفرزدق بماء ، وبه نسوة يغسلن ثيابهن ، قال : فضرطت بغلته فضحكن منه ، فقال لهن الفرزدق : ولم تضحكن ؟ والله ما حملتنى قط أنثى إلا فعلت كفعلها ، فقالت له امرأة منهن : أترى التى حملتك تسعة أشهر كيف كان ضراطها ؟ فخجل وانصرف .

(١) الحكاية واردة فى : العقد الفريد ـ جـ ٢ ص١٠٩

ونازع بشارا رجل فى اليمانية والمضرية ، وأذن الموذن فقال له بشار : من الذى يؤذن باسمه مع اسم الله تعالى أمن مضر هو أو من سبأ؟ فسكت الرجل .

وقدم رجل من بنى مخزوم[١] على عبد الملك بن مروان ، وكان زبيريا ، فقال له عبد الملك : أليس الله قد ردك على عقبيك؟ قال : ومن رد إليك يا أمير المؤمنين فقد رد على عقبيه ، فسكت عبد الملك ، وعلم أن قوله كان خطأ .

ودخل يزيد بن أبى مسلم كاتب الحجاج على سليمان بن عبد الملك ، فقال له سليمان : على امرئ أجرك رسنك وسلطك على الأمة لعنة الله ، أتظن الحجاج استقر فى قعر جهنم ، أو هو يهوى فيها ؟ فقال : يا أمير المؤمنين إن الحجاج يأتى يوم القيامة بين أبيك وأخيك ، فضعه فى النار حيث شئت .

ودخل شريك القاضى على المهدى ، فقال له الربيع : خنت مال الله ، ومال أمير المؤمنين ، فقال له شريك : لو كان ذلك لأتاك سهمك .

وقال العتبى ، لما أتى بابن هبيرة إلى خالد بن عبد الله القسرى[٢] ، وهو والى العراق ، وأتى به مغلولا مقيدا ، فقال له أيها الأمير[٣] : إن القوم الذين أنعموا عليك بهذه النعمة قد أنعموا بها على قبلك ، فأنشدك الله أن تستن فى سنة يستن بها فيك من بعدك ، فأمر به إلى السجن ، فأمر ابن هبيرة غلمانه فحفروا تحت الأرض حتى خرج الحفر تحت سريره ، ثم خرج منه ليلا ، وقد أعدت له أفراس يداولها حتى أتى مسلمة بن عبد الملك ، فاستجار به فأجاره ، واستوهبه من هشام بن عبد الملك فوهبه له ، فلما قدم خالد بن عبد الله القسرى على هشام وجد عنده إبراهيم[٤] ، فقال له خالد : أبقت إباق العبد[٥] ، فقال له : حين نمت نومة الأمة .

---

(١) وردت هذه الحكاية ـ فى البيان والتبيين ـ جـ ٤ ص٧٥ .

(٢) « القسرى» من [د] .

(٣) «أيها الأمير» من [د] وهى أدق ، بدلا من «أمير المؤمنين» والمخاطب ليس به .

(٤) « وجد عنده ابن هبيرة» فى [س] .

(٥) الكلمة ـ مفردة ـ من [د ، س] وهى أولى من الجمع ، مساوقة للأمة ـ مفردة ـ بعدها . وبعد (الأمة«يا محمد » من [س] وبالخمة من [د] .

وتكلم[١] ربيعة يوما فأكثر ، وإلى جانبه أعرابى ، فالتفت إليه وقال : ماتعدون البلاغة يا أعرابى؟ قال : قلة الكلام ، وإيجاز الصواب ، قال : بما تعدون العى؟ قال : ماكنت فيه منذ اليوم فكأنه ألقمه حجرا .

وقال رجل للأحنف بن قيس : بم سودك قومك ، وما أنت بأشرفه[٢] بيتا ، ولا أصبحهم وجها ، ولا أحسنهم خلقا ؟ قال : بخلاف مافيك يا ابن أخى ، قال وماذاك ؟ قال : بتركى من أمرك مالا يعنينى ، كما عناك من أمرى ما لايعنيك ، فخجل الرجل .

وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه ـ لرجل : من سيد قومك؟ قال : أنا ، قال : كذبت ، لو كنت كذلك لم تقله .

وقال أبو حنيفة للأعمش ـ وأتاه عائدا فى مرضه : لولا أن أثقل عليك يا أبا محمد لعدتك فى كل يوم مرتين ، فقال له الأعمش : والله يا ابن أخى ، إنك لتثقل على وأنت فى بيتك ، فكيف لو جئتنى فى كل يوم مرتين؟

ووقف[٣]عيينة بن حصين بباب عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ فقال : استأذنوا لى على أمير المؤمنين ، وقولوا له : هذا ابن الأخيار بالباب ، فأذن له ، فلما دخل عليه قال له : أنت ابن الأخيار؟ قال : نعم ، قال : بل أنت ابن الأشرار . وأما ابن الأخيار فهو يوسف ابن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام .

وقال أبو ضمرة[٤] : قدم غيلان بكلمة قد صاغها حتى وقف على ربيعة ، فقال : أنت الذى تزعم أن الله أحب أن يعصى؟ قال ربيعة : أنت الذى تزعم أن الله يعصى كرها . فكأنما ألقمه حجرا .

وتكلم إياس بن معاوية مع بعض القدرية فقال : دخولك فيما ليس لك ظلم منك ، قال : نعم ، قال : فإن الأمر كله لله فلا تدّع أن لك شيئا منه .

---

(١) الحكاية واردة فى العقد الفريد ـ جـ ٢ ص٨٢ .
(٢)بأشرفهم : من [د ، س] وفى [ح] بأشرف منهم . ونحن أميل إلى الصيغة الأولى مساوقة للعبارات بعدها .
(٣) الحكاية واردة فى العقد الفريد ـ جـ ١ ص١٧٢ .
(٤)وردت هذه الحكاية فى العقد الفريد ـ جـ١ ص ١٧٨ .

وقال رجل لعلى بن أبى طالب - رضى الله عنه - : ماتقول فى القدر ؟ فقال له على : أما أنى أسألك عن ثلاث ، فإن قلت فى واحدة منهن : لا ، كفرت ، وإن قلت : نعم ، فأنت[1] أنت ، فمد القوم أعناقهم ليسمعوا ما يقول ، فقال له على : أخبرنى عنك أخلقك الله كما شاء ، أو كما شئت ؟ قال : بل كما شاء ، قال : أفخلقك الله لما شاء أو لما شئت؟ قال : لما شاء ، قال : فيوم القيامة تأتيه بما شئت أو بما شاء؟ قال بما شاء ، قال : قم فلا مشيئة لك ، فسكت الرجل ، ولم يجد جوابا .

ودخل رجل من الحسبانية على المأمون ، فقال لثمامة بن أشرس : كلّمه ، فقال له ما مذهبك؟ قال : أقول إن الأشياء كلها على التوهم والحسبان ، وإنما يدرك الناس منها على قدر عقولهم ، ولا حق فى الحقيقة ، فقام إليه ثمامة فلطمه لطمة سوء فى وجهه ، فقال : يا أمير المؤمنن ، يفعل بى هذا فى مجلسك؟ قال له ثمامة : وما فعلت بك ؟ قال : لطمتنى ، قال : ولعلى إنما دهنتك بالبان ، ثم أنشأ يقول :

فعساك حين قعدت قمت ، وحين جئت إلى الذهاب
وعساك تأكل من خراك ، وأنت تحسبه كباب[2]

فسكت الرجل ، وضحك من حضر[3]

ولقى[4] أبو العيناء رجلا من إخوانه فى السحر ، فجعل يعجب من بكوره ، فقال له : أراك تشاركنى فى الفعل ، وتنفرد دونى بالتعجب .

---

(١) «فأنت أنت» من [س] . وكانت : فإنك أنت .

(٢) الحكاية واردة فى العقد الفريد - جـ١ ص١٩٠ ، وصححنا البيت الأول من العقد ، وكان مختلا فى النسخ كلها وزنا . وهما من الكامل المجزوء والمذيل ولهما سوابق :

ولعل آدم أمنا والأب حـــوا فى الحســـاب
ولعل مـا أبصـرت من بيض الطيـور هو الغـراب
وعسـاك حين قـعدت قـمت وحين جـئت إلى الذهاب
وعسى البنفسج زنبق وعسى البهـار هو السـذاب
وربما كان صواب البيت الأول : وحين جئت هو الذهاب

(٣) « فسكت الرجل ، وضحك من حضر» من [د ، س] .

(٤) جاءت هذه الحكاية بعد تاليتها فى [س] .

ودخل[١] رجل بجاية ، فقال : ما أكثر هذه البلاد بكلاب ، فأخرجت امرأة رأسها من طاق ، وقالت : أكثرهم برانيون .

وشهد[٢] عند ابن شبرمة قوم على براح فيه نخل ، فقال لهم : كم من نخلة فيه؟ فقالوا : لانعلم ، فرد شهادتهم ، فقال له بعضهم : أنت تقضى فى هذا المسجد منذ ثلاثين سنة ، فهل تعلم كم من سارية فيه ؟ فانقطع ، وأجاز شهادتهم .

ودخل رجل من الهاشميين على المنصور ، فقال له المنصور : متى مات أبوك ، وما كان سبب موته؟ فجعل يقول : اعتل رحمه الله فى وقت كذا ، وخلف رحمه الله كذا ، فقال له الربيع : كم تترحم على أبيك بين يدى أمير المؤمنين ، فقال له الهاشمى : لا ألومك فأنت لا تعرف حلاوة الأباء ، وكان الربيع يرمى بأنه لا يعرف له أب .

وقال المنصور لأهل الشام : ألا تحمدون الله الذى رفع عنكم الطاعون منذ ولينا أمركم؟ فقال له رجل : الله أعدل من أن يجمعك والطاعون علينا ، فسكت ، ولم يزل يطلب عليه العلل حتى قتله .

وكان بسجستان صاحب نعمة ، فأخذه يعقوب بن الليث وأفقره ، فلما كان بعد مدة أدخل عليه ، فقال له يعقوب : كيف أنت الساعة؟ قال له : كيف كنت أنت قديما ، فقال له يعقوب وكيف كنت أنا قديما ؟ قال : كما أنا الساعة ، فأطرق يعقوب برأسه ، وأمر له بألف درهم .

وقال معاوية فى مجلسه ذات يوم : إن الله عز وجل يقول : ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلاَّ عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلاَّ بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ ﴾[٣]

فلم تلوموننى ؟ فقال الأحنف بن قيس : مانطالب بما فى خزائن الله ، ولكن المقدار المعلوم الذى أنزله الله من خزائنه قد جعله فى خزائنك ، فانقطع معاوية ، ولم يجب .

(١) أخلت [س] بهذه الحكاية ، وعبارة : ما أكثر هذه البلاد بكلاب؟ عبارة ركيكة ، كأنها مترجمة ترجمة ضعيفة أو تكاد تكون عامية .

(٢) «وشهد» من [د ، ح] وفى [س] وسهر ، وما أثبتناه أدق . ووردت فى وفيات الأعيان جـ١ ص٢٤٨ مع بعض تغيير .

(٣) سورة الحجر ــ الآية ٢١ .

ودخل رجل على كسرى يتظلم من بعض عماله فى ضيعة غصبها له ، فقال كسرى :قد أكلت ضيعتك منذ أربعين سنة ، فما عليك أن تتركها لعاملى هذه السنة ؟ فقال : أيها الملك ، وماعليك أن تسلم موضعك إلى بهرام عدوك ؟ فأمر برد ضيعته .

ودخل ابن يزيد على هشام بن عبد الملك ، وعلى رأس يزيد قلنسوه حسنة ، فقال هشام : بكم أخذت قلنسوتك هذه ؟ قال : بألف درهم ، قال : سبحان الله ، قلنسوة بألف درهم؟ قال : نعم يا أمير المؤمنين ، أخذتها لأكرم أطرافى ، وأنت قد اشتريت جارية بألف درهم لأخس أطرافك ، فأفحم هشاما بالجواب .

وجلس محمد بن الزيات للمظالم ، فجاءه رجل يتظلم ، فقال له : غصبنى وكيلك ضيعتى ، وحازها إلى أرضك ، قال : تحتاج إلى بينة وشهود ، وأشياء كثيرة ، قال : الشهود هم البينة وأشياء كثيرة تجئ من عندك ، فبقى ابن الزيات باهتا ، ثم رد عليه ضيعته .

وقال رجل لجارية أبيه : يازانية ، فقالت : لو كنت كذلك لجئت بآخر مثلك .

وكان ابن الجماز[1] على شاطئ البحر ، وإلى جانبه ماجن فحطت سفينة عظيمة الصارى ، فقال الماجن للجماز : أيسرك أن يكون لك ذكر[2] مثل ذاك الصارى؟ قال : نعم ، على أن تكون أمك امرأتى .

وقال رجل من العباسيين لأبى العيناء : تبغضنى وقد أمرت بالصلاة على؟ تقول : اللهم صل على محمد وعلى آله ، فقال أبو العيناء : فإنى أقول : الطيبين الصالحين[3] ، فتخرج أنت منهم .

وقال أبو العيناء : ما أخجلنى أحد مثل ما أخجلنى ابن ظريف لعبد الرحمن بن خاقان ، كنت يوما عندهم ، فقلت لأبيه : وددت أن لى ابنا مثل ابنك ، فقال الابن : هذا أمر هين ، ابعث لأبى بأم عيالك ؛ فإنها تأتيك بابن مثلى .

وكان زياد الأعجم يوما يتكلم وهو قائم ، والناس حوله ، فمر به الفرزدق ، فقال له : صرت يا أغلف تتكلم بين الناس ، فقال زياد : أو أخبرتك أمك بالخبر .

---

(١) أخلت [د ، س] بكلمة : ابن .
(٢) أخلت [س] بكلمة : ذكر .
(٣) «الطاهرين » فى [د ، س] .

وقال رجل لبعض الشعراء : أنت تقذف المحصنات فى شعرك ، فقال : إذن لا يصيبك فى أمك من شعرى شىء .

وقال نصر بن سيار لأعرابى : هل أصابتك تخمة؟ قال : أما من طعامك ، وطعام أبيك ، فلا .

وقال المدائنى : كان عند روح بن زنباغ هند ابنة النعمان بن بشير ، وكان شديد الغيرة ، فأشرفت تنظر إلى وفد [1] من جذام كانوا عنده ، فزجرها ، فقالت : إنى والله لأبغض الحلال من جذام ، فكيف بالحرام منهم ؟

(١) «وفد» من [س] وهى أدق لضمير الجمع بعدها ، لأنها فى [د ، ح] رجل ، وأخلت [س] بما يلى : كانوا عنده فزجرها فقالت : إنى والله لأبغض الحلال من جذام ، وهو سهو من الناسخ ، إذ سبقت عينه إلى «جذام» الثانية قبل الأولى أومكانها .

الباب الثانى
فى مستحسن الأجوبة التى هى عن ذكاء قائلها معربة

قيل لأبى الأسود الدولى : أشهد[1] معاوية بدرا؟ قال : نعم ، من تلك الناحية[2] .

ولقى الحسين[3] بن على رضى الله عنهما فى حين خروجه إلى العراق فسأله : ماوراءك؟ فقال له : تركت القلوب معك ، والسيوف عليك ، والنصر من عند الله .

وقدم[4] معن بن زائدة أسرى كانوا عنده للقتل ، فلما مثلوا بين يديه ، قال أصغرهم : أتقتل الأسرى عطاشا؟ فأمر لهم بالماء فلما شربوا ، أمر بقتلهم ، فقال له : أتقتل أضيافك يا معن؟ فعفا عنهم ، وخلى سبيلهم .

وقيل للحسن البصرى : أينام إبليس؟ قال : لو نام لوجدنا الراحة .

وسأل رجل من الشعراء رجلا من المتكلمين بين يدى المأمون : ما سنك؟ قال : عظم ، قال : لم أرد هذا[5] ، ولكن كم تعد؟ قال من واحد إلى ألف وأزيد ، قال : لم أرد هذا ، ولكن كم أتى عليك؟ قال : لو أتى على شىء لأهلكنى ، فضحك المأمون ، وقال له : كيف السؤال عن هذا؟ فقال : أن تقول : كم مضى من عمرك ؟

وقال مؤدب يزيد بن عبد الملك بن مروان يوما له : لحنت ، قال : الجواد يعثر ، فقال المؤدب : إى والله ويضرب حتى يستقيم ، فقال يزيد : نعم ، وربما كسر أنف سائسه[6] .

ولقى رجل رجلا فقال : ما اسمك؟ قال : بحر ، قال : ابن من ؟ قال : ابن الفرات ، قال : أبو من؟ قال : أبو الغيض ، قال : ما ينبغى أن تلقى إلا فى زورق .

وسمع أشعث امرأة تقول : اللهمَّ لاتمتنى حتى تغفر لى ذنوبى ، فقال : يا فاسقة ، لم تسألى الله المغفرة ، وأنت سألته عمر الأبد ، يريد أنها لا يغفر لها .

---

(١) فى [ح] أشهد أن معاوية شهيد بدرا ، وليس بصواب .

(٢) فى [د ، س] من ذلك الجانب .

(٣) «الحسين» فى [د] . والحسن فى الأخريين ، والحكاية واردة فى البيان والتبيين ـ جـ ٢ ص١٨٩ ، «والنصر من الله» فى [د] .

(٤) الحكاية واردة فى العقد الفريد ـ جـ ١ ص ١٣٠ ، وفى [د] يامعن . كما فى المتن .

(٥) أخلت [د ، س] بهذه العبارة : ولكن كم تعد ، قال : من واحد إلى ألف وأزيد ، قال : لم أرد هذا .

(٦) بعد هذه الحكاية حدث عدم ترتيب للأوراق فى [س] وعددها ثمانى ورقات ، وجاءت بعد ذلك .

وكان أسقف نجران يوما جالسا فى حانوت بعض الناس ، فجاء مخبر لصاحب الحانوت بأن زوجته ولدت ، فقال : الحمد لله ، هذا ولد سعيد ، فمكث ساعة ، وإذا بآخر قال له : مات الولد ، فقال : لا إله إلا الله ، ما قضى الله تعالى أن حضرنا على ولادته ولا على موته ، فقال له الأسقف : ولا على عمله .

وجاء رجل إلى حاكم برجل ، وقال : هذا احتلم بأمى فى النوم ، فقال الحاكم : يقام للشمس ويضرب ظله الحد .

وكان رجل يهوى امرأة ، فرآها فى النوم ، وأمكنته من نفسها فأخبرها بذلك ، فرفعته إلى الحاكم ، وقالت له : إنه نال منى فى المنام ما أراد ، فليدفع إلى حقى ، فقال له الحاكم : ادفع لها دينارا ، فقال الرجل : وكيف أدفع لها دينارا ، ولم أنل منها شيئا إلا فى المنام ، فقال الحاكم : لابد من ذلك ، فدفع لها دينارا فما جاوزت المرأة الباب ، قال الحاكم : ارجعى إلى ، فلما رجعت أخذ منها الدينار ، ودفعه إلى صاحبه ، وقال للمرأة : اذهبى فقد نلت منه بمقدار ما نال منك [١].

وقال الأصمعى : رأيت أعرابيا بالبادية قد بسط كساءه للشمس وهو يفتلى ، فجعلت أنظر ، فكان يأخذ البراغيث ، ويدع القمل ، فقلت له فى ذلك ، فقال : أبدأ بالفرسان ، وأرجع للرجالة .

ووضع ثريد بين يدى قوم ، وعليه دجاج ، فسرق واحد منهم واحدة منها ، فرآه آخر ، فلما تم الطعام ، قال له : يا فلان ، أخرج الدجاجة تلتقط الحب والفتات ، فقال : إنها على البيض .

ورأى رجل أحدب قد طلع[٢] فى بستانه فى خوخة ، فقال له : يا أبا هشام ما أطلعك هناك؟ قال : سمعت فاض الماء ، وجرى على الخوخ ، فطلعت أتوضأ .

وخرج خطيب أشبيليه يوما يتوضأ تحت برج الذهب ، وكان أصلع ، دون شىء فى رأسه ، فأخرجت الرميكية رأسها وقالت : بكم تلك القرعة ؟ قال لها : بدرهم ، قالت : إنما أعطيك فيها مقرعا ، فقال لها : إن كانت غالية رجحتها لك بهذا الببرير[٣] .

---

(١) هذه الحكاية وسابقتها واردتان فى الأدب الإسبانى ، وقد درسهما ـ هما وغيرهما ـ مقارنا بين الروايات صديقى العالم الجليل فرنادو دى لاجرانخا ، الأستاذ بجامعة مدريد ، وقد ترجمناها فى كتاب «تأثيرات عربية فى حكايات إسبانية دراسات فى الأدب المقارن» النهضة المصرية ١٩٨٦ ، وانظر لهاتين الحكايتين : ص : ٧٠ ـ ٧٥ و : اذهبى فقد نلت منه بمقدار ما نال منك رواية [س] .

(٢) «قد طلع» من [د] .

(٣) هكذا فى النسخ الثلاث ، وقد رسمناها كما هى ، ولم نتبين المراد بها ، ولا كتابتها إلا ظنا .

وصنع المأمون طعاما ، وكان عنده أعرابى ، فقال : يا أعرابى ، هلم ، قال : إنى صائم ، فاختلفت الألوان ، فرأى جديا مشويا فغسل يده ، فقال له المأمون : ألم تقل إنك صائم ، قال : أقدر على صيام يوم واحد ، ولا أقدر على إعادة جدى مثل هذا .

وكان بالبصرة مجنون يأكل التمر بنواه ، فقيل له : بنواه تأكل التمر؟ فقال : كذا وزنوه على .

ونظر رجل إلى طاق عالية ، فوجد فيها امرأة جميلة ، وهى تستاك ، فقالت له : أتحب سواكا ؟ قال لها : لا أحب سواك ، قالت له : ما ساقك إلى هنا ؟ قال : إلهنا ، قالت : فما أوقفك للهوى ، قال : الهوى ، قالت له : ما اسمك؟ قال وجهك ، قالت : ادخل إذن على(1) .

وقالت امرأة للحصين بن منذر : كيف سدت وأنت بخيل قبيح؟ فقال : لأنى سديد الرأى ، شديد الإقدام .

وقال مسلمة بن عبد الملك لأخيه هشام : كيف تطمع فى الخلافة وأنت بخيل جبان؟ فقال : لأنى حليم عفيف .

وشكى أبو العيناء حاله إلى عبد الله بن سليمان ، فقال له : أليس قد كتبنا لك إلى إبراهيم بن المدبر؟ قال : قد كتبت إلى رجل قد قصر من همته طول الفقر ، وذل الأسر ، ومعاناة محن الدهر ، فأخفقت فى طلبى ، قال : أنت قد اخترته ، قال : وما على ـ أعز الله الأمير ـ فى ذلك ، قد اختار موسى سبعين رجلا(2) فما كان منهم رشيد ، واختار النبى صلى الله عليه وسلم ابن أبى سرح كاتبا ، فرجع إلى المشركين مرتدا ، واختار على بن أبى طالب أبا موسى حاكما فحكم عليه .

وسأل عبد الملك بن مروان مسلمة بن اليزيد ، وكان من المعمرين ، فقال : أى الملوك رأيت أكمل ، وأى الزمان رأيت أفضل؟ فقال : أما الملوك فلم أر إلا حامدا أو ذاما ، وأما الزمان فيضع أقواما ، ويرفع أقواما ، وكلهم يذم زمانه ؛ لأنه يبلى جديدهم ، ويفرق عديدهم ، ويهدم صغيرهم ، ويهلك كبيرهم .

---

(1) فى [د] ادخل أبا على . وفى الهامش : وكان اسمها جميلة .

(2) يشير إلى الآية الكريمة : واختار موسى قومه سبعين رجلا لميقاتنا . سورة الأعراف الآية : ١٥٥ ، ووردت النادرة فى وفيات الأعيان جـ ٤ ص ٣٤٤ ـ وفى زهر الآداب المجلد الأول ص ٣٢٨ .

ودخل على القاضى إياس ، وهو فى مجلس القضاء - عدى بن أرطاة ، فقال له : أين أنت؟ فقال إياس ، بينك وبين الحائط ، فاسمع[١] منى ، قال : للاستماع جلست ، قال : إنى رجل من الشام ، قال : نائى المحل ، سحيق الدار ، قال . وتزوجت امرأة ، قال : بالرفاء والبنين ، قال : وولد لى غلام ، قال : ليهنك الفارس ، قال : وأريد الرجوع إلى وطنى ، قال : فى حفظ الله ، قال : وشرطت لأهلها ألا أخرجها من بينهم ، قال : أوف لهم بالشرط ، قال : فاقض بيننا ، قال : قد فعلت ، قال : فعلى من قضيت؟ قال : على ابن أمك ، قال : بشهادة من ؟ قال : بشهادة ابن أخت خالتك[٢] .

وهذا إياس الذى يضرب به المثل فى الذكاء والفطنة ، وأول[٣] ما ظهر من ذكائه ، أنه دخل دمشق ، وهو غلام ، فتحاكم عند قاضيها ، مع شيخ ، فصال إياس بحديثه على الشيخ ، فقال القاضى : إنه شيخ كبير ، فاخفض فى كلامك . فقال له إياس : الحق أكبر منه ، فقال له القاضى : اسكت ، قال : ومن ينطق بحجتى؟ قال القاضى : ما أراك تقولا إلا حقا ، قال له إياس : لا إله إلا الله[٤] أحق هذا أم باطل؟ فحكم القاضى بينهما ، وانصرف .

ولما دخل عبد الملك البصرة ، رأى إياسا وهو صبى ، وخلفه أربعة من القراء ، أصحاب الطيالسة والعمائم ، وإياس يقدمهم . فقال عبد الملك : أما فيكم شيخ يقدمكم غير هذا الحدث؟ ثم التفت إليه وقال : كم سنك؟ قال : سنى - أطال الله بقاء الأمير - سن أسامة بن زيد حين ولاه رسول الله صلى الله عليه وسلم جيشا فيه أبوبكر وعمر ، فقال : تقدم ، بارك الله فيك ، وكان سنه سبع عشرة سنة .

وقال المتوكل لأبى العيناء : ما أشد ما عليك فى ذهاب بصرك ؟ قال : ما حرمته يا أمير المؤمنين من رؤيتك مع إجماع الناس على جمالك .

---

(١) «فاسمع منى» من [د] .

(٢) وردت فى : البيان والتبيين ، والقاضى هناك شريح - جـ ٤ - ص٩٨ .

(٣) وردت فى المصدر السابق - جـ ١ - ص١٠١ ، مع زيارات وحكايات أخرى ، كما وردت فى زهر الآداب المجلد الأول ص ٢٠٠ .

(٤) فى حاشية [د] وهل يعلم الغيب إلا الله .

وقيل لأحد المكدين : أتبيع مرقعتك ؟ قال : أرأيت صائدا يبيع شبكته ؟

وقال رجل لأعرابى : ما يسرنى لو بت ضيفا لك ، قال : لو بت ضيفا لى لأصبحت أبطن من أمك قبل أن تلدك بساعة[1] .

ودخل أعرابى على معاوية فى عباءة فاحتقره ، فقال : يا أمير المؤمنين ، إن العباءة لاتكلمك ، إنما يكلمك من فيها ، ثم تكلم ، فملأ سمعه بيانا ، ثم خرج ، لم يسله شيئا ، فقال معاوية : ما رأيت رجلا أحقر أولا ، ولا أجل آخرا منه .

وتكلم رجل عند عبد الملك بكلام ذهب فيه كل مذهب ، فقال له ، وقد أعجبه ، : ابن من أنت؟ قال أنا ابن نفسى التى نلت بها هذا المقعد منك ، قال : صدقت .

وعرض بعض الأدباء على صاحب له شعرا ، بمحضر جماعة فجعل يعرض عن محاسن الشعر ، ويتتبع مواضع النقد حسدا ، فقال له صاحب الشعر : أراك كالذباب تعرض عن المواضع السليمة ، وتتبع جروح الجسد .

وروى عن عمر بن الخطاب ، أنه حمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : لا تغالوا صدقات النساء ؛ فإنه لايبلغنى عن أحد ، أنه ساق أكثر من شىء ساقه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أو سيق إليه ، إلا جعلت فضل ذلك فى بيت المال ، فقامت امرأة طويلة ، فقالت : ليس لك ذلك يا أمير المؤمنين ، قال : ولم؟ قالت : كتاب الله أحق أن يتبع أم قولك؟ قال : كتاب الله ، قالت : فإن الله تعالى يقول : ـ ﴿وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا﴾[2] . فقال عمر رضى الله عنه : امرأة أصابت ، ورجل أخطأ ، ثم قال : كنت نهيتكم عن أن تغالوا صدقات النساء ، فليفعل كل واحد فى ماله ما أحب .

وأخرج الحجاج رجلا من سجنه ليعاقبه ، فقال له : سمنت يا غضبان ، قال[3] : الرفد والرفعة ، والخفض والدعة ، ومن يكن ضيف أمير المؤمنين يسمن ، قال : لأحملنك على الأدهم ، قال : مثل الأمير أعزه الله يحمل على الأدهم والورد والكميت ، قال : إنه حديد

---

(١) وردت هذه النادرة فى : العقد الفريد ـ جـ ٢ ص٨٨ .

(٢) سورة النساء ـ الآية ٢٠ .

(٣) أخلت[س] بقوله : قال : الرفد والرفعة والخفض والدعة ومن يكن ضيف أمير المؤمنين يسمن .

قال : لأن يكون حديدا خير من أن يكون بليدا . قال : اضربوا به الأرض ، قال : ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ﴾(١) قال : جروه ، قال : ﴿بِاسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا﴾(٢) قال : احملوه على الأيدى فلما حمل ، قال : ﴿سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ﴾(٣) فضحك الحجاج ، وقال : غلبنا هذا الخبيث ، خلوه إلى صفحى عنه ، قال : ـ ﴿فَاصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلامٌ﴾(٤) .

وقال خالد بن الوليد لعبد المسيح بن عمرو الغسانى وهو ابن (٥) ثلاثمائة وخمسين سنة ، من أين أفضى أمرك؟ قال : من صلب أبى ، قال : من أين خرجت؟ قال : من بطن أمى ، قال : فعلام أنت؟ قال : على الأرض ، قال : ففيم أنت؟ قال : فى ثيابى ، قال : أتعقل؟ قال : إى والله وأقيد ، قال : ابن كم أنت؟ قال : ابن رجل واحد ، قال : فما سنك؟ قال عظم ، قال : ماتزيد فى مسألتك إلا عناء ، قال : ما أجبتك إلا عن مسألتك .

وقال الربيع بن عبد الرحمن : قلت لأعرابى : أتهمز إسرائيل؟ قال : إنى إذن لرجل سوء ، أراد قوله تعالى : ﴿هَمَّازٍ مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ﴾(٦)» قلت : أتجر فلسطين؟ قال : إنى إذن لقوى (٧) .

وقيل لأعرابى : أتهمز الفأرة ؟ قال : الهر يهمزها .

ومما يستظرف فى هذا الباب أن رجلا من محارب وفد على عبد الله بن زيد الهلالى عامل أرمينية ، وقد بات على قرب من غدير فيه ضفادع ، فقال عبد الله : ما تركتنا شيوخ محارب ننام لشدة أصواتها ، فقال المحاربى : أصلح الله الأمير ، إنها ضلت برقعا ، فهن فى طلبه ، أراد الهلالى قول الأخطل :

---

(١) سورة طه ـ الآية ٥٥ .
(٢) سورة هود ـ الآية ٤١ .
(٣) سورة الزخرف ـ الآية ١٣ .
(٤) سورة الزخرف ـ الآية ٨٩ .
(٥) «ابن» زيادة من [س] ويقتضها السياق ، ويبدو فى تقدير السن مبالغة شديدة ، وهى واردة فى البيان والتبين ـ جـ٢ ص١٤٧ ، مع زيادات ، وورد بعض الحكاية فى كلام سابق فى هذا الكتاب .
(٦) سورة القلم ـ الآية ١١ .
(٧) فى [س] زيادة : أمين بعد : لقوى . وقد وردت الحكاية فى العقد الفريد ـ جـ٢ ص٨٤ .

تَنِقُّ بلاشىءٍ شيوخُ محاربٍ   وماخلْتُها كانتْ تَريشُ ولاتبرى
ضفادعُ فى ظلْماء ليلٍ تجاوبتْ   فَدَلَّ عليها صوتُها حيَّةَ البحر(١)

وأراد المحاربى قول الآخر :

لكلِّ هلالىٍّ من اللؤم بُرقُعٌ   ولابْنِ هلالٍ برقعٌ وقميصُ(٢)

وأذن بشار لأصحابه فى الدخول عليه ، والطعام بين يديه ، فلم يدعهم ، ثم دعا بطست ، وكشف عن سوأته فبال ، ثم حضر الظهر والعصر ، فلم يصل ، فقالوا له : أنت أستاذنا ، وقد رأينا منك أشياء أنكرناها عليك ، قال : وما هى؟ قالوا : دخلنا والطعام بين يديك فلم تدعنا إليه ، قال : إنما أذنت لكم بالدخول(٣) لتأكلوا ، ولو لم أرد هذا لما أذنت لكم ، ثم ماذا؟ قالوا : دعوت بالطست ، ونحن حضور ، فبلت ، ونحن نراك فقال : أنا مكفوف وأنتم بصراء ، وأنتم المأمورون بغض البصر دونى ، ثم ماذا؟ قالوا : حضرت الصلاة ولم تصل . قال : إن الذى يقبلها تفاريق(٤) يقبلها جملة . أحسن فى الثنتين ، ولم يحسن فى الثالثة .

وترك رجل النبيذ ، فقيل له : لم تركته ، وهو رسول السرور إلى القلب؟ فقال : ولكنه بئس الرسول يبعث إلى الجوف فيذهب إلى الرأس .

وسمع رجل أبا العتاهية ينشد :

فانظرْ بطرفكَ حيثُ شئتَ ، فلا ترى إلاَّ بخيلا(٥)

فقال : لقد بخَّلت الناس كلهم . فقال : اكذبنى أنت بواحد منهم سخى .

وقال المأمون لمحمد بن عباد : أنت متلاف ، فقال : منع الجود سوء الظن بالمعبود ، يقول الله تعالى : ـ ﴿وَمَا أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾(٦) .

---

(١) البيتان من الطويل ـ الأخطل ـ البيان والتبيين جـ ٢ ص١٨٢ ، والحكاية بتمامها فيه ، والبيتان واردان فى : طبقات فحول الشعراء .

(٢) البيت من الطويل ، وهو منسوب للمحاربى ـ هكذا ـ دون تحديد ، ولم أره منسوبا .

(٣) «بالدخول لتأكلوا» أخلت بها [س] ، ووردت النادرة فى وفيات الأعيان ـ جـ ١ ص ٤٢٥ .

(٤) «يقبلها تفاريق» أخلت بها [س] .

(٥) البيت من مجزوء الكامل المرفل ، وهو لأبى العتاهية . الشعر والشعراء ـ لابن قتيبة ـ ص ٤٩٩ ، والخبر وارد به .

(٦) سورة سبأ ـ الآية ٣٩ .

وخوف بخيل سخيا الإملاق والفقر ، فرد عليه السخى [١] : ـ ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلاً﴾ [٢] .

وقال الحسن والحسين لعبد الله بن جعفر : إنك قد أسرفت فى بذل المال ، فقال : بأبى أنتما وأمى ، إن الله عودنى أن يتفضل على ، وعودته أن أتفضل على عبيده ، وأخاف أن أقطع العادة ، فيقطع عنى عادته .

وقال هشام [٣] بن عبد الملك للأبرشى الكلبى : زوجنى امرأة من كلب ، فزوجه ، فقال له يوما يمزح معه : تزوجنا إلى كلب فوجدنا فى نسائهم [٤] سعة ، فقال الأبرش : إن نساء كلب خلقن لرجال كلب .

وسمع رجل من كندة رجلا يقول : وجدنا فى نساء كندة سعة فقال : إن نساء كندة مكاحيل فقدت مراودها .

وقيل لامرأة تطلق كثيرا : مالك تطلقين ؟ قالت : قوم [٥] يحبون الضيق ، ضيق الله عليهم .

ودخل رجل [٦] على الشعبى ـ وهو مع امرأته ـ فقال : أيكما الشعبى؟ فقال : هذه ، فقال : ماتقول ـ أصلحك الله ـ فى رجل شتمنى فى أول يوم من رمضان؟ هل يؤجر؟ فقال له الشعبى : إن كان قال لك : أحمق فأرجو له الأجر .

وسأله آخر ، فقال له : ماتقول فى رجل أدخل أصبعه فى أنفه فى الصلاة ، فخرج عليه دم ، أترى له أن يحتجم؟ فقال : الحمد لله الذى نقلنا من الفقه إلى الحجامة .

وسأله [٧] فقال : كيف كانت تسمى امرأة إبليس؟ فقال : ذلك نكاح ماشهدناه .

---

(١) «فرد عليه السخى» من [د ، س] ، وكانت خطأ فى [ح] .
(٢) سورة البقرة ـ الآية ٢٦٨ .
(٣) وردت هذه الحكاية ـ ولها نظائر كثيرة حتى فى الشعر نتركها خشية الإطالة ـ فى العقد الفريد ـ جـ ٢ ، ص ١٠٥ .
(٤) «نسائهم» ـ جمعا ـ رواية [س] .
(٥) «قوم» أخلت بها [س] ، ويريدون الضيق بدلا من يحبون الضيق .
(٦) وردت هذه النادرة فى العقد الفريد ـ جـ ٢ ، ص١٠٥ ، وورد نظير لها منسوب إلى الأعمش فى وفيات الأعيان ـ جـ٢ ، ص ٤٠١ .
(٧) وردت فى العقد الفريد ـ الجزء والصفحة نفسهما .

ودخل الشعبى الحمام فرأى داود الأزدى بلا مئزر فغمض عينيه ، فقال له دواد : متى عميت يا أبا عمرو؟ قال : مذ هتك الله سترك .

وقال الأصمعى : قلت لامرأة ظريفة : ياجارية ، هل فى يديك عمل؟ قالت : لا ، ولكن فى رجلى .

وقال [١] معاوية لعمرو بن سعيد : إلى من أوصى بك أبوك؟ وكان صغيرا ، قال : إن أبى أوصى إلىّ ، ولم يوص بى .

وكان للفرزدق نديم يسمى زياد الأقطع ، فأتى بابه يوما ، فخرجت له بنية للفرزدق صغيرة ، فقال : ابنة من أنت؟ قالت : ابنة الفرزدق ، قال : فما بالك حبشية؟ قالت : فما بالك يدك مقطوعة؟ قال : قطعت فى حرب الحرورية ، قالت : بل قطعت فى اللصوصية . فقال : عليك وعلى أبيك لعنة الله ، ثم أخبر الفرزدق ، فقال : أشهد أنها ابنتى حقا .

وأنشد الفرزدق شعرا وهو صغير [٢] ، بمحضر الحطيئة فقال : هذا والله الشعر ياغلام ، هل أنجدت [٣] أمك ؟ قال : لا بل أنجد أبى .

ونظر خالد بن صفوان إلى جماعة فى مسجد البصرة ، فقال : ماهذه الجماعة؟ قالوا : على امرأة تدل على النساء ، فأتاها ، فقال لها : ابغنى امرأة ، قالت : صفها ، قال : أريدها بكرا كثيب ، أو ثيبا كبكر ، حلوة من قريب ، ضخمة من بعيد ، كانت فى نعمة فأصابتها فاقة ، فيها أدب النعمة ، وذل الحاجة ، إذا اجتمعنا كنا أهل دنيا ، وإذا افترقنا كنا أهل آخرة ، قالت قد أصبتها لك ، قال : وأين هى؟ قالت : فى الرفيق الأعلى من الجنة فاعمل لها .

وأتى الحطيئة [٤] رجل ، وهو فى غنمه ، فقال : ياصاحب الغنم سلام عليكم ، فرفع [٥] العصا ، وقال : هذه لمن سلم ، فقال الرجل : إنى ضيف ، فقال : للضيفان أعددتها ، فأعاد السلام ، فقال : إن شئت قمت بها إليك .

---

(١) وردت فى البيان والتبيين ـ مع زيادات ـ جـ ٢ ص١١٢ .
(٢) فى [س] وهو غلام .
(٣) [فى د ، س] هل أنشدت أمك قال : لا ، بل أنشد أبى .
(٤) الحكاية هذه وما بعدها فى : ديوان الحطيئة .
(٥) «فرفع الحطيئة العصا» فى [س] وسقوطها هنا لايخل بالمراد .

ومر به ابن حمامة ، وهو جالس في فناء بيته ، فقال : السلام عليكم . فقال : قد - قلت مالا - ينكر ، قال : خرجت من أهلى بغير زاد قال : ضمنت لأهلك قراك ، قال : أفتأذن لى أن آتى ظل بيتك ؟ قال : دونك الجبل يقيك ظله ، قال : أنا ابن الحمامة ، قال : انصرف ، وكن ابن أى طائر شئت .

ونزل الغضبان[١] القبعثرى خارج كرمان ، وهى كثيرة الرمضاء فضرب قبته ، فورد عليه أعرابى ، فقال : السلام عليكم ، فقال : هى كلمة مقولة ، قال الأعرابى : ما اسمك ؟ قال : آخذ ، قال : أو تعطى ؟ قال : ما أحب أن يكون لى اسمان ، قال : ومن أين جئت ؟ قال : من الدلول ، قال : وأين تريد؟ قال : أرضا أمشى فى مناكبها ، قال : ومن عرض ؟ قال : آل فرعون على النار ، قال : ومن بشر ؟ قال : الصابرون ، قال : فمن غلب ؟ قال : حزب الله . قال : أفتسمع ؟ قال : إنما تسمع القينة ، قال : أفتقول؟ قال : إنما يقول الأمير قال : أفتسجع؟ قال : إنما تسجع الحمامة . قال : أفتنطق ؟ قال : كتاب الله ينطق ، قال : إنك لمنكر ، قال : إنى لمعروف ، قال : ذلك أريد ، قال : وما إرادتك؟ قال : الدخول إليك ، قال : وراءك أوسع لك . قال : قد ضرتنى الشمس ، قال : الساعة يأتيك الفىء ، قال : الرمضاء أحرقت قدمى ، قال : بل عليهما يبردان ، قال : أوجعنى الحر ، قال : ليس لى عليه من سلطان قال : إنى لا أريد طعامك ولا شرابك ، قال : لاتعرض بهما فوالله ماتذوقهما ، قال : سبحان الله ، قال : قبل كونك ، قال : ماعندك؟ قال هراوة أدق بها رأسك .

وأمر عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه بعقوبة رجل ،فقال له رجاء بن حيوة : ان الله قد فعل ماتحب من الظفر ، فافعل مايحب من العفو ، فعفا عنه .

وقال العتبى : وقعت دماء بين حيين من قريش ، فأقبل أبو سفيان ، فما بقى أحد واضع رأسه إلا رفعه ، فقال : يامعشر قريش ، هل لكم فى الحق أو فيما هو أفضل من الحق؟ قالوا : وهل شئ أفضل من الحق[٢] قال : نعم ، العفو ، فتبادر القوم واصطلحوا .

ويروى أن[٣] نصيبا وفد على عبد الملك بن مروان ، وأنشده ، فاستحسن شعره ، ووصله فجاء بالطعام فأكل معه ، فقال له عبد الملك : هل لك فيما يتنادم عليه ، فقال :

(١) وردت فى البيان والتبيين - جـ ١ ص٣٧٦ ، ولها نظائر منسوبة إلى غير الحطيئة والغضبان - انظر الأغانى جـ ١٢ ص٣٠٤ - حكاية الدؤلى مثلا .

(٢) « قالوا : وهل شئ أفضل من الحق» أخلت بها [س] .

(٣) وردت فى الأغانى - جـ ١ ص٣٤١ ، مع ألفاظ مغايرة وإن كان المراد واحدا .

يا أمير المؤمنين تأملنى قال : فإنى أراك ، قال : يا أمير المؤمنين الجلد أسود ، والوجه قبيح ، ولست فى منصب كريم ، وإنما بلغ بى مجالستك ومواكلتك عقلى ، وأنا أكره أن أدخل عليه مايحول بينى وبينه ، فأعجب عبد الملك كلامه وأعفاه .

وأنشد(١) يوما هشاما قصيدة مدحه بها ، فقال له هشام : يا أسود ، قد بلغت المدح فسلنى أعطك . فقال : يداك يا أمير المؤمنين بالعطية أطول من لسانى بالمسألة ، قال هشام : هذا والله أجزل من الشعر وأجازه جائزة عظيمة .

وقال دعبل لمخنث : والله لأهجونك ، فقال : إن هجوتنى لأخرجن أمك من اللعبة .

ورفع إلى الأمير أن أبا نواس زنديق ، وأنشد من شعره مايستدل به على ذلك ، فأمر بإحضاره ، ولما حضر أمر بقتله ، فقال : ما ذنبى يا أمير المؤمنين؟ قال : عرفت أنك زنديق قال : وماقلت ، وما ظهر على من ذلك؟ قال : قولك :

ألا فاسْقنى خمرًا ، وقُلْ لى هى الخمرُ

ولاتَسْـقنى سـرًا إذا أمْكَن الجـهْـرُ(٢)

قال : يا أمير المؤمنين أفسقّانى؟ قال : كذلك أظن ، قال ؛ أتقتلنى على ظن؟ وقد قال تعالى : ﴿إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ﴾(٣) قال : فأنت الذى تقول :

مــاجـــاءنا أحـــدٌ يخـــبِّـــرُ أنَّهُ فى جنَّةٍ مُـــذْمَـــات أوْ فى نارِ(٤)

قال : أفجاء أحد يا أمير المؤمنين؟ قال : لا ، قال : أفتقتلنى على الصدق؟ قال أنت الذى تقول :

يا أحـمـدُ المُرْتجى فى كلِّ نائبـةٍ قُمْ سيِّدى نعْصِ جبَّارَ السماواتِ(٥)

قال : أفقام يا أمير المؤمنين ؟ قال : لا أدرى ، قال : أفتقتلنى على أن لاتدرى؟ قال : أطلقوه ، ولو وجب عليه القتل .

---

(١) الحكاية واردة فى الأغانى جـ١ ـ ص٣٩٩ .
(٢) البيت من الطويل ، وهو مطلع قصيدة ذائعة لأبى نواس : زهر الآداب ـ المجلد الأول ص ٤٦٤ .
(٣) سورة الحجرات ـ الآية ١٢ .
(٤) البيت من الكامل ـ وهو لأبى نواس :
(٥) البيت من البسيط ، وفيه خروج ومبالغة ممقوتة ـ وهو لأبى نواس . الشعر والشعراء ـ ص٥١١ .

وكان الفرزدق[١] يوما ينشد ، فنظر إلى الكميت بن زيد يستمع ، وهو غلام يومئذ ، فأعجبه ما رأى من إصغائه وتفهمه ، فقال : ياغلام كيف ماتسدع؟ قال : حسن ، قال : أفيسرك أنى أبوك؟ قال : ما أحب بأبى بدلا ، ولكن وددت أنك أمى ، قال : يا ابن أخى ، استرها على ، فما لقيت مثلها .

وقام بشار بين يدى المهدى ينشده شعرا ودخل خال المهدى يزيد بن منصور الحميرى ، وكانت فيه غفلة ، فقال : لبشار : ما صناعتك أيها الشيخ ؟ قال : أثقب اللؤلؤ ، فضحك المهدى وقال [أتهزأ][٢] بخالى ، فقال : يا أمير المؤمنين ، وما أصنع به يرى شيخا أعمى ينشد الخليفة شعرا ، فيسأله عن صناعته؟

وكتب إلى عبد الرحمن بن الحكم بعض مواليه يسأله عملا رفيعا لم يكن فى شاكلته فوقع فى كتابه : من لم يصب وجه مطلبه كان الحرمان أولى به .

وكان أصاب عبد الله بن عمر[٣] زج رمح بقدمه فى أيام الحج . فدخل عليه الحجاج يعوده ، فقال له : يا أبا عبد الرحمن ، لو علمت من أصابك لفعلت وفعلت . فقال له ابن عمر : أنت أصبتنى ، فقال : غفر الله لك ، لم تقول هذا؟ قال : حملت السلاح فى يوم لايحمل فيه السلاح ، وفى بلد لا يحمل فيه السلاح .

وحلف رجل[٤] بطلاق امرأته أن الحجاج فى النار ، فسأل الحسن البصرى فقال : لاعليك يا ابن أخى ، فإنه إن لم يكن الحجاج فى النار ، فما يضرك أن تكون مع امرأتك على زنى .

وقال جرير بن منصور : قلت لإبراهيم النخعى : ما تقول فى أمر الحجاج؟ قال :ألم تسمع إلى قوله الله تعالى :ـ ﴿أَلاَ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾[٥] فأشهد أن الحجاج كان منهم .

---

(١) وردت الحكاية فى العقد الفريد ـ جـ ٢ ص١٠٩ .

(٢) فى المتن كلمة هكذا «أتظننى» فى جميع النسخ ولعلها «أتظن بخالى هذا؟ أو أتهزأ بخالى . وماجرى هذا المجرى ، وقد أثبتنا فى المتن[أتهزأ] نقلا عن زهر الآداب ، المجلد الأول ص٤٧٥ ، وفى وفيات الأعيان : أتتنادر على خالى ؟ ج١ ص٤٢٣ ـ ٤٢٤ .

(٣) «عبد الله بن محمد» فى [س] وهى «بن عمر» فى [ح ، د] ولعلها الأصوب ، لتكرار الكلمة فيما بعد .

(٤) الحكاية واردة فى العقد الفريد ـ جـ ٣ ـ ص١٦ .

(٥) سورة هود ـ الآية ١٨ .

وقـال عبـد الملك [١] للحـجاج : مـا من أحـد إلا وهو يعلم عـيب نفسـه ، فـصف لى عيوبك ، قال : اعفنى يا أمير المؤمنين ، قال : لابد أن تقول ، قال : أنا لجوج حقود حسود ، قال عبد الملك : ما فى إبليس أشر من هذا .

وقـيل للشـعـبى [٢] : إن النـاس يزعـمـون أن الحـجـاج مـؤمن ، قـال : مـؤمن بـالجـبت والطاغوت ، كافربالله .

وسئل [٣] عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه عن الحجاج ، فقال : لو جاءت كل أمة بمنافقيها ، وجئنا بالحجاج لفضلناهم .

ولما قدم أبو ليلى النابغة الجعدى على النبى ﷺ وأنشده الشعر الذى يقول فيه :

بلغنا السـمـاءَ مـجـدُنا وسناؤُنا   وإنَّا لَنَبْـغِى فـوق ذلك مَظْهَـرا [٤]

فقال له النبى ﷺ : إلى أين يا أبا ليلى ؟ قال : إلى الجنة يار سول الله ، قال النبى ﷺ : إن شاء الله .

ولقى أبو العـتـاهـيـة أبا نواس فـقـال له : أنت الذى لا تقـول [٥] الشـعـر حـتى تؤتى بالرياحين والأزهار فـتوضع بين يديك ؟ قـال : وكـيف ينبـغى للشعـر أن يقـال إلا هكذا ، قال [٦] : إنى لأقوله على الكنيف ، قال أبو نواس : ولذلك توجد فيه الرائحة .

ولما قـدم رجـال الكوفة يشكون لسـعـد بن أبى وقـاص ، قـال : من يعـذرنى من أهل الكوفة؟ إن وليتهم التقى ضعفوه ، وإن وليتهم القوى فجروه ، فقال له المغيرة بن شعبة : يا أمير المؤمنين [٧] إن التقى الضعيف له تقاه ، وعليك ضعفه ، والقوى الفاجر لك قواه وعليه فجوره ، قال : صدقت فأنت القوى الفاجر ، فاخرج إليهم .

---

(١) ورد فى العقد الفريد ـ جـ ٣ ـ ص ١٧ .
(٢) المصدر السابق ـ المجلد والصفحة .
(٣) المصدر السابق ـ المجلد ٣ ـ ص ١٦ .
(٤) البيت من الطويل ، للنابغة الجعدى ، والحكاية كلها واردة فى العقد الفريد ـ جـ ٣ ص٨٥ ، ٨٦ . وهى فى الشعر والشعراء ص ١٥٨ ، ١٥٩ وكانت الرواية «وثناؤنا» ، وهى فى الشعر والشعراء «وجدونا» وبعدها :

ولا خيـر فى حـلم إذا لـم تـكن لـــه   بـــوادر تحـمـى صفـوه أن يكـدرا
ولا خـيــر فى جــهـل إذا لم يكن له   حليـم إذا مــا أورد الماء أصـــدرا

(٥) أخلت «ح» بكلمة «لا» وهى من [س] ، واجبة للمعنى .
(٦) «قال أبو العتاهية» من [س] وسقوط الفاعل الظاهر لايخل بالمراد .
(٧) واضح أنه لايخاطب أمير المؤمنين ، ولعلها : أيها الأمير .

وقال المنصور لبعض قواده : صدق الذى قال : أجع كلبك يتبعك ، وسمنه يأكلك ، فقال له العباس[١] الطوسى : أما تخشى يا أمير المؤمنين إن أجعته أن يلوح له غيرك برغيف فيتبعه ويدعك ؟ .

وكتب إلى عمر بن عبد العزيز بعض عماله يستأذنه فى تحصين مدينة فكتب إليه عمر : حصنها بالعدل ، ونق طرقها من الظلم والسلام .

ولما أتى عمر بن الخطاب رضي الله عنه بتاج كسرى وسواريه[٢] قال : إن الذى أدى هذا لأمين ، قال رجل : يا أمير المؤمنين أنت أمين الله يؤدون اليك ما أديت إلى الله فإذ رتعت رتعوا .

واطلع مروان بن الحكم على ضيعة له فأنكر شيئا ، فقال لوكيله : ويحك ، أظنك تخونني ، قال : تظن ، ولاتستيقنه ، قال : تفعل ، قال : نعم ، والله إنى لأخونك ، وإنك لتخون أمير المؤمنين ، وإن أمير المؤمنين ليخون[٣] ربه ، فلعن الله شر الثلاثة .

ومر عمر بن الخطاب رضي الله عنه ببنيان بنى بآجر وجص فقال : لمن هذا؟ فقيل : لعاملك على البحرين ، فقال : أبت الدراهم إلا أن تخرج أعناقها ، وأرسل إليه فشاطره ماله .

ودخل حزيم الناعم على معاوية بن أبى سفيان ، فنظر معاوية إلى ساقيه ، فقال : أى ساقين؟ لو أنهما على جارية ، فقال حزيم : فى مثل عجيزتك يا أمير المؤمنين ، فقال : واحدة بأخرى ، والبادى أظلم .

ودخل أبو النصر سالم مولى عمر بن عبد الله على عامل للخليفة فقال له : يا أبا النصر ، إنه تأتينا كتب من عند الخليفة فيها وفيها ولانجد بدا من إنفاذها ، فقال له أبو النصر : قد أتاك كتاب من عند الله قبل كتاب الخليفة ، فأيهما اتبعت كنت من أهله .

---

(١) «فقال له أبو العباس الطوسى» من [س] .

(٢) فى [س] وسواريه كما أثبتناها فى المتن .

(٣) «وإن أمير المؤمنين ليخون ربه» أخلت بها[س] .

ودخل الزهرى على الوليد بن عبد الملك فقال : ماحديث يحدثنى به أهل الشام قال : وما هو يا أمير المؤمنين ؟ قال : يحدثوننا أن الله إذا استرعى عبدا رعيته كتبت له الحسنات ، ولم تكتب عليه السيئات . قال : باطل يا أمير المؤمنين ، أنبى خليفة أكرم على الله أم خليفة غير نبى؟ قال : بل نبى خليفة ، قال : فإن الله يقول لنبيه داود عليه السلام : ﴿يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلاَ تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ﴾[1] . فهذا يا أمير المؤمنين وعده لنبى خليفة ، فما ظنك بخليفة غير نبى؟ قال : إن الناس ليغروننا عن ديننا .

وقعد معاوية بالكوفة ، يبايع الناس على البراءة من على بن أبى طالب ﷺ ، فقال له رجل : يا أمير المؤمنين نطيع أحياءكم ، ولا نبرأ من موتاكم ، فالتفت معاوية إلى المغيرة . وقال : هذا رجل فاستوص به خيرا .

وقال الأصمعى : لما مات يزيد بن معاوية ، وصارت الخلافة إلى هشام بن عبد الملك خر أصحابه سجودا إلا الأبرش الكلبى . قال : ما منعك أن تسجد كما سجدوا؟ قال : لماذا يا أمير المؤمنين لأنك ذهبت عنا ؟ قال : فإن ذهبت بك معى ، قال : وتفعل يا أمير المؤمنين؟ قال : نعم ، قال : الآن طاب السجود .

وكان سعيد بن عتبة بن حصين ، إذا حضر باب السلاطين جلس جانبا ، فقيل له : إنك لتباعد الإذن جهدك ، قال : لأن أدعى من بعيد خير من أن أقصى من قريب [2] ، ثم قال :

رأيتُ أُناسًا يُسرعون تَبادُرًا ... إذا فتَح البَوَّابُ بابَكَ إصْبعا
ونحنُ سكوتٌ جالسونَ رزانةً ... وحِلْما إلى أن يُفتح البابُ أجمعا[3]

---

(١) سورة ص ـ الآية ٢٦ .

(٢ وردت هذه العبارة منسوبة للأحنف ، بدون حكاية كما هى هنا فى البيان والتبيين ـ جـ ٢ ص٢٠٠ .

(٣) ورد البيتان ـ وهما من الطويل ـ فى العقد الفريد جـ ١ ص٢٠ ، بدون نسبة ، وفى البيان والتبيين ـ جـ٢ ص١٩٠ ، معزوان إلى الحصين بن المنذر :

كل خفيف الشأن يسعى مشمرا ... إذا فتح البواب بابك إصبعا
ونحن الجلوس الماكثون توقرا ... حياء إلى أن يفتح الباب أجمعا

وفى البيت الأول خرم ، وهو حذف الفاء من فعولن فى أول الطويل .

ونظر رجل إلى روح بن حاتم واقفا فى الشمس عند باب المنصور فقال : لقد طال فى وقوفك فى الشمس ، فقال : ليطول جلوسى فى الظل .

ووقف أبو سفيان بباب عثمان بن عفان رضي الله عنه ، وقد اشتغل ببعض مصلحة المسلمين ، فحجبه ، فقال له رجل وأراد أن يغريه يا أبا سفيان ، ماكنت أرى أن تقف بباب مضرى فيحجبك ، فقال أبو سفيان : لا عدمت من قومى من أقف ببابه فيحجبنى .

وقال الشعبى : كنت جالسا عند القاضى شريح ، إذ دخلت عليه امرأة تشتكى زوجها ، وهو غائب ، وتبكى بكاء شديدا ، فقلت : أصلحك الله ما أراها إلا مظلومة ، فقال : وماعلمك؟ قال : لبكائها ، قال : لاتفعل فإن إخوة يوسف ﴿وَجَاءُوا أَبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ﴾[1] ، وهم ظالمون .

وكان الحسن بن أبى الحسن لايرى أن ترد شهادة مسلم إلا أن يجرحه المشهود عليه ، فأقبل إليه رجل ، فقال : يا أبا سعيد إن إياسا رد شهادتى ، فقام معه الحسن إليه ، فقال : أبا وائلة : لم رددت شهادة هذا المسلم . وقد قال رسول الله ﷺ : من صلى قبلتنا فهو مسلم ، له مالنا وعليه ما علينا ، قال : يا أبا سعيد إن الله يقول :ـ﴿مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ﴾[2]وهذا ممن[3] لانرضاه .

وأقبل وكيع صاحب خراسان يشهد عند إياس بشهادة ، فقال له : مرحبا وأهلا بأبى المطرف ، وأجلسه معه ، ثم قال له : ماجاء بك؟ قال : جئت لأشهد لفلان ، قال : مالك وللشهادة؟ إنما يشهد الموالى والتجار والسوقة ، قال : صدقت ، وانصرف من عنده ، فقيل له : خدعك ، إنه لايقبل شهادتك ، قال : لو علمت ذلك لعلوته بالقضيب .

وقيل للقاضى[4] شريح : أيهما أطيب الجوزنيق أو اللوزنيق ؟ قال : لا أحكم على غائب .

---

(١) سورة يوسف ـ الآية ١٦ . والحكاية كلها واردة فى العقد الفريد ـ جـ ١ ص ٢٥ .
(٢) سورة البقرة ـ الآية ٢٨٢ .
(٣) «ممن» زيادة فى [د ، س] .
(٤) وردت فى العقد الفريد ـ جـ ٢ ص١٠٥ .

ولما أتى بالهـرمزان إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، قال له عمر : أعرض عليك الإسلام نصحا لك فى عاجلتك وآجلتك ، فقال : يا أمير المؤمنين إنما أعتقد ما أنا عليه ولا أرغب فى الإسلام رهبة ، فدعا عمر بالسيف ، فلما هم بقتله ، قال : يا أمير المؤمنين ، شربة ماء ، هو أفضل من قتلى على ظمأ ، فأمر له عمر بشربة ماء ، فلما أخذها قال : أنا آمن حتى أشرب؟ قال : نعم ، فرمى بها ، وقال الوفاء يا أمير المؤمنين نور أبلج ، قال : صدقت ، لك التوقف عنك والنظر فيك ، ارفعا عنه السيف ، فلما رفع قال : الآن يا أمير المؤمنين(١) ، أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله ، وماجاء به حق من عنده ، قال عمر : أسلمت خير إسلام وما أخرك ؟ قال : كرهت أن تظن أنى إنما أسلمت فزعا من السيف ، قال عمر : إن لأهل فارس عقولا بها استحقوا ما كانوا فيه من الملك ، ثم أمر به أن ينزل ويكرم ، فكان عمر يشاوره فى توجيه الجيوش إلى أرض فارس .

ويشبه هذا فى التلطف والتحيل فى النجاة ماحكى أن الكلبى قال : لما فتح عمرو ابن العاص قيسارية سار حتى نزل على موضع ، فبعث إليه علجه أن ابعث إلى رجلا من أصحابك أكلمه ، ففكر عمرو ، وقال : مالهذا غيرى ، فخرج حتى دخل على العلج ، فكلمه فسمع ما لم يسمع قط كلاما مثله ، فقال العلج : حدثنى عن أصحابك ، هل فيهم أحد مثلك ؟ قال : لاتسأل عن هوانى عليهم ، إذ بعثوا بى إليك ، وعرضوا بى إليك ، ولايدرون ماتصنع بى ، فأمر له بكسوة وجائزة . وبعث إلى بوابه : إذا مر بك فاضرب عنقه ، وخذ ماعنده ، فخرج من عنده ، فمر برجل نصرانى من غسان ، فعرفه ، فقال له : يا عمرو قد أحسنت الدخول ، فأحسن الخروج ، ففطن عمرو لما أراد ، ورجع فقال له العلج : ماردك إلينا ؟ قال : نظرت فيما أعطيتنى فلم أجد ذلك يسع بنى عمى ، فأردت أن آتيك بعشرة منهم تعطيهم مثل هذه العطية ، فيكون معروفك عند عشرة خيرا من أن يكون عند واحد . قال : صدقت ، عجل بهم ، وبعث إلى البواب : خل سبيله ، فخرج عمرو وهو يلتفت حتى إذا أمن قال : لا عدت لمثلها أبدا ، فلما صالحه عمرو دخل إليه العلج ، قال له : أنت هو؟ قال : نعم على ما كان من غدرك .

(١) أخلت [س] بقوله : نور أبلج إلى قوله : الآن يا أمير المؤمنين .

وقال العتبى : بعث[١] عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى عمرو بن معدى كرب أن يبعث إليه بسيفه المعروف بالصمصامة ، فبعث به إليه ، فلما ضرب به وجده دون ما بلغه عنه ، فكتب إليه فى ذلك فرد عليه : إنى إنما بعثت إلى أمير المؤمنين بالسيف ، ولم أبعث له بالساعد الذى يضرب .

وسأله عمر يوما عن السلاح ، فقال : يسأل أمير المؤمنين عما بداله ، فقال له ماتقول فى الرمح ؟ قال أخوك ، وربما خانك فانقصف ، قال : فما تقول فى الترس؟ قال : هو المجن وعليه تدور الدوائر ، قال : والنبل؟ قال : منايا تخطئ وتصيب ، قال : فالدرع؟ قال : مفشلة[٢] للراجل ، مشغلة للراكب ، وإنها لحصن حصين ، قال : فما تقول فى السيف؟ قال : هنالك لا أم لك يا أمير المؤمنين فعلاه عمر بالدرة ، وقال : لا ، بل لا أم لك .

وقيل لمعاوية : أى الناس أحب إليك؟ قال : من كانت له عندى يد صالحة ، قيل : فإن لم تكن؟ قال : فمن كانت لى عنده يد صالحة[٣] .

وقيل لأبى عقيل العراقى : كيف رأيت مروان بن الحكم عند طلب الحاجة إليه ؟ قال : رأيته عند طلب الحاجة ، رغبته فى الإنعام فوق رغبته فى الشكر ، وحاجته إلى قضاء الحاجة أشد من حاجة[٤]صاحب الحاجة .

وقال الأصمعى : نظر زياد إلى رجل من ضبة يأكل أكلا قبيحا . وهو من أقبح الناس وجها ، فقال : يا أخا ضبة كم عيالك؟ قال : سبع بنات ، أنا أجمل منهن ، وهن آكل منى ، فضحك زياد ، وقال : لله دره ما ألطف جوابه[٥] ، افرضوا لكل واحدة منهن مائة وخادما وعجلوا له ولهن أرزاقهن .

وقال رجل[٦]لإبراهيم بن أدهم : كنت أريد أن تقبل منى هذه الجبة ، فقال : إن كنت غنيا قبلتها منك ، وإن لم تكن غنيا لم أقبلها منك ، قال : فإنى غنى ، قال : وكم مالك ؟

---

(١) لهذه الرواية نظائر متعددة فى الأدب الإسبانى ، وقد درسها فرناندو دى لاجرانخا بعنوان«صدى شاعر عربى قديم فى الأدب الإسبانى» ونشرناها مترجمة فى «تأثيرات عربية فى حكايات إسبانية» ص ١٢٢ - ١٣٢ .

(٢) «مفشلة للراجل» أخلت بها [س] .

(٣) أخلت [س] بداية من قوله : قيل فإن لم تكن ، إلى قوله : صالحة .

(٤) أخلت [س] بقوله : من حاجة .

(٥) فى [د] ما ألطف سؤاله . والرواية واردة فى العقد الفريد - جـ١ ص٧٢ .

(٦) وردت فى العقد الفريد - جـ ١ص٧٣ .

قال : ألف دينار . قال : أفكنت تود أنه أربعة آلاف؟ قال : نعم ، قال : فأنت فقير لا أقبلها منك .

وسألت امرأة عبد الله بن جعفر ، فأعطاها مالاعظيما ، فقيل له : إنها لاتعرفك ، وكان يرضيها اليسير ، قال : إن كان يرضيها اليسير فإنى لا أرضى إلابالكثير ، وإن كانت لاتعرفنى فأنا أعرف نفسى .

وقال الأصمعى : مدح نصيب عبد الله بن جعفر ، فأمر له بمال كثير وكسوة شريفة ، ورواحل موقرة برا وتمرا ، فقيل له : أتفعل هذا بمثل هذا العبد الأسود؟ فقال : أما والله إن كان عبدا إن شعره لحر ، وإن كان أسود إن ثناءه لأبيض ، وإنما أخذ مالا يفنى وثيابا تبلى ، ورواحل تنضى ، وأعطى مديحا يروى ، وثناء يبقى .

وقال العتبى : وفد حاجب بن زرارة على كسرى ، فاستأذن عليه . فقيل له : أسيد العرب أنت؟ قال : لا ، قيل فسيد مضر؟ قال : لا ، قيل : فسيد قومك؟ قال : لا ، قيل : فسيد بنى أبيك؟ ، قال : لا ، ولكنى رجل من العرب ، فأذن له ، فلما دخل عليه ، قال له : من أنت ؟ قال : سيد العرب ، قال : أليس قد قيل لك : أسيد العرب أنت؟ فقلت : لا ، حتى اقتصرت بك على بنى أبيك ، فقلت : لا ، قال : أيها الملك لم أكن كذلك حتى دخلت عليك ، فلما [1] دخلت عليك صرت سيد العرب ، قال : كسرى : املأوا فاه درا .

وقال المنصور لمسلم بن قتيبة ؛ ما ترى فى قتل أبى مسلم فقال :ـ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلاَّ اللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴾[2] ، قال : حسبك .

وقال المأمون ليزيد بن مزيد : ما أكثر الخلفاء فى بنى ربيعة ، قال : بلى ، ولكن منابرهم فى الجذوع .

ودخل المأمون يوما بيت الديوان ، فرأى غلاما جميلا ، على أذنه قلم ، فقال : من أنت ياغلام ؟ قال : الناشىء فى دولتك ، المتقلب فى نعمتك ، المؤمل لخدمتك الحسن ابن رجاء .

---

(١) «فلما دخلت عليه صرت» زيادة ضرورية فى [د ، س] والحكاية واردة فى العقد الفريد ج١ص٩٢ .
(٢) سورة الأنبياء الآية : ٢٢ .

وأتى عبد الملك بن مروان برجل يسرق . فأمر بقطع يده ، فأنشأ يقول :

يدى يا أمـيـرَ المؤمنين أُعـيـذُها بعـفْـوِكَ أن تَلْقى مكانًا يَشِينُهـا
ولاخَيرَ فى الدنيا ، وكانتَ حبيبةً إذا ما شِـمـالى فارقـتْها يمِيُنها[1]

فأبى إلا قطعها ، فقالت له أمه : يا أمير المؤمنين واحدى[2] وكاسبى ، فقال : بئس الكاسب كان لك ، وهذا حد من حدود الله ، قالت : يا أمير المؤمنين اجعله من بعض ذنوبك التى تستغفر الله منها ، فعفا عنه .

ولما أتى الحجاج بالأسرى الذين خرجوا مع ابن الأشعث أمر بقتلهم ، فقال رجل منهم : أصلح الله الأمير ، لى حرمة ، قال : وماهى؟ قال : ذكرت فى عسكر ابن الأشعث ، فشتم فى أبويك ، فعرضت دونهما ، وقلت : لا والله ما فى نسبه مطعن ، فقولوا فيه ، ودعوا نسبه ، قال : ومن يعلم ما ذكرت؟ فالتفت إلى أقرب الأسرى إليه . وقال : هذا يعلمه ، فقال له الحجاج : ماتقول فيما قال هذا؟ قال : صدق ، وبر الأمير ، فقال : خليا عن هذا لنصرته ، وعن هذا لحفظ شهادته .

وأتى الحجاج[3] بأسرى من الخوارج ، فأمر بضرب أعناقهم ، فقدم فيهم شاب ، فقال له : والله ياحجاج لئن كنا اسأنا فى الذنب ، فما أحسنت فى العقوبة ، قال : أف لهذه الجيف ، أما كان فيهم من يقول مثل هذا ، وأمسك عن القتل .

وأتى الحجاج بأسرى ، فأمر بقتلهم ، فقال له رجل منهم : لا جزاك الله ياحجاج عن السنة خيرا ، فإن الله يقول :ـ **﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّى إِذَا أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً﴾**[4] فهذا قول الله تعالى فى كتابه ، وقول شاعركم فيما وصف به قومه من مكارم الأخلاق :

---

(١) البيتان من الطويل .
(٢) «واحدى وكاسبى» من [د] ، وكانت حاسبى وكاسبى ، ولامعنى لها .
(٣) وردت فى البيان والتبيين ـ جـ ١ص٢٥٩ ، مع تغيير طفيف . والتى قبلها وردت فى وفيات الأعيان جـ ٢ ص٣٨ .
(٤) سورة محمد الآية ٤ .

ومـانقـتلُ الأسْرى ولكنْ نَفكُّهم إذا أَثْقَلَ الأعناقَ حمْلُ القلائِد[1]

فقال الحجاج : ويحكم أعجزتم أن تخبرونى ما أخبرنى هذا المنافق ، وأمسك عمن بقى .

وقال الهيثم بن عدى ؛ أتى الحجاج بحرورية ، فقال لأصحابه : ماتقولون فى هذه ؟ قالوا : اقتلها أصلح الله الأمير ، ونكل بها غيرها ، فتبسمت الحرورية فقال لها : لم تبسمت ؟ فقالت : لقد كان وزراء أخيك فرعون خيرا من وزرائك ياحجاج ، استشارهم فى قتل موسى ، فقالوا : ﴿أَرْجِهْ وَأَخَاهُ﴾[2] وهؤلاء يأمرونك بتعجيل قتلى ، فضحك الحجاج وأطلقها .

وقال الأصمعى : بعث الحجاج [3]فى يحيى بن يعمر ، فقال له : أنت الذى تقول : إن الحسين بن على ابن رسول الله ـ ﷺ ـ والله لتأتين بالمخرج مما قلت ، أو لأضربن عنقك ، قال له ابن يعمر : إن جئت بالمخرج فأنا آمن؟ قال : نعم ، قال : اقرأ قوله تعالى :ـ ﴿ وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ (٨٣) وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلاً هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (٨٤) وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾[4] فمن أبعد عيسى من إبراهيم أو الحسين؟ وإنما هو ابن ابنة محمد ـ ﷺ ـ قال الحجاج : والله لكأنى ما قرأت هذه الآية قط ، وولاه قضاء بلده حتى مات .

وقال [5] رجل لابنه : لو أوصيت بك إلى فلان؟ فقال : يا أبت إذا لم يكن للحى إلا وصية الميت ، فالحى هو الميت .

---

(١) البيت من الطويل ، والحكاية واردة فى العقد الفريد ـ جـ ١ ص١٣١ وهو للفرزدق يرد على جرير ، وبعده بيت يقول :

وهل ضربة الرومى جاعلة لكم أبا عن كليب أو أخا مثل دارم

الشعر والشعراء ص ٢٩٩ .

والبيت الأول : حمل المغارم

(٢) سورة الأعراف ـ الآية ١١١ ، وحرورية نسبة إلى حروراء الموضع الذى نزل به الخوارج . وحدثت فيه موقعة النهروان سنة ٣٧هـ ـ تاريخ الرسل والملوك ـ الطبرى جـ ٥ ، ص٥٧ ومواضع أخرى . تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم . دار المعارف ١٩٧٩ .

(٣) «بعث الحجاج» زيادة من [د] .

(٤) سورة الأنعام ـ الآية ٨٣ ـ ٨٥ . وأتينا بالآيات كاملة ، ولم تكن فى النص كذلك .

(٥) وردت فى البيان والتبيين ـ جـ ٢ ص١١٢ ، منسوبة إلى زياد بن ظبيان التيمى ، يتحدث إلى ابنه عبيد الله وهو يكيد بنفسه ـ عبارة الجاحظ ـ أي يجود بنفسه .

ودخل الفرزدق على سليمان بن عبد الملك ، فقال له : من أنت ؟ كأنه لايعرفه ، فقال له الفرزدق : أو ماتعرفني يا أمير المؤمنين؟ قال : لا قال : أنا من قوم منهم أو في العرب ، وأسود العرب ، وأجود العرب ، وأحلم العرب ، وأفرس العرب ، وأشعر العرب ، قال سليمان : والله لتبينن ماقلت ، أو لأوجعن ظهرك ضربا ، قال : نعم يا أمير المؤمنين ، أما أوفى العرب فحاجب بن زرارة الذى رهن قوسه عن جميع العرب ، فوفى بها ، وأما أسود العرب فقيس بن عاصم الذى وفد على النبى - ﷺ - فبسط له رداءه ، وقال هذا سيد الوبر ، وأما أحلم العرب فالأحنف بن قيس الذى ضرب به المثل ، وأما أجود العرب فعتاب ابن ورقاء الرياحى ، وأما أفرس العرب فالحريش بن عبد الله السعدى ، وأما أشعر العرب فها أنا بين يديك ، فاغتم سليمان مما سمع من فخره ، ولم ينكره ، وقال : ارجع على عقبيك ؛ فما لك عندنا من ناشىء خير .

وقال أبو عبيد : اجتمعت وفود العرب عند النعمان بن المنذر ، فأخرج لهم بردين . وقال : ليقم أعز العرب قبيلة فليلبسهما ، فقام عامر بن الحمير السعدى ، فاتزر بأحدهما ، وارتدى بالآخر ، فقال له النعمان : بم أنت أعز العرب؟ قال : العز والعدد فى العرب فى معد ثم فى نزار ، ثم فى تميم ، ثم فى سعد ، ثم فى كعب ، ثم فى عوف ، ثم فى بهدلة ، فمن أنكر هذا من العرب ، فلينافرنى ، فسكت الناس ، فقال النعمان : هذه حالتك فى قومك ، فكيف أ نت فى نفسك وأهل بيتك؟ قال : أنا أبو عشرة وعم عشرة وخال عشرة ، فأما أنا فى نفسى فهذا شاهدى ، ثم وضع قدميه فى الأرض ، وقال : من أزالها من مكانها فله مائة من الإبل فلم يقم إليه أحد ، فذهب بالبردين .

وروى لما هدم الوليد كنيسة دمشق ، كتب إليه ملك الروم : أنت هدمت الكنيسة التى رأى أبوك تركها . فإن كان صوابا فقد أخطأ أبوك ، وإن كان خطأ ، فما عذرك؟ فكتب إليه : - ﴿وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ (٧٨) فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا﴾[1]

---

(١) سورة الأنبياء - الآية ٧٨ ، ٧٩ .

وقال العتبى : كتب قيصر إلى معاوية : أخبرنى عمن لاقبلة له ، وعمن لا أب له ، وعمن لا عشيرة له ، وعمن سار به قبره ، وعن ثلاثة أشياء لم تخلق فى رحم وعن شىء ونصف شىء ولاشىء ، وابعث لى ببذر كل شىء ، فبعث معاوية بالكتاب والقارورة إلى ابن عباس ، فقال : أما ما لاقبلة له فالكعبة ، ومن لا أب له فعيسى عليه السلام ، ومن لاعشيرة له فآدم عليه السلام ، ومن ساربه قبره فيونس عليه السلام ، وأما ثلاثة أشياء لم تخلق فى رحم فكبش إبراهيم وناقة صالح وحية موسى عليه السلام ، وأما شىء فالرجل له عقل يعمل به ، وأما نصف الشىء فالذى ليس له عقل ويعمل برأى ذى العقل ، وأما لاشىء فالذى ليس له عقل يعمل به ، ولا يستعين بعقل غيره ، وملأ القارورة ماء ، وقال : هذا بذر كل شىء ، فبعث معاوية إلى قيصر ، فلما وصل إليه الكتاب والقارورة قال : ماخرج هذا إلا من بيت النبوة .

وكتب ملك الروم إلى عبد الملك بن مروان : أكلت لحم الجمال التى هرب عليها أبوك من المدينة إن لم أغزك جنودا مائة ألف ومائة ألف ومائة ألف[1] فبعث عبد الملك إلى الحجاج فقال : ابعث إلى على بن الحسين وتواعده ، واكتب لى بما يقول لك ، ففعل الحجاج فقال له على بن الحسين : إن لله لوحا محفوظا يلحظه فى كل يوم ثلاثمائة لحظة ، ليس فى لحظة إلا ويحيى فيها ويميت ، ويعز ويذل ويفعل مايشاء ، وإنى لأرجو أن يكفيك منها بلحظة واحدة ، فكتب به الحجاج إلى عبد الملك ، فكتب عبد الملك بذلك إلى ملك الروم ، فلما قرأه ملك الروم قال : ماخرج هذا الكلام إلا من بيت النبوة .

وقال رجل لإبراهيم النخعى : إنى أختم القرآن كل ثلاث ، قال : ليتك تختمه كل ثلاثين ، وتدرى أى شىء تقرأ .

وسار ابراهيم النخعى فى طريق ، فلقيه الأعمش ، فانصرف معه ، فقال إبراهيم : الناس إذا رأونا قالوا : الأعمش والأعور . فقال : وماعليك أن يأثموا ، ونؤجر ، قال : وما عليك أن يسلموا ونسلم .

---

(١) «مائة ألف» ثلاث مرات فى [د] وفى غيرها مرتين فقط .

وسأل رجل ابن سيرين عن مسألة فيها أغلوطة(١) ، فقال له : أمسك حتى تسأل عنها أخاك إبليس .

وقيل لابن عباس : ماتقول فى رجل طلق زوجته عدد نجوم السماء .

قال : يكفيه منها كواكب الجوزاء .

وقال الفضل بن عياض : اجتمع محمد بن واسع ، ومالك بن دينار فقال مالك بن دينار : ماهو إلا طاعة الله أو النار ، قال محمد بن واسع : ليس كما تقول ، ماهو ، إلا عفو الله أو النار ، ثم قال مالك بن دينار : إنه ليعجبنى أن تكون للإنسان معيشة ، قدر ما تقوته ، قال محمد بن واسع : ولا هو كما تقول ، ولكن يعجبنى أن يصبح الرجل ، وليس له غداء ، ويمسى وليس له عشاء ، وهو مع ذلك راض عن الله ، قال مالك بن دينار : ما أحوجنى إلى من يعلمنى مثلك .

وكان يجلس إلى سفيان الثورى فتى كثير الفكرة حسن الاستماع ، طويل الإطراق ، فأراد سفيان أن يحركه ليسمع كلامه ، فقال : يافتى إن من كانوا قبلنا مروا على خيل عتاق ، وبقينا على حمير دبرة ، فقال : أبا عبد الله إن كنا على الطريق فما أسرع لحوقنا بالقوم .

وقيل لرجل ولى فى الحرب : لاتهرب ؛ فإن الأمير يغضب عليك ، فقال : غضبه على وأنا حى خير من رضاه عنى وأنا ميت .

وعرض الإسكندر جنده ، فتقدم إليه رجل على فرس أعرج ، فأمر بإسقاطه ، فضحك الرجل وولى ، فأنكر الإسكندر ذلك وأمر برده فقال له : ما حملك على مارأيت منك وقد أسقطتك؟ قال : تعجبت من فعلك ، قال :وكيف ذلك؟ قال : لأن تحتك آلة الهروب ، وتحتى آلة الوقوف والثبات فأسقطتنى ، فعجب الإسكندر من قوله ، وزاد فى عطائه .

وقيل لرجل(٢) : لم لاتخرج تقاتل العدو ؟ قال : والله لا أعرف أحدا منهم ولايعرفنى فمن أين وقعت هذه العدواة بينى وبينهم ؟

ومدح بعض الشعراء محمد بن عبدوس صاحب الشرطة ، فقال له : أما أن أعطيك من مالى شيئا فلا ، ولكن اذهب فاجن جناية ، لا آخذك بها .

---

(١) فى [ح] غلوظة .

(٢) وردت هذه الحكاية فى البيان والتبيين ـ جـ ٤ ص١٩ ، وهى منسوبة إلى أبى الأصبغ بن رِبْعى ، مع تغيير يسير .

وجـاء رجل إلى ابن أبى يعـقوب فـقـال له : إذا نزعـت ثيـابى ، ودخلت إلى النهـر ، لأغتسل إلى أين أتوجه؟ قال أفضل ذلك أن يكون توجهك إلى ثيابك .

وسأله آخر ، فقال له : إذا شيعت الجنارة أقدامها أفضل أم خلفها ؟ قال : اجهد ألا تكون فوقها ، وكن حيث شئت من نواحيها .

وجاء رجل إلى سوار القاضى ، فقال : ماتقول أبقاك الله فى القبلة فى نهار رمضان؟ قال : مكروهة ، قال : فإنها من صديقى ، قال : تلك عافاك الله تقبل فى شوال .

ودخل حارثة بن زيد على زياد ، وبوجهه أثر ، فقال له : ماهذا ياحارثة؟ قال : أصلح الله الأمير ، ركبت فرسى الأشقر فجمح بى فقال له زياد : أما أنك لو ركبت الأشهب لم يصبك منه شىء أراد حارثة بالأشقر النبيذ ، وأراد زياد بالأشهب اللبن .

ووقف معـاوية[١] بن مروان ببـاب طحـان ، فنظر إلى حـمـار له يدور الرحـا ، فى عنقـه جلجل ، فـقـال الطحان : لـم جعلت الجلجل فى عنق حـمـارك؟ قـال : ربما تدركـه سـآمـة أو نعاس ، فإذا لم أسمع صوت الجلجل علمت أنه واقف ، فصـحت به قال : أرأيت إن وقف وحرك رأسه بالجلجل؟ قال : ومن لى بحمار يكون له مثل عقل الأمير .

وباع[٢] رجل ضيعته ، فلما قبض ثمنها ، قال للمشترى : لقد أخذتها كثيرة المئونة ، قليلة المعونة ، فـقـال له المشـترى : وأنت والله لقـد أخـذتهـا بطيئـة الاجـتـمـاع ، سـريعـة الأفتراق .

وقيل[٣] لعلى رضى الله عنه : كم بين المشـرق والمغـرب؟ قـال : مـسـيرة يوم للشـمـس قيل : فكم بين السماء والأرض؟ قال : مسيرة ساعة لدعوة مستجابة .

وقال أبو جعفر لعمرو بن عبيد : أعنى بأصحابك أبا عثمان ، قال : ارفع علم الحق يتبعك أهله .

وشكى قوم إلى المسيح عليه السلام ذنوبهم ، فقال : اتركوها تغفر لكم .

(١) وردت فى البيان والتبيين ـ جـ ٢ ، ص ٢٦١ . وفى معاوية هذا غفلة ، بدت فى روايات أخرى فى الحدائق والبيان .
(٢) وردت فى البيان والتبيين ـ جـ ٣ ، ص ٢٦١ ، وفى العقد الفريد ـ جـ ٢ ص١٠٥ .
(٣) وردت فى البيان والتبيين ـ جـ ٣ ، ص ٢٧٤ ، ٢٧٥ ، مع تقديم وتأخير ، وإضافة يسيرة .

وقيل لعقيل : مالك لاتطيل الهجاء ؟ قال : يكفيك من القلادة ما أحاط بالعنق .

وأقبل حاكم ، فرأى سكران بالأرض ، فأمر به إلى السجن ، فقال له الخدمة : قم إلى السجن ، فقال : لو كنت أستطيع المشى إلى السجن لمشيت إلى دارى .

وكان رجل غائبا عن أهله ، فسألوا عن حاله : فقال لهم : هو أندلسى من رأسه ، وغزى من أكتافه ، ومحرم من بدنه ، وتوزى من رجليه ، ومتعبد من جسده ، فقالوا : قل لنا : إنه عريان بالجوع .

وكان رجل له زوجة جميلة ، فقال له أحد أصحابه : إنها تخونه ، فطلقها وتزوج امرأة أخرى ، فقال له صاحبه ذلك : كيف أنت مع هذه؟ قال : كنت آكل شهدا مع غيرى ، صرت آكل قطرانا وحدى ، يريد أنها قبيحة .

وقيل لشبيب بن شيبة عند باب الرشيد : كيف رأيت الناس ؟

قال : رأيت الداخل راجيا ، والخارج راضيا .

وتكلم ابن السماك يوما ، وجارية له تسمع ، فلما دخل قال : كيف سمعت؟ قالت : ما أحسنه ، لولا أنك تردده ، قال : أردده حتى يفهمه من لم يفهمه ، قالت له : إن كنت تردده حتى يفهمه من لم يفهمه يمله من فهمه(١) .

وأسمع رجل عمر بن عبد العزيز بعض مايكره ، فقال : لاعليك ، إنما أردت أن يستفزنى الشيطان بعز السلطان ، فأنال منك اليوم ماتناله منى غدا ، انصرف إن شئت .

وقيل لقيس بن عاصم : بم سودك قومك ، قال : بكف الأذى عنهم ، وبذل الندى ، ونصر المولى .

ونظر رجل إلى معاوية بن أبى سفيان ، وهو غلام صغير ـ فقال : إنى أظن هذا الغلام يسود قومه ، فسمعته أمه هند ، فقالت : ثكلته إن لم يسد غير قومه .

ودخل(٢) ضمرة بن ضمرة على النعمان بن المنذر ، وكان قبيح المنظر ، فالتفت الناس إلى أصحابه ، وقال : تسمع بالمعيدى خير من أن تراه ، فقال : أيها الملك ؛ إنما المرء

---

(١) «قالت له إلى أن يفهمه من لم يفهمه يمله من فهمه» من [د ، س] ، والحكاية فى البيان والتبيين ـ جـ ١ ، ص١٠٤ ، مع وضع لفظة مكان لفظة .

(٢) وردت ـ مع إضافة ـ فى البيان والتبيين ـ جـ ١ـ ص ٢٣٧ والمثل الوارد عند الجاحظ هو : «تسمع بالمعيدى لا أن تراه» وعلق عليه بقوله : هكذا تقوله العرب ، ووردت الحكاية أيضا فى المصدر نفسه ص ١٧١ .

بأصغريه : قلبه ولسانه ، إن قال قال ببيان ، وإن صال صال بجنان ، قال : صدقت ، وبحق سودك قومك .

وقيل لعرابة الأوسى : بم سودك قومك ؟ قال : بأربع خصال . أنخدع لهم فى مالى ، وأذل لهم فى عرضى ، ولا أحقر صغيرهم ، ولا أحسد كبيرهم .

وجاء رجل إلى عمر بن الخطاب ﷺ فقال له : ما اسمك؟ قال : شهاب بن حرقة ، قال : ممن؟ قال : من أهل حرة النار ، قال : وأين مسكنك منها؟ قال : بذات لظى ، قال : أدرك أهلك فقد احترقوا ، فكان كما قال عمر ﷺ .

وكان[1] أشعب الطماع يختلف إلى قينة بالمدينة ، فلما أراد الخروج سألها أن تعطيه خاتم ذهب فى يدها ليذكرها به ، فقالت له : إنه ذهب وأخاف أن تذهب ، ولكن خذ هذا العود ، لعلك أن تعود ، وناولته عودا من الأرض .

وقال رجل لخالد بن صفوان : إنى أحبك ، قال : ومايمنعك من ذلك؟ ولست بجار لك ولا أخ ولا ابن عم ، يريد أن الحسد موكل بالأدنى فالأدنى .

ومر محمد بن سيرين بقوم ، فقام إليه رجل منهم ، فقال : أبا بكر ، إنا قد نلنا منك فحللنا ، فقال : إنى لا أحل ماحرم الله .

وكان رقبة بن مصقلة جالسا مع أصحابه ، فذكروا رجلا بشىء ، فطلع ذلك الرجل ، فقال له بعض أصحابه :ألا أخبره بما قلنا فيه ؛ لئلا يكون غيبة؟ قال : أخبره ؛ حتى يكون نميمة .

وقيل لبعض الحكماء : فلان يعيبك ، فقال : إنما يقرض الدرهم الوازن .

وصلى الأعمش[2] فى مسجد قوم فأطال بهم الإمام . فقال له الأعمش : ياهذا لاتطل صلاتنا ، فإنه يكون ذو الحاجة والكبير والضعيف ، قال الإمام : ﴿وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلاَّ عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾[3] قال الأعمش : أنا رسول رأس الخاشعين إليك ، إنهم لايحتاجون إلى هذا منك .

---

(١) انظر : العقد الفريد ـ جـ ٣ ص٣٢٩ ومابعدها ، ففيه حكايات كثيرة عن أشعب ، ووردت فى مواضع فى كتابنا هذا .

(٢) وردت فى العقد الفريد ـ جـ ١ ص١٧٧ ؛ وفى أخبار الحمقى والمغفلين . ص١٠٦ ـ ١٠٧ .

(٣) سورة البقرة ـ الآية ٤٥ .

ولقى جهم رجلا من اليونانيين ، فقال له : هل لك أن تكلمنى وأكلمك فمن أسرته الحجة رجع إلى قول صاحبه ، قال : نعم ، قال اليونانى : أخبرنى عن معبود ك ، أرأيته؟ قال : لا ، قال : أسمعته ؟ قال : لا ، قال : أفلمسته ؟ قال : لا ، قال : أفشممته[١]؟ قال : لا ، قال : فمن أين عرفته وأنت لم تدركه بحاسة من حواسك الخمس ؟ وإنما عقلك دائر عليها ، فلايدرك إلا ما أدت إليه من جميع المعلومات ، فتلجلج جهم ساعة ثم استدرك فعكس عليه مسألته ، فقال له : أتقر أن لك روحا ؟ قال : نعم ، قال : هل رأيت روحك أو سمعته أو لمسته أو شممته أو ذقته؟ قال : لا ، قال : وكيف علمت روحك؟ فأقر له اليونانى .

ورفع سارق إلى حاكم ، فأمر بضربه ، فقال : كم تضربنى؟ فقال له : بالحضرة تكون ، وعد لنفسك .

وقيل لأعرابى : ما لك من الولد؟ قال : قليل خبيث ، يريد لا أقل من واحد ، ولا أخبث من أنثى .

واشترى رجل[٢] غلاما ، فقال له البائع : فيه عيب ، قال : وماهو؟ قال : يبول فى الفراش ، قال : ليس هذا عندى عيبا ، إن وجد فراشا ، دعه يبول ويخرى .

وقال رجل لطفل : ابن كم أنت؟ قال : ابن رجل واحد ، قال : إنما سألتك عن عمرك ، فقال : فقل كم عمرك؟ فقال له كذلك ، قال : ثمانية أعوام ، قال : أحية أمك؟ قال : ماهى بحية ولا بعقرب ، ولكنها امرأة ، فقال : فكيف أقول؟ فقال له : قل : أفى الأحياء أمك ؟ فقال له كذلك ، فقال له : نعم .

ودخل رجل ببنت بكر ، فوجدها مسنة ، فعابها بكبر سنها[٣] ، فقالت له : لاتلم إلا نفسك ؛ إنك تركتنى حتى كبر سنى .

واشتكى طفل بآخر إلى مؤدب ، فقال له : إنه يشتمنى فى قلبه ، قال له المؤدب : حكه أنت تحتك .

(١) أخلت [د] بقوله : أفلمسته؟ قال : لا ، قال : أفشممته؟ قال : لا . وأخلت [س] بلفظة : أفشممته .

(٢) وردت فى البيان والتبيين ـ جـ ٤ ـ ص٩ . واللفظة الأخيرة من النادرة أخلت بها [د ، س] ، كما وردت فى العقد الفريد ـ جـ ٢ ص٨٦ .

(٣) «فعابها بكبر سنها» أخلت بها [س] .

ووقف[١] رجل على طباخ ، فأكل خبزه برائحة القدر ، فدعاه إلى الحاكم وعرفه بفعله ، فقال له الحاكم : اضرب بدرهم على رخامته ، يأخذ طنينه ورد إليك درهمك .

وخطر حاكم بالليل ، وهو يطوف بالمدينة ، على سارق ينقب دارا فقال له : ماهذا؟ قال : مات لنا ميت ، وأنا أحفر له من أين يخرج ، فقال له الحاكم : وأين أمارة الموت؟ البكاء والصراخ ؟ قال : آخر الليل تسمع النياح .

وقال رجل لأحمد بن أبى خالد ، وكان فظا غليظا ، : لقد أعطيت ما لم يعطه رسول الله ﷺ ، فقال : لئن لم تخرج مما قلته لأعاقبنك ، فقال : قال الله تعالى لرسول الله ﷺ : ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾[٢] وأنت فظ غليظ القلب[٣] ، ولا يبرحون من حولك .

وقال أعمى : ارحموا ذا زمانتين ، قيل : ومازمانتاك؟ قال : أعمى ، قبيح الصوت .

وسأل رجل رجلا فرده وشتمه ، فقال له السائل : تردنى وتشتمنى؟ قال : كرهت أن أردك غير مأجور .

وقال المتوكل لأبى العيناء : كنت أشتهى منادمتك ، لولا أنك ضرير البصر ، قال : إن أعفانى أمير المؤمنين من قراءة نقش النصوص ، ورؤية الأهلة ، فأنا أصلح للمنادمة .

وقيل لأبى العيناء : ما بقى فى زماننا هذا أحد ينبغى أن يلقى[٤] قال : إلا فى بئر .

وتزوج مغن نائحة ، فسمعها تقول : اللهم وسع علينا فى الرزق ، فقال : يافاعلة ، إنما الدنيا فرح وحزن ، وقد أخذنا بطرفى ذلك ، إن كان فرح دعونى ، وإن كان حزن دعوك ، فهل ثم ثالث ؟

واعتل ضرس لرجل ، ففتح فاه للطبيب ، فشم رائحة قبيحة ، فقال : ليس هذا من عملى[٥] ، ولكن من شغل الكنافين .

---

(١) هذه الحكاية وتاليتها لهما نظائر فى الأدب الإسبانى : انظر : «تأثيرات عربية فى حكايات إسبانية» ص٧٠ ـ ٧٤ للحكاية الأولى ، وص ٤٤ ـ ٤٨ ، للحكاية الثانية .

(٢) سورة آل عمران ـ الآية ١٥٩ .

(٣) «وأنت فظ غليظ القلب» أخلت بها [س] .

(٤) اختل ترتيب الأوراق فى [د] ، وتكرر لهذا نظائر ، ووردت الحكاية السابقة فى زهر الآداب ـ المجلد الأول ص٣٢٨ .

(٥) أخلت [د] بقوله : «ليس هذا من عملى» .

وقال رجل لطبيب ؛ خرج لى خراج فى أقبح موضع ، قال : كذبت ، هذا وجهك لست[١] أرى فيه شيئا .

وقال يونس بن محمد : مر بنا سكران ، فسلم علينا ، فلم نرد عليه سلاما ، وكنا جماعة ، فقعد يبول وسطنا ، فقلنا له : ما تصنع؟ فقال : ماظننت أن هنا أحدا .

ولما قتل الحسين بن على جعل رجل يسلب بنته حليها ويبكى ؟ فقالت له : مايبكيك ؟ قال : إنى أسلبك ، قالت : فدعه ، قال : يأخذه غيرى .

وقال أبو علقمة[٢] لحجام دعاه ليحجمه : اتق غسل المحاجم ، وشد قصب الملازم ، وليكن شرطك وخزا ، ومصك نهزا ، ولاتكره آيبا ، ولاتدعن آتيا ، فوضع الحجام محاجمه فى منديله ، وقال : ابعث إلى الأصمعى يحجمك .

ودخل[٣] أبو علقمة على طبيب ، فقال : إنى أجد فى بطنى غمغمة وقرقرة ، فقال له : أما الغمغمة فلا أعرفها ، وأما القرقرة فضراط لم ينضج .

وقال رجل لآخر : إن لطمتك لطمة بلغتك المدينة ، فقال : أحب أن تردفها بأخرى ، عسى الله أن يرزقنى حجة على يديك .

وقيل لأبى عبيد : أيما أفضل البصرة أم الكوفة؟ فقال : لو دلنى رجل على البصرة لوهبت له الكوفة مكافأة على فعله .

وكان بعض الملوك قد أمر أهل مملكته أن يجعلوا السعى والانتشار بالليل والسكون بالنهار ، فأخذ رجل بعد العصر ، فأتى به للملك ، فقال له : أما سمعت ندائى؟ قال : بلى ، ولكن كانت لى حاجة مؤكدة ، فأردت أن أبكر لها ، فضحك الملك ، وخلى سبيله .

وقيل لرجل صلى صلاة خفيفة : ماهذه الصلاة؟ فقال : صلاة ما فيها رياء ولاتصنع .

وقيل لبعضهم : هل يولد لابن تسعين ؟ قال : نعم ، إذا كان له جار ابن ثلاثين .

(١) فى النسخ [ليس أرى فيه شيئا] وعدلناها فى المتن .
(٢) وردت فى البيان والتبيين ـ جـ ١ ، ص٣٨٠ ، مع تغيير طفيف .
(٣) ورد فى العقد الفريد ـ جـ ١ص٢١١ .

وسمع رجل من الظرفاء رجلا يقول : كان أبى لايدخل الزقاق ـ إلا قام له الناس ، فقال : صدقت ، لأنه كان على ظهره حمل شوك .

وساق رجل قمحا إلى طحان ، فامتنع من طحنه ، فقال له : اطحنه وإلا دعوت عليك ، وعلى دوابك . فإنى مستجاب الدعوة ، فقال : فادع الله على قمحك ، يرجع لك دقيقا ، فهو أنفع لك ، وأسلم لدينك .

ومرت امرأة بأبى العيناء ، وهو جالس بباب داره ، فقالت له : أين درب الحلاوة ؟ فقال لها : فى سراويلك .

ودخل أبو العيناء على أبى الصقر ، فقال له : ما أخرك عنا ؟ فقال : سرق حمارى ، قال : وكيف سرق؟ قال : لم أكن مع اللصوص فأخبرك ، قال : فلم لم تأتنى على غيره ؟ قال : قعد بى عن الشراء قلة يسارى ، وكرهت ذل المكارى ، ومنة العوارى .

ووقف أبو العيناء يوما إلى صاعد بن مخلد ، فقيل له : هو مشغول يصلى ، فقال : لكل جديد لذة ، وكان صاعد قبل أن يلى الوزارة نصرانيا .

وقيل لأبى العيناء : ماتقول فى ابن مكرم والعباس بن رستم ، فقال : هما الخمر والميسر ، إثمهما أكبر من نفعهما .

وقال[1] أبو العيناء : ذكرت لبعض القيان فأحبتنى على السماع ، فلما رأتنى استقبحتنى ، فقلت :

وشاطـــرةٍ لمَّا رأتْنِى تنكـــرتْ وقالتْ : قبيح أحولٌ ، مالَهُ جِسْمُ
فإن تُنكرى منى احْوِلالاً ، فإننى أديبٌ أريبٌ ، لا عَيىٌّ ، ولافَدْمُ[2]

فقالت : إنى لم أردك أن أوليك على دير العراق .

وقال : محمد بن يزيد المهلبى : كنت يوما عند المنتصر ، والجماز حاضر ، فقال لى المنتصر : سله ، هل بقى فيه للنساء شىء ؟ فسألته قال : نعم ، أقود عليهن .

وقال الفتح للجماز : قد كلمت أمير المؤمنين يوليك على الكلاب والقرود . قال : أفلست سامعا مطيعا ، فضحك المتوكل ، وأمر له بعشرة آلاف درهم .

---

(١) أخلت [د] بورقتين . ولم يثبتا بعد ذلك كما هو فى الحال فى مواضع أخرى .
(٢) البيتان من الطويل . والحكاية واردة فى زهر الآداب ـ المجلد الأول ص ٢٠٠ .

وقال زكريا الينسابورى : قلت لأبى نواس : لم لا أرى فى بيتك مصحفا ؟ فقال : النور والظلام لايجتمعان .

وجاء شاعر إلى بشار بن برد ، فأنشده شعرا ضعيفا ، وقال له : كيف تراه ؟ فقال له : أحسنت ، إذ أخرجته من صدرك ، لو تركته لأورثك الفالج .

وتوعد بشار رجلا بالهجاء ، وكان ذلك الرجل زَوْلَقًا ، فقال له : إن هجوتنى صورتك على باب حمام ، وجعلت خلفك قردا ينكحك ، فقال بشار : اللهم اخزه ؛ أنا أمازحه ، وهو يأبى إلا الجد .

ودخل أبو دلامة مصر ، ثم انصرف منها إلى بغداد ، فلقى أبا نواس ، فقال له : كيف رأيت مصر؟ قال : رأيتها مقسمة على ثلاثة أقسام ، قال : وماهى؟ قال : ثلث كلاب ، وثلث دواب ، وثلث تراب ، قال : فأين الناس؟ قال : فى الثلث الأول منها .

وكان ابن شأنة شاعرا ماجنا ظريفا ، فجاءه يوما غلام ، فقال له : علمنى الزندقة ، فقال له : نعم ، ففعل به ، فقال له : ماهذا؟ فقال : هذا أول باب من الزندقة .

ومرت امرأة بقوم وفى رجلها خف مقطع ، فقال بعضهم : مابال خفك يضحك؟ فقالت له : كذا يفعل إذا يرى القرّانين .

ومرت امرأة بقوم ، وفى يدها طبق مغطى ، فقال لها بعضهم : أى شىء فى الطبق ؟ فقالت : فعلى أى شىء غطيناه ؟

وكان ببغداد طبيب ، وكان يصبغ لحيته ، فوقفت به امرأة ماجنة فقالت له : ما بال العانة لاتبيض كما تبيض اللحية؟ قال لها : لأن العانة قريبة من الاست ، فرائحة الخرا تمنعها أن تبيض ، قالت : فخذ من خراك كفا واجعله فى وجهك ، يمنع الشيب من لحيتك .

وقيل لأعرابى : أيسرك أن تكون أحمق؟ ولك مائة ألف درهم؟ قال : لا ، قيل : ولم ؟ قال : لأن حمقة واحدة تأتى على المائة ألف درهم ، وأبقى أحمق معدما .

وقام عبادة يوما إلى امرأته ، فلما قعد منها مقعد النكاح ، لم ينتشر ذكره ، فقالت له : قم ياخائب ، فقال لها : الخائب من فتح جرابه فلم يكتل .

وتزوج عبادة امرأة ، فأقامت عنده شهرا وولدت ، فقال لها : ماهذا؟ فقالت : أنت عجنت على خميرة غيرك .

وسألت أشعب صديقة له خاتما ، فقال لها : وماتصنعين به؟ قالت : أذكرك به ، قال : اذكرينى بأنك سألتنى ، فمنعتك .

وجلس صبى مع قوم يأكلون طعاما حارا ، فجعل الصبى يبكى ، فقالوا : مايبكيك ؟ قال : الطعام حار ، قالوا له : فاصبر حتى يبرد ، قال : أنتم لاتصبرون .

وخرج غلام من منزله فى يوم مطر شديد ، فقالت له أمه : يابنى ، هذا المطر كله على رأسك ، قال : لا ، يا أمى ، أكثره على الأرض ، ولو كان أكثره على رأسى ماعشت .

ونظر بعض الحكماء إلى غلام ومعه سراج ، فقال له : من أين يجئ ضوء السراج ؟ فقال له الغلام : إن أخبرتنى أين يذهب إذا طفئ ، أخبرتك من أين يجئ .

ومر عمر بن الخطاب ﷺ ، بصبيان يلعبون ، وفيهم عبد الله بن الزبير ، فهرب الصبيان ، وبقى عبد الله واقفا ، فقال له عمر :لم لاتفر مع أصحابك؟ قال : لم يكن على جرم فأفر ، ولا الطريق ضيق فأوسعه لك .

وأقبل المعتصم إلى خاقان يعوده من علة أصابته ، والفتح يومئذ صبى ، فقال له المعتصم : أيما أملح دار أمير المؤمنين أو دار أبيك؟ قال : دار أبى إذا كان فيها أمير المؤمنين .

وكان فى يد المعتصم خاتم بفص ، فقال له : رأيت يافتح أحسن من هذا الفص ؟ قال : نعم يا أمير المؤمنين ، اليد التى الخاتم فيها .

وحكى محمد بن العباس قال : حدثنى الفضل قال : عاتبت أم جعفر الرشيد فى وصيته للمأمون ، وتركها ابنها محمدا ، فدعا بعض خدامها بحضرتها ، وقال له : وجه إلى محمد وعبد الله خادمين خصيين يقولان لكل واحد منهما : ما يفعل معه ، إذا أفضت الخلافة إليه؟ ففعلا ، فأما محمد فإنه قال : أعطيك أموالا ، وأما عبد الله فإنه رمى الخادم بدواة ، كانت بين يديه ، وقال : يا ابن اللخناء ، أتسألنى ما أفعل معك يوم موت أمير المؤمنين ، وخليفة رب العالمين؟ إنى لأرجو أن أكون أنا وأنت فداء له ، فرجعا بالخبر ، فقال الرشيد لأم جعفر : ما أرى تقديم ابنك إلا ظلما .

وقال بعضهم : رأيت أعرابيا فى طريق مكة يسأل ، ولم يعط شيئا ومعه صبى صغير ، فلما طال عليه الأمر قال : ما أراك إلا محروما ، قال الصبى : يا أبت ، المحروم من سألته فبخل ، ولم يعط ، فعجب الناس منه ، ووهب له شىء كثير .

وجاء[1] رجل إلى حمزة بن نصير فقال : أصلحك الله ، إن أخى مات ، وما عندى مانكفنه ، قال : والله ما حضر لى اليوم شىء ، ولكن تفتقدنى بعد هذا اليوم ، قال : فعسى أن تأمر لى بدرهم آخذ به ملحا ، قال : وما تصنع به؟ قال : أملحه لئلا ينتن حتى يتيسر الكفن[2] إن شاء الله .

وتكلم عبد الله بن الزبير مع امرأة ، فقال لها فى بعض كلامه : أخرجى المال من تحت استك ، فقالت لمن حضر : سألتكم بالله ، هذا كلام الخلفاء؟ قالوا : لا ، فقالت لابن الزبير : كيف ترى هذا الخلع الخفى ؟

ومر شبيب بن زيد رئيس الخوارج ، بغلام فى الفرات . فقال له : اخرج ياغلام أسائلك . وكان أراد قتله ، فقال له الغلام : أمِّنىٍّ حتى ألبس ثيابى ، فأمنه : فقال : والله ، لا ألبسها اليوم ، قال شبيب : خدعتنى ، وانصرف عنه .

وحكى بعض البصريين أن عمر بن أسد صاحب السند قال : غزوت بعض بلاد السند ، فوجدت شيخا كبيرا ، ومعه غلام ، فسألته عن الناس ، فقال : إن أردت أن أدلك عليهم ، فاقتل هذا الغلام ؛ لئلا يخبر بأمرى ، فأمرت بضرب عنقه ، ثم سألت الشيخ فقال : لو كانوا تحت قدمى مارفعتها عنهم ، وإنما خفت أن تسأل الغلام فيدلك عليهم ، قال : فقتل الشيخ ولم يخبر .

وقال بعضهم : ورد الخبر على المنصور بخروج محمد بن عبد الله وأخيه إبراهيم ، وهو يريد المدينة ، فنظر إلى شجرة صغيرة يقال لها الخلاف ، فقال للربيع : ما اسم هذه الشجرة ؟ فقال : اجتماع يا أمير المؤمنين ، فعلم أنها خلاف ، وأعجبه قول الربيع .

ونظر المأمون إلى جارية له ، وبيدها سواك ، فقال لها : كيف تجمعين مسواكا ؟ قالت : محاسنك يا أمير المؤمنين ، فاستحسن ذلك منها .

---

(١) وردت فى البيان والتبيين ـ جـ ٤ ـ ص١١ ، وحكاية الحدائق أكثر ملحا .

(٢) ورد شبيه لهذه الحكاية من قبل ، مع عمر بن الخطاب والرجل الفارسى .

وأتى الحجاج بالغضبان بن القبعثرى ، وبيد الحجاج لقمة ، فقال : والله لا أكلتها حتى أقتلك ، قال الغضبان :وخير من ذلك ـ أصلحك الله أيها الأمير[١] ، تطعمنيها ، ولاتقتلنى ، فتكون قد بررت فى يمينك ، ومننت على ، فقال الحجاج : ادن منى ، فدنا منه ، فأطعمه إياها ، وخلى سبيله .

ويروى أن الحجاج مر فى طريق المدينة ، بأعرابى ، فقال له الأعرابى : ما وراءك أيها الركب ؟ قال : خير قوم الحجاج ، فقال الأعرابى : ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾[٢] دمره الله وأهلكه ، قال : ولم؟ قال : يخربها كما أخرب مكة عليه لعنة الله ، فنزع الحجاج عمامته عن رأسه ، وقال : أنا الحجاج ، فقال الأعرابى : وأنا ميمون غلام كرعان ، أصرع فى اليوم ثلاث مرات ، فضحك الحجاج ومضى وتركه .

وكان مزيد يداخل بعض ولاة المدينة ، وكان لطيف المحل عنده ، فأبطأ عنه يوما ، فلما جاء ، قال له : ما الذى أبطاك عنى ؟ قال : جارة لى كنت أهواها منذ زمان ، فظفرت بها البارحة ، وتمكنت منها ، فهذا الذى حبسنى ، فغضب الوالى وقال : والله لآخذنك باقرارك فلما عزم عليه قال : فاسمع منى تمام حديثى . قال : وما هو : قال : فلما أصبحت خرجت لطلب معبر ، يعبر لى رؤياى ، فلم أجده ، فهذا الذى أبطأنى عنك ، قال : فى المنام ـ ويلك ـ رأيت هذا ؟ قال : نعم ، فسكن غضبه .

وحكى رجل عن شريك قال : رأيت أبا حنيفة وعنده حجام ، يأخذ من شعره ، فقال أبو حنيفة[٣] : خذ البياض من شعرى ، فقال له الحجام : إذن يكثر ، فقال أبو حنيفة : فخذ السواد لعله يكثر ، فضحك شريك ، وقال : لو ترك أبو حنيفة قياسه فى موضع ، لتركه مع الحجام .

وجاء قوم إلى أبى حنيفة ، فقالوا : ماتقول فى رجل وجد معه طنبور ، هل يجب عليه تأديب ؟ قال : لا ، قالوا : ولم وقد وجد معه آلة الفسوق ، قال : فكل واحد منكم معه آلة الزنا ، فهل يجب عليكم حد ؟ فانقطعوا .

---

(١) فى النسخ : يا أمير المؤمنين ، وعدلناها فى المتن .

(٢) سورة البقرة ـ الآية : ١٥٦ ، ووردت النادرة فى وفيات الأعيان جـ٢ ص٣٩ .

(٣) «فقال أبو حنيفة : خذ البياض من شعرى ، فقال له الحجام : إذن يكثر» زيادة ضرورية فى [س] ، ووردت فى وفيات الأعيان جـ ٥ ص٤٠٩ .

وجاء رجل فوضع بين يديه عسل فيه نبيذ ، على باب المسجد بالكوفة ، وجعل ينادى . من يشترى منى كذا وكذا رطلا بدرهم ، وكان أبو حنيفة قد أحل النبيذ ، فلما سمع أبو حنيفة قوله ، قال : ياهذا ، إنك فعلت قبيحا ، قال : أنت أحللته . قال : صدقت ، ومن الحلال أن . . . أبوك أمك فى وسط السوق ، ولكن يكون قبيحا .

ودخل معن بن زائدة على المنصور ، فقارب فى خطوه ، فقال له المنصور : كبرت يامعن ، قال : فى طاعتك يا أمير المومنين ، قال :(١) وإن فيك لجلدا قال : على أعدائك يا أمير المؤمنين ، قال : وإن فيك لبقية ، قال : هى لك يا أمير المؤمنين .

ورأى المنصور بعض أولاد الأشتر ، فهم بقتله ، فقال : يا أمير المؤمنين ذنبى أعظم من نقمتك ، وعفوك أوسع من ذنبى ، فإن لم أكن للعفو لسوء ما أتيته أهلا ، فأنت له أهل ، فاستحسن قوله ، وعفا عنه .

وأسر يوم الجمل رجل ، فأتى به على بن أبى طالب ﷺ ، فقال له : ويلك ، وأنت ممن ألب علينا ، فقال الأشتر : دعنى أضرب عنقه ، فقال الرجل : يا أمير المؤمنين ، لأن تلقى الله ، وقد عفوت عنى خير من أن تلقاه ، وقد شفيت غيظك ، قال : اذهب حيث شئت .

وأتى الحجاج برجل من الخوارج ، فأمر بضرب عنقه ، فقال له : أخرنى يوما ، قال : ماتريد بذلك ؟ قال : أؤمل فيه عفو الأمير ، مع ماتجرى به المقادير فتركه .

وأتى(٢) عبد الملك بن مروان بأسير ، فدعا بالسيف والنطع ، فوافق ذلك دخول صغار بنى عبد الملك باكيا ، قد ضربه المؤدب ، فانزعج(٣) لذلك عبد الملك ، وأرادوا تسكينه ، فقال الأسير : دعوا الغلام يبكى ؛ فهو أوضح لحجته ، وأصح لبصره ما لم يطل ، فقال عبد الملك : أما شغلك ما أنت فيه عن هذا القول ؟ قال : ماينبغى أن يشغل المؤمن عن النصيحة شىء إلا أن يعوق عائق ، قال : خلوا سبيله .

---

(١) «وإن فيك لجلدا ، قال على أعدائك يا أمير المؤمنين» زيادة فى [س] ووردت فى زهر الآداب ـ المجلد الثانى ص٩١١ .
(٢) وردت فى البيان والتبيين ـ جـ ١ ص٢٥٩ .
(٣) «فتوجع لذلك عبد الملك» رواية [س] .

وجاز[١] المنصور يوما ، والفرج بن فضالة جالس على باب الذهب ، فقام الناس جميعا ، ولم يقم الفرج ، فاستشاط المنصور غضبا ، ودعا به ، وقال : مامنعك من القيام؟ قال : خفت أن يسألنى الله تعالى : لم فعلت؟ ، ويسألك : لم رضيت؟ وقد كره رسول الله ﷺ ـ ذلك فسكن غضبه ، وقربه ، وقضى حاجته .

وبلغ هشام بن عبد الملك عن رجل فيه شيء قبيح ، فأحضره ، فتكلم بحجته ، فقال له هشام : وتتكلم أيضا؟ فقال يا أمير المومنين ، يقول الله عز وجل : ﴿يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَنْ نَفْسِهَا﴾[٢] فنجادل الله جدالا ، ولا نتكلم إليك كلاما ؟ فقال هشام : تكلم بما شئت .

وعربد غلام هاشمى ، فشكوه إلى عمه ، فأراد عمه أن يوقع به الحد ، فقال : ياعم : إنى أسات ، وليس معى عقلى ، فلا تسئ إلى ومعك عقلك ، فصفح عنه .

وجلس موسى بن عبد الملك للمظالم ، فدخل عليه أهل شهرين ، وفيهم سهل بن عاصم ، فتظلموا إليه من عاملهم ، وسهل ساكت ، فقال لهم موسى إن قال سهل كما قلتم صرفته عنكم ، ثم قال : ماتقول ياسهل : قال : أقول : أعزك الله ، إنه لم يظلمنا ، ولكن الله أمر فينا وفى أمثالنا بالعدل والإحسان ، فعدل فينا ، ولم يحسن ، ولن تصلح أحوالنا إلا بالإحسان ، فقال موسى : قد صرفته عنكم ، ووليتك عليهم فاعدل وأحسن .

وأقبل بعض السلاطين ، فقام إليه رجل ، فقال له : لم قمت؟ فقال : لأقعد ، فولاه عملا ، واتخذه لنفسه .

وقيل لأعرابى : مافعل بنوك؟ قال : أكلهم دهر لايشبع ، يعنى ماتوا .

وقيل لأحد الزهاد : لم تحب الدراهم ، وهى تدنيك فى الدنيا؟ قال : هى وإن أدنتنى من الدنيا ، فقد صانتنى عنها .

وكان فى بنى الجراح فتى خليع ماجن ، فأراد العبث بأبى العيناء فنهاه نصاحه ، فأبى ، فقالوا له : شأنك به ، فقال له : يا أبا العيناء ، متى أسلمت؟ قال : حين كفر أهلوك ، وأبوك الذين لم يؤدبوك ، قال له الفتى : إذن علمت أنك ما أسلمت ، فقال أبو

(١) وردت فى العقد الفريد ـ جـ ١ ص١٢٣ ، ومنسوبة إلى المأمون .

(٢) سورة النحل ـ الآية ١١١ .

العيناء : شهادتك لأهلك دعوى ، وشهادتى عليهم بلوى ، وستعلم أى السلاطين أقوى ، وأى الشياطين أغوى ، وسيعلم أهلك ماخبأ عليهم جهلك .

وقال ابن مكرم : ما أحد أعقل من مغنية ، تأكل وتشرب وتتلذذ وتأخذ دراهم ، فقال له أبو العيناء : فكيف عقل الوالدة ، حفظها الله .

وقال له يوما آخر : تصوم فى هذا الشهر ، وكان شهر رمضان .

فقال له أبو العيناء : وتدعنى امرأتك تصوم ؟

وقال له آخر ، إثر مزاح كان بينهما : الساعة والله آمر غلامى أن يصفعك ، فقال له أبو العيناء : أى غلام الذى يركبك إذا نزلت ، أم الذى يخلفك فى العيال إذا ركبت ؟

وأقبل رجل إلى الأعمش ، فقال : يا أبا محمد ، إنى أكتريت حمارا بنصف درهم ، وجئتك لتحدثنى ، قال : اكتره بالنصف الثانى ، وارجع ؛ فما أريد أن أحدثك .

وكان عقال بن سليمان يروى الحديث ، فقال له بعض من حضر : إن رأيت أن ترفع صوتك؟ فإن بسمعى ثقلا ، فقال له : الثقل فى كل شىء منك ، ليس فى سمعك .

وقال رجل لابن عمران المختار بن عبيد الله يزعم أنه يوحى إليه قال : صدق ، يقول الله عز وجل : ﴿وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ﴾[1] .

وقال رجل ليونس بن حبيب : مابالى إذا تذاكرتم الحديث نعست . قال : لأنك حمار فى مسلخ إنسان .

وكان[2] للمغيرة بن عبد الله الثقفى ، وهو والى الكوفة جدى كل يوم يوضع على مائدته ، فحضر يوما أعرابى ، فمد يده إلى الجدى ، وأسرع فيه ، فقال له المغيرة : إنك تأكله أكل حنق عليه كأن أباه نطحك ، فقال له الأعرابى : وأنت تشفق عليه كأن أمه أرضعتك .

وقال معاوية لعبد الله بن عباس : لى عندك حاجة ، أفتقضيها فقال له ابن عباس : ولى عندك حاجة يا أمير المؤمنين أفتقضيها لى؟ فقال له : نعم ، فقال له ابن عباس : سل

(١) سورة الأنعام ـ الآية ١٢١ .
(٢) وردت فى العقد الفريد ـ جـ ٢ ـ ص١٠٤ .

حاجتك يا أمير المؤمنين ، قال : أريد أن تهب لى دورك وضياعك التى بالطائف ، قال : قد فعلت ، فقال له معاوية : قد وصلت الرحم ، فسل حاجتك ، قال : حاجتى إليك أن تردها إلى ، قال معاوية : قد فعلت .

وقال[١] رجل لثمامة بن أشرس : لى إليك حاجة ، قال : وأنا لى إليك حاجة أفتقضيها؟ قال : نعم ، قال : فإن حاجتى إليك ألا تسألنى حاجة .

وكان[٢] أشعب يختلف إلى قينة يعلمها ، فطلبت منه درهما ، فانقطع عنها ، فعملت له دواء ، ولقيته به ، فقال لها : ماهذا؟ فقالت له : دواء عملته لك تشربه لهذا الفزع الذى بك ، قال : اشربيه أنت للطمع ، فلو انقطع طمعك ، لانقطع فزعى .

ورمى المتوكل عصفورا بالبندق ، فلم يصبه ، فقال ابن حمدون : أحسنت يا أمير المؤمنين ، فقال المتوكل : أتهزأ بى ، كيف أحسنت؟ قال : إلى العصفور الذى تركته .

ونظر أعرابى إلى درهم فى يد رجل ، فأدام النظر إليه ، فقال له الرجل : لو كان لك ماكنت تصنع ؟ قال : كنت أنظر إليه نظرة ، ثم يكون آخر عهده بالشمس .

وحكى بعضهم قال : وقف خالد بن صفوان بباب سليمان بن على ، فاتقى بغلة كانت بالموضع واقفة ، فقيل له : إنها ماركضت أحدا قط ، فقال : أخاف أن أكون أنا المستثنى ، فيقال : غير خالد .

وجاء رجل إلى أبى ضمضم القاضى ، يستعدى على رجل فى دابة ، اشتراها منه ، وبها عيب ، فقال أبو ضمضم : وماعيبها ؟ قال : فى أصل أذنها شىء مثل الرمانة ، وفى ظهرها شىء مثل التفاحة ، وفى عجيزتها شىء مثل الجوزة ، وفى بطنها شىء مثل اللوزة ، فقال القاضى : مرَّ عنا يابارد ؛ هذا من صفات بستان ، لاعيب دابة .

وهبت ريح شديدة ، فقال الناس : قد قامت القيامة ، فقال زائدة المخنث : قيامه بلا خروج دابه ، ولاخروج دجال ، هذا مما لايكون .

وكتب سليمان بن عبد الملك إلى عامله بالمدينة ، أن احص المخنثين ، واخصهم ، فخصاهم ، وكان فيهم دلال المخنث ، فمر بهم رجل ، فقال له : ماهذا؟ فقال : الختان الثانى ، فالآن تم التخنيث .

(١) وردت فى المصدر السابق ـ جـ ٢ ـ ص١٠٦ ، ١٠٧ . والنادرة التى قبلها قريب من قريب .
(٢) وردت فى العقد تافريد ـ جـ ٣ ـ ص ١٨٣ .

ولما صلب ابن برحان اللص ، جاز عليه خبيب بن ثابت فنظر إليه ودعا له ، فقيل له : لم تدعو له . وهو برحان اللص؟ قال : فلمن أدعو ، أللحسن وابن سيرين ؟

وأتت امرأة إلى بلال بن بردة من ولد أبى موسى الأشعرى فى أمر اتفق بينها وبين زوجها ، فأوجب الحاكم أن يفرق بينهما ، فقالت له المرأة ، يابنى موسى ، ماخلقكم الله إلا للتفريق بين الناس .

وحج سليمان بن الأعمش ، ومعه جماعة ، فطالبهم الجمال بشىء ، فأخذوا فى ضربه ، فقيل لسليمان بن الأعمش ، وكان فى يده عصا : يا أبا محمد ، ألست حاجا؟ قال : بلى ، ولكن من تمام مناسك الحج ضرب الجمال .

وقال الهيثم بن عدى : قعدت عند ابن عباس رضي الله عنه ، فجاءت هدية من مكة فيها ثياب من عمل أهل اليمن ، وآخر من مصر فقلت : ألست تروى عن رسول الله ﷺ أنه قال : من جاءته هدية ، وعنده قوم جلوس ، فهم شركاؤه فيها ، قال : يا ابن أخى إنما ذلك فى التمر والسويق ، وما أشبههما ، وأما فى الثياب العدنية ، فلا .

ولما حج المأمون اعترضه رجل فى الطريق ، فقال : يا أمير المؤمنين ، أنا رجل أريد الحج ، قال له : الطريق أمامك ، قال : وليس لى نفقة ، قال : قد سقط عنك الفرض . قال : إنى جئت مستمنحا لا مستفتيا ، فأمر له بجائزة ، وضحك .

وقال أبو على البصرى لأبى العيناء : إنى ولدت قبل طلوع الشمس بيسير ، قال : فلذلك كنت سائلا ؛ لأنه وقت انتشار الشمس .

ووقع حرب فى بعض الثغور ، فخرج رجل بقوس بلا نشاب ، فقيل له فى ذلك ، فقال : نأخذ النشاب مما يجيئنا من العدو ، قيل له : فإن لم يجئ ، قال : لا يكون بيننا وبينهم قتال .

وتغدى أبو الحارث عند رجل ، فقدمت دجاجة ، فقال لغلامه : إنما كان ينبغى أن تقدمها فى أول الطعام ، ارفعها ، فلما كان فى اليوم الثانى أتى بها فى وسط الطعام ، فقال : ألم أقل لك : إنما يبدأ بها فى أول الطعام[1] ، فقال له أبو الحارث : دجاجتك هذه ميتة أطول عمرا منها حية .

(١) أخلت [س] بقوله : فلما كان فى اليوم الثانى ــ إلى قوله : أول الطعام .

وكان بعضهم يقدم على مائدته خبز درمك مقدار ما يأكله وحده ، ويطعم جليسه خبزا أحمر ، وكانت هذه عادته مع من يواكله ، فحضر مائدته يوما إنسان لم يحضرها قبل ذلك ، فلما وضع الدرمك بين يديه ، مد الرجل يده ، وأخذ منه ، فقال له صاحب الموضع : ماهذا؟ قال : اشتهيت أن آكل خبزى بهذا الخبز ، فخجل رب الدار ، وعلم قبح فعله .

وسرق لرجل بخيل عشرة آلاف درهم ، فأظهر الجزع عليها ، فقال بعض الناس : من أين كنت[١] اكتسبتها ؟ قال : كنت أجمع الدرهم إلى الدرهم منذ ثلاثين سنة . قال : فهل كنت تحدث نفسك أن تفعل بها شيئا من أبواب البر؟ قال : لا ، قال : فهل كنت تؤمل أن تمتع بها نفسك ؟ قال : لا ، وإنما كنت أجعلها فى جراب تحت رأسى ، أستلذ بها ، قال : فاجعل تحت رأسك حجرا عوضا منها .

وكان بعضهم يتعاهد وقت طعام رياح الجوهرى ، ولايحظئ وقته عند الزوال ، وربما دخل وهم يأكلون ، أو حين تجعل المائدة ، فيقول : لعن الله القدرية ، من كان يستطيع أن يصرفنى عن هذا الطعام وقد كان فى اللوح المحفوظ أنى لابد أن[٢] آكله ؟ فلما أكثر من ذلك قال له رياح : تعال أنت فى غير هذا الوقت ، فإن وجدت ما تأكله ، فالعن القدرية وآباءهم .

وكان الواثق شديد المحبة للباذنجان ، وكان يعمل له كل يوم ألوان كثيرة ، فيأكل منها كل يوم ثلاثمائة باذنجانة ، فوجه إليه المعتصم يقول له : يابنى : هل رأيت خليفة أعمى قط؟ قال للرسول : أبلغ أمير المؤمنين ، أنى قد تصدقت ببصرى على الباذنجان .

وجاء[٣] بعض الثقلاء إلى بعض الظرفاء ، فقال له : بلغنا عنك أن لك أربعة آلاف كلمة من الجواب المسكت ، وأحب أن تعلمنى بعضها ، قال : سل عما بدالك حتى أعلمك ، قال : إن قال لك أحد : اسكت ياثقيل . قال : قل له : صدقت ، فخجل الرجل وانصرف .

وجلس ثقيل إلى جانب ظريف ثم قال : لعلك استثقلتنى ؟ قال : يعلم الله إنى استثقلتك وأنت فى بيتك ، فكيف وأنت بجانبى ؟

(١) "كنت" زيادة من [د] .
(٢) "أن" زيادة من [د] .
(٣) حكايات كثيرة عن الثقلاء فى العقد الفريد ـ جـ ١ ـ ص ١٥٨ وما بعدها . والحكاية التالية لهذه منسوبة للأعمش مع أبى حنيفة ـ وفيات الأعيان جـ ٢ ص ٤٠٢ .

ورفع رجل إلى الفضل بن يحيى رقعة بيضاء ، ليس فيها شيء ، فقال له الفضل : ياهذا ، ليس فى رقعتك شيء مكتوب ، فقال له : ياسيدى اكتب فيها أنت مايليق بفضلك ، فكتب فيها أن يعطى مالا جزيلا .

وسأل أبو العيناء أحمد بن صالح حاجة ، فواعده بها ، فلما طالبه بالاقتضاء[1]، قال أحمد : ماترى هذا الطين والمطر؟ قال أبو العيناء : فحاجتى إذن صيفية ، فضحك ، وقضى حاجته .

وعوتب بعضهم على مايتعاطاه من الحمق ، فقال : حمق يعولنى خير من عقل أعوله .

ونظر الحسن يوما إلى رجل عليه بردة حسنة ، وحالة جميلة ، فقال : من هذا؟ فقيل له : ضراط ، فقال الحسن : ما طلب أحد الدنيا بما تستحق إلا هذا .

واشترى رجل ثلاثة أرطال لحما ، وقال لامرأته : اطبخيه ، وخرج إلى شغله ، فطبخته المرأة ، وأكلته ، فلما جاء زوجها ، قال : هات ماطبخت ، فقالت له : أكله السنور ، فأخذ الرجل السنور ووزنه ، فإذا فيه ثلاثة أرطال . فقال لها : هذا وزن السنور ، فأين اللحم ، أو هذا وزن اللحم ، فأين السنور؟

وكان السمك فى زمن كسرى عزيزا ، فجاء صياد بسمكة فيها ثمانية أرطال ، فأمر له بأربعة آلاف درهم ، فقالت له جارية : تعطى فى ثمانية أرطال من سمك أربعة آلاف درهم؟ قال : فرديه ، فأمرت برده ثم قالت له : سمكتك هذه ذكر هى أم أنثى ، طمعا فى أن يقول : ذكر فتقول : أنثى نريد ، أو يقول : أنثى ، فتقول : ذكرا نريد ، ففطن الصياد ، فقال لها : هى خنثى ، لاذكر ولا أنثى ، فقال كسرى : زيدوه أربعة آلاف درهم أخرى ، فقبض الصياد المال وانصرف ، فسقط له درهم ، فأكب عليه وأخذه ، فقالت له الجارية : انظر خساسته وسوء أدبه ، أعطيته ثمانية آلاف درهم ، وأكب بحضرتك لأخذ درهم ، فأمر كسرى برده ، فقال : لم أسأت الأدب؟ قال : كان على الدرهم صورة الملك ، فأجللته أن يقع على الأرض ، فقال كسرى : أعطوه أربعة آلاف درهم ، ثم قال : هذا مايجرى من النساء .

---

(١) فى [د ، س] هكذا ، وفى [ح] بالاستقضاء .

وكان رجل قاعدا فى مجلس وليمة ، فكل من دخل وسعوا له ، فضاق الرجل ، فقام يخرج ، فقيل له : إلى أين ؟ قال : أخرج وأدخل عساكم أن توسعوا لى .

وقيل لأعرابى : لمن هذه الإبل : قال : لله وهى فى يدى .

وخاطب أعرابى عبد الله بن جعفر ، فقال فى مخاطبته : يا أبا الفضل ، فقيل له : ليس هذا كنيته ، فقال : إن لم تكن كنيته فهى صفته .

وقعد أبو الحارث إلى قينة بالمدينة صدر نهاره ، فجعلت تحدثه ولاتذكر الطعام ، فلما طال ذلك به ، قال : مالى لا أسمع للغداء ذكرا؟ قالت : سبحان الله ، ماتستحى ، أما فى وجهى مايشغلك عن هذا؟ قال لها : جعلت فداك ، لو أن جميلا وبثينة قعدا ساعة لا يأكلان فيها لبصق كل واحد منهما فى وجه صاحبه ، ثم افترقا .

وحضر أبو نواس مجلسا فيه قيان ، فقلن له : أبا نواس ، ليتنا بناتك ، قال : نعم ونحن على دين المجوسية ، وذلك لأن المجوس ينكحون بناتهم .

ونظر عمران بن حطان إلى امرأته ، وكانت من أحسن النساء ، وكان هو من أقبح الرجال ، فقال : إنى وإياك فى الجنة إن شاء الله ، قالت : وكيف ذلك؟ قال : لأننى أعطيت مثلك فشكرت ، وابتليت بمثلى فصبرت .

وجاء أعرابى إلى ابن الزبير ، فقال : أعطنى وأقاتل عنك أهل الشام ، قال : اذهب فقاتل ، فإن أغنيت أعطيتك ، قال : أراك جعلت روحى نقدا ، ودراهمك نسيئة .

وقيل لأشعب : ما أحسن الغناء؟ قال : نشيش المقلاة ، قيل : فما أطيب الزمان؟ قال : إذا كان عندك ماتنفق .

وكتب عامل عمان إلى عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه ، إنا أتينا بساحرة ، فألقيناها فى الماء فطفت على الماء ، فكتب له عمر : لسنا من الماء فى شىء ، إن قامت عليها بينة ، وإلا خل عنها .

وقال الأصمعى : سأل على بن أبى طالب ابنه الحسين رضى الله عنهما : كم بين الإيمان واليقين؟ قال : أربع أصابع ، قال : وكيف ذلك؟ قال : الإيمان كل ماسمعته أذناك ، وصدقه قلبك ، واليقين مارأته عيناك فصدق به قلبك ، وليس بين الأذن والعين إلا أربع أصابع .

وقال الحسن[١] لفرقد السبخى : بلغنى أنك لا تأكل الفالوذج ، قال : يا أبا سعيد ، أخاف ألا أؤدى شكره ، قال : يالكع ، هل يؤدى شكر الماء البارد فى الصيف والحار فى الشتاء أحد؟ أما سمعت الله يقول :ـ﴿كُلُوا مِنْ الطَّيِّبَاتِ﴾[٢]و﴿كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾[٣] .

وسمع الحسن[٤] رجلا يعيب الفالوذج ، فقال : لعاب النحل ، بلباب البر ، بخالص السمن ، ما عاب هذا مسلم .

وقيل لبقراط : مالك تقل الأكل جدا؟ قال : إنى إنما آكل لأحيا ، وغيرى يحيا ليأكل .

ودعا عبد الملك بن مروان رجلا إلى الغداء ، فقال : مابى فضل يا أمير المؤمنين ، قال : لا خير فى رجل يأكل حتى لايكون فيه فضل .

وقيل للأحنف بن قيس : أى الشراب أطيب؟ قال : الخمر ، قيل له : وكيف عرفت ذلك وانت لم تشربها ؟ قال : إنى رأيت من حلت له لايتعداها[٥] ومن حرمت عليه إنما يدور حولها .

وقال قيصر لقس بن ساعدة : أى الأشربة أفضل عاقبة[٦] فى البدن فقال : ماصفا فى العين ، واشتد على اللسان ، وطابت رائحته فى الأنف من شراب الكرم ، قال : فما تقول فى مطبوخه؟ قال : مرعى ولا كالسعدان ، قال : فما تقول فى نبيذ الزبيب؟ قال : ميت أحيى فيه بعض المتعة ولا يكاد يحيى من مات مرة .

وقيل لأعرابى : مالك لاتشرب الخمر؟ قال : لا أشرب مايشرب عقلى .

وقيل لعثمان بن عفان ﷺ : مامنعك من شرب الخمر فى الجاهلية ولاحرج عليك فيها؟ قال : إنى رأيتها تذهب العقل جملة ، وما رأيت شيئا يذهب جملة ويعود جملة .

---

(١) وردت فى العقد الفريد ــ جـ ٣ ــ ص ٢٧٣ .
(٢) سورة المؤمنون ــ الآية ٥١ .
(٣) سورة البقرة الآية ٥٧ ، ١٧٢ . والأعراف ــ الآية ١٦٠ .
(٤) وردت فى العقد الفريد ــ جـ ٣ ــ ص ٢٧٣ ، وفى البيان والتبيين ــ جـ ١ ــ ص ١٨ .
(٥) "لا يتعداها" رواية [س] .
(٦) فى المتن "عاقبته" وعدلناها .

ودخل عمر بن الخطاب رضي الله عنه على قوم ، وهم يشربون ويوقدون فى الأخصاص ، فقال : نهيتكم عن معاقرة الشراب ، وعن الوقد فى الأخصاص فأوقدتم ، وهم بتأديبهم ، فقالوا : مهلا يا أمير المؤمنين ، نهاك الله عن التجسس فتجسست ، ونهاك عن الدخول بغير إذن ، فدخلت ، فقال : هاتان بهاتين وانصرف ، وهو يقول : كل الناس أفقه منك ياعمر .

وكان بالمدينة أعمى ، فأتى يوما عينا يغتسل بها ، فدخل بثيابه ، فقيل له : بللت ثيابك ، فقال : لأن تبتل على خير من أن تجف على غيرى .

وحكى الهيثم بن عدى قال : بينما أنا بكناسة الكوفة ، إذا برجل مكفوف ، قد وقف إلى نخاس الدواب ، فقال له : بعنى حمارا ، ليس بالقصير ، ولا بالكبير ، إذا خلا الطريق تدفق ، وإذا كثر الزحام ترفق ، إن أقللت علفه صبر ، وإن أكثرته شكر ، إن ركبته هام ، وإن ركبه غيرى نام ، فقال له النخاس : يا أبا عبد الله ، اصبر ، فإن مسخ الله القاضى حمارا ، أصبت حاجتك إن شاء الله تعالى .

الباب الثالث

فى أبيات شعر وقعت جوابا ، واستعملت خطابا .

اجتمع ناس من الشعراء ، وأتوا منزل عدى بن الرقاع ، وصاحوا به . فخرجت بنت له صغيرة ، فقالت : ما تريدون؟ قالوا : نريد أباك ، نهجوه ، ونفضحه ، فقالت :

تَجَمَّعْتُمُ منْ كلِّ أوْبٍ ، ووجهةٍ   على واحدٍ ، لازِلتمُ قِرْنَ واحدِ[1]

فاستحيوا ، وانصرفوا خجلين .

ورمت امرأة ماجنة للجوزى رقعة ، فيها مكتوب : مايقول سيدى فى امرأة أصابها حكاك فى فرجها؟ فأجابها :

يقولون : ليلى بالعراق مريضة   فياليتنى كنتُ الطبيبَ المُداويا[2]

وخلا ثمامة بن أشرس بجارية ، فعجز عنها ، فقال : ويحك ، ما أوسع حرك ، فقالت :

نفسى الفداءُ ، لمن قد كان يملؤه   ويشتكى الضِّيقَ منه حيثُ يلقاهُ[3]

ولقى كثير الفرزدق ، فقال له الفرزدق ، يعرض له بسرقته للشعر : يا أبا ضمرة ، أنت أنسب العرب حين تقول :

أريدُ لأنسى ذكرَها ، فكأنَّما   تُمثِّلُ لى ليلى بكلِّ سبيل[4]

---

(١) البيت من الطويل ، والبيت لعدى بن الرقاع ، تمثلت به ابنته ، وهو والحكاية فى الأغانى - جـ ٩- ص٣١٠ ، «وبلدة» بدلا من «ووجهة» . وهو فى الشعر والشعراء ص ٣٩٢ ، مع حكاية مطولة .

(٢) البيت من الطويل ، وهو ذائع جدا ، أخذه حديثا د . زكى مبارك عنوانا لكتاب مشهور له «ليلى المريضة بالعراق» وله رواية أخرى :

وبلغ قيسا مجنون بنى عامر أن ليلى بالعراق مريضة فقال :

يقولون ليلى بالعراق مريضة   فما لك تجفوها ، وأنت صديق

شفى الله مرضى بالعراق ؛ فإننى   على كل شاكٍ بالعراق شفيق

انظر : العقد الفريد - جـ ١ص٢١٠ .

(٣) البيت من البسيط ، وروايته مع النادرة فى العقد الفريد - جـ ٣ ص٢١٤ ، تقول : أنت النداء ، وللحكاية نظائر فى هذا الكتاب وغيره .

(٤) البيت من الطويل وهو لكثير عزة - طبقات فحول الشعراء- السفر الثانى ص٥٤٥ ، وورد مرة أخرى فى ٥٤٦ ، وهو مأخوذ من قول جميل :

أريد لأنسى ذكرها فكأنما   تمثلُ لى ليلى على كل مَرْقب

والحكاية واردة فى الأغانى جـ ٩ ص٣٤١ - ٣٤٢ ، وفى جـ ٨ ص٩٦ : الشعر .

فقال له كثير يعرض بسرقته أيضا ، وأنت يا أبا فراس أفخر العرب حيث تقول :

ترى الناسَ ما سِرْنا ، يسيرون خلْفَنا وإن نحنُ أومَأْنا إلى الناس وقّفُوا(١)

وهذان البيتان لجميل ، سرق الفرزدق واحدا ، وكثير واحدا ، فقال له الفرزدق : هل كانت أمك ترد البصرة؟ قال : لا ، ولكن كان أبى كثيرا ما يردها ، فعرض كل واحد منهما بصاحبه .

ومر الأقيشر الأسدى بقوم من بنى عبس ، فقال بعضهم : يا أقيشر ، وكان يغضب إذا دعى بذلك ، فنظر إليه وأنشأ يقول :

أتدعونى الأُقَيْشِرَ ، ذلكَ اسْمِى وأدعوكَ ابْنَ مطفئِةَ السِّراج
تُناجِى خِدْنَها بالليل سِرًّا وربُّ العرْشِ يعلمُ ما تُناجِى(٢)

فسمى الرجل ابن مطفئة السراج .

ونظر رجل إلى الحسن بن عبد الحميد يزاحم الناس على باب محمد بن سليمان فقال : أمثلك يرضى بهذا ؟ فقال :

أُهينُ لهمْ نفسِى ؛ لأُكرِمَها بهمْ ولايُكرمُ النفْسَ الذى لايُهينُها(٣)

وقال أبو مسهر : أتيت أبا جعفر محمد بن عبد الله بن عبد كان ، فحجبنى ، فكتبت إليه :

إنِّى أتيتُك للتسليم أمْسِ ، فلمْ تَأذَنْ عليكَ لِىَ الأستارُ والحُجُبُ
وقد علمتُ بأنى لم أردَّ ، ولا والله ما رُدَّ إلا العلمُ والأدب(٤)

---

(١) البيت من الطويل ، للفرزدق من قصيدة مشهورة فيها منافرات بينه وبين الحضرمى . طبقات فحول الشعراء ـ السفر الأول ـ ص٣٦٣ ، والسفر الثانى ص ٦٧٢ ، وينسب لجميل ، وانظر الأغانى أيضا .

(٢) البيتان من الوافر ، وهما للأقيشر ، واسمه المغيرة بن الأسود بن وهب أحد بنى أسد ، وكان يغضب إذا قيل له : الأقيشر . والحكاية مذكورة فى الشعر والشعراء ص ٣٥٢ ـ ٣٥٣ ، وفيها «ورب الناس» بدلا من «ورب العرش» وصار ذلك الرجل يدعى من ذلك الحين : ابن مطفئة السراج .

(٣) البيت من الطويل . والحكاية واردة فى العقد الفريد ـ جـ ١ ص٢٠ ، وروايته :
أهين لهم نفسى لأكرمهم بها ومن يكرم النفس التى لايهينها .

(٤) البيتان من البسيط ، والحكاية مع الشعر واردة فى العقد الفريد ـ جـ ١ ص ٢١ .

فأجابنى ابن عبد كان :

لو كنْتَ عافيتَ بالحُسنى لقلتَ كما قـال ابن أوْس ، وفيـمـا قـالَه أدَبُ
ليس الحـجابُ بمُقْصٍ عنك لى أملاً إن السمـاء تُرجَّى حين تُحتَجب(١)

وقيل لجبان فى موقف حرب : تقدم فقاتل ، فأنشأ يقول :

وقـالوا : تقـدَّمْ ، قلتُ :لستُ بفـاعِلٍ أخـافُ على فَـخَّـارَتى أنْ تُحَطَّمـا
فلو كـان لى رأسـانِ ، أَتْلفتُ واحـدا ولـكنّه رأسٌ إذا مـاتَ أَعْـقَـمَـا
وأيْتَـمَ أولادا ، وأرْمَـلَ نِـسْـوةً فكيفَ على هذا ترَوْنَ التـقـدُّمـا(٢)؟

ووقف بعض الشعراء بباب أمير الرقة ، فلما مثل بين يديه أنشده :

مـاذا أقـولُ إذا أتيتُ مـعـاشـرًا صِـفْـرًا يدى من جُـودِ أروعَ مُـجْـزِلِ
إن قلتُ : أعطانى كـذبتُ ، وإن أَقُلْ بَخِلَ الأمـيـرُ بما له لم . . . يَجْـمُلِ
ولأنـت أعـلـمُ بـالمكـارم والعُـلا من أن أقـولَ : فـعلتَ مـا لـمْ تَفْـعَلِ
فـاخْـتَـرْ لنفسكَ مـا أقـول ؛ فـإننى لابُدَّ مُـخْـبِـرُهـمْ وإن لـم أُسـأَلِ(٣)

فأعطاه عشرة آلاف درهم وكتب معها :

أعْـجَلْتنا ، فـأتاكَ عـاجلُ بِرِّنا قُـلا ، ولو أمـهلْتَنا لـم نُقْلِل
فُـخُـذِ القليلَ ، وكُنْ كـأنك لم تَسلْ ونكونُ نحنُ كـأننا لـم نفـعلِ(٤)

(١) البيتـان من البسيط ، والإشارة إلى حبيب بن أوس الطائى (أبى تمام) والبيت الثانى له ، انظر الأغانى ـ جـ٤ ص٣٩٦ . وقد أخلت [س] من قوله : فأجابنى ـ إلى آخر الشعر .

(٢) الأبيات من الطويل ، وهى لأبى دلامة ، وهو الجبان هنا ، والأبيات وحكايتها فى الأغانى ج١٠ ص٢٦٨ ، وتقول :

ألا لا تَلُمنى إن فررتُ فإننـــى أخافُ على فخارتى أن تُحَطَّما
فلو أننى فى السوق أبتاعُ مثلهَا وجـدِّكَ ما باليـتُ أنْ أتقدمـا

والمعنى هذا يلح على الشاعر ، إذ يقول فى موضع آخر ، جـ١٠ ص٢٤٥ من الأغانى :

لو أنَّ لى مهجةً أخرى لجُدتُ بها لكنها خُلقتْ فَرْدا فلم أَجُدِ .

ورواية [س] «إذا زال» بدلا من «إذا مات» . وللحكاية نظير فى الأدب الإسبانِى وكلمة «الفخارة»ـ بالذات ـ نقلت بلفظتها إلى الحكاية الإسبانية . والأبيات واردة أيضا فى العقد الفريد ـ جـ ١ ص٤١ .

(٣) الأبيات من الكامل ، وهى وحكايتها واردة فى العقد الفريد ـ جـ١ ص٧٣ ، وليس ردها بموجود فى هذا المصدر ، وهى لدعبل الخزاعى .

(٤) البيتان من الكامل ـ ورواية [س] «عاجل رفدنا» ، وهما منسوبان لأبى تمام يستنجر الحسن بن وهب ، مع تغيير ـ يسير ـ انظر العقد الفريد ـ جـ ١ص٦٥ .

وقدم الحطيئة المدينة فوقف على عيينة ، فقال له : أعطنى ، فقال : ما لك عندى حق فأعطيكه ، ومافى مالى فضل عن عيالى ، فخرج مغضبا ، وعرفه جلساؤه ، فأمر برده ، ثم قال له : ياهذا ، إنك وقفت إلينا ، فلم تستأنس ولم تسلم ، وكتمتنا نفسك ، كأنك كنت مجتنبا ، قال : هو ذاك ، قال : فاجلس ؛ فلك عندنا ماتحب ، فجلس ، فقال له : من أشعر الناس؟ قال : الذى يقول :

ومن يجعلِ المعروفَ من دون عرضه يَفِرْهُ ، ومَنْ لايتَّقِ الشَّتْمَ يُشْتم(١)

وأتى الشعبى مسجدا ، فصادف فيه قوما يغتابونه ، فوقف عليهم ، ثم قال :

هنيئًا مريئًا ، غيرَ داءٍ مُخَامِرِ لِعزَّةَ مِنْ أعراضِنا ما اسْتَحلَّتِ(٢)

وقال الهيثم بن عدى : لما انفرد سفيان بن عيينة ، ومات نظراؤه من العلماء ، تكاثر الناس عليه يسألونه ، فأنشأ يقول :

خلَتِ الديارُ ، فَسُدْتَ غيرَ مُسَوَّدِ ومن الشقاءِ تفرُّدى بالسُّؤددِ(٣)

وقال بعض الرؤساء لأبى العيناء : أبا العيناء ، لو مت لرقص الناس طربا وسرورا ، فقال بديها :

أردْتَ مَذَمَّتِى ، فأجَدْتَ مَدْحى بحمدِ الله ذلكَ ، لابحمدكْ
فلا تَكُ واثقًا أبدًا بعمْدٍ فقد يأتى القضاءُ بضدِّ عَمْدِكْ(٤)

أجل ، الناس قد ذهبوا ، فلو رآنى الموتى لطربوا ، فما زالوا يغبطونكم بى ويرحمونى بكم .

---

(١) البيت من الطويل ، من معلقة زهير ـ شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات ـ ص ٢٨٧ .
(٢) البيت لكثير عزة من تاتيه المعروفة ، وهو من الطويل ـ الشعر والشعراء ـ ص ٢٦٣ ، والأغانى جـ ٩ ص٣٠ .
(٣) البيت من الكامل ـ وهو لأبى نخيلة ـ البيان والتبيين ـ جـ٣ ـ ص٢١٩ . والحكاية واردة فى العقد الفريد ـ جـ١ ص١٥٧وقريب منه فى المعنى :

وإن بقوم سودوك لفاقة إلى سيد لو يظفرون بسيد

وهو لأبى نخيلة الراجز ـ الشعر والشعراء ص ٣٨١ .
(٤) البيتان من الوافر .

وقيل لأبى العيناء : إن جماعة الكتاب يلومونك ، فأنشد :

إذا رضيتْ عنى كـرامُ عـشـيـرتى فـلازالَ غـضـبـانًا علىَّ لئـامُـهـا[١]

وقال له يوما عبد الله بن سليمان : اعذرنى ؛ فإنى مشغول ، فقال له : إذا فرغت لم نحتج إليك :

فـلا تعــتــذرْ بالشــغلِ عنَّا ؛ فـإنما تُناطُ بك الآمالُ ، ما اتَّصَلُ الشُّغْل[٢]

وقيل له : الناس مع أبى على البصير عليك ، وهم إليه أميل ، فقال :

ســقــيــتُــهـمُ الرَّدى ، لَمَّا رَمَــوْنى فــقــالوا : أبغـضــوكَ ، فـقلتُ : أدرى
كــبُــعضِ بنى قــريشٍ فى علىٍّ ولا ذنبُ ســـوى أُحُــــدٍ ، وبَدْر[٣]

وأتى العريان بن الهيثم بغلام سكران ، فقال له : ابن من أنت ؟ فقال :

أنا ابنُ الذى لاتَنْزلُ ـ الدَّهرَ ـ قِـدْرُه وإن نزلتْ يومـا فـسـوف تعـودُ[٤]

فظن أنه ابن أحد الأشراف ، فخلى سبيله ، فكشف الغيب أنه ابن فوَّال .

وسئل ابن شبرمة عن إنشاد الشعر ، هل ينقض الوضوء أم لا؟ فأنشد :

ياصاح إن فـتـاةً كنتُ أعـشـقُـهـا عُرقو بُها مثلُ شهرِ الصوم فى الطولِ[٥]

ثم قام فصلى .

ووجد المنصور على كاتب له ، فأمر بإحضاره ، ودعا بالسياط ، فقال : يا أمير المؤمنين :

ونحنُ الكاتبـــون ، وقـــد أســـأْنا فـــهْـــبنا للكرامِ الكاتبـــينا [٦]

فضحك منه وعفا عنه .

---

(١) البيت من الطويل .
(٢) البيت من الطويل . والبيت وحكايته فى زهر الآداب ـ المجلد الأول ص٣٢٨ .
(٣) البيتان من الوافر .
(٤) البيت من الطويل ، وهو وحكايته فى العقد الفريد ـ جـ ١ ص٢٠٥ . وبدلا من «ابن فوال» «ابن باقلانى» فى العقد
(٥) البيت من البسيط . ونسبت النادرة لابن سيرين ، وإنشاده بيتا للفرزدق فى زهر الآداب ـ المجلد الأول ص٢٠٧ .
(٦)البيت من الوافر . وهو وحكايته فى العقد الفريد ـ جـ ٢ ص١٤٩ .

وأبطأ عبد الله بن يحيى عن الديوان ، فأرسل إليه المتوكل يستفهمه عن حاله ، فكتب إليه :

عليلٌ مِنْ مكانَيْنِ مِنَ الإفلاسِ والدَّيْنِ
ففى هذيْنِ لى شُغْلٌ وحسبى شُغْلُ هذيْن(١)

وقال الأصمعى : رأيت أعرابيا يضاجر أخاه ، فقال له أخوه : والله لأهجونك ، فقال : فكيف تهجونى وأبى أبوك ، وأمى أمك؟ قال : اسمع ما أقول :

لئيمُ أتاه اللؤْمُ من ذاتِ نْفسِهِ ولم يأتِهِ من إرْثِ أمٍّ ولا أَبِ(٢)

وكان الفرزدق جالسا عند الحسن البصرى ، فجاء رجل فقال : يا أبا سعيد ، إنا نكون فى هذه البعوث والسرايا ، فنصيب المرأة من العدو ، وهى ذات زوج ، فتحل لنا من غير أن يطلقها زوجها ، فقال الفرزدق : وقد قلت أنا مثل هذا فى شعرى فقال له الحسن : وماقلت؟ قال : قلت :

وذات خليلٍ أنكحتْنا رماحُنا حَلاَلاً ، لمن يَبْنى بها ، لم تُطَلَّقِ(٣)

قال الحسن : صدقت ، ثم أقبل رجل آخر ، فقال : يا أبا سعيد ، ماتقول فى الرجل يشك فى الشخص يبدو له فيقول : هذا والله فلان ، ثم لايكون هو ، ماترى فى يمينه؟ فقال الفرزدق : وقد قلت أنا مثل هذا ، قال له الحسن : وما قلت؟ ، قال : قلت :

ولستَ بمأخوذٍ بقولٍ تقولُهُ إذا لم تُعَمَّد عاقداتُ العزائمِ(٤)

قال الحسن : صدقت .

(١) البيتان من الهرج بتسكين «الغين» فى شغل الأولى ، وإلا فهما من مجزوء الوافر . وورد الحكاية فى العقد جـ ١ ص٧٢ .

(٢) البيت من الطويل ، وثمة بيتان لهما لحمة به وهما لحسان بن ثابت ، وزوجته :
غلام أتاه اللؤم من شطر خاله له جانب واف وآخر أكشم
وتجيبه زوجته :
غلام أتاه اللؤم من نحو عمه ومن خير أعراف ابن حسان أسلم .
ديوان حسان ــ ص ٤٥٦ .

(٣) البيت من الطويل ، للفرزدق ، وهو وحكايته من : طبقات فحول الشعراء ـ السفر الأول ص٣٣٦ ، وهى فى العقد الفريد ـ جـ٣ ص١١٩ .

(٤) البيت من الطويل ـ للفرزدق ـ طبقات فحول الشعراء ، وروايتها «بشىء» بدلا من «بقول» ، ص٣٣٥ ومابعدها ، كما أنها موجودة أيضا فى العقد الفريد ـ جـ٣ ـ ص١١٩ .

واستعدت امرأة على زوجها عياد بن منصور ، وزعمت أنه لاينفق عليها فقال لرؤبة ابن العجاج : احكم بينهما ، فقال :

فطلِّق إذَنْ ، إن كنتَ لستَ بمُنْفِقٍ فمـا الناسُ إلا مُنفِقٌ أوْ مُطَلِّقُ(١)

وقال (٢) على بن الجهم : قلت لقينة :

هل تعلمينَ وراءَ الحبِّ مَنْزِلةً تُدنى إليك ؛ فإنَّ الحبَّ أقْصَانى(٣)

قالت : تأتى من باب الذهب ، وأنشدت :

اجْعَلْ شفيعَكَ منقوشًا تُقَدِّمُه فلم يَزَلْ مُدْنيًا ، مَنْ ليسَ بالدَّانى(٤)

وقال إسحاق بن إبراهيم الموصلى : كان بالمدينة رجل جعفرى ، من ولد جعفر بن أبى طالب ، وكان يحب الغناء ، وكان يتعشق قينة بالمدينة ، فقال يوما لإخوانه : قوموا معى إلى هذه الجارية حتى نكاشفها ؛ فقد والله أيتمت أولادى ، وأرملت نسائى ، وأخربت(٥) ضيعتى ، فقاموا معه حتى وقفوا ببابها ، فدقه ، فخرجت إليه ، فإذا هى أملح الناس (٦) دلالا وشكلا ، فقال لها : ياجارية ، أتغنى ؟ :

وكنتُ أحُبُّكُمْ فسلوتُ عنكمْ عليكم فى دياركم السلامُ(٧)

فاستحيت وخجلت وبكت ، وقالت : ياجارية ، هات عودى ، والله ما أحسن هذا ، ولكن غيره :

(١) البيت من الطويل ، وهو وحكايته فى العقد الفريد ـ جـ ٣ ، ص ٢١٩ .
(٢) أخلت [س] ببداية الخبر وبالبيت الأول .
(٣) البيت من البسيط وله ثان ، وهما ليعقوب بن إسحاق الربعى المخزومى ، وغنى فيهما الواثق ـ الأغانى ـ ج ٩ ص٢٧٧ ، والبيت الثانى يقول :
هذا كتاب فتى طالت بليته يقول : يامشتكى بثى وأحزانى .
(٤) البيت من البسيط . وهو وماقبله والحكاية واردة فى العقد الفريد ـ جـ ٣ ، ص١٨٣ ، وينسب البيت الأول فى العقد إلى بشار العقيلى . جـ١ ، ص١٦٣ .
(٥) «وأخربت ضيعتى» رواية [س] .
(٦) «أملح الناس دلالا» رواية [س] .
(٧) البيت من الوافر .

تَحــمَّلَ أهلهُــا منهــا فــبــانوا على آثارِ منْ ذهبَ الْعَــفَــاءُ(١)

قال : فاستحيا والله صاحبنا . ثم تصبب عرقا ، ثم قال لها : ياسيدتى هل تحسنين أن تغنى :

وأخــضعُ للعُــتْــبَى إذا كنتُ ظالمًا وإن ظَلَمَــوا كنتُ الذى أتَنَصَّلُ(٢)

قالت : والله ما أحسنَ هذا ، ولكن غيره ، ثم غنت :

فــإنْ تُقْــبلوا بالودِّ أقــبلْ بمْثلِه وَنُنْزِلْكُمُ مِنَّا بأفــضَلِ مَنْزِلِ(٣)

قال : فدفع الباب ودخل ، وأرسل غلامه يحمل إليه حوائجه . وقال : لعن الله الأهل والولد والضيعة .

وكتب البعث على رجل من الكوفة ، فخرج ، وأفاد جارية وفرسا ، وكان متزوجا بابنة عم له ، فكتب إلها :

ألاأَبْلغــــوا أمَّ البـنـينَ بأنَّنـا غَنِينا ، وأغنتْنا الغَطَارِفَــةُ المُجْــدُ
بعــيــدُ مَناط المنكبينِ ، إذا جــرى وبيــضــاءُ كـالتـمـثـال ، زيَّنها العـقْـدُ
فــهـــذا لأيام العـــدوِّ ، وهذهِ لحاجِة نَفْسٍ ، حين ينصرفُ الجُنْد(٤)

فلما وردها كتابه ، قرأته ، وقالت : ياغلام ، هات الدواة : ثم كتبت :

ألا أَقْــرِهِ منَّا الســلامَ ، وقلْ لَهُ : غَنينا ، وأغنتْنا غطارفــةُ المجــد
إذا شــئتُ غنّانى غــلامُ مُــرَجَّلُ ونازعْــتُــه منْ مــاءِ مُعْــتــصـرَ الوَرْد
وإن شــاءَ منهم ناشىء مَـدَّكَـفَّــهَ إلى كَــبِــد ملْســاءَ أو كَـفَلٍ نهــد
فـمــاكنُتَمُ تقـضـونَ حـاجَـةَ أهلكمْ حضورًا ، فَتَقْضُوها على النأْيِ والبُعد
فــعــجِّلْ علينا بالسَّــراح ؛ فــإنه مُنَانا ، ولانـدعـــو لـك الله بـالردِّ
فـلاقَـفَل الجندُ الذى أنت فــيـهمُ وزادك ربُّ الناسِ بُعـدا على بُعـد(٥)

(١) البيت من الوافر ، وورد شطره الثانى غير منسوب فى الأغانى - جـ ٩ ص١٩٣ .
(٢) البيت من الطويل .
(٣) البيت من الطويل ، ورواية [س ، د]بمثله كما هو فى المتن ، وكانت «بغيره» فى [ح] : وهو عكس المراد .
(٤) الأبيات من الطويل ، وهى وحكايتها فى العقد الفريد - جـ ٣ - ص ٢٠٠ .
(٥) الأبيات فى الطويل ، وفى [س ، د] : «أو كفل نهد» كما فى المتن ، وفى [ح] «أو كافل نهد»وهى فى المصدر السابق أيضا .

فلمـا ورد كـتـابهـا لـم يزد على أن ركب ، وأردف الجـارية ولحق بـهـا ، فكـان أول شيء بدأها بعـد السـلام أن قـال لـهـا : بالله هل كنت فاعلة؟ قـالت : اللّه فى قلبى أجل وأعظم ، وأنت فى عينى أحقر وأذل من أن أعصى الله فيك . فكيف ذقت طعم الغيرة؟ فوهب لها الجارية ، وانصرف إلى بعثه .

ونظرا ابن أبى ذيب إلى عائشة بنت طلحة تطوف بالكعبـة ، فـقـال لهـا : من أنت ؟ فقالت :

مِنَ الَّلاءِ لم يَحْججْن يَبْغين حِسْبَةً ولكنْ لِيـقـتُلْنَ التَّـقىَّ الْمُغـفَّـلا[1]

مثلك أبا عبـد الله ، قال : صـان الله ذلك الوجه عن النار ، قيل : أفتنتك أبا عبد الله ؟ قال : لا ، ولكن الحسن مرحوم .

وقـال الشـافـعى رضي الله عنه ؛ تزوج رجل امـرأة حـديثـة ، على امـرأة قـديمة ، فكانت جـارية الحديثة تمر بباب القديمة فتقول :

ومايستوى الرجلانِ :رجِلٌ صحيحةٌ ورِجلٌ رمى فـيـهـا الزمـان فَـشَلَّتِ[2]

ثم تعود فتقول :

ومـايسـتـوى الثـوبان : ثوبٌ به البِلىَ وثوبٌ بأيدى البـــائعين جـــديدُ[3]

فمرت جارية القديمة بباب الحديثة ، وأنشدت :

نَقِّلْ فؤادَكَ حيثُ شئتَ من الهوى مـــا الحبُّ إلا للحــبـــيبِ الأوَّلِ
كم منزلٍ فى الأرض يأَلَفُـه الفـتـى وحـــنـيــنُـــه أبـدًا لأوَّلِ مـنـزلِ[4]

وقـال الهيـثم بن عدى : كان تحت العريان بن الأسود بنت عم له فطلقها ، فـتبعـتهـا نفسه ، فكتب إليها يعرض لها بالرجوع ، فكتبت إليه :

إن كنت ذا حـاجـةٍ فـاطلبْ لـهـا بدَلا إن الغـزالَ الذى ضـيَّـعْت مـشـغـولُ[5]

(١) البيت من الطويل ، وهو وحكايته فى العقد الفريد ـ جـ ٣ ، ص٢٠١ ـ ٢٠٢ .
(٢) البيت من الطويل ، والبيت وحكايته فى العقد الفريد ـ ج-٢ وله شبيه يقول : وكنت كذى رجلين رجل صحيحة ورجل بها ريب من الحدثان وللبيت تال ، للنجاشى الحارثى ـ وفيات الأعيان جـ ٥ ص٣٥٨ .
(٣) البيت من الطويل .
(٤) البيتان من الكامل ، وهما لأبى تمام ، البيان والتبيين ـ جـ ٣ ـ ص٣١٣ .
(٥) البيت من البسيط ، وهو وحكايته فى العقد الفريد ـ جـ٣ ص٢٠٧ .

فكتب إليها :

إن كنت ذا شَغَلٍ فاللهُ يكلؤُهُ فقدْ لهَوْنا به ، والحبلُ موصولُ
وقد قضينا من اسْتِطْرافِهِ وَطَرًا وفى الليالى ، وفى أيامها طُول![١]

وطلق الوليد بن يزيد زوجته سعدى ، فلما تزوجت اشتد ذلك عليه ، وندم ، فدخل عليه أشعب ، فقال له : أبلغ سعدى عنى رسالة ، ولك عندى خمسة آلاف درهم ، قال : عجلها ، فأمر له بها ، فلما قبضها قال : هات رسالتك ، قال : ائتها وأنشدها :

أَسُعْدى ، هلْ إليك لنا سبيلُ ولا حتَّى القيامةِ منْ تَلاقِ
بلى ، ولعلَّ دهْراً أن يُواتِى بموتٍ من خليلكِ ، أو فِراق[٢]

فأتاها ، فاستأذن عليها ، فأذنت له ، وقالت : مابدالك فى زيارتنا؟ قال : ياسيدتى ، أرسلنى إليك الوليد برسالة ، وأنشدها الشعر . فقالت لجواريها : خذن هذا الخبيث ، فقال : ياسيدتى ، جعل لى على ذلك خمسة آلاف درهم ، قالت : والله لأعاقبنك ، أو تبلغ إليه ما أقول ، قال : ياسيدتى اجعلى لى شيئا ، قالت له : لك بساطى هذا ، قال : قومى من عليه ، فقامت فألقاه على ظهره ، وقال : هات رسالتك ، قالت له : قل له :

أَتبكى على سُعدى ، وأنت تركْتَهَا ؟ لقد ذهبتْ سُعدى ، فما أنت صانعُ؟[٣]

فلما بلغه ذلك ، سقط فى يده ، وقال : اختر منى إحدى ثلاث خصال : إما أن نقتلك ، وإما أنْ نطَرحك من هذا القصر ، وإما أن نلقيك إلى تلك السباع ، فتحير أشعب ، وأطرق طويلا ، ثم رفع رأسه ، وقال : ياسيدى ، ماكنت لتعذب عينين نظرتا إلى سعدى ، فتبسم ، وخلى سبيله .

(١) البيتان من البسيط ، انظر المصدر السابق .
(٢) البيتان من الوافر ، وهما وحكايتهما فى العقد الفريد ـ جـ ٣ ص٢٠٧ ، ولعل الرواية «حليلك» بالحاء المهملة ، والاثنان صحيحان .
(٣) البيت من الطويل ، وهو وحكايته وأشعب فى العقد الفريد جـ ٢ ص٢٥٣ ، وقد تكرر مرة أخرى فى الجزء الثالث .

ودخل أمية بن عبد الله على عبد الملك بن مروان ، وبوجهه أثر فقال : ماهذا؟ قال : قمت بالليل ، فأصاب الباب وجهى ، فقال عبد الملك :

رأتنى صريعَ الخمرِ يوما فَسُؤْتُها ... وللشَّاربيها المُدْمنين مَصارعُ[1]

فقال : لا ، وأخذك الله يا أمير المؤمنين بسوء ظنك ، قال : بلى ، وأخذك الله بسوء مصرعك .

وشهد عند سوار القاضى رجل ، فرد شهادته ؛ لأنه كان يشرب النبيذ ، فقال :

أما النبيذُ ، فإنِّى غيرُ تاركِه ... ولاشهادة لى مادام سَوَّارُ[2]

وكان بعض المشارقة يسمى كمال الدين ، يهوى غلاما اسمه بدر الدين فكتب إليه :

يابْدرَ دينِ الله ، صِلْ مُدْنَفًا ... صيَّرهُ حبُّكُ مِثْلَ الخَيالْ
لاتخْشَ من عيبٍ إذا زُرْتَهُ ... فما يُعابُ البدرِ عند الكمال[3]

فسمع بذلك عاشق آخر ، فكتب إليه :

يابدْرُ ، لاتسمعْ مقالَ الكمالْ ... فكلُّ ما نَمَّقَ زُورٌ مُحالْ
البدرُ يُوقَى الخُسْفَ فى نِصْفِه ... وإنما يُخْسَفُ عند الكَمَال[4]

وقال الرشيد ، وقد سيقت إليه جارية ، وكانت ثيباً :

قالوا : تحبُّ صغيرةً ؟ فأجبتُهُمْ ... أشْهىَ المطىِّ إلىَّ مالَمْ يُرْكبِ
كم بَيْنَ حبَّةِ لُؤلؤٍ مثقوبةٍ ... نُظمتْ ، وحبةِ لؤلؤٍ لمْ تُثقب[5]

فأجابته الجارية :

إن المَطيَّة لا يَلَذُّ ركوبُها ... مالمْ تُذلَّلْ بالزمام ، وتُركَب
والدرُّ ليس بنافعٍ أربابَهُ ... مالمْ يُؤلَفْ فى النِّظام ويُثقَب[6]

(١) البيت من الطويل .
(٢) البيت من البسيط ، ورواية [د ، س] ماعاش سوار .
(٣) البيتان من السريع .
(٤) البيتان من السريع .
(٥) البيتان من الكامل .
(٦) البيتان من الكامل

وقال الأصمعي : كنت عند الرشيد ، فجاءه نخاس بجارية للبيع ، فنظر إليها الرشيد ، ثم قال للنخاس : اذهب بجاريتك ، فلولا كلف بوجهها ، وخنس بأنفها لاشتريتها ، فخرج بها ، فلما بلغ الستر قالت : ردني يا أمير المؤمنين ، أنشدك بيتين ، فأمر بردها ، فردت ، فأنشدت :

مـــاسَلِمَ الظَّبْي على حُـــسْنِه كــــلاً ، ولا البــــدْرُ الذى يوُصفُ
فـــالظبيُ فـــيــــهِ خَنَسٌ بَيِّنٌ والبــــدرُ فـــيــــه كَلَفٌ يُعْـــرفُ[٤]

فاشتراها الرشيد ، وكانت من أحظى جواريه عنده .

(٤) البيتان من السريع .

الحديقة الثانية

فى مداعبات يستجلب بها السرور ، ومضحكات تميل إليها النفوس ، وتنشرح بها الصدور .

وفيها خمسة أبواب :

الباب الأول

فى ترويح الأرواح بمستحسن المزاح .

كان النبى - ﷺ - يمزح ، ولا يقول إلا حقا [(١)] .

فمن ذلك قوله لإحدى عماته : إن الجنة لاتدخلها عجوز ، فلما جزعت من ذلك قال لها : إن الله يخلقهن يوم القيامة شواب أبكارا[(٢)] .

وقال - ﷺ - لامرأة : مافعل زوجك الذى فى عينيه بياض؟ فلما جزعت من ذلك ، قال لها : أو ليس فى كل عين بياض ؟[(٣)] .

وقال لرسول الله - ﷺ - رجل : احملنى ، قال : ما عندى إلا ولد الناقة ، قال : ما أصنع بولد الناقة ؟ فقال ﷺ : وهل الإبل إلا من النوق[(٤)] .

وقال ﷺ : دخل نعيمان الجنة ضاحكا ؛ لأنه كان يُضحكنى[(٥)] .

وروى أن نعيمان - رضى الله عنه - أصابه رمد فى عينيه ، فعاده رسول الله - ﷺ - فوجده يأكل تمرا ، فقال له : أتأكل التمر وأنت أرمد؟ فقال له نعيمان : إنما أنا آكل من الجهة الأخرى ، فضحك رسول الله ﷺ[(٦)] .

وقيل لسفيان الثورى : المزاح هجنة ، قال : بل سنة .

---

(١) إتحاف السادة المتقين جـ ٧ ص٤٩٦ .

(٢) تفسير الطبرى جـ ١٧ ص٨٠ ، وتفسير ابن كثير جـ ٨ ص٩ .

(٣) لم أقف عليه

(٤) إتحاف السادة المتقين جـ ٧ ص٥٠٠ وقد أخلت [س] من بداية «فلما» إلى آخرها .

(٥) الحكاية فى العقد الفريد - جـ ٣ ص٣٠٧ ، وراويته : عثمان بدلا من نعيمان ، وقد أخلت [س] بقوله : الجنة .

(٦) انظر العقد الفريد - جـ ٣ - ص٣٠٧ .

وقال عبد الله بن عمر لجاريته : خلقنى خالق الخير ، وخلقك خالق الشر ، فبكت ، فقال : لاعليك ؛ فإن الله هو خالق الخير والشر جميعا .

وكانت سويداء لبعض الأنصار ، تختلف إلى عائشة رضى الله عنها ، تلعب بين يديها وتضحكها ، وربما كان النبى ﷺ يدخل على عائشة فيجدها عندها ، فيضحكان جميعا ، ثم إن النبى ﷺ فقدها ، فقال : يا عائشة ما فعلت سويداء؟ قالت : إنها مريضة ، فجاء النبى ﷺ يعودها فوجدها فى الموت ، فقال لأهلها : إذا توفيت فأذنونى ، فلما توفيت أعلموه ، فشهدها ، وصلى عليها وقال : اللهم إنها كانت حريصة على أن تضحكنى ، فأضحكها فرحا (١) .

وفى بعض الكتب (٢) المترجمة أن يحيى وشمعون كانا من الحواريين ، فكان يحيى لايجلس مجلسا إلا ضحك وأضحك من حوله ، وكان شمعون لايجلس مجلسا إلا بكى وأبكى من حوله ، فقال شمعون ليحيى : ما أكثر ضحكك ، كأنك قد فرغت من عملك ، فقال له يحيى : ما أكثر بكاءك كأنك قد يئست من ربك ، فأوحى الله إلى عيسى عليه السلام : أن أحب السيرتين إلى سيرة يحيى .

وفى بعض الكتب(٣) المنزلة أيضا أن عيسى بن مريم لقى يحيى بن زكريا فقال له عيسى : إنك لتتبسم تبسم آمن ، فقال له يحيى : إنك لتعبس تعبس قانط ، فأوحى الله إلى عيسى عليه السلام أن الذى يفعل يحيى أحب إلى .

وكان عبد الله(٤) بن محمد بن عبد الرحمن بن أبى بكر الصديق رضي الله عنه فيه مزاح ، فدخل على عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها ، وهى عمة والده يعودها فى مرضها الذى ماتت فيه ، فقال لها : كيف تجدينك يا أمى ، فدتك نفسى ، فقالت : فى الموت ، قال : فلا أفديك إذن ، فتبسمت وقالت له : ما تدع مزاحك على حال .

ولقى(٥) نعيمان ، وهو من قدماء الصحابة ، وكان رجلا صالحا مع ما كان فيه من المزاح ، أعرابيا معه عكة عسل ، فاشتراها منه ، وجاء بها إلى عائشة والنبى ﷺ عندها ،

(١) الحكاية فى العقد الفريد ـ جـ ٣ ـ ص٣٠٧ .
(٢ ، ٣) الحكايتان فى المصدر السابق ، مع تغيير طفيف لايؤثر فى المراد ، وكلمة « المنزلة» زيادة من [ح] ولعله يقصد بالمنزلة هنا : المترجمة .
(٤) انظر الإصابة فى تمييز الصحابة .
(٥) الإصابة فى تمييز الصحابة جـ ٦ ص٢٥١ .

فقرع الباب ، وقال : خذوا هذه ، فظن رسول الله ﷺ أنه أهداها له ، ومر نعيمان ، وترك الأعرابى جالسا ، فلما طال جلوسه ، صاح : ياهؤلاء ، ردوا على عسلى إن لم يحضر الثمن ، فسمع النبى ﷺ كلامه ، فأعطاه ثمنه ، فلما جاء نعيمان ، قال له رسول الله ﷺ : ماحملك على ما فعلت يانعيمان؟ قال : رأيت النبى ﷺ يحب العسل ، ولم يكن عندى ثمنه ، فضحك النبى ﷺ .

ومر نعيمان(١) بابن نوفل البصير ، وهو فى المسجد ، فقال له : أريد أن أبول فأخذه بيده ، وحمله إلى موضع فى المسجد ، وقال له : اجلس ، ومضى وتركه ، فبال ، فصاح الناس به : يا أبا المغيرة ، إنك لفى المسجد ، فقال : نعيمان أجلسنى ها هنا ، لله على أن أضربه بعصاى هذه إن وجدته ، فبلغه الخبر ، فجاءه بعد ذلك ، وهو لايعرفه ، فقال له : هل أدلك على نعيمان؟ قال : نعم ، قال : هو ذا يصلى ، وجاء به إلى عثمان بن عفان رضي الله عنه ، فقال : هذا نعيمان ، فعلاه بالعصا ، فصاح الناس به : ويحك ، هو عثمان ، فقال : من قادنى إليه؟ قالوا : نعيمان ، قال : والله لا تعرضت له بسوء أبدا .

وخرج نعيمان(٢) وسويبط بن عبد العزيز ، فى تجارة مع أبى بكر الصديق رضي الله عنه ، وكان سويبط على الزاد ، فجاءه نعيمان فى بعض منازلهم ، فاستعطفه أن يعطيه من الطعام ، فقال له : حتى يجىء أبو بكر ، فذهب نعيمان إلى قوم من رؤساء الحى الذى هم فيه ، فقال لهم : إن لى عبدا ، فهل فيكم من يشتريه منى؟ فقالوا : نعم ، فقال : إنه ذو لسان ، وربما يقول : أنا حر ، فتسمعون منه ، فلا تغرونى وتفسدوا على غلامى ، فقالوا : لا عليك ، نحن لانسمع قوله ، فاشتروه منه بعشرة من الإبل ، فقبضها منهم ، وجاء بهم إلى سويبط ، فقال لهم : هذا هو ، فقالوا : قم معنا ، قال : وما الخبر؟ قالوا : قد اشتريناك من مولاك ، قال : ومن مولاى؟ قالوا : نعيمان : قال : كذب وفجر ، فتلكأ ، فوضعوا عمامته فى عنقه ، وذهبوا به ، وجاء أبو بكر ، وطلب سويبطا ، فلم يجده ، فأخبر بفعل نعيمان ، فذهب هو وأصحابه إلى القوم وخلصوه منهم ، وردوا إليهم إبلهم ، فلما قدموا أخبروا رسول الله ﷺ ، فضحك هو وأصحابه من ذلك .

---

(١) المرجع السابق .

(٢) أخلت [س] من قوله : بن عبد العزيز - إلى - رضي الله عنه - ووردت فى سنن ابن ماجة جـ ٢ ص٢٢٥ وما بعدها . وانظر الإصابة جـ ٢ ص٣ ، ٤ .

وأتى رجل ابن سيرين ، فقال : ما تقول فى رؤيا رأيتها ، كأن لى غنما ، وكنت أعطى فيها ثمانية دراهم فى كل رأس ، فأبيت أن أبيع ، ففتحت عينى ، فلم أر شيئا ، فغلقتهما ومددت يدى وقلت : هاتوا أربعة أربعة ، فلم أعط شيئا ، فقال ابن سيرين : لعلهم اطلعوا على عيب فى الغنم فكرهوها ، فقال : يمكن ما ذكرت .

وقيل للقاضى[1] شريح : أيما أطيب الجوزنيق أو اللوزنيق؟ فقال : لا أحكم على غائب .

وقيل لابن سيرين : من أكل سبع رطب على الريق ، سبحت فى بطنه ، فقال : إن كان هذا فينبغى للوزنيج إذا أكل أن يصلى التراويح .

وسئل ابن سرين عن رجل ، فقال : توفى البارحة ، فلما رأى وجه الرجل السائل ، قال له : ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا﴾[2] .

وقال رجل للأعمش : كيف بت البارحة ؟ فدخل البيت ، فأخرج فراشه ومخدته ، وفرشهما واضطجع ، وقال : هكذا بت البارحة .

وسأل رجل الشعبى عن المسح على اللحية ، فقال : خللها ، فقال : إنى أخاف ألا ينالها الماء ، قال : إن خفت ذلك فانقعها من أول الليل .

وكان الشعبى جالسا مع أصحابه ، وإذا بحمال على عاتقه دن ، فلما رأى الشعبى وضع الدن عن عاتقه ، وقال : رحمك الله ، ما اسم امرأة إبليس؟ فقال الشعبى : ذلك نكاح ما شهدته .

وجاءه رجل فقال : كيف كان طالع إبليس؟ فقال : إن المنجمين لايعرفون طالع مولود حتى يعرف وقت ولادته ، فسل عن الوقت الذى ولد فيه وتجىء حتى أعرفك بطالعه .

وجاءه رجل فقال : تزوجت امرأة وهى عرجاء ، أفلى أن أردها بالعيب ؟ قال : إن كنت تريد أن تسابق عليها فلك ردها .

وجاءه رجل فقال : أصاب ثوبى البلل ، قال : اغسله ، قال : بماذا أعزك الله؟ قال : بالخل .

(١) تكررت نظائر هذه النادرة فى الكتاب هذا .
(٢) سورة الزمر ـ الآية ٤٢ .

واختصم الطفاوة مع بنى راسب ، فى ابن يدعيه الفريقان ، إلى زياد ، وأقاموا جميعا البينة ، فأشكل على زياد أمره ، فقال سعد من بنى عمرو بن يربوع : أصلح الله الأمير ، ولنى الحكم بينهم ، قال : وما عندك فى ذلك؟ قال : أرى أن يلقى فى النهر ، فإن رسب فهو من بنى راسب ، وإن طفا فهو من بنى الطفاوة ، فأخذ زياد نعله وقام ، وغلبه الضحك ، ثم أرسل إليه ، ألم أنهك عن المزاح فى مجلس ، قال : أصلح الله الأمير حضرنى أمر خفت أن أنساه ، فضحك زياد ، وقال : لاتعودن .

وجاء [1] رجل إلى ثمامة بن أشرس ، أن يسلفه ويؤخره ، فقال له : هذه حاجتان ، فأنا أقضى لك إحداهما ، قال : قد رضيت ، قال : فأنا أؤخرك ما شئت ولا أسلفك .

وسأل رجل عمرو بن قيس عن حصاة المسجد يجدها الإنسان فى ثوبه أو خفه أو جبهته ، فقال له : ارم بها ، فقال الرجل : زعموا أنها تصيح حتى ترد إلى المسجد ، قال : دعها تصيح حتى ينشق حلقها ، قال الرجل : أولها حلق؟ قال : فمن أين تصيح إذن ؟

(١) ورد شبيه لهذه الحكاية فى البيان والتبيين ـ جـ ٤ ص٦ .

الباب الثانى

فى المضحكات الحسنة ، الخفيفة على الألسنة

صرخ ديك فى شجرة ، فسمعه ثعلب ، فأتى إليه ، فقال : أبا المنذر ، أذنت؟ قال : نعم ، قال : انزل نصلى جماعة ، قال الديك : أيقظ الإمام ، فتخيل للثعلب أنه ديك آخر ، فرأى كلبا له ذنب أكبر من كلحته ، فهرب ، ولم يرد رأسه ، فقال له الديك : يفوت الوقت ، قال : انتقض الوضوء ، أجدده ، وأرجع إن شاء الله .

وأخرج راع غنما للرعى ، فجاء مع الليل ، والعصا على عنقه من دون غنم ، فقيل له : وأين الغنم ؟ قال : لا إله إلا الله ، وأنا أقول : أى شىء نسيت فى الجبل؟

وقال الأصمعى : رأيت أعْرابيا فى زمن الصيف ، ينغمس فى ماء ، ويقوم ومعه خيط كبير فيه عقد كثيرة ، فقلت له : ما هذا ، قال : جنابات اكتسبناها فى الشتاء ، نقضى طهارتها فى الصيف .

وأحرق فران طاجنا لفقيه ، فجاء ووقف على باب الفرن ، وقال : أيها الفران المسكين ، أضرمت اليوم السعير ، وأحرقت الطجير ، فورب العالمين ، لولا أنك عندنا أمين ، لضربتك بهذا الإطربزين ، وأكلت من السياط مائة وتسعين ، ولبثت فى السجن بضع سنين ، فقال له الفران :« **وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ (١٨١) وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ**»[١] .

وقال الأصمعى : دخلت المدينة ، فوجدت بها بقالا ، يوقد سراجا فى الظهر ، ويشعله ، فسألته عن ذلك فقال : أرى الناس يبيعون عند غيرى ، ويشترون من عند غيرى ، فأظن أنهم لايروننى ، فأشعل السراج .

وغضبت أم حص يوما عليه ، فقالت له : يابنى ، حملتك فى بطنى تسعة أشهر ، وأرضعتك وربيتك ، ولاتكافئنى على ذلك ، فقال لها : أنت تمنين على بدخولى فى بطنك تسعة أشهر ، أدخلى أنت فى سوأتى تسع سنين .

ودخل أصم الحمام ، فجعل رجل يضرط ، فلما كان بعد ساعة ، قال له فى أذنه : أولا تسمع شيئا ؟ قال : لا والله ياحبيبى ، إلا الضراط أسمعه خيالا .

---

(١) سورة الصافات : الآية ١٨١ ، ١٨٢ .

وقيل لرجل : ما ورثت أختك من زوجها ؟ قال : ﴿أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾[(١)] .

وحكى مطرف قال : أتيت مالك بن أنس يوما وهو يضحك ، وكان ضحكه غريبا فسألته عن ذلك فقال : قام هنا إنسان يصلى ، فجعل يقول : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ، فأرتج عليه ، فجعل يرددها مرارا ، فقال له رجل : ما أعرف هنا للشيطان ذنبا ، إلا أنك لاتحسن أن تقرأ .

وبعث الرشيد إلى أبى نواس براءة مختومة ، فلما فتحها ، لم يجد فيها شيئا ، ففكر طويلا ، ثم رأى الرجل الذى جاء بها أصلع ، وهو يطلب منه الجواب ، فقال له : إن أردت الجواب ، فإنما أكتبه فى رأسك ، وإلا انصرف دون جواب ، فقال له : اكتب ، فكتب فيه شعرا ، وكتب فى آخره : وبالله إلا مزقتم الرقعة إذا قرأتموها ، فلما قرأ الرشيد ذلك أمر بصفع الرجل ، فصفع حتى امتحى ذلك الكتاب بالصفع ، والرشيد يضحك .

وقال أشعب الطماع : رأيت رؤيا ، نصفها حق ، ونصفها باطل ، فقيل له : وكيف ذلك؟ قال : كنت أرى أحمل بدرة دراهم ، فمن ثقلها كنت أسلح فى ثيابى ، فانتبهت فإذا السلح ، ولا بدرة .

وقال لأمه : رأيتك فى النوم مطلية بعسل ، وأنا مطلى بخرا ، قالت له : هذا عملك الخبيث ، ألبسه الله لك ، قال : بقى فى الرؤيا شىء ، قالت : وما هو؟ قال : رأيتك تلعقيننى وألعقك ، قالت : لعنك الله يا فاسق .

وأراد رجل أن يتزوج فى قوم ، فجاء بخطيب ، فاستفتح خطبة النكاح بحمد الله ، فأطال ، ثم ذكر خلق السماوات والأرض ، ثم ذكر القرون الماضية حتى ضجر من حضر ، ثم التفت إلى الخاطب ، فقال : ما اسمك أعزك الله؟ قال : قد والله نسيت اسمى من طول خطبتك ، وهى طالق ، إن تزوجتها ، فضحك القوم ، وقعدوا فى مجلس آخر .

وزوج[(٢)] خالد بن صفوان عبده أمته ، فقال له : لو دعوت الناس فخطبت فقال : ادعهم أنت ، فدعاهم ، فلما اجتمعوا تكلم خالد ، فقال : إن الله أجل وأعظم من أن يذكر فى نكاح الكلبين ، وأنا أشهدكم أنى قد زوجت هذه الزانية من هذا ابن الزانية ، فضحك القوم من ذلك .

(١) إشارة إلى الآية الكريمة ـ ٢٣٤ من سورة البقرة .
(٢) وردت هذه النادرة مع تغيير يسير فى البيان والتبيين ـ جـ ٢ ص ٢٥٠ .

وخطب مصعب بن حيان خطبة نكاح ، فأرتج عليه ، فقال : لقنوا موتاكم لا إله إلا الله ، فقالت أم الجارية : عجل الله موتك ، ألهذا دعوناك ، فضحك القوم وانصرفوا .

ووجد رجل(١) فى شجرة تين باكورتين فى غير إبان الباكور ، فجعلهما فى طيفور على رأس غلام ليهديهما للملك ، فأحس الغلام بخفةَ الطيفور ، وأراد أن يعلم ما فيه ، فرفع الغطاء وأدخل يده ، فلم يجد فى الطيفور غير الباكورتين . فأخذ واحدة ، فأكلها ، فلما وضع الطيفور بين يدى الملك بمحضر صاحب الهدية ، أمره أن يرفع الغطاء عن الطيفور ، فلما رفع لم يجد فى الطيفور غير باكورة واحدة ، فقال للغلام : ما فعلت بالأخرى؟ فقال : هكذا ، وأخذ الباكورة التى بقيت ، ورمى بها فى فمه وأكلها ، فضحك الملك من فعله .

وقال الأصمعى : دخل أبو بكر الهجرى على المنصور ، فقال : يا أمير المؤمنين أصيب فمى ، وأنتم أهل بيت بركة ، فلو أذنت لى ، فقبلت رأسك لرجوت الراحة ، فقال : اختر بينها وبين الجائزة . فقال : يا أمير المؤمنين أهون على من ذهاب درهم من الجائزة ألا يبقى فى فمى سن ، فضحك المنصور وأمر له بجائزة .

ودخل رجل بجاية ، فبينما هو يمشى ، وإذا برجل يقول له : أتشترى حشيشا طيبا؟ فقال له : إش قلت؟ قال : قلت لك هذا الجامع بناه يعقوب المنصور ، وأنفق فيه اثنى عشر ألف درهم ، إش تقول فى هذا ؟

وقال رجل لآخر : ياحاج الحرامين : الشراب والحشيش .

وتزوج رجل ، فأعطى الفقيه أجرة المهر ، فقال له : هذا قليل على المهر ، فقال له : ياسيدى فى الطلاق أخلف عليك إن شاء الله .

ودخل(٢) رجل المسجد فعثر فى رجل آخر ، فقال له : أعمى أنت؟ قال : أنا هو أعمى لو شاء الله كل ما نرى فى هذا المسجد يكون أسيرا فى ميورقة .

وجاء رجل إلى معبر فقال له : رأيت نفسى وأنا أطليها بالنخال ، فقال له المعبر : يلزمك كلب ، أما تسمع : من اختلط مع النخال أكلته الكلاب .

(١) وردت نظائر لهذه الحكاية فى الأدب الإسبانى ، انظر : تأثيرات عربية فى حكايات إسبانية ـ ص ٢٥ ـ٣٠ .
(٢) أخلت [س ، د] بهذه النادرة .

ووجد أسقوا يوما وزير السلطان يخرج للصيد ، وهو يلبس السباط فقال : الآن يفتح الله على ، قيل له : ولم ذلك؟ قال : كانت أمى تقول لى : لا يفتح الله عليك مادام الكلب يمشى حافيا ، فترى سيدى الوزير يلبس السباط .

وكانت امرأة تمشى فى الطين ، وهى تزلق ، وكانت جميلة ، فقال لها رجل :

حبيبتى واحبسى بلحية عمك سعد ، فقالت له : الطين أنقى من الخرا .

وقال جحا لأبيه : تزوجت أمى على خمسمائة درهم[١] ، فولدت لك أختى ، فزوجتها على خمسمائة ، وبقيت أنا لك فضلا .

وضرب بعض النحويين ، فكان المطوف يقول : هيذا جزا ، فقال : والله لو خيرت بين طريحة أخرى وبين ألا أسمع صوت هذا الفاحش اللحن لاخترت ذلك ، ثم التفت للمطوف وقال له : يامحروم بين الإعراب ، وقل : هذا جزاء ؛ لأنه مبتدأ وخبر ، فقال له المطوف : اسكت وأتخل رأسك ، فقال له : بالدال قلها واقطع الهمزة ؛ لأنه فعل أمر ، فقال له : والله ماضربت أبرد منك فلما دخل داره ، وكانت له قطة ، فجاءت تلعق الدم وتصيح : ميو ، فقال لها : قولى : مئو بالهمز ، ثم أخذها ورمى بها ، فقيل له فى ذلك فقال : لئلا يقال : قطة أبى عبد الله لحانة .

وجلس قوم للرماية ، فقام أحدهم ، وقعد فى وسط الإشارة ، فقيل له فى ذلك ، فقال : ما رأيت موضعا أسلم فيه ؛ لأنه لم يحصل فيه سهم .

وأرسلت امرأة ولدها إلى خضار ، فقال له : تقول لك أمى : أعطها بصلة تطيب بها فمها ، فقال لها : تغدت غول بخرا .

وجاء جحا يكسر لوزة ، فخرجت له[٢] من تحت الحجر حين ضرب عليها ، فقال : سبحان الله ، تراها بهيمة ولاتريد تموت .

وأتت امرأة إلى عطار ، فقالت له : أعندك شعر إبليس؟ قال : نعم ، فدخل قاعة الحانوت ، فنفخ شدقه وضرط ، وزنبط ونتف من إبطه شعرات ، وأعطاها ، قالت : هذا هو؟

---

(١) «فولدت لك أختى ، فزوجتها على خمسمائة» زياددة ضرورية من [س ، د] .

(٢) فخرجت له من تحت الحجر حين ضرب عليها من [س] . وردت فى 'أخبار الحمقى والمغفلين ص٤٦ .

قال : نعم ، أو ما سمعت توزوزه حين كنت أنتفه؟ فقالت له : صدقت[١] ، لعن الله رب الشعرات .

ووقف محتسب على لبان ، فنظر عليه اللبن ، فوجد فيه قليقا ، فقال : ماهذا؟ فقال : جعلته يأكل الدويدات .

ونظر رجل إلى تيس يأكل ، ولحيته تضطرب ، فقال : هكذا أنا إذا آكل؟ فحلف ألا يأكل طعاما ، فلم يأكل حتى مات جوعا .

وجاء رجل إلى معبر ، فقال : رأيت فى النوم أنى آكل مجبنة ، فقال له المعبر : تحمل أسيرا إن شاء الله إلى قيجاطة ؛ لقول الناس : قيجط نجبن لك .

ورأى رجل سكران يبكى ، فقال له : ما يبكيك ؟ قال : طالوت قتل جالوت ، ولم نحضر لنصرته .

وقدم لقوم لون من لحم البقر ، فجعل واحد منهم يخربش بإصبعه ، فقيل له : ما تريد؟ فقال : أفتش القانصة .

وأجرى قوم خيلا ، فطلع منها فرس فى أول الحلبة ، فجعل رجل يكبر ويقول : عصمك الله ، سلمك الله ، فقيل له : هذا الفرس فرسك؟ فقال : لا والله إلا اللجام لجامى .

وشهد رجل عند قاض ، فقال له المشهود عليه : أتجوز شهادته ، وهو لم يحج؟ فقال : قد حججت ، فقال : سله عن بئر زمزم أين هو ، فسأله القاضى[٢] عنه فقال : لا أدرى أين هو ؛ لأنى حججت قبل أن يحفر .

وقيل لبعض الفقراء : ما تتمنى ؟ قال : أتمنى أن أقعد يوم القيامة بين الجنة والنار ، فكل من ينطلق إلى الجنة أطلب شكرانه ، وكل من ينطلق إلى النار أطلب منه أن ينصف الطريق .

وماتت امرأة ، فخرج ابنها يشترى لها كفنا ، فجعل ينظر ثوبا بعد ثوب ، ولا يعجبه شىء ، فقال له التاجر : كيف تريده ؟ مدنسا ؛ لأنها رحمها الله كانت مقذورة .

---

(١) أخلت [س] بقوله : فقالت له ، إلى آخر النادرة .

(٢) أخلت [س] بقوله : فسأله القاضى .

وكان رجل يهوى امرأته ، فقيل له : هل قلت فيها شعرا رقيقا؟ قال : نعم قولى حبى فيك [١] يا ابنة أبى البطرون محل خرا دبان فى خبيزة ، وارفق بى يا ابنة عار بن عار .

وحج رجل ، فلما كان عند الطواف هموا بحلق رأسه ، فأبى ، فقالوا : لايتم الحج إلا بهذا ، فحلقوه ، فلما ودع الكعبة قال لهم : إن جئت مرة أخرى احلقوا لحيتى .

وسمع أعرابى قيام الليل ، ومافيه من الأجر ، قال : وأنا أقوم فى الليل مرارا ، قيل : وماتصنع ؟ قال : أبول وأرجع .

وأرادت امرأة أن تتزوج ، فقال لها القاضى : سوقى مهرك ، قالت : المهور كثيرة ، قال : لابد أن تسوقيها ، فساقت مهورها ، فكان فى جملتها عشرة رجال اسم كل واحد منهم لب .

وكان رجل يحلق عانته فى الحمام فضرط ، فضحك رجل كان بجانبه ، فقال : إنها تولول على قصيصة أخيها .

ورأى[٢] رجل مؤذن فى صومعته امرأة فأعجبته ، فجعل يكلمها من الصومعة ويشير إليها ، فشكت ذلك لزوجها ، وكان حجاما ، فقال لها : إذا طلع الصومعة وأشار عليك وكلمك فأشيرى عليه ، ففعلت ، فنزل من الصومعة وجاء إلى بابها ، فلما دخل إليها جاء زوجها ، وقد كان ينظر إليه على بعد ، فدخل عليها ، فبادرته المرأة ، وقالت له : إن سيدى المؤذن له مطحنة موجعة ، فانظرها له ، فنظرها وقال : لابد من خلعها ، وأخرج ماعونه ، وقلع له مطحنة ، ثم قالت : كانت صحيحة وإنما المؤلمة غيرها ، ثم قلع له أخرى ، والمؤذن ساكت ، ثم خرج وهو يظن أن المرأة حاولت عليه لئلا يفتضح مع زوجها ، فلما كان بعد ذلك رآها وكلمها ، وأشارت إليه . وهبط إليها وزوجها ناظر إليه ، فلما دخل فعل معه مثل مافعل أولا ثم خرج . وجعل يكلمها . وتشير عليه فيدخل إليها ، ويفعل به زوجها مثل مافعل ، وهو يظن أن ذلك حيلة من المرأة فى ستره ، حتى لم يبق فى فمه سن ، ثم شعر أن ذلك كان حيلة عليه ، فطلع يوما للصومعة ، فرأته المرأة ، فأشارت إليه فأشار إلى فمه ، وقال لها : والله مابقى فيه أبيض ، فأى شىء تريدين منى ؟

(١) هذه العبارة : فيك يا ابنة أبى البطرون محل خرا دبان فى خبيزة من [س ، د] .وفى [ح] . . فجل خرا دفق فى جائرة .
(٢) لهذه الحكاية نظائر فى الأدب الإسبانى ، انظر تأثيرات عربية ـ فصل : عقوبة المتغزل ـ ص٥٣ ـ ٦٦ ، والرواية العربية أكثر ملحا وظرفا .

ورأى مؤذن امرأة فى صومعة فتعشق بها وهى به ، فإذا تم الآذان رفعت صوتها ، وقالت : حاضر ناظر ، فيعلم المؤذن أن زوجها فى الدار ، وإذا لم يكن فى الدار تقول : وحدك حبيبى ، لاشريك لك ، فينزل إليها .

وخرج جحا يوما على الصبيان ، وقال : من يخبرنى بما فى كمى ، وأعطيه أكبر خوخة؟ فقال له صبى : خوخ ، فقال : ومن هذا الولد ، زنى الذى قالها لك .

وجاء رجل إلى سليمان الورشدى ، فقال له : ياسيدى ألك فى أرض الجزيرة غنيمات؟ قال : لا ، قال : ومن أى شىء تقول ذلك؟ قال : رأيت بها راعيا يسوق غنما ، وهو يقول : امشى يامتاع ولد قحبة ، فظننت أنها متاعك .

وقال الحاج الطنجى : رأيت بالديار المصرية رجلا يبيع الحشيش وهو يقول : حشيش مركب على قشيش ، ينسيك ذكر الله خمسة أيام ، فقال له رجل : هذا درهم كبير أعطنى منه بقيراط ، قال : هذا الصرف لايجوز .

وقال بعض الظرفاء : الاثنان أنس ، والثلاثة عرس ، والأربعة دردبة ، والخمسة قرقبة ، والستة كتف واحمل إلى الحبس .

ودخل رجل يصلى الظهر ، وعنده خمسة دراهم ، فجعلها أمامه ، فرأها الذى بجانبه ، فلما سجد أخذها له ، فلما تمت الصلاة لم يجدها ، فانصرف ولقيه رجل فى باب المسجد ، فقال : أصليتم ؟ قال : نعم ، درهم وربع للركعة ، فادخل إن شئت .

وجاء رجل للصلاة ، فوجد الناس يصلون ، فقال : ترى كم معهم من ركعة؟ فقال له رجل وهو فى الصلاة : دش[1] .

ومثل ذلك ماحكى لى أن رجلا دخل مسجد القيسارية ليصلى ، والناس فى الجلسة الأخيرة ، فقال له إبراهيم النجار ، وكان يصلى عند الباب : مابقى شىء ، فلم يلتفت الرجل إليه ، ودخل ، وقال : عار بن عار ، نصحناهم فما قبلوا .

وقيل لولد مات والده : ماترك لك أبوك؟ قال : اللعنة ، مانسمع إلا من يلعنه ، رحمه الله .

(١) هذه الكلمة إسبانية : Dos ، وتعنى :اثنان . وتنطق السين شينا منذ القديم مثل بشكوال Pascual وحتى الآن فى بعض المناطق ، ويبدو أن الكلمة كانت تستعمل فى العامية الأندلسية آنذاك .

وكان[١] لبعض الوزراء بغلة ينقل عليها الزبل ، ويركب عليها أحيانا بالسرج ، فقال له رجل : ياسيدى ، ما ثم أصبر من هذه الدابة ، تنقل الزبل مرة بالبرصون ، ومرة بالسرج .

وكان[٢] أعرابى يقول فى دعائه : اللهم إنى أسالك موتة كموتة أبى خارجة ، قيل له : وما موته أبى خارجة؟ قال : أكل لحم جمل ، وشرب شراب عسل ، ونام فى الشمس ، فمات شبعان ريان دفآن .

وكان واعظ يقول : من صلى كذا وكذا ركعة بكذا وكذا سورة يعطى فى الجنة مالاندرى .

وساق رجل لامرأته فدوشا ، فقالت له : يارجل ، أى شىء يراد بهذا الفروض؟ والله ما فى الدار صعتر ولا والله حبة من ثوم لعمله .

ورفعت امرأة ولدها للقاضى ، واشتكت له بكثرة عقوقه لها ، فقال له : يا ابن أخى ، أما سمعت الله يقول :ـ﴿فَلاَ تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ﴾[٣] فلطمها ، وقال لها : متى قلت أنا لك أف؟

وكان لرجل قط ، لاتزال شواربه تنقط دما ، فسئل عن ذلك ، فقال : إذا أكل الطعام ، جاءت الفيران تشم ذلك وتلعقه فتدميه .

وجاء شيخ إلى قنديل يطفئه ، فضرط ، فضحكت امراته ، فقال لها : أتضحكين والله لولا ما تقسم الريح ، ماتكسر إلا القنديل .

وقيل لرجل : أين القبلة فى دارك؟ فقال : والله ما اهتديت إليها ؛ لأنى إنما دخلتها منذ أربعة أشهر .

وقال مزبلح لآخر : فى غرستكم هذا العام باكور ، قال له : عين أعين فى باكورة .

وكان فقيه فى داره يسمع سائلا ، يسأل ويقرع الباب ، فقال له : ياهذا ، النقر ثلاث : طاق ، طرطاق ، طرطلاق ، فقال له السائل : فران أنت ، ودعنى بلاعشاء .

وأعطى ابن قزمان مؤدبه يطبخ له الخبز وكان الطين فوقع ووقع الخبز فى الطين ، فرجع إلى المؤدب ، فقال له : ياسيدى ، ماتقول فى العثرات؟ قال : ياولدى ، إنها مكتوبة ، فقال : ياسيدى ، وصلتك فى الطين مقلوبة .

(١) أخلت [س] بهذه الحكاية .
(٢) وردت فى العقد الفريد ــ جـ ٢ص٩ .
(٣) سورة الإسراء ـ الآية ٢٣ .

وكان لرجل من أهل بلفيق بغل ، فالتـقى مع بغل آخر للقاضى ، فضرب بغله بغل القاضى ركضة فكسره ، فترك بغله لابنه ، وذهب قبل أن يصل الخبر للقاضى ، فدخل عليه فوجده مع جماعة من الناس ، فقال له : ياسيدى ، احكم على بغلك ، كسر بغلى بركضة ، فقال له القاضى : لايحكم على بهيمة إذا فعلت شيئا ، فقال للناس : اسمعوا مايقول سيدى القاضى ، قالوا : الحق مايقول لك ، قال : فإن بغلى هو الذى كسر بغله .

ومر رجل بأبى العيناء ، فقال : من هذا؟ فقال : رجل من بنى آدم ، قال : مرحبا بك ، والله ماظننت هذا النسل إلا قد انقطع .

وصلى رجل ، فلما سجد سمعه رجل يقول : اللهم اغفر لى ولوالدى ولأمى ولأختى ، فقال له آخر : ولختنك ، وهما فى الصلاة ، فقال له : قران أنت؟

وحمل رجل قدرا إلى فرن بحمامتين ، فلما طبخت أكلهما الفران ، وجعل عوضا من ذلك حمامتين حيتين ، فلما جاء صاحبها ورفع الغطاء طارتا ، ولم يجد فى القدر شيئا ، فقال : يارب ، أشهد أنك تحيى وتميت ، ولكن المرق إش طرا فيه؟

وخرج جحا من الحمام ، فضربته الريح ، فقصرت بيضته ، فرجع إلى الحمام ، يفتش الناس ، فقالوا : مالك؟ قال : سرقت بيضتى ، ثم إنه تدفأ ، وافتقدها ، فقال : كل شىء لاتأخذه اليد يوجد .

وتبخر يوما ، فاحترقت ثيابه ، فغضب وحلف ألا يتبخر إلا عريان .

وكان يمشى حافيا ، فإذا وصل إلى ساقية أو واد ، لبس السباط[1] ، فقيل له فى ذلك فقال : الطريق أرى مافيه ، وأتحفظ منه ، والوادى لا أدرى ما فيه .

واختصم رجلان إلى بعض الولاة ، فلم يحسن الحكم بينهما ، فضربهما ، وقال : الحمد لله ؛ إنه لم يفتنى الظالم منهما .

ومر جحا ، بصبيان يلعبون بباز ميت ، فاشتراه منهم بدرهم ، وحمله إلى أمه ، فقالت له : ويحك ، ماتصنع به وهو ميت؟ فقال لها : اسكتى ، فو الله لو كان حيا مابيع إلا بمائة درهم .

(١) هى إسبانية Zapato .

وقال هشام بن عبد الملك يوما لأصحابه : من يسبنى ولا يفحش ، أعطيه هذا الثوب ، وكان فيهم أعرابى ، فقال : ألقه يا أحول ، فقال : خذ ، قاتلك الله ، وكان هشام أحول .

وضربت امرأة زوجها فقعد يبكى قالت له : وتبكى؟ قال لها : أى والله على رغم أنفك .

وتشاتم رجلان ، فقال أحدهما للآخر : حلق الله لحيتك بمكة إن شاء الله .

وسرق حمار أبى الجهم ، فشكر الله تعالى ، فقيل له : ما فائدة هذا ومولانا يقول : ﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾[(١)] فقال : لكونى لم أكن عليه فأسرق معه .

وقيل لأعرابى : من أشر أنت أو أخوك ؟ قال : إذا جاء رمضان استوينا .

وقال الأصمعى : رأيت أعرابيا يضرب أمه ، فقلت له : أتضرب أمك؟ قال : إنها قليلة الأدب .

وكان لرجل ابن مزبلح ، جاءه يوما ضيف ، فلما رآه الابن لم يسلم عليه ، فقال له والده : سلم على عمك عنق السياط ، فقام وسلم عليه وقال له : كيف حالك ياعمى عنق السياط ، فخجل الرجل ، وضحك والده .

وكان لرجل[(٢)] ابن يسرق كل يوم حاجة ، ويبيعها بأبخس ثمن ، وينفقه فى الفساد ، فعاتبه يوما وقال له : ليتك إذا سرقت الحاجة كنت تبيعها منى ، فقال له : فاشتر منى إذن تلك المنارة ؛ فإنى إنما جئت لأسرقها ، وأشار له إلى منارة أمامه .

وبات رجل عند نحوى ، فأكل عنده طعاما وفاكهة كثيرة ، فلما كان فى نصف الليل تحركت عليه بطنه ، فصاح على النحوى : ياسيدى ، إنى أريد أن أتروح ، قال : فتنحنح النحوى مرارا ، ثم صاح : ياميمونة مرارا كثيرة ، حتى استجابت له بعد حين ، فقال : أزيلى الكرى عن مقلتيك ، وافتحى عينيك ، والبسى ثوبيك ، وقومى على قدميك ، واضربى الزند ، وأشعلى نارا ، وأوقدى سراجا ، وانهضى إلى البئر ، فأدلى فيه الدلو ، وأخرجى منه ماء ، واجعليه فى قدح ، وألقيه فى المستراح ، فإن ضيفنا يريد أن يتروح ، فلم

---

(١) سورة إبراهيم ـ الآية ٧ .

(٢) لهذه النادرة نظائر فى الأدب الإسبانى ، انظر : تأثيرات عربية ـ ص ٧٤ ـ ٧٩ . وأخلت [س] بقوله : وقال له : ليتك إذا سرقت الحاجة كنت تبيعها منى ، فقال له .

يتم النحوى كلامه إلا والرجل قد سلح فى السرير ، فقال : ياسيدى إن هذا الشغل الذى كلفت به خادمك إن يسر الله فيه ، ربما يتهيأ فى سنة كاملة ، وأنا لا أكلف خادمك أكثر من شغل ساعة ، ياميمونة : اقبلى واغسلى السرير ؛ فقد سلحت فيه .

وقال الأصمعى : دخلت مسجدا لأصلى فيه ، فوجدت رجلا وهو يصلى وقد رفع رجله ، ومدها إلى خلفه ، وجعل يده فى السارية يمسك بها ، فوقفت حتى فرغ من صلاته ، وقلت له : لم رفعت رجلك ، ومددتها إلى خلفك؟ قال : كنت أتهم بها نجاسة ، فأردت ألا أصلى بها .

وكان بقرطبة رجل يعبر المنامات ، وكان لايحسن فيها شيئا ، فأتته امرأة وقالت له : ياسيدى ، كنت أرى فى المنام ، أنى جالسة وفى يدى قيدوم ، قال لها : زوجك[1] يقدم ، قالت له : ياسيدى ، كيف يقدم زوجى وهو ميت؟ قال : ياحمقاء القيدوم يسوقه ، ولو كان ميتا منذ ألف سنة .

وجاءت امرأة إلى لب كاتب الشمس ، فقالت له : ياسيدى ، أين يوجد ابن دحنين الذى يفسر المنام ؟ فنظر إليها ، وفى يدها دجاجة وسلة بيض ، فقال لها : أنا أفسر المنام أحسن منه ، وأقول لك خيرا ، فقصى على مارأيت ، فقالت له : رأيت كذا وكذا ، فقال لها : هذه منامة مليحة ينال بها كذا وكذا ، ويفعل بك زوجك كذا وكذا ، فدفعت إليه الدجاجة والبيض وانصرفت ، فأخبر ابن دحنين بذلك ، فجاء إليه ولعنه ، وأراد أن يشتكى به للقاضى .

وجاء رجلان إلى قاض يختصمان ، فكان أحدهما يدعى على الآخر حقا يزعم أنه من ميراث أبيه ، فقال له الآخر : أعز الله القاضى ، أنا رجل من بعض قرابته . قال القاضى : فمن أى وجه قرابتك به حتى أعرف أمركما وأحكم بينكما ؟ ، قال : كانت أم أبيه ، جدها لأمها أخو بنت عمة خالى أخى بنت ابن ربيبتى ، قال القاضى : ياسفلة ، هذه أخلاط شربة ، ارفعوها إلى العشاب ؛ حتى يميزها خلطا خلطا .

وقال رجل لآخر : مافعل أبوك بحماره؟ قال : باعه ، قال : لم قلت باعه ؟ قال له : ولم قلت أنت بحماره؟ فقال : للباء الجارة ، قال : ولم تكون باؤك تخفض ، وبائى لاتخفض؟

(١) زوجك يقدم فى [س] .

ومـثل هذا مـايحكى أن رجـلا لقى آخـر ، فـقـال له : من أين أقبلت؟قـال : من عند أهلونا ، فـتعجب السـائل من فصـاحته ، ثم قال له : قد علمت من أين أخـذت هذا ، من قوله تعالى :ـ ﴿شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا﴾[1] .

وقال رجل لبياع الخوخ : كيف تبيع الخوخ يا أقرع ؟ قال : من كلامك الحسن ، أختار لك بنوجا .

وقال فقيه لعبيد بن طرس : من أين تأكل؟ قال : من الكون ياكبة ، ولا من برزون .

وقـال الأصـمعى : كان بين رجلين عبـد ، فقـام أحدهمـا يضـربه ، فقـال له شـريكه : ماتصنع؟ قال : أضرب حصتى منه ، فقال له : وأنا أضرب حصتى ، فقاما يضربانه فسلح عليهما ، وقال : اقتسما هذا على قدر حصتكما .

وقـال المتوكل يومـا لجلسـائه : أتعلمـون عنت المسلمين على عـثمـان بن عفـان؟ فقـال أحدهم : نعم يا أمير المؤمنين ، لما توفى رسول الله ـ ﷺ ـ قام أبو بكر على المنبر دون مقام رسول الله ـ ﷺ ـ ، فلما ولى عمر قام دون مقام أبى بكر بمرقاة ، فلما ولى عثمان صعد ذروة المنبر فقعد مقعد النبى ﷺ ، فأنكر ذلك المسلمون عليه ، فقال عبادة : يا أمير المؤمنين ، ما أحد أعظم منة عليك من عثمان ، قال : وكيف ذلك؟ قال : صعد ذروة المنبر فلو أنه كلما ولى خليفة نزل عن مقام من تقدم لكنت تخطب علينا من بيتك ، فضحك المتوكل حتى استلقى ، وضحك من حضر .

ولما حمل أبو إسـحاق إلى المتوكل وأدخل عليه ، قال المتوكل لابن حـمدون : اعبث به ، فقال له ابن حـمدون : متى تعلمت العبارة ؟ قال : أنا معبر قبل أن تكون أنت ملهيا ، قال : ماتقول فى رؤيا رأيتها ؟ قـال : وماهى؟ قال : رأيت كأن أمـير المؤمنين حـملنى على فرس أشهب كله ، إلا ذنبه ، فإنه كان أخضر ، قال : صدقت رؤياك ، فإن أمير المؤمنين يأمر أن تدخل فى اسـتك فـجلة ، يغـيب أصلهـا الأبيض ، ويبـقى الأخـضـر منهـا ، فـضـحك المتوكـل ، وقال : صـدقت رؤياك ، هاتوا فجلة ، فـقـال : أنت يا أمير المؤمنين أمرتنى ، قال : وأنت رأيت الرؤيا ، قبل أن آمرك ، فلم يبرح حتى فعل به ذلك .

---

(١) سورة الفتح ـ الآية ١١ .

وقعد[1] المتوكل يوما يشرب ، فطرب عبادة من صوت لبعض المغنين ، فقام ورقص ، أحسن رقص ، فسر المتوكل برقصته ، وقرب عبادة من مقعده ، فلما جلس ضرب المتوكل بيده على است عبادة فضرط ، فقال : ويلك ماهذا؟ فقال : ياسيدى أيجوز لمثلك أن ينقر على قوم فلا يكلمونه؟ .

وأتى على بن موسى الوزير ببعض العمال ، وقد خرج عليه مال كثير ، فطلب به وحبس ، ثم أخرج يوما ليطلب له ذلك ، فإذا هو بامرأة قد أخذت مع قوم وهى تذكر أنهم استكرهوها فى نفسها ، فقال لها : طوبى لك ، أنت طلبت بما تقدرين عليه ، وأنا أطلب بما لا أقدر عليه ، فبلغ ذلك على بن عيسى ، فضحك عليه ، وحط عنه نصف ما عليه .

وكان رجل من العمال يطلب بمال ، فأحضر بين يدى بعض الولاة ، وأقيم على رأسه عونان ، وقيل لهما : انتفا لحيته ، فقال الرجل للوالى : ولم تفعل هذا بى؟ قال : حتى تؤدى ماعليك ، قال : نعم ، قال : وخراج أهل بيتك ، قال : نعم ، قال : وخراج سكان موضعك ، فرفع رأسه إلى العونين ، وقال : انتفا على بركة الله ، فضحك وخلى سبيله .

ومات بواسط رجل من المياسير فى أيام اليزيد ، فأحضر ابن الميت ، وقال له : ماترك أبوك من المال؟ قال : كذا وكذا ، وخلف من الورثة الوزير أعزه الله ، وأنا ، فضحك المتوكل ، وأمره ألا يتعرض له .

وكان بعضهم[2] فى سفر ، فوصل إليه كتاب من داره بموت أحد أولاده ، فقال : لا إله إلا الله ، ولد ونحن غائبون ، ومات ونحن غائبون ، فقال له مضحك : نعم ، وعمل وأنتم غائبون .

وكان بعض الملوك فيه ضر وشدة ، فلا يقدر أحد أن يبتدأه بكلام ، فبينما هو جالس يوما مع ندمائه فى براح ، إذا بعارض مطر شديد ، فلم يقم ، ولم يتجسر أحد أن يقول له شيئا ، والمطر فى زيادة ، وكان بينهم طيفور فيه فاكهة ، فأخذه رجل من الجمع ، وفرغ مافيه ، وألقاه على رأسه ، وقال للملك : اجلس ماشئت ، فضحك من فعله ، وقام من فوره .

---

(١) وردت نظائر لهذه الحكاية فى الأدب الإسبانى ، انظر : تأثيرات عربية ص٦٨ - ٧٠ . وفى [ح] فسر الملك برقصه ، والمتن هنا أدق .

(٢) وردت من قبل نظائر لهذه .

ولقى بعض الأمراء أسود فى بعض طرق نزهته ، فأمر بقتله ، فقال الأسود : ماذنبى؟ فقال : إنى تشاءمت برؤيتك ، فقال له الأسود : فمن تشاءم منا بصاحبه أكثر أنا أو أنت ؟ فضحك من قوله ، وخلى سبيله .

وعرض عمرو بن الليث عساكره ، فرأى فارسا ، تحته دابة مهزولة ، فقال : لعن الله هؤلاء ، يأخذون الدراهم ، فينتفعون بها ، ويستمتعون بفقاح نسائهم ، فقال الفارس : أيها الأمير ، لو رأيت امرأتى لعلمت أنها أهزل من كفل دابتى ، فضحك عمرو ، وأمر له بطعام وقال له : سمن فقحة امرأتك ، وكفل دابتك .

وخرج المعتصم إلى بعض متنزهاته ، فظهر له أسد ، فقال لرجل من فرسانه أعجبه قوامه وسلاحه ، وتمام خلقته : يارجل ، أفيك خير؟ فقال بعجلة : لا يا أمير المؤمنن ، فضحك المعتصم ، وقال : قبحك الله ، وقبح طلعتك .

وأراد أعمى أن يتزوج امرأة ، فحضرا مجلس القاضى ، ليشهد لهما ، فقال لها القاضى : اكشفى عن وجهك ، فكشفت ، فأعجبته ، فقال للأعمى : كم أمهرتها؟ فقال : أربعمائة درهم ، فقال القاضى : زدها ؛ فإنها تستحق أكثر ، فقال الأعمى : هذا ما عندى ، فإن كان عند القاضى زيادة ، فهو أولى بها .

ورأت طفلة عروسا يلعب مع عروسه ، فمضت لأبيها ، وقالت له : اشتر لى عروسا ألعب معه .

وتعشى أبو سالم القاص طفيشلا وشرب عليه نبيذا حارا ، وبكر ليقص ، فدخل المسجد ، وأقيمت الصلاة . وكان الإمام شيخا كبيرا ، فلما فرغ من الصلاة جلس فى المحراب ، فقام أبو سالم إلى جانبه يعظ الناس ، فبينما هو فى قصصه إذ تحركت بطنه ، فقال : قولوا : لا إله إلا الله ، فارتفعت الأصوات بالتهليل ، وخرجت منه ريح علم بها الإمام ، وقال : ياقوم ، لا تقولوا شيئا ، فإنه يريد أن يسلح على ، فضحك الناس وانصرف أبو سالم .

وحضر أبو عقيل مجلس بعض العلماء ، وهم يتجادلون فى الفقه ، فقال أبو عقيل : دعونا من الخوض فيما لاينفعنا ، أى شئ كان اسم حمار العزيز ، وأى شئ كان اسم هدهد سليمان عليه السلام ؟ .

ورفع رجل فى دين عليه إلى قاض ، فأمر به إلى السجن لقلة مابيده ، فمر بصبيان يلعبون ، فنظر إليهم ، وقال لهم : والله لقد كنتم نعم الأصحاب ، من يوم مافارقتكم مارأيت خيرا ، فضحك غريمه وأطلقه .

وانكسر رجل ، فجاء أصحابه إليه يزورونه ، فقالوا : كيف حالك؟ فقال لهم : فيكم من انكسر؟ قالوا : لا ، فقال : ما أقول لكم شيئا .

وكان[1] سائل يمشى ومعه ابن له صغير ، فسمع امرأة تقول ، وهى خلف جنازة : يذهبون بك والله إلى بيت ليس فيه غطاء ولا وطاء ولاغداء ولاعشاء ، فقال ابن السائل : لبيتنا والله يذهبون به .

ومر رجل[2] ومعه ابن له صغير برجل يقطع بمقص ، وهو يعوج فمه ، فقال له ابنه : يا أبت ، هذا مقصنا الذى تلف لنا ، فقال له أبوه : ومن أين علمت ذلك؟ قال : لأنه يعوج فمه ، كما كنت تفعل .

وكان ابن شبانة يوما ينشد ، فضرط ، فقال لاسته : إما أن تسكتى حتى أتكلم ، وإما أن تتكلمى .

وحضر مزيد مجلسا بالمدينة ، وفيه قينة تغنى ، ووصيفة على رأسها واقفة ، فتحركت القينة ، فخرج منها ريح بصوت ، فرفعت رأسها ولطمت الوصيفة ، فلبث مزيد يسيرا ، واستعمل خروج ريح بصوت ، فرفع يده ، ولطم الوصيفة ، فقالت له المغنية : مالك تلطم جاريتى؟ فقال : رأيت كل من يضرط يلطمها .

وكان لرجل أم عجوز ، فجرى يوما حديث النسوان وتزويجهن ، فقال رجل : كل امرأة تقدر أن تحمل البوقل إلى أعلى السطح ينبغى أن تتزوج ، فقالت العجوز : أنا والله أقدر أن ارفع الخابية بالماء ، فقال لها ابنها : والله لو صعدت بها فوق منار الجامع مازوجتك .

(١) لهذه الحكاية نظائر فى الأدب الإسبانى ، درسها بدقة الأستاذ جرانخا فى مقال نشره فى مجلة « الأندلس» ١٩٧١ وهذه الحكايه شرقت وغربت وهى فى كتاب لاثاريودى تورمس ، وترجمة د . عبد الرحمن بدوى ، ومصادر الحكاية قديما : المحاسن والمساوئ للبيهقى ، والأغانى للأصفهانى ، والمستطرف للإبشيهى ، وقد نقلها الكتاب الإسبانى من تلك المصادر العربية المكتوبة أو الشفوية .

(٢) وردت نظائر فى الأدب الإسبانى لهذه الحكاية ، انظر : تأثيرات عربية ـ فصل : «المقص الردئ» ص١٤٣ ـ ١٤٨ . وسقط من [س] قوله : حين يقطع به .

وكان لبعض الكتاب أم عجوز ، وكانت تختضب وتتصنع ، فاشتكت ، فجاءها الطبيب ، فجعل يقول فى خلال كلامه لما رأى من خضابها وزينتها : ما أحوجها إلى زوج ، فقال لها ابنها : اسكت ويحك هى عجوز هرمت ، فقالت العجوز : أنت أعلم أم الطبيب يا أحمق ؟

واجتمع ثلاثة نفر ، فقال أحدهم : على الطعام : وقال الثانى : وعلى الشراب ، فقال الثالث : وعلى لعنة الله إن فارقتكم ، فضحكوا من قوله ، ومروا به .

وقال بعضهم : أخذ الطائف على المدينة ليلا رجلا سكران ، فقال : اسجنوه ، فقال : أصلحك الله ، لاتفعل ، فإن على يمينا بالطلاق ألا أبيت عن منزلى ، فضحك منه وخلى سبيله .

ونظر ملاح إلى شىء على وجه الماء فى البحر ، فظن أنه قطيفة ، فقال : أنا والله أحوج الناس إليها ، فرمى بنفسه عليها ، فإذا هى من دواب البحر ، فتعلقت به ، فصاح به الناس : اترك القطيفة ، وانج برأسك ، فقال : قد تركتها ، وهى ليست تتركنى .

ودعا بعضهم قوما إلى طعامه ، فلما مدوا أيديهم إلى الطعام ، هاله منظرهم ، ولم يستطع الصبر ، فقال : هكذا والله تقوم القيامة .

وقال أبو العيناء : كنا على مائدة بعض الرؤساء ، فقدم إلينا جدى مشوى ، فلما ضرب الناس فيه بأيديهم ، قال صاحب البيت : أما أنتم مسلمون؟ فارفقوا به رحمكم[1] الله ؛ فإنه بهيمة .

وقال بعضهم : دعانى صديق لى ، وكان بخيلا ، فقدم على المائدة جدى ، فنحن نأكله ، وشاة تصيح ، قلت : اسمعوا هذه الثكلى تصيح ، فقال رب البيت : وكيف لاتصيح ، وقرة عينها بين أيديكم تمزقونه؟ .

وأكل قوم عند بخيل ، فلما رآهم قد أمعنوا الأكل أراد أن يقطعهم فقال : ليس هذا أكل من أراد أن يتعشى .

وكان ببغداد رجل غنى ، فسأله ابنه يوما أن يشترى له إجاصا ، فتقدم إلى جار له ، فقال : أعطنى إجاصة واحدة ، فلما أخذها ناولها ابنه ، وقال له : كل هذه ، فإنك لو أكلت منها ألفا فطعمها كطعم هذه الواحدة .

---

(١) «به رحمكم الله» من [س] .

وكان بها رجل آخر ، وكان لا يرى إلا رث الثياب ، فخرج يوما من منزله ، فلقيه رجل من الجند ، قد أخذ رزقه ، فلما رآه دفع إليه درهمين ، فقال له رجل يعرفه : لاتعط هذا شيئا ؛ فإنه أغنى من الأمير ، فالتفت إلى الرجل وقال : ماكان يضرك لو سكت؟ فقال الجندى : ويلك ، لم لاتلبس ، ولاتنفق على نفسك مما رزقك الله؟ قال : يمنعنى خشية الفقر ، قال : ويحك ، تعجلت ماكنت تخاف .

واشترى رجل من أهل الكوفة جبنة لعياله ، وقال : يكفيكم أن تمسحوا خبزكم بها ، فما زال كذلك حتى ضجروا منه ، وتمنوا موته ، فمات ، وورثه ابنه فقال : إن أبى كان مسرفا فى ماله ، فجعلها فى جراب وعلقها ، وقال : تكفيكم رائحتها ، والإيماء إليها ، فترحموا على الميت .

وقال بعضهم : كنت بالكوفة أبيع اللحم ، فوقف على رجل حسن الهيئة مليح المنظر ، فحسر عن ذراعيه ، وجعل يلطم اللحم بباطن كفه ، ثم يمشى إلى غيرى فيفعل مثل ذلك أياما ، فسألت عنه ، فقيل لى : هذا دأبه ، فإذا صار إلى داره غسل يده ، وصنع بذلك الماء ثريدا .

وقال بعضهم : قلت مرة لرجل غنى من أهل الكوفة : إنك لكثير المال ، وقميصك وسخ ، فلم لاتغسله ؟ فقال لى : والله إنى فكرت فى غسله منذ ستة أشهر ، ولكنه أغسله إن شاء الله .

وكان لرجل من أهل الكوفة أم عجوز ، وكان كثير المال ، فقيل لها : كم يجرى عليك ابنك ؟ قالت : درهما فى كل أضحى .

وخرج نفر من أهل الكوفة فى سفر ، واتفقوا على أن يخرج كل واحد منهم جعلا للسراج ، فأخرجوا ، وامتنع واحد منهم ، فكانوا إذا أوقدوا المصباح سدوا عينيه إلى وقت النوم ، فإذا أطفأوا السراج خلوا عنه .

واصطحب منهم اثنان فى سفر ، فقال أحدهما للآخر : تعال نأكل ، فقال له : معى رغيف ، ومعك رغيف ، فلولا أنك تريد أكثر ، ماقلت لى : تعال نأكل جميعا . وإلا فكل وحدك ، وأنا وحدى .

ودخل طفيلى على قوم فقالوا : ما الذى جاء بك؟ فقال : إذا لم تدعونى أنتم ، ولم آت أنا ، وقعت بيننا وحشة ، فضحكوا منه ، وأكل معهم .

ودخل ابن مضاء على بعض الأمراء ، فقال له : أى شئ خبرك يا ابن مضاء؟ قال : أعز الله الأمير ، وأى شىء يكون خبرى ، والخرا عند الناس أكرم منى وأفضل؟ قال : وكيف ذلك؟ قال : لأن الخرا يحمل على الحمير ، وأنا أمشى راجلا ، فضحك الأمير ، وأمر له ببغله يركبها .

وقال العتبى : كان بالمدينة مؤنث يدل على النساء يكنى أبا الحر ، فقلت له : دلنى على امرأة أتزوجها ، فدلنى على عدة نساء فلم أرض منهن واحدة ، فقال : والله يامولاى ، لأدلنك على امرأة لم تر مثلا قط ، فإن لم ترضها فاحلق لحيتى ، قال : فدلنى على امرأة ، فلما زفت إلى وجدتها أكثر مما وصف ، فلما كان فى السحر ، إذا إنسان يدق الباب ، فقلت : من هذا ؟ قال : أبو الحر ، وهذا الحجام معى ، فقلت : قد وقى الله شعرك أبا الحر ، الأمر كما قلت .

ودخل رجل على ثمامة بن أشرس وبين يديه طبق بفراريج ، فغطى الطبق بذيله ، وأدخل رأسه فى جيبه ، وقال للرجل الداخل : كن أنت فى البيت الآخر ، حتى أفرغ من بخورى .

وقال بعضهم : دخلت على يحيى بن عبيد الله ، وقوم يأكلون عنده ، فمد يده إلى رغيف ، فرفعه من المائدة ، وجعل يرطله بيده ، ويقول : يزعمون أن خبزى صغير فمن هذا الزانى ابن الزانية ، الذى يأكل منه نصف رغيف .

وقال : دخلت عليه مرة أخرى ، والمائدة موضوعة ، والقوم قد أكلوا ، ورفعوا أيديهم ، فمددت يدى لآكل ، فقال : أجهز على الجرحى ولاتتعرض للأصحا ، يقول : عليك بالدجاجة التى قد نيل منها ، والفرخ المنزوع الفخذ ، وأما الصحيح فلا تتعرض له .

وقال الأصمعى : كان المروزى يقول لزواره : هل تغديتم اليوم؟ فإن قالوا : نعم ، قال : والله لولا أنكم تغديتم لأطعمتكم لونا ما أكلتم مثله قط ، ولكنه قد ذهب أول الطعام بشهوتكم ، وإن قالوا : لا ، قال : والله لولا أنكم لم تتغدوا لأسقيتكم خمسة أقداح من نبيذ الزبيب ما شربتم مثله ، فلا يصير فى أيديهم من الوجهين قليل ولا كثير .

وكان ثمامة بن أشرس ، إذا دخل عليه أصحابه ، وقد تعشوا عنده سألهم : كيف كان مبيتهم ومنا مهم ، فإن قال أحدهم : إنه نام ليلة فى هدوّ وسكون ، قال : النفس إذا أخذت قوتها اطمأنت ، وإن قال : إنه لم ينم ، قال : إفراط الشبع والسرف فى البطنة ، ثم يقول لهم : كيف كان شربكم ، فإن قال أحدهم : كثيرا ، قال : التراب الكثير لايبله إلا الماء الكثير ، وإن قال : قليلا ، قال : ماتركت للماء مدخلا .

وبينما قوم جلوس عند رجل من أهل المدينة يأكلون عنده حيتانا ، إذا استأذن عليهم أشعب الطفيلى ، فقال أحدهم : إن من شأن أشعب البسط إلى آخر الطعام ، فاجعلوا كبار الحوت فى صحفة ناحية ، ويأكل معنا الصغار ففعلوا ، وأذن له فدخل ، فقالوا له : كيف رأيك فى الحيتان يا أبا أشعب؟ قال : والله إن لى عليها حنقا شديدا ، لأن أبى مات فى البحر وأكلته الحيتان ، قال له القوم : دونك فخذ بثأر أبيك ، فجلس ومد يده إلى حوت منها صغير ، ثم وضعه عند أذنه ، وقد نظر إلى الصحفة التى فيها الحيتان الكبار ، وقال : أتدرون ماتقول هذه الحوتة؟ قالوا : لاندرى ، قال : تقول : إنها لم تحضر موت أبى ولا أدركته ؛ لأنها أصغر سنا من ذلك ، ولكن عليك بتلك الكبار التى فى زاوية البيت ، فهى أكلت أباك .

وخطر طفيلى على قوم يأكلون ، وقد أغلقوا الباب دونه ، فطلع عليهم من الجدار ، وقال : منعتمونا من الأرض ، جئناكم من السماء .

ودخل طفيلى من المدينة ، على الفضل بن يحيى ، وبيده تفاحة ، فألقاها إليه ، وقال : حياك الله يامدنى ، فلزمها وأكلها ، فقال له الفضل : ويحك أتأكل التحيات؟ قال : إى والله والزاكيات الطيبات .

وقيل لبسرة الأحول : كم تأكل كل يوم ؟ قال : من مالى أو من مال غيرى ؟ قيل : من مالك ، قال : مكوك ، قيل : ومن مال غيرك؟ قال : أخبز وأطرح .

وقال أبو اليقظان : كان هلال بن أشقر التميمى أكولا ، فيزعمون أنه أكل جملا ، وأكلت امرأته فصيلا ، فلما أراد أن يجامعها لم يصل إليها ، فقالت له : كيف تصل إلى ، وبينى وبينك جملان ؟ .

وحكى أبو الخطاب قال : كان عندنا رجل أحدب ، فسقط فى بئر ، فسقطت حدبته ، فصار بأدرة ، فدخل الناس عليه يهنئونه ، فقال : الذى جاء شر من الذى ذهب .

وقال أبو حاتم[١] : رمى رجل أعور بنشابة ، فأصابت عينه الصحيحة فقال : أمسينا ، وأمسى الملك لله .

وقال الزبير[٢] بن بكار : جاءت امرأة إلى أبى تستعديه على زوجها ، وتزعم أنه يصيب جاريتها ، فأمر به فأحضر ، فسأله عما ادعت ، فقال : أصلح الله الأمير ، هى سوداء وخادمها سوداء ، وفى بصرى ضعف ، ويضرب الليل برواقه ، فآخذ مادنا منى .

وخطب[٣] رجل خطبة نكاح ، وأعرابى حاضر ، فقال : الحمد لله ، أحمده ، وأستعينه وأتوكل عليه ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له ، وأن محمدا عبده ورسوله ، حى على الصلاة ، حى على الفلاح ، قد قامت الصلاة ، فقال له الأعرابى : لاتقم الصلاة ؛ فإنى على غير وضوء .

وقال[٤] العوام بن حوشب ، قال لى عيسى بن موسى : من أرضعتك؟ قلت : ما أرضعتنى سوى أمى ، قال : قد علمت أن ذلك الوجه القبيح لايصبر عليه سوى أمه .

وكان رجل[٥] مخنث ، قد تنسك ، وتشبه بالحسن البصرى ، فشهد جنازة ووقف على القبر ، وإلى جانبه رجل ظريف ، فضحك ، فقال له المخنث : ما أعددت لهذه الحفرة أبا فلان؟ قال : أمك ندفنها فيها الساعة .

ودخل أعرابى[٦] الحمام فضرط ، فقال له نبطى : جبحان الله ، فقال له الأعرابى : يا أبن اللخناء ، ضرطتى أفصح من تسبيحك .

---

(١) وردت نظائر لهذه الحكاية فى الأدب الإسبانى ، انظر : تأثيرات عربية ـ ص ٣٥ ـ ٣٩ .

(٢) وردت فى العقد الفريد ـ جـ ٣ ـ ص٣٩٢ ، منسوبة لابن الزبير .

(٣) وردت فى المصدر السابق .

(٤) وردت فى المصدر السابق .

(٥) المصدر السابق . وفيه : قذفك فيها الساعة ، بدلا من أمك . . . ووردت فى الأغانى جـ١٠ ـ ص٢٦٢ . منسوبة لأبى دلامة .

(٦) المصدر السابق ص ٣٩٢ ـ ٣٩٣ . وفيها خطأ ، ورواية الحدائق أدق .

وفى كتاب [1] ابن الهندى أن ناسكا كانت له جرة بسمن ، فعلقها فى سرير ، ففكر يوما ، وهو مضطجع على السرير وبيده العكاز ، فقال : أبيع الجرة بخمسة دراهم ، فأشترى خمسة أعناز ، فأولدهن فى كل سنة مرتين حتى تبلغ ثمانين ، فأبيعها ، وأشترى بكل عشرة بقرة ، ثم ينمى المال بيدى ، فأشترى العبيد والإماء ، ويولد لى ولد فأؤدبه ، فإن عصانى ضربته بهذه العصا ، وأشار بالعصا فأصاب الجرة فتكسرت ، وانصب السمن على رأسه .

(١) وردت فى العقد الفريد ـ جـ ٣ ـ ص٣٩٣ ، وفيه « وفى كتاب الهند» . ولها نظائر شعبية فى الأدب الإسبانى ، انظر El Conde Locanor ــ الفصل السابع ــ وعنوانه : Lo que Sucedia a una mujer llamada ماحدث لامرأة تدعى طروهانا . Dana Truhana. Pag. 42 - 44 وموجزها أن امرأة بهذا الأسم ، كانت تحمل جرة عسل إلى السوق ، وأنشأت تحلم بالثراء إلى أن اختلج مشيها ، فعثرت فتحطمت الجرة والأحلام .

ومؤلف الكتاب Don Juan monuel ـ ولد بمرسيه ١٢٨٢ وتوفى ١٣٤٨ ـ حيث كان يعيش المؤلف فى كنف عمه ألفونسو العاشر الملقب بالحكيم ، وكان بلاطه عربيا تماما ، والمؤلف معاصر لابن عاصم فى أخريات حياة الأول . وهو سابق على صاحبنا ، وهما يستقيان من مصدر واحد ، وكتاب القونت لوقانور ترجمناه ، وانظر عن هذا الكتاب كتابنا « أدب ونقد» الفصل الخاص به . وانظر أيضا : Origenes de la novela ــ لميننديث بيدال ـ فى مواضع متفرقة .

وابن عاصم ودون خوان مانويل آخذان هذه الحكاية من «كليلة ودمنة» وهى فى باب الناسك وابن عرس وتقول : زعموا أن ناسكا كان يجرى عليه من بيت رجل تاجر ، فى كل يوم رزق من السمن والعسل . وكان يأكل منه قوته وحاجته ، ويرفع الباقى ، ويجعله فى جرة ، فيعلقها فى وتد فى ناحية البيت ، حتى امتلأت ، فبينما الناسك ذات يوم مستلق على ظهره ، والعكازة فى يده ، والجرة معلقة على رأسه ، تفكر فى غلاء السمن والعسل ، فقال : سأبيع ما فى هذه الجرة بدينار ، وأشترى به عشرة أعنز ، فيحبلن ويلدن فى كل خمسة أشهر بطنا ، ولاتلبث إلا قليلا حتى تصير غنما كثيرة ، إذا ولدت أولادها ، ثم حرر على هذا النحو بسنين فوجد ذلك أكثر من أربعمائة عنز ، فقال : أنا أشترى بها مائة من البقر ، بكل أربعة أعنز ثورا أو بقرة ، وأشترى أرضا وبذرا ، وأستأجر أكرة ، وأزرع على الثيران ، وأنتفع بألبان الإناث ونتاجها ، فلا يأتى على خمس سنين إلا وقد أصبت من الزرع مالا كثيرا ، فأبنى بيتا فاخرا ، وأشترى إماء وعبيدا ، وأتزوج امرأة جميلة ذات حسن ، ثم تأتى بغلام سرى نجيب ، فأختار له أحسن الأسماء ، فإذا ترعرع أدبته ، وأحسنت تأديبه ، وأشدد عليه فى ذلك ، فإن يقبل منى ، وإلا ضربته بهذه العكازة ، وأشار بيده إلى الجرة فكسرها ، فسال ما كان فيها على وجهه . ص٨٣ ـ ط ـ دار الشعب . وهى هنا أطول ، وإن كانت فى القونت لوقانور فيها حوار كالعادة ، وتتفق كلها فى المغزى ، وإن اختلفت فى بعض التفاصيل . ولفظ «كتاب الهند» أو : «كتاب ابن الهندى» مقصود به بلا ريب « كليلة ودمنة» باعتبار أصله الأول .

الباب الثالث

فى المضحكات المستملحة وإن كانت ألفاظها مستقبحة

وعد العرجى امرأة تزوره فى متنزهه ، فجاءته على حمارة ومعها جارية ، وجاء العرجى على حمار ، ومعه غلام ، فواقعها ، وخرج ، فرأى الغلام على الجارية ، والحمار على الحمارة ، فلما نظر الحال قال : هذا يوم غابت فيه عذاله .

وكان رجل كلما وقع بينه وبين امرأته شر ألح عليها بالجماع ، فتقول له : لعنك الله ، كلما وقع بيننا شر جئتنى بشفيع لا أقدر على رده .

وخرجت عجوز تسوق ماء وفى يدها قلة ، فرأت رجلا . . . حمارة وهو لا يكاد يلحقها ، فبقيت تقول له : ارفع اشوى ، انزل اشوى ، كذا لليمين ، كذا للشمال ، حتى نسيت نفسها ، ووقعت لها القلة وتكسرت ، فلما تخلص الرجل من عمله ، رجعت العجوز إلى نفسها ، فوجدت القلة قد تكسرت ، فقال لها رجل آخر كان يراها : احملى الماء فى حرك .

وراود رجل امرأة ، فلما قضى وطره منها ، طلبت منه حق ذلك ، فقال لها : قضيت شهوتى وقضيت شهوتك ، فلم تدخل الدراهم هنا؟ من أجل هذا يقول الفقهاء : إن الزنى حرام .

واشتكى صبى لمؤدب ، فقال : ياسيدى هذا قال لى : ولد قحبة ، فوصى المؤدب الآخر ، وقال له : إياك أن تصيحه باسم أمه .

وقال صبى لآخر : يا أمرد ، فقال له الآخر : أمرد أحسن من الذى يعطى سوأته .

وساق رجل لداره سفنارية ، وقال لزوجته : إن عملتها مطبوخة نفعت البصر ، وإن أكلناها نيئة شدت الذكر ، فقالت له : انكسرت القدر .

وكان قاض يقول : الدنيا وما فيها ؟ وما هى الدنيا ؟ والله ما أشبهها إلا . . . الحمار ، فبينما هو أدنى ، فإذا هو فى بطنه .

وأتى أبو العجاج بمخنث ، فقال : ما هذا؟ قيل له : مخنث ، قال : وما يصنع؟ قيل : ينكح كما تنكح المرأة ، قال : يبذل هو استه وأحصرها أنا عليه؟ اذهب يا ابن أخى ، فابذلها كيف شئت .

وتزوج[١] رجل امرأة ، فوجد فيها سعة ، فقال : أى مجلس هذا المجلس لولا سعته وانخراقه ، قالت : رحم الله صديقه الذى اشتكى ضيقه ، جاءت العدة الرقيقة ، وجدت الدنيا منخرقة .

وقال رجل : امرأتى مثل قفة النجار ، كل من جاء يجعل ماعونه فيها .

وجاءت[٢] امرأة إلى قاضٍ تشتكى صغر . . . زوجها ، فقال : يا سيدى ، كيف كان هو ، ولكنها اتسعت .

وكان على رجل مغرم ، فجاء القابض ، وقال : اعطنى مغرمك ، ومغرم أختك ، قال : أنا لا أعطيك إلا متاعى ، وأختى تعطى متاعها بساقيها للطلوع ، قال : فذكرها أنت وترانى نخطر عليها .

وقيل لرجل : لم لا تصلى ؟ فقال : نستحى أن نتميل على أربعة ، فيصبعنى إبليس .

وأتى رجل زوجته فوجدها حائضا ، فجامعها فى دبرها ، فقالت : ما هذا؟ قال : يؤخذ الجار بذنب الجار ، فلما تخلص قالت له : والله فعلت ما لا يجوز ، قال : بزقته أنا ، وجاز كله .

ورأى شيخ شيخا آخر فى الحمام ، فقال أحدهما للآخر : أنت مثل العناب ، كلما تكمش زاد حلاوة ، قال له الآخر : وأنت مثل الزرزور ، أطيب ما فيه سوأته .

وأتت امرأة إلى عطار تشترى منه شيئا ، فأعجبته ، فجعل يشير إليها ويقول : الحر يا حرة ، فقالت له : حر أمك ، ويجىء منه المثلث لقطرب .

وحضرت امرأة على رجل بوفة ، فقالت له : احلق رأسك ، فقال لها : واحلقى أنت حرك ، قالت له : إن شاء الله ، رأسك مثله محلوق مشقوق .

(١ ، ٢) تكررت هذه النادرة من قبل ، ولها نظائر فى الشعر والنثر كثيرة ، منها قول الفرزدق وقالت :

وقالت : رق أيــرك منــذ كبرنـــا فقلت لها : بل اتسع القفيز

وقبله :

أنا شيخ ، ولى امرأة عجوز تراودنى على ما لا يجوز .

انظر العقد الفريد ـ جـ ٣ ـ ص ٢١٤ .

وقال رجل : سبحان الله ، مايجىء من يرفع ثيابنا من قدام ، إلا من وراء ، فقال له ابنه : أنا رأيت من يرفع ثياب أمى من قدام ، فقال له : عار بن عار ، كأنى ما ندرى هذا .

وأشار رجل طرائقى على صبى بدرهم كبير ، فذهب الصبى فى شغله ، والرجل يتبعه ، حتى حصل معه فى سوق ، فرد الصبى وجهه إليه ، وقال له : إن عزمت أن تتلوط ، فكن كالحراث ، نصفه سكة .

ودخل رجل الحمام ، فوجد فيه رجلا على صبى ، فقال له : ياعدو الله فى الحمام ؟ قال : أفتحملنى أنت لدارك؟ قال : يا عدو الله ، واليوم يوم الجمعة؟ قال : تضمنه للسبت؟

وكان رجل يمشى فى السوق ، فسمع امرأة تقول : أعطونا طريقا ، فقال لها : أى للدار .

ووصل رجل إلى امرأة كان يهواها ، فلما قرب منها لم يقم ذكره ، ولم ينل منها شيئا . فلما خرجت قام ذكره ، فأخذ يد المهراس ، وضرب ذكره به لما وجد عليه من الغيظ ، فضرط ، وقال لاسته : وأنت عاد تحتمى معه ، فأولجه فى استه .

وغابت امرأة عن زوجها يوما وليلة ، فلما دخلت عليه ، قام يضربها فرمت إليه بدينار من يدها ، فقال لها : سبحان الله ، هل قلت لى إنك بت فى دار أمك؟

وخرج صبى يشترى لأمه فجلة ، فوجد الفجال يقيس الفجل . . . فى قاعة الحانوت ، فرجع الصبى ، ولم يشتر منه ، وأخبر أمه ، فقالت له :فعلت صوابا ، والله لو اشتريتها منه لضربتك بالسوط ، وسكتت قليلا ثم قالت له : أى فجال هو هذا الملعون؟ فبقى الولد ينعته لها ، فقال له الوالد : قم ياولدى ودلها عليه ؛ لئلا تمشى إلى جميع الفجالين تقيس فجلهم .

ودخل رجل بصبى على صاحب له ، وقال : أنى أريد عمله ، فلم يكن له فى الدار موضع يستتر منه فيه ، فجعل إزارا بينه وبينه ، فلما تخلص قال له : اطو إزارك ، جعله الله لك حجابا من النار .

وكانت(١) امرأة كثيرة الزواج ، لايقيم معها الرجال إلا قليلا ، ويطلقونها ، فقيل لها : ما بال الرجال لا يقيمون معك؟ قالت : قوم يحبون الضيق ، ضيق الله عليهم .

(١) تكررت لها نظائر فى هذا الكتاب ، وفى كثير من المصادر القديمة .

وقيل لامرأة : أى الأشياء أحب إليك ؟ قالت : كأس ودلفاس ، والذى يكون منه الناس .

ودخل[1] رجل مع امرأته بالليل ، فلما أمعن بالفعل إذا بالصياح : البحر ، البحر ، فأخرج ذكره وقال : أرينا ، أرينا .

وسمع رجل رجلا يتأوه ، فقال له فى ذلك ، قال : زوجتى أسوق لها الخبز واللحم والطرف ، فأريد منها ما يريد الرجال من المرأة ، فتأبى ، قال له : أتراك تكثر عليها؟ قال : لا والله ، إلا مرة فى الشهر ، فقال له : بهمة ، وابزق فى وجهها ، وأعطيك أنا مرتين فى الجمعة .

وكان لوالد جحا جارية ، فلما خرج للصلاة ، دب جحا للجارية ، فانتبهت وقالت : من هذا؟ قال لها : اسكتى ، أنا والدى .

وأكل رجل مع امرأته ، فلما رفعت المائدة ، وجد فتات الخبز قد سقطت ، فجعل يلتقطها ، فقالت له امرأته : لم تفعل هذا؟ قال : لأنه يزيد فى الجماع ، فعادت تفتت خبزة تحت المائدة عند كل أكل .

ومد رجل يده إلى امرأته ، فقالت له : لا أفعل ؛ فليس لى برمة أدفئ فيها ماء ، قال لها : دعينى أجعله بين فخديك فلاتحتاجين إلى غسل ، فقالت : ادخله ، ودعنى استعير برمة من الجيران هذه المرة .

ودخل أبو الضمضام على امرأة فوجدها نائمة فواقعها ، فانتبهت غاضبة فقالت له : قطع الله ظهرك ، تبردنى بالماء وأنا محمومة؟ قال : يا سيدتى ، وعز هذا عليك ، إنما فعلته لأسرك ، فإن كان شق عليك أخرجه ، فقالت له : دعنى ؛ عسى أن نعرق عليه .

وقالت امرأة لزوجها : قد تخرق قرقى ، ولا أقدر على الخروج . فاشتر لى قرقا ، قال : أيهما أحب إليك ؟ أشترى لك قرقا أو أجامعك فى هذه الليلة ؟ قالت : فدع هذا القرق البالى نسلل به .

---

(١) هذه الحكاية من [س ، د] .

ودخل رجل الحمام ، ومعه ابن صغير ، فلما خرج الابن إلى أمه يبكى ، فقالت له : ما يبكيك ؟ قال : يا أم ، لم أر فى الحمام أصغر . . . من أبى ، فقالت له : يا ولدى ، وأى بخت لأمك ، حتى يكون لها . . . كبير ؟ معاش أبيك معاش الفقراء ، و . . . الأغنياء .

وقال الجاحظ : رأيت يوما مؤدبا ، وهو قد أخرج ذكره لصبى ، وهو يلعب به ، فقلت له : ما هذا الذى تصنع ؟ قال : يا أخى ، سمعنا أنه من فرح قلب يتيم فرح الله قلبه يوم القيامة ، وهذا الصبى يتيم ، فأنا أعطيه ذكرى يلعب به ، ويفرح به .

وقال رجل لابنته : إنى أريد أن أزوجك من فلان ، قالت : الله الله فى أمرى ، لاصبر لى عنك ، ولا أحتاج لزوج ، قال : فأتركه ، عسى أن يجىء من هو خير منه ، فقد بلغنى عنه خصلة ، لا أرضاها لك ، قالت : وما هى ؟ قال : بلغنى أن له . . . كبير . . . الحمار ، قالت : يا أبتى ، زوجنى فى حياتك ، فإن الحوادث لا تؤمن .

وأراد مؤدب أن يتزوج امرأة ، كان ابنها يقرأ عنده ، فامتنعت عليه ، فأمر بتحميل ابنها وضربه ، وقال له : قل لأمك : . . . المؤدب كبير ، فلما رجع لأمه قال لها : ضربنى المؤدب ، وقال : كذا وكذا ، فأرسلت إليه : أحضر الشهود الساعة ، ونتزوج .

وقال سهل الأعور : أدخلت قحبة فى رمضان ، فأولجته فيها ، وجئت أن أقبلها ، فامتنعت ، وحولت وجهها ، فقلت : ولم تمنعين؟ قالت : سمعت أن القبلة تفطر الصائم .

وقالت امرأة لصديقتها : معشوقى يجيئنى غدا ، قالت : ومن أين علمت ذلك؟ قالت : اختلج حرى ، قالت لها : يازانية ، أصار حرك منجما أو كاهنا ، أو معبرا ؟ .

وقال بعضهم : ساق قواد غلاما لرجل ، فقال له : كم سومه؟ وكان الغلام قد التحى ، فقال : كان فى العام الماضى يأخذ عشرة دنانير ، فقال له : يا قواد ، إنما سألتك عن هذه السنة ، لا عن العام الماضى ؛ فلقد كانت جدتى مهرها عشرة آلاف درهم ، ولما ماتت نقلت إلى المقابر بعشرة دراهم ، وموت هذا خروج لحيته .

ووجد بعضهم فى صومعة مع صبى ، وسراويلهما فى الأرض ، فقيل له : وما هذا؟ قال : أريد أن أبدل معه سراويلى بسراويله ، فانظر بالله أيهما أجود ؟ لئلا يغشنى .

وحكى الجاحظ : أن رجلا رأى فى الحمام غلاما ، فرام له ، فامتنع الغلام ، فضربه ، فصاح فاجتمع الناس وقالوا : لم ضربت الغلام؟ فقال : لأنه صب لى ماء حارا كاد يقتلنى ، قالوا : فلم . . . قائم؟ قال : من شدة الحر .

وروى الجاحظ : أنه مر بمؤدب فى بعض القرى ، وهو يؤدب الصبيان ، بلا درة ، وهم لا يفترون من القراءة والصياح ، قال : فتعجبت من ذلك ، وقلت له : قد رأيت كثيرا من المؤدبين ، فما رأيت فيهم إلا من له درة ، وأنت أراك دون درة ، وصبيانك لايفترون عن القراءة ، قال المؤدب : كل معلم يحبس درة فهو سخيف العقل ، قال له : فيم تؤدب أنت صبيانك؟ قال : لى . . . كبير ، فإذا سكتوا أخرجه لهم وأقول : أدخل الله هذا . . . فى حر أم من لا يقرأ ، فهم لايفترون من القراءة ؟ خوفا من . . .

وجاء مخنث إلى طبيب وقال له : يا سيدى ، خرج لى شىء فى المدخل ، فقال له الطبيب : وأين هو المدخل فى الإنسان؟ فأشار إلى مخرجه ، فقال له : المخرج قل يا جاهل ، فقال له المخنث : وكيف ذلك ياسيدى ، والداخل فيه أكثر من الخارج ؟ .

ويحكى أن ابن دينار البناء ، بنى يوما عند امرأة من اليهود ، وكانت جميلة ، ولم يكن فى الدار غيرها ، فكانت تعجن له الجص فى محبس كبير ، وتقدمه له ، فأعجبته وهم بها . ولم يتجرأ أن يقيس عليها ، فقال لها : اجعلى الجص كله فى المحبس ، واتركى يديك فيه ساعة ؛ فإنه يصلح ، ففعلت ، فعقد الجص على يديها ، فقام إليها ، وكانت على أربع ، فكشف عنها ثيابها من ورائها ، وقضى منها وطره ، ثم حفر بعد ذلك على يديها وأخرجها .

ورأى رجل جارية فى قارب ورجلها تعوم فى الماء ، فنقر فى القارب ، وقال : ليتنى مكاس فى هذه الرحى ، قالت له : يصرعك القرق .

ولقى رجل امرأة مليحة ، وفى رجليها خضاب من الحناء ، وقرق جديد ، فقال لها : يا سيدتى ، ليت ذلك القرق فى عنقى ، قالت : دون ساق مخلوطا بالزفت فخجل ، ولم يجد جوابا .

ورفع إلى صاحب شرطة جماعة قد استحقوا التأديب ، وفيهم شيخ ، فضربهم ، فلما انتهى إلى الشيخ قال : أجلسوه ، قال الشيخ : نصيحة ، أصلحك الله ، قال : وما هى؟

قال : تحتك بساط جيد نظيف ، وإن ضربتنى سوطا واحدا سلحت لك على البساط ، فضحك من قوله ، وخلى سبيله .

ورفع رجل إلى قاض فى حد ، فهم بضربه ، فقال له الرجل : بالله عليك يا سيدى ، لاتفعل ذلك ؛ لئلا تحدث على نفسك ذكرا قبيحا ، قال : وكيف ذلك؟ قال : أنا أعرف بالعميرة ، فإذا ضربتنى يقول الناس ؛ ضرب القاضى العميرة ، فقال : اتركوه .

ورفعت امرأة زوجها إلى القاضى ، فقالت : أعزك الله ، هذا زوجى وليس يقوم بمؤنتى ، فقال الزوج : ما تزوجتك إلا على أن أكسوك وأطعمك فنظرت المرأة إلى القاضى وقالت : ألا تنخر له ؟ فقال القاضى : . . . أنت ، وأنخر أنا ؟

وقال رجل للحسن البصرى : أعزك الله ، إنى رجل أفسو كثيرا فى ثيابى ، فتفوح فيها رائحة ، أتحل لى الصلاة فيها ؟ قال : تحل لك ، لا أكثر الله فى المسلمين مثلك .

وجاءت امرأة إلى فقيه ، فقالت له : إن زوجى تزوج امرأة أخرى؟ فهل يجوز لى أن أتزوج زوجا آخر ؟ قال : لا ، قالت : فإنى قد تزوجت وجاز لى ، قال : فلم تسأليننى حين جاز عندك ؟

وجاء رجل إلى فقيه ، فقال له : أبقاك الله ، إنى رجل فقير غريب ، لا أجد ما أتزوج به ، ولا أقدر على ما أزنى به ولا ما ألوط ، فإذا خلوت جلدت[1] عميرة ، فهل ترى لى فى ذلك من أجر وثواب ؟ فقال : يا سفلة ، ليتك تخرج رأسا برأس ، حتى تطلب الأجر والثواب .

وجاء آخر إلى فقيه فقال : رضى الله عنك ، ما تقول فى قوم قطع عليهم الطريق وسلبوا ، ولم يبق معهم إلا قلنسوة ، كيف يصنعون بها إذا صلوا ؟ فقال : يضعها الإمام على رأسه وهو قائم ، فإذا ركع أو سجد جعلها على باب استه .

وسمع رجل رجلا ينشد شعرا ، فقال : لمن هذا الشعر؟ قال : لأمى ، قال له الرجل : إذا رأيتم الدجاجة تصيح صياح الديك ، فاعلموا أنها تريد السفاد .

(١) «جلدت عميرة» من [د ، س].

وتزوج رجل امرأة ، فلم يستطع نكاحها ، فقالت له : ما أحوجنا إلى من يتزوجنا ، فقال لها : من فمي والله أخذتها .

وتزوج رجل امرأة ، فولدت له يوم دخوله بها ، فقال لها : ما هذا ؟ فقالت : أظنك ملحدا قدريا ، قال : وكيف ذلك؟ قالت : فالله سبحانه قادر أن يخلق الولد من ساعته ، فقام إليها ، وقبل رأسها ، وقال لها : قولك بالسنة أحب إلى من هذا المولود .

وسافر رجل ثم عاد ، فقيل له : لم جئت؟ قال : جئت لآخذ امرأتى ، فإنى تركتها هنا تزنى ، وأنا هناك أزنى ، فقلت : أزنى أنا وهى فى موضع واحد ، أصلح لنا من أن نفترق ، فتتغلظ النفقة .

وقيل لمخنث : ما أفضل الأسماء عندك ؟ قال : الزبير ، قيل : ولم ذلك ؟ قال : لأن أوله . . . ، وآخره . . .

ودخل أبو علقمة الأسدى[1] على الفضل بن عبد الرحمن الهاشمى ، فقال الفضل لجلسائه : إذا جلسنا على المائدة ، وأبو علقمة معنا ، فليضرط أحدكم ثم آخر ثم آخر ، يكون بين كل ضرطتين فرجة ، فلما وضعت المائدة فعلوا ، فأخذ أبو علقمة المائدة ، وذهب بها ، فقيل : إلى أين يا أبا علقمة؟ قال : إلى الكنيف فمن أراد منكم أن يخرى كان قريبا .

ودخل أعرابى مدينة فرأى جارية حسناء مع مولاها ، فأعجبته ، ووقف ينظر إليها ، فقال له مولاها : هل لك فيها من أرب؟ قال : إى والله ، قال له مولاها : إن واقعتها فى وسط السوق فهى لك ، وإن لم تفعل فناقتك لى؟ قال : نعم ، فأشهد عليك بذلك ، فنزل الأعرابى عن ناقته وأراد وطء الجارية ، فصاح به الناس ، وحالوا بينه وبينها ، وأرادوا قتله ، فهرب ، وأخذ له صاحب الجارية الناقة .

ودخل أبو عثمان الضمرى الحمام ، فوجد أعمى قد ركب أعمى يعمله ، فقال له : ما هذا ؟ فقال له : ﴿ **ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ** ﴾[2] .

---

(١) الأزدى فى [س] .
(٢) سورة النور ـ الآية ٤٠ .

وأتت جارية إلى أبى الضمضم ، فقالت : إن هذا قبلنى ، قال : قبليه أنت فإن ﴿وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ﴾[1]

وارتفع[2] رجلان إلى أبى الضمضم ، فقال أحدهما : أبقاك الله ، إن هذا قتل ابنى ، قال : هل لابنك من أم؟ قال : نعم ، قال : ادفعها إليه حتى يولدها مثل ولدك ، ويربيه حتى يبلغ مبلغ ولدك ، ثم يدفعه إليك .

ولقى رجل امرأة جميلة ، فجعل يتعرض لها ويسألها أن تكشف له عن وجهها ، فقالت : يا هذا ، ارجع فأبى ، وألح عليها ، فدخلت دربا وكشفت عن وجه شاطر البدر حسنه ، وقالت له : انظر ما يقوم به . . . ، وينكحه غيرك .

(١) سورة المائدة ـ الآية ٤٥ .

(٢) وردت فى العقد الفريد ـ جـ ٣ ـ ص٣٩٣ .

الباب الرابع

فى المضحكات الشعرية

سمع بشار بن برد كلام امرأة فأحبها ، وأرسل إليها أن تواصله ، وألح عليها فقالت لرسوله : أى معنى له فى ، أو لى فيه ، وهو أعمى لايرانى ، فيعرف جمالى ، وهو قبيح الوجه ، لاحظ لى فيه؟ فليت شعرى ، لأى شىء يطلب وصال مثلى ؟ فأدى إليه الرسول كلامها ، فقال : عد إليها ، وقل لها :

. . . لـه فـــــضلٌ عـلـى . . . وإذا أشَظَّ سـجـدْنَ غـيْـرَ أوَابِ

وتراه بعـد ثلاثَ عـشـرةَ قـائـمـا نظرَ المؤذنِ شكَّ يومَ سـحـاب [1]

وهذا البيت فى بابه من عجيب التشبيه ، وكان الجاحظ يعجب من وصف بشار فى هذا البيت . . . ، إذا قام وتوتر ، ومال برأسه مرة يسرة ، ومرة يمنة ، ويقول : انظر ما أعلمه بتلفت المؤذن ، وشكه فى يوم السحاب ، وهو لم ير من ذلك شيئا قط .

وقال الفنجديهى : سمعت الحافظ[2] أبا جعفر يقول : مازحت شيخنا نجيب بن فقمون[3] الواسطى يوما وكان شيخا ظريفا ، فقلت له : أخبرنى ، هل بقى من سلطان الهوى شىء؟ وهل تقوم للخدمة العكازة الميمونة ، فقال : آه ، آه ، ثم أنشد :

تعـقَّبَ فـوْق الخصُـيـتـيْن ، كـأنه رِشـاءُ على رأس الرَّكـيَّـةِ مُلْتَفُّ

كفْرخِ ابن ذى يومين ، يرفعُ رأسَه إلى أبوَيْهِ ، ثم يُدركه الضَّعْفُ[4]

وهذا ضد ما وصفه بشار ، وهو أيضا من عجيب التشبيه .

وتعشق بشار بامرأة ، وتردد إليها رسوله حتى أقلقها ، فشكته إلى زوجها فقال لها : أجيبيه ، وعديه ، ففعلت ، ووجهت له ، فجاء ، ولم يعلم بزوجها ، فقال لها : ما اسمك

---

(١) البيتان من الكامل ، وهما لبشار ، وقد ورد البيت الثانى فقط فى الشعر والشعراء ص٤٧٨ ، وقد وردت الأبيات فى الأغانى ـ جـ ٣ ـ ص ٢٠٢ ، وثالث البيتين فى رواية الأغانى ، وليس بشىء . هو :

وكأن هامة رأسه بطيخة حملت إلى ملك بدجلة جابى .

وكلام الجاحظ عن هذا التشبيه كلام فاهم عليم .

(٢) «الحافظ أبا جعفر» من (د) .

(٣) «ابن ميمون الواسطى» فى [س] .

(٤) البيتان من الطويل ، وهما لابن حكيمة من أبيات ، وجل شعره ـ كما يقول فى رثاء متاعه ، والتشبيه فيهما من غرائب الكلام ، فوات الوفيات ـ جـ٢ ، ترجمة ابن حكيمة .

بأبى أنت؟ فقالت : أمامة ، فقال :

أُمامُة قد وُصفْتِ لنا بحُسنٍ   وإنا لا نراك فأَلْمِسينا[١]

فوضعت يده على . . . زوجها ، وقد قام بحسن حديثها معه فوثب بشار قائما ، وقال :

عليَّ أَلِيَّةٌ ما دمتُ حيًّا   أَمَسُّكِ طائعا ، إلا بِعُودِ
ولا أُهدى لأرضٍ أنتِ فيها   سلامَ الله ، إلا من بعيد
طلبتُ غنيمةً ، فوضعتٍ كفىَّ   على . . . أشدَّ من الحديد[٢]

وخطب رجل امرأة ، فجعل يخطب ، وذكره يقوم ، فضرب بيده على رأسه ، وقال : إليك يساق الحديث ، أخذه الشاعر فقال :

وجاءتْ ، وقالتْ : متى نلتقى؟   فهشَّ اشتياقا إليها الخبيثُ
وكاد يمزِّقُ سِرْواله   فقلتُ : إليكَ يُساقُ الحديث[٣]

وقال الأصمعى : تزوج رجل من عذرة امرأة ، فغاب عنها ، ثم قدم عليها ، فلما جمعهما المضجع ، قال لها : ما فعلت بعدنا؟ فأنشأت تقول :

ما مسَّنى بعْدَكَ من إِنْسِىّ   غيرُ غلامٍ واحدٍ جَعْدِىّ
ورجلٍ أحمقَ من بَلِىّ   ورجلين من بَنى عَدِى
وخمسةٍ كانوا مع المطىّ   وسبعةٍ وافوا مع العَشِىّ
من بين نَجْدِىٍّ إلى مَكِّىّ   ومن تِهامِىٍّ إلى نَجْدى[٤]

فقام إليها بالسوط ، فاجتمع لذلك من حوله يلومونه ، فقال : والله لولا ما قمت على ضربها ، لعدت على أهل عرفات .

ودخل عيسى بن موسى على جارية له ، فعجز عنها ، فقال :

---

(١) البيت من الوافر ، وهو لبشار . انظر :
(٢) الأبيات من الوافر - بشار -
(٣) البيتان من المتقارب - والحكاية - دون الشعر - واردة فى العقد الفريد - جـ٢ ، ص٨٤ .
(٤) أرجوزة .

النفسُ تطمعُ والأسبابُ عاجزةٌ والنفسُ تَهْلَكُ بيْنَ الْعَجْزِ والطَّمَعِ[١]

ووقع أعشى همدان أسيرا عند الديلم ، ثم إن ابنه العلج الذى كان عنده عشقته ، فمكنته من نفسها ، فأصبح وقد واقعها ثمانى مرات ، فقالت له : هكذا فعلكم بنسائكم معشر العرب؟ قال : هكذا نفعل كلنا ، قالت : بهذا العمل نصرتم ، أرأيتك إن خلصتك تصطفينى؟ فساعدها ، فحلت قيوده بالليل ، وأخذت به فى طرق تعرفها ، حتى نجا ، فقال أسير شاعر فيه :

فَمَنْ كان يَفْدِيهِ مِنَ الأَسْرِ مَالُهُ فَهَمْدَانُ تَفْدِيها الْغَدَاةَ . . .[٢]

ودخل أبو النجم على هشام بن عبدالملك ، فقال : ما رأيك فى النساء يا أبا النجم؟ قال : ما لهن عندى غير ما أنظرهن إلا شزرا ، ولا ينظرننى إلا كرها ، قال : فما ظنك يا أمير المؤمنين؟ قال : كظنى بنفسى ، قال : لا علم لك يا أبا النجم ، ثم قال له : يا أبا النجم ، دونك هذه الجارية ، لجارية كانت بين يديه ، فأخذها بيدها ، وأمره أن يغدو عليه بخبرها ، فغدا عليه ، فقال : ما صنعت يا أبا النجم؟ قال : والذى أكرمك بالخلافة يا أمير المؤمنين ، ما قدرت على شىء ، قال : أقلت فى ذلك شيئا؟ قال : نعم ، فانشد :

نَظَرتْ فأَعْجَبَها الذى فى دَرْعِهَا مِنْ خلْفِها ، ونظرتُ فى سِرْباليا
فرأتْ به كَفَلاً ينوءُ بِخَصْرِها وعْثًا روادِفُه ، وأجْثَمَ جاثيا
ورأيتُ منتفخَ العَجَانِ معلَّقا رِخْوا حمائلُه ، وجلْدا باليا
مالى أراكِ إلى عَجانى ناظرا أحسبْتَ أنْ جَرَّ الفُتَاتِ وَرائيا[٣]

فضحك هشام ، وأمر له بخمسة آلاف درهم ، وقال : هذا عوض مما فاتك .

(١) البيت من البسيط ، وينسب للرشيد ، فى الشعر والشعراء ص٢٣ وروايته الشطر الثانى : «والنفس تهلك بين اليأس والطمع» . وقد وردت الحكاية فى العقد الفريد جـ٣ ـ ص٢١٤ . ولعل عيسى بن موسى تمثل به .

(٢) البيت من الطويل .

(٣) الأبيات من الكامل ـ وهى لأبى النجم العجلى ، والأبيات وحكايتها فى الأغانى ـ جـ١٠ ـ ص١٥٨ـ وفى[د] بعد البيت الثانى هذا البيت :

ارفع جبينك فيم أنت منكس أفضحتنى ، وطردت أم عياليا

وفى رواية الأغانى بعض خلاف ، وفيها بيت لم يرد فى الحدائق هو :

أدنى له الركب الحليق ، كأنما أدنى إليه عقاربا وأفاعيا

والأبيات واردة فى طبقات فحول الشعراء ، ص٧٤٧ ، مع خلاف يسير أيضا فى بعض الكلمات .

ومر منصور النمرى[1] بالعتابى ، وهو فى مكان عطار ، فعدل إليه ، وسلم عليه واعتذر إليه من إبطائه عن زيارته لغم هو فيه من زوجته ؛ بسبب أنها عسرت عليها الولادة ، منذ ثلاث ليال ، فقال له العتابى : دواؤها معك ، قال : ما هو؟ قال : اكتب على فرجها : هارون ؛ فإن أمرها يسهل ، فعضب النمرى ، وقال : أشكو إليك مثل هذه البلية ، فتهزأ بى ، ثم تستخف باسم الخليفة فى مثل هذه الطريقة؟ فقال له العتابى . لا تغضب ؛ فلم آمرك إلا من قولك ، ألست القائل :

إنْ أخلفَ الغيثُ لم تُخلفْ أناملُهُ أو ضاق أمرٌ ذكرْناه فيتَّسعُ[2]

وانصرف سيف الدولة عن غزوة ظفر فيها ، فدخل الشعراء للتهنئة ، ودخل معهم رجل ، فأنشد سيف الدولة :

وكانوا كفِيرانٍ رَسَوْا تحت حائطٍ وكنت كَسِنَّوْرٍ عليهم تَسَوْلَقا[3]

وشرب حرملة ، فلما سكر ، قام . . . فقبض عليه ، وقال :

جزى اللهُ خيرا ذاتَ بَعْلٍ تصدقتْ على أعْزبٍ حتى يكون له أهْلُ
فلا تمنعوا العزَّابَ فضْلَ نسائكمْ فما فى كتاب الله أن يُمنَع الفضلُ[4]

وقالت امرأة لأخرى : يا فلانة ، أتقرنين أنت زوجك الآن؟ قالت لها : فأتركه بلا قرون ينطحه زوجك؟ فسمعها شاعر قال :

قالتْ لجارتها يوما تُمازحُها قرَّنْت زوجَك إن القرن يَفْضَحُهُ
قالتْ : فأتْرُكه جَمًّا بلا قَرَنٍ يلقاه زوجُك خلْفَ البيت ينطحه[5]

ودخل يحيى[6] بن أكثم على المأمون ، وعنده عبادة يتجارى معه فى مسائل الفقه والفرائض ، فقال : يا أمير المؤمنين ، لى عند القاضى حاجة ، قال : وما هى؟ قال :

---

(١) «منصور النمرى من [س] . والنحوى فى غيرها ، وفى الأغانى «النمرى» .
(٢) البيت من البسيط ، وهو لمنصور النمرى ، والبيت وحكايته فى الأغانى جـ١٣ ـ ص١٤٨ . وهو من مدحة مطولة ، ذكر صاحب الأغانى بعضها . وورد أيضا فى زهر الآداب ـ المجلد الثانى ص٧٠٣ .
(٣) البيت من الطويل ، والبيت وحكايته ـ مطولة ـ فى أخبار الحمقى والمغفلين ، ص١٢٤ ، وروايته «تسلقا» والفيران هنا مفرد هناك .
(٤) البيتان من الطويل . و«أعزب» من [س] وكانت «على أدب» .
(٥) البيتان من البسيط .
(٦) «يحيى بن أكثم» من [د ، س] وكانت فى [ح] ابن أكثم .

يعلمنى فرائض الصلب ؛ فإنى ما رأيت أعلم بها منه ، فضحك المأمون وقال : انظر فى حاجة عبادة ، فقال : يا أمير المؤمنين قد كبر عن التعليم ، وقد قال الشاعر :

فــإنَّ مَنْ أدَّبْتَـهُ فى الصِّـبـا كـالعُودِ يُسقى الماء فى غَرْسِـهِ(١)

ولكن يبعث إلى بولده أعلمه فرائض الصلب خاصة ، قال له المأمون :كيف رأيت الجواب يا عبادة .

وكان الربيع واليا باليمامة ، فأتى بكلب قد عقر كلبا ، فقاد له منه ، فقال الشاعر :

شــهــدْتُ بأن اللهَ حقٌّ لقــاؤُهُ وأن الربيعَ العــامــرىَّ ربيعُ
أقــادَ لنا كلبًـا بكلبٍ ، ولم يَدعْ دمـاءَ كـلابِ المسلمين تَضِـيعُ(٢)

وأهدى بعضهم إلى أمير يوم نيروز عصافير أحياء فى طبق ، وجعل معها رقعة فيها مكتوب :

عـصـافـيـرٌ بعـثتُ بهـا مـلاحٌ ليـضـحـك ، لا ليـأكُلَهـا الأمـيـرُ
ومــا أَهْدَى إلى مَلَكٍ ســوائى عـصـافـيـرا على طبقٍ تطيـرُ(٣)

فلما وضع الطبق بين يديه ، ورفع عنه الغطاء طارت العصافير ، فرفع الرقعة وقرأ الشعر فضحك ، وأمر له بجائزة سنية .

ودخل أعرابى الكوفة ، فقصد غارا ، فقال له :

رأيـتُكَ فى الـنومِ أعطيْــتَنى قــواصِـرَ من تَمْـرِكَ البـارِحـهْ
فـقلتُ لصـبـيــانــنا : أبْشـروا برُؤيا رأيتُ لكـمْ صـالحـه
قـــواصـــيـــرُ تأتيكمُ غَــدْوَةً وإلاّ فَـــتَــأْتيكُمُ رَائِحَــهْ
فــأمُّ العـيــال وصـبـيـانُهـا قلوبُهُمْ نَحْـوَهَا طَامِـحَـه
فــقلْ لى : «نعمْ» إنهــا حلوةٌ وَدَعْ عنْكَ : «لا»؟ إنهـا مالحـه(٤)

---

(١) البيت من السريع ، من قصيدة ذائعة لصالح بن عبدالقدوس ، ومنها البيت المشهور :
والشيخ لا يترك أخلاقه حتى يوارى فى ثرى رمسه
واستدل به على عدم توبة صاحبه ، انظر : وفيات الأعيان ـ جـ٢ ص٤٩٢ .
(٢) البيتان من الطويل ، وهو وحكايته ـ فى العقد الفريد ـ جـ٣ ـ ص٢٢١
وروايته : وأن الربيع العامرى رقيع ، وتتفق [س] معه فى هذا .
(٣) البيتان من الوافر ، والبيت الأول فى [س] مختل الوزن . وهو صحيح فى المتن هنا .
(٤) الأبيات من المتقارب . وهى لأبى دلامة ، والأبيات وحكايتها فى الأغانى ـ جـ١٠ ص٢٥٢ ـ ٢٥٣ .

فدفع إليه قوصرة ، وقال له : لا تعد ترى مثل هذه الرؤيا مرة أخرى .

وقال بعضهم : رأيت أعرابيا ، يصلى فى فصل الشتاء ، قاعدا بغير وضوء ، وهو يقول :

إلَيْكَ اعْتِذارى مِنْ صلاتِى قَاعدا	على غير طُهْرٍ ، مُومِئًا نَحْو قِبْلَتى
فـمـا لى بِبَـرْدِ الماء يا ربُّ طاقـةٌ	ورِجْلاىَ لا تَقْوى على ثَنْى رُكْبَتى
ولكنَّنِى أُحْـصِيـه يا ربِّ جـاهدا	وأَقْضِيكَهُ إن عِشْتُ فى فَصْلِ صَيْفتى
فـإن أنا لم أصنعْ ، فـأنتَ مُـسلَّطٌ	بما شِئْتَ من لَطْمى ومِنْ نَتْفِ لِحْيَتى (١)

وقال الأصمعى : رأيت بالبادية أعرابيا ، قد حفر حفرة وقعد فيها ، وذلك فى زمان الشتاء ، فقلت له : ما صيرك هنا؟ قال : شدة البرد ، قلت : فهل قلت فى ذلك شيئا؟ فقال :

أيا ربِّ مـا للبـرْدِ أصبح كـالحـا	وأنت بحـــالى عـــالمٌ ، لا تُعَلَّمُ
فـإن يكُ يومـا فى جـهنمَ مَدْخلى	ففى مِثل هذا اليوم طابتْ جَهنم (٢)

وقيل لابن أبى عتيق : إن المخنثين خصوا ، وإن الدلال خصى ، فقال : إنا لله ، أما والله ، لئن فعل ذلك به ، لقد كان يحسن :

لِمَنْ رَبْعٌ بـذاتِ الجُـــــيْشِ ،	أمـــــسى دارسًـــــا خَلِقـــــا (٣)

ثم استقبل القبلة ، فلما كبر سلم ، ثم التفت إلى أصحابه ، فقال : اللهم إن كان ليحسن خفيفه ، أما ثقيله ، فلا ، الله أكبر .

وصحب شيخ من المدينة شبانا فى سفينة ، ومعهم جارية تغنى ، فقالوا له : إن معنا جارية تغنى ، ونحن نجلك ، فإن أنت أذنت لنا فعلنا ، قال : فأنا أعتزل ، وافعلوا ما شئتم ، فتنحى ، وغنت الجارية :

---

(١) الأبيات من الطويل ، والشطر الثانى من البيت الثالث مختل وزنا فى [س] . وهى وحكايتها فى أخبار الحمقى والمغفلين ص١١٠ .

وواضح أن أخبر عن المثنى بالإفراد ، ونظيره قول المتنبى :

فؤادى على جمر ذكى من الهوى   وعيناى فى روض من الحسن ترتع

(٢) البيتان من الطويل .

(٣) البيت من مجزوء الوافر - وهو وحكايته فى العقد الفريد - جـ٣ - ص١٧٨ .

وهى «قيل لابن أبى عتيق» وعدلناها فى المتن .

حــتّى إذا الصّبحُ بدا ضـوؤُهُ وغـــابت الجـــوزاءُ والمِرْزَمُ
أقبلْتُ ، والوطءُ خـفىٌّ ، كـمـا ينســابُ من مَكْمَنِه الأرْقَمُ(١)

فرمى الشيخ بنفسه فى الفرات بثيابه ، وجعل يخبط بيديه طربا ، ويقول : أنا الأرقم ، فأخرجوه وقالوا : ما فعلت بنفسك؟ قال : إنى أعلم من تأويله ما لا تعلمون .

وقال أحمد بن جعفر : حضر قاضى مكة مأدبة لرجل من الأشراف ، فلما قضى الطعام ، اندفعت جارية تغنى :

إلى خـالدٍ حـتَّى أنخْنَا بخـالدٍ فنعمَ الفتى يُرْجَى ، ونعمَ المُؤَمَّلُ(٢)

قال : فلم يدر القاضى ما يصنع من الطرب ، حتى أخذ نعليه ، فعلقهما فى أذنيه ، ثم جثا على ركبتيه ، وقال : اهدونى ؛ فإنى بدنة .

وكتب على بن الجهم إلى قينة ، كان يتعشق بها ، ويكلف بها :

خَفِى اللّهَ فِيمَنْ قَد تَبلّت فُؤادَهُ وتَيّـمـتْـه دَهْرا ، كـأنَّ به سـحْـرا
دَعِى الهجْرَ لا أسمَعْ به منْكِ ؛ إنما سألتُكِ أمْرا ، ليس يُعْرى لكم ظَهْرا(٣)

فكتبت إليه : صدقت ، جعلت فداك ، ليس يعرى لنا ظهرا ، ولكنه يملأ منا بطنا .

وكان أبو بكر الكاتب يعشق بنات قينة محمد بن عتاب ، وأهدى لها غلالة بمسكة . فقال فيه بعض الكتاب :

أهْدى إليـهـا قـمـيـصا . . . فـيـه غـيْـرُهْ
فَـفِى النّعـيم هَنوُها وفى الشّـقـاوة . . .(٤)

(١) البيتان من السريع : وهما فى الأغانى جـ٩ ص٢٩٢ هكذا :
حتى إذا الليل خبا ضوؤه وغابت الجوزاء والمرزم
خرجت والوطء خفى ، كما ينساب من مكمنه الأرقم
وغنى هذا الصوت ـ كما يقول الأصفهانى ـ مخارق يوما بحضرة الواثق ، والحكاية مع البيتين واردة فى المصدر المذكور ، وورد الخبر والبيتان فى العقد الفريد ـ جـ٣ ص١٧٩
ورواية الحدائق هى رواية العقد ، مما يدل على أن العقد مصدر أساسى للحدائق . وكلمة «بثيابه» من [د ، س] ولم ترد فى العقد ، وجاء بدل الشيخ هنا ، ناسك عند ابن عبد ربه .
(٢) البيت من الطويل ، وهو وحكايته فى العقد الفريد ـ جـ٣ ـ ص١٧٩ .
(٣) البيتان من الطويل ، وهما وحكايتهما فى العقد الفريد ـ جـ٣ ص١٨٦ ، كما وردا فى الأغانى جـ١٠ ص٢١٠ ، وهما لعلى بن الجهم .
(٤) البيتان من المجتث ـ وهما والحكاية واردان فى العقد الفريد ـ جـ٣ ص١٨٦ . والشعر فى العقد الفريد مضطرب الوزن .

وحدث العتبى عن أبيه قال : أنشدنى أبو وائل :

مَا أوْجَعَ الْبَيْنَ مِنْ حبيب فكيف إنْ كان من غريب
يكادُ من شوْقه فؤداى إذا تذكرتُه يموت[1]

فقال لى أبى : هذا باء وهذا تاء ، قال : لا تنقط أنت شيئا ، قال : فإن البيت الأول مخفوض والثانى مرفوع ، قال : أنا أقول : لا تنقط ، وهو يشكل .

وجاء أعرابى من شعراء المجانين[2] إلى نصر بن سيار بشعر ، فتغزل فيه بمائة بيت ، ومدحه ببيتين ، فقال له : والله ما تركت قافية لطيفة . ولا معنى إلا شغلت به نسيبك دون مدحك ، قال : سأقول غير هذا ، فعاد إليه بشعر يقول فيه :

هلْ تعرفُ الدارَ لامِّ الْعَمِرْ دَعْ ذاوحَبِّرْ مِدْحَةً فى نصر[3]

فقال له نصر ؛ لا ذاك ، ولا ذا .

وكان بعض الأمراء يستظرف طفيليا ، ويحضره طعامه وشرابه وكان الطفيلى أكولا شروبا ، فلما رأى الأمير كثرة أكله وشربه أطرحه وجفاه ، فكتب إليه الطفيلى :

قَدْ قَلَّ أكْلى ، وقَلَّ شُربى وحرتُ من بابَةِ الأمير
فَلْيدْعُ لى ، وهْوَ فى أمانٍ أن أشربَ الرّاحَ بالكبير[4]

---

(١) البيتان من المخلع ـ وهما والحكاية فى العقد الفريد جـ٣ ص٢٢٤ . وفيهما غلط فى القافية كما تشير النادرة . ووردت نفسها ـ مع بيتين آخرين فيهما نفس الخطأ ـ فى أخبار الحمقى والمغفلين ص١٢٣ .

(٢) عبارة «من شعراء المجانين» من [د ، س] .

(٣) البيت من الرجز ، وهو وحكايته فى : الشعر والشعراء ـ منسوبا إلى «بعض الرجاز» ص١٥ ، ولعل الراجز كان ينظر إلى قصيدة زهير ـ ص٥٨ من المصدر المذكور ويقول فى مطلعها ، وإن اختلف البحران . وإن كانا قريبين :

لمن الديار بقنة الحجر أقوين من حجج ومن دهر

والبيت وحكايته أيضا فى العقد الفريد ـ جـ٣ ص٢٢٤ . ومذكور أيضا فى «العمدة» لابن رشيق ـ جـ٢ ص٩٩ . وذكره الأخير للتدليل على قضية نقدية موجزها : أن المتغزل عليه أن يصل غزله بما بعده من مدح بحيث يكون ممزوجا به ، ومن الواجب ألا يطول الغزل ويقصر المدح ، ثم يذكر حكاية قائل هذا البيت منسوبا إلى «الشاطر» وهى صفة بالطبع .

والشطر الأول فيه ثلاث روايات ، أولها : المذكورة فى المتن .

وثانيتهما : هل تعرف الدار لأم عمرو ، والثالثة : هل تعرف الدار لأم الغمر .

(٤) البيتان من المخلع ، وهما وحكايتهما فى العقد الفريد ـ جـ٣ ـ ص٢٤٠ وروايته «وصرت من بغية الأمير» .

ودخل على أبى الشمقمق بعض إخوانه المتلطفين به ، فلما رأوا سوء حاله ، قالوا له : أبشر ، أبا الشمقمق ؛ فإنا روينا فى بعض الحديث ؛ أن العارين فى الدنيا هم الكاسون يوم القيامة ، فقال : إن صح هذا الحديث . والله ، لا كنت أنا فى ذلك اليوم إلا بزازا ، فأنشأ يقول :

أَتُرَانى أُرى من الدهر يوما ... لِىَ فيه مطيَّةٌ غَيْرُ رجْلى
كُلَّما كنتُ فى جميع فقالوا : ... قَرِّبوا للرحيل ، قَرَّبْتُ نَعْلى
حيثما كنتُ ، لا أخلِّفُ رحْلا ... منْ رآنى ، فقد رآنى ورَحْلى(١)

وحكى محمد بن الحاج البزار ، راوية بشار ، قال : قال بشار يوما ، وهو يعبث ، وكان مات له حمار قبل ذلك : رأيت حمارى البارحة ، فقلت : ويلك ، قد مت ، قال : إنك ركبتنى يوما كذا ، فمررنا على باب الصيدلانى ، فرأيت أتانا ، فعشقتها ، فمت ، وأنشدنى :

هامَ قلبى بأتانِ ... عند باب الصيدلانى
تَيَّمَتْنى ، يومَ رُحْنا ... بثناياها الحِسانِ
وبغُنج فى دلال ... سَلَّ جسمى وبَرانى
ولها خدٌّ أسيلٌ ... مثلُ خدِّ الشَّنْفَرانى
فبها مِتُّ . ولَوْ عِشتُ ... إذنْ طالَ هوانى(٢)

فقال رجل من القوم : أبا معاذ ، ما الشنفران؟ قال : هذا من غريب لغات الحمير ، فإذا لقيتم حمارا فاسألوه .

---

(١) الأبيات من الخفيف ، وهى والحكاية فى المصدر السابق ـ جـ١ ـ ص٢٢٥ وقريب منها ـ وإن كان أجمل ـ قول أبى نواس :

إليك أبا العباس من دون من مشى ... عليها امتطينا الحضْرَمِىَّ المُلَسَّنا
قلائص ، لم تعرفْ حنينا إلى الفلا ... ولم تدْرِ قَرْعُ الفَنيقِ ، ولا الْهنا

(٢) الأبيات من مجزوء الرمل ، وفيها اضطراب فى البيت الثالث والرابع فى[ح] ، وهى فى[س ، د] صحيحة كما فى المتن هنا ، ويساوق رواية المتن ما جاء فى الأبيات وحكايتها فى : الأغانى ـ جـ٣ ص٢٣١ وما بعدها والعقد الفريد جـ٦ ص٤٤٢ . ولهذه الأبيات مشابه فى الحمار العاشق ، والبغل العاشق ، انظر رسالة التوابع والزوابع لابن شهيد ، فى الذخيرة فى محاسن أهل الجزيرة لابن بسام الشنتريني .

وقال سفيان بن عيينة : دخلت الكوفة فى يوم فيه مطر ، فإذا كناس يفتح كنيفا ، ووقف على رأسه وهو يقول :

بَلَدٌ طيِّبٌ ، ويومٌ مطيرُ هذه روضةٌ ، وهذا غديرُ(١)

ثم قال لصاحبه : انزل فيه ، فأبى عليه ، فنزل فيه وهو يقول :

لن يُطيقوا أن يَنْزلوا ، ونزلْنا وأخو الحرب منْ يُطيق النزولا
ليس كلُّ الرجال يَغْشى لظى الحرب ولا كلُّهُمْ يُلاقى الخيولا(٢)

وقال الأصمعى : بينما أنا بالبصرة ، إذا بكناس يكنس كنيفا ، وإذا هو يقول :

فإيّاك والسُّكْنى بدارِ مذلة تُعَدُّ مُسيئا بعد أَن كُنْتَ مُحْسنا
فنفسَكَ أَكرِمْها ، وإن ضاقَ مَسْكَنٌ عليك بها ، فاطْلُبْ لنفسك مسكنا(٣)

قال : فوقفت عليه ، وقلت له : والله ما بقى من الهوان شىء ، إلا وقد امتهنتها به ، فما الذى قلت من كرامتها؟ فقال : والله لكنس ألف كنيف ، أحسن من القيام على باب مثلك .

وسأل أعرابى رجلا يكنى أبا عمرو ، فقال للسائل : يرزقك الله ، فعاد إليه يوما ، فقال مثل ما قال أمس ، وتنحنح ، ففلتت منه ضرطة ، فقال الأعرابى :

إن أبا عمرِو لمكنوسُ الوسَطْ إذا سألناه تَمَطَّى وضَرَطْ
إعطاؤُهُ : يرزقك اللهُ فقط(٤)

(١) البيت من الخفيف ، وهو لداود بن رزين مولى عبدالقيس ، والبيت فى وفيات الأعيان ـ جـ٢ ص٣١٥ ، وروايته : «زمن طيب . . .» وبعده أربعة أبيات . والأبيات ـ بالطبع ـ ليست فى المعنى الذى عناه الكناس ، بل فى جفوة وقعت بين الرشيد وبين زبيدة ، وكانت الأبيات سببا فى إزالة الجفوة .

(٢) البيتان من الخفيف .

(٣) البيتان من الطويل ، ووردت الحكاية برواية أخرى فى وفيات الأعيان ـ جـ٥ ص٤٠٠ ـ ٤٠١ ، وتقول : قال الأصمعى : مررت بكناس بالبصرة يكنس كنيفا ويغنى :

أضاعونى ، وأى فتى أضاعوا ليوم كريهة وسداد ثغر

فقلت : أما سداد الكنيف فأنت ملى به ، وأما الثغر فلا علم لنا فكيف أنت فيه ، وكنت حديث السن وزردت العبث به ، فأعرض عنى مليا ، ثم أقبل على متمثلا يقول :

وأكرم نفسى إننى إن أهنتها وحقك لم تكرم على أحد بعدى

فقلت : والله ما يكون من الهوان شىء أكثر مما بذلتها له ، فقال لى : والله إن من الهوان لشرا مما أنا فيه ، فقلت : وما هو؟ قال : الحاجة إليك وإلى أمثالك . والبيت الأول «أضاعونى» للعرجى ، وفى البيان والتبين جـ٢ ص١٩٠ يقول :

ونفسك أكرمها ، فإنك إن تهن عليك ، فلن تلقى لها الدهر مكرما

(٤) أرجوزة .

ودخل طفيلى فى صنيع رجل من أهل القبط ، فقال له : من أرسل إليك؟ فجعل يقول :

أزورُكمْ ، لا أُكافيكمْ بِجَفْوَتكمْ إن المحبَّ إذا مـــا لم يُزَرْ زارا[1]

فقال القبطى : زر زارا ، ليس أدرى ما هو ، اخرج من بيتى .

ودخل أبو الفضل بديع الزمان على الصاحب بن عباد ، ففرح به ، وأجلسه معه ، فضرط البديع ضرطة منكرة ، ثم أراد أن ينفى عن نفسه التهمة ، فقال :

يا مولاى ، هذا صرير التخت ، فقال له الصاحب : هذا صفير التحت[2]

فخرج البديع خجلا ، وانقطع عن الوصول إليه ، فكتب إليه الصاحب :

قُلْ للصَّفيرىِّ : لا تذهبْ على خجلٍ من ضَرْطة أشبهتْ نايا على عُودٍ
فإنّها الريحُ ، لا تَستطِيعُ تدفَعُها إذ لسْتَ أنت سُليمانَ بْنَ داود[3]

وخرج المهدى يتصيد ، ومعه على بن سليمان ، فسنح لهما قطيع من ظباء ، فأرسلت الكلاب ، وأجريت الخيل ، فرمى المهدى بسهم ، فصرع ظبيا ، ورمى على بن سليمان سهما ، فصرع كلبا ، فقال أبو دلامة :

قـــدْ رمى المهـــدىُّ ظبـــيًـــا شقَّ بـالســـــهم فـــــؤادَهْ
وعلىُّ بنُ سليـــــمـــــان ، رمى كلبـــا ، فَـــصـــادَهْ
فـــهنيـــئًـــا لهُـــمـــا ، كلُّ امـــــرىٍ يأكلُ زاده[4]

فضحك المهدى حتى كاد يسقط .

ومن ملح أبى دلامة ، أنه دخل يوما على المهدى ، ومعه وجوه بنى هاشم ، فقال له المهدى : إنى أعطيت الله عهدا لئن لم تهج كل من فى هذا المجلس لأقطعن لسانك ، فنظر

(١) البيت من البسيط وهو وحكايته فى العقد الفريد ـ جـ٣ ص٢٤٠ .

(٢) أخلت [س] بقوله : فقال له الصاحب : هذا صفير التحت .

(٣) البيتان من البسيط .

(٤) الأبيات من مجزوء الرمل وهى وحكايتها واردة فى المصادر الآتية : الأغانى ، جـ٦ ص٢٤٠ ، وفيات الأعيان ـ جـ٢ ص٣٢٦ ، والشعر والشعراء ص٤٨٩ ، والأغانى أيضا جـ١٠ ص٢٥٨ ـ ٢٥٩ .

إلى القوم ، فكلما نظر إلى واحد غمزه بأن عليه رضاه ، قال : فعلمت أنى قد وقعت ، وأنها عزمة من عزماته لابد منها ، فلم أر أدعى للسلامة من هجاء نفسى ، فقلت :

ألا أَبْلغْ لديْك أبا دُلامةْ ... فليْسَ من الكِرام ، ولا كَرامَهْ
إذا لَبِس العمامةَ كان قردا ... وخِنْزيرا إذا نَزَع العمامه
جمعْتَ دَمَامَةً وجمعتَ لُؤما ... كذاك اللؤْمُ تتبُعُهُ الدَّمامه
فَإنْ تَكُ قدْ أصبْتَ نعِيمَ دُنيا ... فلا تفرحْ ، فقد دَنَت القِيامه[1]

فضحكوا ، وأعطاه كل واحد منهم جائزة .

(١) الأبيات من الوافر . وهى وحكايتها فى المصادر الآتية : وفيات الأعيان ـ جـ٢ ص٣٢٦ ، وتنسب الأبيات فيه إلى أبى عطاء السندى مولى بنى أسد فى هجاء أبى دلامة . ووردت كذلك فى : الأغانى جـ١٠ ص٢٥٨ ـ ٢٥٩ .

الباب الخامس

فى المضحكات المطولات

كان المأمون جالسا مع ندمائه ببغداد ، مشرفا على دجلة ، وهم يتذاكرون أخبار الناس ، فقال المأمون : ما طالت لحية إنسان قط ، إلا ونقص من عقله ، بمقدار ما طال من لحيته ، وما رأيت قط عاقلا طويل اللحية ، فقال له بعض جلسائه : ولا يرد على أمير المؤمنين ، قد يكون فى طول اللحى أيضا عقل ، فبينما هم يتذاكرون فى هذا ، إذ أقبل رجل كثير اللحية ، حسن الهيئة والثياب ، فقال المأمون : ما تقولون فى هذا الرجل؟ فقال بعضهم : هذا رجل عاقل ، وقال آخر : يجب أن يكون هذا قاضيا ، فقال المأمون لبعض الخدم : علىّ بالرجل ، فلم يلبث إلا وصعد إليه ، ووقف بين يديه ، فسلم ، فأجاد السلام ، فأجلسه المأمون واستنطقه فأحسن النطق فقال له المأمون : ما اسمك؟ فقال : أبو حمدونة ، قال : والكنية؟ علويه ، فضحك المأمون ، وغمز جلساءه ، ثم قال : ما صنعتك؟ فقال : أنا فقيه أجيد الشرع فى المسائل ، فقال له : نسألك عن مسألة ، فقال له الرجل : سل عما بدا لك ، فقال المأمون :

ما تقول فى رجل اشترى شاة من رجل ، فلما أخذها المشترى خرجت من استها بعرة ، فقأت عين رجل ، على من تجب دية العين؟ قال : فأطرق طويلا ينظر بالأرض ثم قال : تجب على البائع دون المشترى ، فقال المأمون : وما العلة التى أوجبت الدية عليه دون المشترى؟ قال : إنه لما باعها لم يشترط أن فى استها منجنيقا ، قال : فضحك المأمون حتى استلقى على قفاه ، وضحك كل من حضر ، وأنشأ المأمون يقول :

مـا أَحَـدٌ طالتْ له لحيـةٌ فـزادت اللحيـةُ فى هيئتـهْ
إلاَّ ومـا ينقصُ من عـقله أكـثـرُ مّما زاد فى لحيتـه[1]

(١) البيتان من السريع . وثمة حكاية مشابهة لهذه تنسب إلى هشام بن عبدالملك فى البيان والتبيين ـ ج٤ ص١٨ ـ ١٩ .

وقد ألح ابن الرومى إلحاحا شديدا فى هجاء طول اللحى ، انظر مواضع متعددة فى ديوانه بتحقيق د . حسين نصار ـ طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب ، وهجاء ابن الرومى تصوير رائع يكاد ينفرد به .

وكان المعتصم يأنس لعلى بن الجنيد الإسكافى ، وكان عجيب الصورة والحديث ، فقال المعتصم لابن حماد : اذهب إلى ابن الجنيد ، وقل له : يتهيأ ليزاملنى ، فأتاه ، فقال له : تهيأ لمزاملة أمير المؤمنين ، فقال : وكيف أتهيأ؟ أهبىء رأسا غير رأسى ، اشترى لحية غير لحيتى؟ فقال ابن حماد : شروطها الإمتاع بالحديث ، والمذاكرة ، وألا تبصق ولا تسعل ، ولا تتمخط ، ولا تتنحنح ، وأن تتقدم فى الركوب إشفاقا عليه من الميل ، وأن يتقدمك فى النزول ، فمتى لم يفعل المعادل هذا كان هو ومثقلة الرصاص التى تعدل بها القبة واحدا ، فقال لابن حماد : اذهب ، فقل له : ما يزاملك إلا من أمه زانية ، فرجع إلى المعتصم وأعلمه ، فضحك وقال : على به ، فلما جاء قال : يا على ، أبعث إليك أن تزاملنى ، فلا تفعل؟ فقال : إن رسولك هذا الأرعن جاءنى بشروط حسان السامى ، وخالويه الحاكى ، فقال لى : لا تبصق ، ولا تعطس ، وهذا لا أقدر عليه ، فإن رضيت أن أزاملك فإذا جاءنى الفسا والضراط فسوت وضرطت وإلا فليس بينى وبينك عمل ، فضحك المعتصم حتى استلقى ، وقال : نعم ، زاملنى على هذه الشروط ، فسار ساعة ، وقال : يا أمير المؤمنين ، قد حضر ذلك المسامح ، قال : ذلك إليك ، قال : يحضر ابن حماد ، فأحضر فناوله كمه ، وقال : أجد فى كمى دبيب شىء ، فانظره ما هو ، فأدخل رأسه فشم رائحة الكنيف ، فقال : لا أرى شيئا ، ولكنى أعلم أن فى جوف ثيابك كنيفا ، والضحك قد ذهب بالمعتصم كل مذهب وابن الجنيد يفسو فساء متصلا ويقول لابن حماد : قلت : لا تمتخط ولا تسعل ، فخريت عليك ، ثم صاح : قد نضجت القدر ، وأريد أن أخرى ، فأخرج المعتصم رأسه من العمارية ، وصاح : ويحك ، يا غلام ، الأرض الساعة ؛ فإنى أموت .

ولما خرجت الخيزران إلى الحج ، تلقاها أبو دلامة ، فصاح : الله ، الله ، فى أمرى ، فسألته عن أمره ، فقال : إنى شيخ كبير ، وأجرك فىّ عظيم ، تهبين لى جارية ؛ تؤنسنى وترفق بى ، وتريحنى من عجوز عندى ، قد أكلت رفدى ، وأطالت كدى ، وعاف جلدها جلدى ، وتمنيت بعدها ، وتشوقت فقدها ، فوعدته بها ، فلما قدمت الخيزران من الحج ، دخل أبو دلامة على أم عبيدة حاضنة موسى وهارون ، فرفع إليها رقعة ، فدفعتها إلى الخيزران ، وفيها :

أَبْلغى سـيِّـدتى ، إن شـئْـتِ ، يا أمُّ عـبـيـدَهْ
أَنَّهـا ، أرشَـدها اللهُ ، وإن كـانتْ رشـيـده
وَعَـدَتْنِى قـبْلَ أن تخـرُجَ للحجِّ وَليـده
إننى شـيخٌ كـبيـرٌ ليس فى بيـتى قـعـيـده
غيرُ عَجْفاءَ عجوز ساقُهـا مثلُ القـديدَهْ
وجهُهَا أَقْبحُ من حُوتٍ طرىٍّ فى عَصِيده
ما حياتى مَعَ أُنْثى مثْلَ عِرْس بحميده[1]

فضحكت ، واستعادت حوتا فى عصيدة ، وهى تضحك ، ثم قالت لجارية : خذى ما عندك ، وامشى إليه ، فلما بلغها الرسول منزله ، لم يجده ، فدفعها إلى امرأته ، ودخل دلامة ابنه ، وأمه تبكى ، فسألها فأخبرته وقالت : إن أردت برى يوما من الدهر فاليوم ، قال لها : قولى ما شئت أفعل ، قالت : تدخل إلى الجارية ، وتعلمها أنك مالكها ، فتطؤها ، فتحرم عليه ، وإلا شغلته فجفانى وجفاك ، ففعل ، وجاء أبو دلامة فسألها عنها ، فقالت : هى فى ذلك البيت ، فدخل ، ومد يده وذهب ليقبلها ، فرأت شيخا قبيح الوجه ، فقالت : تنح عنى ، وإلا لطمتك لطمة أدق بها أنفك ، فقال : أو بهذا أوصتك سيدتك؟ فقالت : إنها بعثتنى إلى فتى ، من صفته كذا وكذا ، وقد نال منى حاجته ، فعلم أنه وهى من دلامة وأمه ، فخرج ولطمه ولببه ، وحلف ألا يفارقه حتى يوصله إلى المهدى ، فمضى على تلك الحالة ، حتى دخل على المهدى ، فقال له : مالك؟ ويحك ، فقال : عمل بى هذا ابن الخبيثة ما لم يعمله أحد بأحد ، ولا يرضينى إلا أن تقتله ، وأخبره الخبر ، فضحك منه ، فقال : علىّ بالسيف والنطع ، فقال دلامة : اسمع حجتى يا أمير المؤمنين كما سمعت حجته ، قال : هات ، قال : هذا الشيخ أصفق الناس وجها ، هو . . . أمى منذ أربعين سنة ، فما غضبت . . . جاريته مرة واحدة ، فغضب ، فضحك المهدى أشد من ضحكه الأول ، وقال : دعها له ، وأنا أعطيك خيرا منها ، قال : على أن تخبئها لى بين السماء والأرض ، وإلا . . . كما . . . هذه ، فصرفهما ، وحلف لدلامة : إن عاد ليقتلنه .

(١) الأبيات من مجزوء الرمل ، وهى وحكايتها فى الأغانى ـ جـ١٠ ص٢٦٢ ـ ٢٦٣ .

وأقبل دلامة إلى أبيه فى محفل ، فجلس بين يديه ، وقال للجماعة : إن شيخى كما ترون قد كبرت سنه ، ورق جلده ، ودق عظمه ، وبنا إلى حياته حاجة ، ولا أزال أشير عليه بالشىء يمسك رمقه ، ويبقى قوته ، فيخالفنى ، وأسألكم أن تسألوه قضاء حاجة ، فيها صلاح جسمه ، فقالوا : حبا وكرامة ، فأخذ أبو دلامة بألسنتهم ، فقال : قولوا للخبيث : ليقل مايريد ؛ فستعلمون أنه لم يأت إلا ببلية فقال : إنما يقتله كثرة . . . ، ولا يقطعه عنه إلا الخصا ، فتعاونوننى عليه حتى أخصيه ، فضحكوا منه ، ثم قالوا لأبيه : قد سمعت ، فما عندك؟ قال : قد عرفتكم أنه لم يأت بخير ، وقد جعلت أمه حكما بينى وبينه ، فدخلوا إليها وقصوا القصة عليها ، فأقبلت على الجماعة ، وقالت : إن ابنى ـ أبقاه الله ـ قد نصح أباه وأبره ، وأنا إلى بقاء أبيه ، أحوج منه إليه ، إلا أن هذا أمر لم تقع به تجربة عندنا ، ولا جرت به عادة ، وهو قد ادعى معرفة هذا ، فليبدأن بنفسه ، فإذا هو عوفى ، ورأينا ذلك قد أبقى عليه أثرا محمودا ، استعمله أبوه على علم ، فجعل القوم يعجبون من اتفاقهم فى الخبث[1] .

وقال الفقيه أبو عمرو بن حكم : خرج رجلان من بلدهما من الضياعة والفقر ، فلما وصلا إلى بلد آخر ، وجدا بخارج تلك البلدة واديا فيه أشجار كثيرة ، فقطعا منها ، وصنعا بيتا فى خارج البلدة ، ونادى مناديهما : من أراد أن ينظر شيئا ما رآه قط ، فليأت الموضع الفلانى ، فاجتمع الناس إليهما ، وقعد أحدهما فى داخل البيت ، ووقف الآخر خارج البيت ، وقال للناس : من أراد أن يرى عجبا يعطى درهما ويدخل البيت ، فتشوق الناس إلى ذلك ، فدخل شخص ، فرأى الرجل وبين يديه رجل حمار ، فقال له : هذا فى است من يقول لأحد ما رأى فخرج وهو يضحك ، فقال له الناس : ما رأيت : قال : ادخلوا تروا ما رأيت ومضى ، فلم يزل الناس يدخلون كذلك إلى آخرهم ، واجتمعت له جملة كبيرة من دراهم .

ودخل أبو العيناء على عبيدالله ، وبين يديه شطرنج يلعب به ، مع بعض أولاده ، فقال له عبيدالله : مع أى الحزبين تريد أن تكون؟ قال : معك ، فلم يكن بأسرع من أن قال : قد غلبنا ، ولزمك فى القمار عشرون رطلا من الثلج ، قال : احضره أيها الأمير ، ولكن تأذن لى أن أمضى إلى دارى أوصيهم بما أحتاج إليه ، حتى يدرك الطعام ، وأوافيك

(١) وردت الحكاية فى الأغانى جـ١٠ ص٢٧١ ـ ٢٧٢ .

بالثلج ، فقال : امض ، ولا تتأخر ، فركب حماره ، ومضى لأبى العباس بن ثوابة ، فقال له : الأمير يدعوك الساعة ، فلبس ابن ثوابة ثيابه ، وركب دابته وصار معه أبو العيناء ، فما شعر عبيدالله إلا بأبى العيناء مع ابن ثوابة قد وافى ، فسر بذلك ، فقال أبو العيناء : كلفونا[١] أربعين رطلا من الثلج ، وقد جئتك بثلج مذاب[٢] كله ، فخذ منه ما شئت ، فضحك عبيدالله حتى استلقى .

ودخل عبادة المغنى دار المتوكل ، فرأى فيها رطبا قد تساقطت ، فجعل يلتقطها ، فمد أحد أولاد المتوكل يده إلى است عبادة ، وقال له : يا عبادة ، من فتح لك هذه الثقبة؟ قال عبادة : الذى فتح لأمك ثقبتين ، فشكاه إلى أبيه ، فأمر أن يؤتى به فخرج عبادة فارا بنفسه ، فبينما هو يسير ، إذ رأى غارا فدخل فيه ، وبنى عليه بحجارة ، ودخل إلى قعره فإذا بأسد راقد فيه ، فلما رآه ارتعب منه ، وأخذ طنبوره ، وجعل يضربه ، ووافق ذلك خروج الفتح بن خاقان متصيدا ، فمر بذلك الموضع ، فسمع صوت الطنبور ، فقال لمن حوله : ما هذا؟ فقالوا : هذا الصوت صوت الطنبور ، فى داخل الغار ، فقال : اهدموه ، فلما فتح خرج الأسد عليهم فارا[٣] بنفسه ، وعبادة من خلفه ، فقال : ما هذا يا عبادة؟ قال : إن أمير المؤمنين جعلنى هنا أعلم هذا الأسد ضرب الطنبور ، وقد نفرتموه علىّ ، وأنا أخشى عقوبته ، ولا آمن أن يقتلنى عليه ، فقال الفتح : لا تخف ، أنا أستوهب ذنبك ، وأنسب الذنب فى ذلك إلى نفسى ، فرجع معه إلى المتوكل ، فقال الفتح : يا أمير المؤمنين ، إنى استوهبتك عبادة ؛ فقد ضمنت له النجاة ، وإن الذنب الذى أذنب ، أنا أذنبته ، قال : والله ما غرضى إلا أن أقتله ؛ لأن ذنبه كبير ، حمله عليه كثرة الدالة علينا ، حتى تعرض لحرمنا ، فقال الفتح : وكيف ذلك؟ فقال له : ما تقدم من قوله ، فقال الفتح : العفو يا أمير المؤمنين ، والله ما علمت بذلك ، ولكن اتفق لى معه كذا وكذا ، فضحك المتوكل عند ذلك ، وأمر بإحضاره .

وكان محمد بن جعفر ، بخيلا ، فجلس يوما مع ندمائه ، فقال بعضهم : ما فى الأرض أمشى منى ، فقال ابن جعفر : وما يمنعك من ذلك وأنت تأكل أكل عشرة أنفس ،

---

(١) «غلبنا أربعون رطلا من الثلج» فى [س] .
(٢) «بثلج مذاب كله» في [س] .
(٣) «فارا بنفسه» من [د] .

وهل يحمل الرجلين إلا البطن ، فقال آخر : أنا والله لا أقدر أن أمشى ، فقال له : وكيف تستطيع المشى ، وأنت تحمل فى بطنك ما يثقل ثلاثين رجلا ، وهل ينطلق مشى الإنسان إلا بخفته ، فقال الآخر : أما أنا فما نمت البارحة من وجع ضرس ، فقال : وكيف لا تشتكى ، وأى ضرس يصبر على الدق والطحن مثل ضرسك؟ فقال آخر : ما اشتكيت قط ضرسى ، وما تخلخل من موضعه ، فقال له : ذلك من كثرة المضغ ؛ فإنه يشد الأسنان ، ويقوى اللثة ، وقال آخر : ما أظن أحد أكثر شربا للماء منى ، وما أروى منه ، فقال : لابد للبطن من الماء حتى يبله ويرويه ، وأما أنت والله لو شربت الفرات ما استكثرته لك ؛ لما أرى من كثرة أكلك . فقال آخر : وأنا لا أشرب ماء ، فقال : لكثرة ما تأكل ؛ لأن البطن إذا امتلأ لم يحتج لشىء ، فقال آخر : والله ما أنام من الليل إلا قليلا ، فقال له : وكيف تدعك التخمة تنام؟ أتدرى أن من أكل كثيرا وشرب غزيرا لا يكون ليله كله إلا يخرى ويبول؟ فقال آخر : أما أنا فإنى أنام الليل كله ، قال : أمارة على الشبع ؛ لأن الطعام إذا كثر فى البطن يسكن البدن والأعضاء ، ويملأ العروق ، فيسترخى منه كل شىء ، وقال آخر : أصبحت لا أشتهى شيئا ، فقال : إياك أن تأكل قليلا ولا كثيرا ؛ فإن القليل على غير شهوة أضر من الكثير على شهوة ، وإياك من الأكل الكثير ؛ فإنه يتخم ، وأكثر ما يكون الموت من التخمة ، فعليكم بالإقلال من الطعام والشراب فى كل الأزمان .

وكان بالكوفة رجل يقال له مصلح ، فبلغه أن بالبصرة رجلا من المصلحين مقدما فى شأنه ، فسار الكوفى إلى البصرة ، فلما قدم عليها قال له : من أنت؟ قال : أنا مصلح ، جئتك من الكوفة ؛ لما بلغنى خبرك ، فرحب به ، وأدخله موضعه ، وخرج يشترى له ما يأكل ، فأتى جبانا فقال له : أعندك جبن؟ قال : عندى جبن كأنه سمن ، فقال فى نفسه : لم لا أشترى سمنا حين هو يضرب به المثل؟ فذهب إلى من يبيع السمن ، فقال له : أعندك سمن؟ قال : عندى سمن كأنه زيت ، فقال فى نفسه : لم لا أشترى زيتا حين هو يضرب به المثل؟ فذهب إلى زيات ، وقال : أعندك زيت؟ فقال : عندى زيت صاف كأنه الماء ، فقال فى نفسه : لم لا آخذ ماء حين يضرب به المثل؟ فرجع إلى بيته ، وأخذ صحفة وملأها ماء ، وقدمها للضيف مع كسيرات يابسة ، وعرفه كيف جرى له ، فقال الكوفى : أنا أشهد أنك بالإصلاح أحق من أهل الكوفة .

وحكى المدائنى قال : خطب رجل من بنى كلاب امرأة ، فقالت أمها : دعنى أسأل عنك ، فانصرف الرجل ، فسأل عن أكرم الحى ، فدل على شيخ منهم ، كان يحسن المحض

في الأمر ، فأتاه وسأله أن يحسن عليه الثناء وانتسب له فعرفه ، ثم إن العجوز غدت عليه ، فسألته عن الرجل ، فقال : أنا أعرف الناس به ، قالت له : كيف لسانه؟ فقال : مدره قومه وخطيبهم ، قالت : فكيف شجاعته؟ قال : منيع الجار ، حامى الذمار ، قالت : فكيف سماحته؟ قال : ثمال قومه وربيعهم ، وأقبل الفتى ، فقال الشيخ : ما أحسن ـ والله ـ ما أقبل الفتى ، ما انثنى ولا انحنى ، ودنا الفتى فسلم ، فقال : ما أحسن ـ والله ـ ما سلم ، ما دار ولا بار ، ثم جلس فقال : ما أحسن ـ والله ما جلس ما دنا ولا نأى ، وذهب الفتى ليتحوط ، فضرط ، فقال : ما أحسن ـ والله ـ ما ضرط ، ما أغنها ، وما أطنها ، ولا بربرها ، ولا فرفرها ، ونهض الفتى خجلا ، فقال : ما أحسن ـ والله ـ ما نهض ، ما أبطأ ولا أسرع ، فقالت المرأة : حسبك بهذا ، وجه إليه من يرده ، فوالله ، لو سلح فى ثيابه لزوجناه .

وسمع بعض الملوك أن ملك الروم المجاور له عزم على أن يدخل أرضه ويحصر بعض بلاده ، فأراد أن يبعث إليه رسولا ، يطلب منه الصلح ، فشاور وزراءه ، ونبهاء فرسانه فيمن يبعث إليه ، فأشار عليه كل واحد منهم برجل من كبار خدامه ، ونبهاء فرسانه ، وسكت منهم واحد ، فقال له الملك : لم سكت؟ قال : لا أرى أن ترسل واحدا ممن ذكروا ، قال : فمن ترى أن نرسل؟ فقال له : فلان ، وذكر له رجلا غير وجيه ، ولا مشهور بنباهة ولا بفصاحة ، فقال له الملك : أتهزأ بى فى مثل هذا؟ وظهر عليه الغضب ، فقال له : معاذ الله يا مولاى ، ولكنك تريد أن تبعث إليه من نرجو رجوعه ، مقضى الحاجة ، قال : وذلك مرادى ، قال : وإنى فكرت ونظرت فلم أجد غير ذلك الرجل : لأنك وجهته فى كذا فأنجح ، وفى كذا فقضيت حاجته ، وما ذلك إلا بنجحته ، لا بفصاحته ، ولا نباهته ولا شجاعته ، فقال له : صدقت ، وأمر أن يوجه عنه ، فجاءه ، وأمر أن يدفع إليه كل ما يحتاج إليه فى السفر ، فدفع إليه ، وخرج ، فسمع ملك الروم أنه يأتيه رسول ، فقال لخدامه : إن هذا الرسول الذى هو يأتى من أكبر من عند المسلمين ، فإذا وصل فأدخلوه قبل إنزاله ، وإن فهم عنى ما أقوله له أنزلته ، وقضيت حاجته ، وإن لم يفهم عنى ، لم أنزله ، ورددته غير مقضى الحاجة ، فلما وصل أدخل عليه ، فلما سلم عليه أشار إليه ملك الروم بإصبعه الواحد إلى السماء ، فأشار ذلك الرجل بإصبعه إلى السماء والأرض ، فأشار النصرانى بأصبعه قبالة وجه الرجل ، فأشار الرجل بأصبعين قبالة وجه النصرانى ، فأخرج النصرانى زيتونة من تحت بساطه ، وأشار بها إلى الرجل ، فأخرج الرجل بيضة ، من تحته وأشار بها إليه ، فطابت نفس النصرانى وأمر بإنزاله وإكرامه ، ثم سأله : فيم جاء؟ فأخبره ، فقضى

حاجته وصرفه ، فقيل للنصراني : ما قلت له حتى فهمك ، وقضيت حاجته؟ فقال : ما رأيت أفهم منه ولا أحذق ، أشرت له بإصبعي إلى السماء ، أقول له : الله واحد في السماء ، فأشار لي بإصبعه إلى السماء وإلى الأرض يقول لي : هو في السماء وفي الأرض ، ثم أشرت له بإصبعي قبالته أقول له : جميع ما ترى من الناس إنما أصلهم واحد وهو آدم ، فأشار لي بإصبعين يقول لي : أصلهم آدم وحواء ، ثم أخرجت له زيتونة أقول له : انظر ، ما أغرب حال هذه ، فأخرج هو بيضة ، وقال : حال هذه أغرب من تلك ؛ لأنه يخرج منها حيوان ، فهي أعجب ، فلذلك قضيت حاجته ، فقيل بعد ذلك للرجل : ما الذي قال لك النصراني حين أشار إليك وفهمته؟ قال : والله ما رأيت أثقل روحا ، ولا أجهل من ذلك النصراني ساعة وصولي إليه ، يقول لي : آخذك في طرف أصبعي وأرفعك هكذا ، فقلت له : أنا أرفعك بأصبعي هكذا ، وأنزلك في الأرض هكذا ، فقال لي : أخرج عينك بأصبعي هكذا ، فقلت له : أنا أخرج عينيك الاثنتين بإصبعيّ هذا ، فقال : ليس معي ما أعطيك إلا هذه الزيتونة ، بقيت من غدائي ، قلت له : يا محروم ، وأنا خير منك ؛ فإني بقي لي من غدائي هذه البيضة ، ودفعتها له ، ففزع مني وقضى حاجتي .

وكان بالكوفة رجل مشهور بالبرد ، فسمع أن بالبصرة رجلا آخر أبرد منه ، فقال : لابد أن أختبره ، حتى أرى من أبرد منا ، فأخذ كراريس من الكاغد كثيرة ، وصنع منها سفرا كبيرا وسفره وكتب فيه : سلام عليكم ، وفرق الحروف في بعض الأوراق وترك سائرها بياضا ، ودفعه لميار ، وقال : تدفعه بالبصرة لفلان ، وتطلب منه الجواب ، فأخذه الميار ، وذهب إلى البصرة ، وسأل عن الرجل ، فدل عليه ، فأتاه ، ودفع إليه السفر وقال له : أريد جواب ما فيه ، قال : نعم ، غدا إن شاء الله ، ثم فتحه فوجد أوراقه بيضا ، فجعل يحول الأوراق ، فوجد السين ثم اللام حتى كمل سلام ، ولم يجد غير ذلك ، ففكر في نفسه ، فعلم أن ذلك من فعل بارد مثله يريد أن يقيسه فذهب إلى نجار ، وقال له : اعمل لي تابوتا كبيرا ، فعمله له ، فلما عاد إليه الميار يطلب الجواب ، قال له : تأتي غدا ، وتأخذ هذا التابوت وتحمله للذي دفع لك الكتاب وتقول له : هذا جوابك ، وهذا مفتاح التابوت تدفعه له ، ثم دفع له أجرته ، وقال : إني أسافر الليلة ، فإذا كان غدا فأت إلى هنا ، وخذ التابوت ، وجعل فيه ما يحتاج من المأكول والمشروب ، وغلقه ، وإذا بالميار قد جاء ، فأخذ التابوت وذهب ، فلما وصل إلى الكوفة أتى الرجل الذي دفع له الكتاب : فقال : هذا

التابوت جواب كتابك ، ثم دفع له المفتاح ففتحه ، فخرج منه الرجل ، وقال : وعليكم السلام ورحمة الله ، فقال له : أشهد أنك أبرد منى ومن جميع الناس .

وحكى أبو عبدالله بن عبدالبر المدنى بمصر قال : حدثنى إسحاق بن إبراهيم عن الهيثم بن عدى قال : كان بالمدينة رجل من بنى هاشم ، وكانت له قينتان يقال لإحداهما : رشأ وللأخرى جؤذر ، وكان يعجبه السماع ، وكان بالمدينة مضحك ، لا يكاد يفارق مجالس المتظرفين ، فأرسل الهاشمى إليه ذات يوم ليضحك به ، فلما أتاه قال له المضحك : أصلحك الله ، أنت فى لذتك ، ولا لذة لى ، قال : وما لذتك؟ قال : تحضر لى نبيذا فإنه لا يطيب لى عيش إلا به ، فأمر الهاشمى بإحضار نبيذ ، وأمر أن يطرح فيه سكر ، فلما شربه المضحك ، تحركت عليه بطنه ، وتناوم عنه الهاشمى ، وغمز جاريتيه عليه ، فلما ضاق عليه الأمر ، واضطر إلى البراز ، قال : ما أظن هاتين المغنيتين إلا يمانيتين ، وأهل اليمن يسمون الكنف المراحض ، فقال لهما : يا حبيبتى ، أين المرحاض؟ فقالت إحداهما لصاحبتها : ما يقول؟ قالت : يقول غنيانى :

رَحَضْتِ فُؤادِى فَخَلَّيْتَنِى أهيمُ مِنَ الحبِّ فى كل وادْ(١)

فاندفعتا تغنيانه ، فقال فى نفسه : ما أراهما فهمتا عنى ، أظنهما مكيتين ، وأهل مكة يسمونه المخارج ، فقال : يا حبيبتى ، أين المخرج؟ فقالت إحداهما : ما يقول؟ قالت : يقول : غنيانى :

خَرَجْتُ بها من بطنِ مكة ، بعدما أقامَ المُنَادى بالعشاءِ فأعْتَما(٢)

فاندفعتا تغنيانه ، فقال فى نفسه : لم تفهما عنى ، أظنهما شاميتين ، وأهل الشام يسمونها المذاهب ، فقال لهما : يا حبيبتى ، أين المذهب؟ فقالت إحداهما : ما يقول؟ قالت : يقول : غنيانى :

(١) البيت من المتقارب . والبيت والحكاية كلها فى العقد الفريد ـ جـ٣ ص١٨٦ ـ ١٨٧ . ولعل النبيذ الذى طرح فيه سكر هو ما يعرف فى الأسبانية بـ Sangria ، سانجرية ، مما يدل على أن هذا الضرب من الشراب معروف فى المشرق كما فى المغرب .

(٢) البيت من الطويل ، وهو لأبى دهبل الجحمى ، يصف ناقته ، ولم يكن فى زمانها أسير منها ولا أحسن ، وروايته مع بيتين آخرين :

خرجت بها من بطن مكة بعدما أصاتَ المنادى بالصلاة فأعتما
فما نام من راع ولا ارتّد سامرٌ من الليل حتى جاوزتْ بى يَلَمْلَما
وما ذَرّ قَرْنُ الشمس حتى تَبَيَّنَتْ بِعُلَيَبَ نَخْلا مُشْرِفا ومُخَيَّما

الشعر والشعراء ص٣٩٠ .

ذهبْت من الهجران فى كلِّ مَذْهَبِ ولم يَكُ حقًا كلُّ هذا التَّجَنُّبِ[١]

فغنتاه الصوت ، فقال فى نفسه : لم تفهما عنى ، ما أظنهما إلا مدنيتين ، وأهل المدينة يسمونه : بيت الخلاء ، فقلت لهما : يا حبيبتى ، أين بيت الخلاء؟ فقالت إحداهما : ما يقول؟ قالت يسأل أن يغنى :

خَلَّى عَلَىَّ أخو الأحزانِ إذْ ظَعَنا من بطن مكة ، أَلتَّسْهِيد والحزَنَا[٢]

قال : فغنتاه ، فقال : ﴿إنا لله وإنا إليه راجعون﴾[٣] ، ما أحسب الفاسقتين إلا بصريتين ، وأهل البصرة يسمونها الحشوش ، فقال : أين بيت الحش؟ فقالت إحداهما : ما يقول؟ قالت : يسأل أن يغنى :

أوْحَشَ الخِبْرَانِ فالرَّبْعُ منها فمنُاها ، فالمنزلُ المعمور[٤]

فاندفعتا تغنيانه ، فقال : ما أراهما إلا كوفيتين ، وأهل الكوفة يسمونها الكنف ، فقال لهما : أين الكنيف؟ فقالت إحداهما : نفس سيدنا ، هل رأيت أكثر اقتراحا من هذا الرجل ، قالت : ما يقول؟ قالت : يسأل أن يغنى :

تَكَنَّفِنى الهوى طفلا فشيَّبَنى ، وما اكْتَهَلا[٥]

قال : فغلبته بطنه ، وعلم[٦] أن ذلك منهما ازدراء عليه ، والهاشمى يتقطع ضحكا ، فقال لهما : كذبتما يا زانيتين ، أعلمكما ما هو؟ فرفع ثيابه وسلح عليهما ، وانتبه الهاشمى ، فقال : سبحان الله ، أتسلح على وطائى؟ قال : الذى خرج منى أعز على منه ؛ إن هاتين الزانيتين حسبتانى أنى أسأل عن الحش للضراط ، فأعلمتهما ما هو .

---

(١) البيت من الطويل ، وهو لعلقمة الفحل ، وله قصة مشهورة مع أم جندب وامرئ القيس ـ الشعر والشعراء ص١٠٧ ، وأول قصيدة امرئ القيس :

خليلىَّ مُرَّا بى على أمِّ جُنْدُبِ لنَقْضِىَ حاجاتِ الفؤادِ المعذَّبِ

وانظر : طبقات فحول الشعراء ـ الشطر الأول ـ ص١٣٩ .

(٢) البيت من البسيط ، ولابد لقراءته صحيحا أن تقطع همزة «التسهيد» .

(٣) سورة البقرة الآية ١٥٦ .

(٤) البيت من الخفيف .

(٥) البيت من مجزوء الوافر .

(٦) العبارة : «وعلم ـ إلى قوله : ضحكا من [د ، س] .

وقال إسحاق بن إبراهيم : قال لى ابن وهب الشاعر : والله لأحدثنك حديثا ، ما سمعه أحد منى قط ، وهو أمانة أن يسمعه أحد منك ما دمت حيا ، قلت : ﴿**إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولاً**﴾(١) ، قال لى : يا أبا محمد ، إنه حديث ما طن فى أذنك أعجب منه ، قلت : كم هذا التعقيد بالأمانة؟ آخذه على ما أحببت ، قال : بينما أن بسوق الإبل بمكة بعد أيام الموسم ، إذا أنا بامرأة من نساء مكة معها صبى يبكى ، وهى تسكته ، فيأبى أن يسكت ، فسفرت وأخرجت من فيها كسر درهم ، فدفعته إلى الصبى فسكت ، فإذا وجه رقيق كأنه درى ، وإذا شكل رطب ولسان طويل ، فلما رأتنى أحد النظر إليها قالت : اتبعنى ، قلت : إن شرطى الحلال ، قالت : ارجع فى حر أمك ، ومن يريدك على الحرام؟ فخجلت ، وغلبتنى نفسى على رأيى ، فتبعتها ، فدخلت فى زقاق العطارين ، فصعدت درجة ، وقالت : اصعد ، فصعدت ، فقالت : أنا متزوجة ، وزوجى رجل من بنى مخزوم ولكن عندى حرا آخر ضيق ، عليه وجه أحسن من العافية . فى مثل خلق ابن سريج ، وترنم معبد ، وتيه ابن عائشة ، أجمع لك هذا كله فى بدن واحد بأصفر سليم ، قلت : وما أصفر سليم؟ قالت : بدينار واحد فى يومك وليلتك ، فإذا قمت جعلت الدينار وظيفة ، وتزويجها صحيحا ، قلت : فذلك لك إن اجتمع لى ما ذكرت ، قال : وصفقت بيديها إلى جارتها ، فاستجابت لها ، فقالت : قولى لفلانة : البسى عليك ثيابك ، وبحياتى عليك لا تمس طيبا فحسبنا بدلالك وعطرك فإذا جارية قد أقبلت من أجمل ما يرى ، فسلمت وقعدت كالخجلة ، فقالت لها الأولى : إن هذا الذى ذكرتك له ، وهو فى هذه الهيئة التى ترين ، قالت : حياه الله ، وقرب داره ، قالت : لا ، والله يا بنية ، لقد نسيت ، ثم نظرت إلى فغمزتنى ، وقالت : أتدرى ما شرطى؟ قلت : لا ، قالت : أقول لك بحضرتها ، وما أظنها تكرهه ، هى والله ، أفتك من عمرو بن معدى كرب ، وأشجع من ربيعة بن مكدم ، ولست بواصل إليها حتى تسكر ، ويغلب عليها السكر ، فإذا بلغت تلك الحال ، ففيها مطمع ، فقلت : ما أهون هذا وأسهله ، قالت الجارية : وتركت شيئا آخر . قالت : نعم . والله ، اعلم انك لن تصل إليها حتى تتجرد لها ، وترى مجردا مقبلا ومدبرا ، قلت : وهذا أيضا أفعله ، قالت : هلم دينارك ، فدفعته إليها قالت : فصفقت بيديها مرة أخرى ،

(١) سورة الأحزاب ، الآية ٧٢ .

فأجابتها امرأة ، فقالت لها : قولى لأبى الحسن وأبى الحسين : هلما الساعة ، فإذا بشيخين نبيلين ، قد أقبلا ، فصعدا ، فقصت عليهما القصة ، فخطب أحدهما ، وأجاز الآخر ، وأقررت بالتزويج ، وأقرت المرأة ، ودعوا بالبركة ، ثم نهضنا ، فاستحييت أن أحمل المرأة شيئا من المؤنة فأخرجت دينارا آخر ، ودفعته إليها ، وقلت : هذا لطيبك ، قالت : لست ممن يمس طيبا لرجل ، إنما أتطيب لنفسى إذا خلوت ، قلت : فاجعلوه لغدائنا اليوم ، قالت : أما هذا فنعم ، فنهضت الجارية ، فأمرت بإصلاح ما يحتاج إليه ، ثم عادت فتغدينا ، ثم جاءت بوسادة وقضيب وقعدت ، ودعت بنبيذ فأعدته ، واندفعت تغنى بصوت لم أسمع قط مثله ، وإنى ألفت بيوت القيان نحوا من ثلاثين سنة ، فما سمعت مثل ترنمها قط ، فكدت أخر سرورا وطربا ، فجعلت أروم أن تدنو منى فتأبى ، إلى أن تغنت بشعر لم أعرفه ، وهو :

راموا يصيدونَ الظِّباءَ وإنَّنى لأرى تَصَيُّدها علىَّ حَراما
أعْزِزْ عَلَىَّ بأن أُرَوِّعَ مِثْلَها أو أنْ يذقْنَ على يدىَّ حِماما(١)

فقلت : جعلت فداك ، من يغنى هذا؟ قالت : اشترك فيه جماعة ، هو لمعبد ، وتغنى به ابن سريج ، وابن عائشة ، فلما نعى إلينا النهار نفسه ، وجاء المغرب ، تغنت بصوت لم أعرف معناه ؛ للشقاء الذى كتب على ؛ فقالت :

كَأَنِّى بالمُجَرَّدِ قَدْ عَلَتْهُ نِعالُ القَوْمِ أو خُشُبُ البرَارِى(٢)

قلت : جعلت فداك ، ما أفهم هذا البيت ، ولا أحسبه مما يتغنى به ، قالت : أنا أول من تغنى به ، قلت : فإنما هو بيت مفرد لا صاحب له ، قالت : معه بيت آخر ، ليس هذا وقته ، وهو آخر ما أتغنى به ، قال : وجعلت لا أنازعها فى شىء إجلالا لها ، فلما أمسينا وصلينا المغرب ، وجاءت العشاء الأخيرة وضعت القضيب ، فقمت وصليت ، وما أدرى كم صليت عجلة وشوقا فلما سلمت قلت : أتأذنين لى ـ جعلت فداك ـ فى الدنو منك ، قالت : تجرد ، وأشارت إلى ثيابها ، كأنها تريد أن تتجرد ، فكدت أن أشق ثيابى عجلة للخروج منها ، فتجردت ، وقمت بين يديها ، فقالت : امض إلى آخر البيت وأقبل(٣) حتى

(١) البيتان من الطويل ، والحكاية كلها واردة فى العقد الفريد ـ مع تغيير طفيف ـ جـ٣ ص٣١٠ـ ٣١٢ . تحت عنوان : حديث المجرد .
(٢) البيت من الوافر .
(٣) العبارة «وأقبل ـ إلى : البيت» من [س] .

أراك مقبلا ومدبرا ، وإذا حصير فى الغرفة عليه طريق إلى آخر البيت ، فخطرت عليه ، وإذا خرق إلى السوق تحته ، فإذا أنا فيه ، قد وقعت فى السوق قائما متجردا ، وذكرى قائم ، وإذا الشيخان الشاهدان قد أعدا نعالهما ، وكمنا لى ناحية ، فلما هبطت عليهما ، نهضا إلى ، فقطعا نعالهما على قفاى ، واستعانا بأهل السوق ، فضربت ـ والله ـ يا أبا محمد ، حتى نسيت اسمى ، فبينما أنا أضرب بنعال مخصوفة ، وأيد شديدة ، إذا صوت من فوق البيت يغنى :

ولوْ عَلِمُ الجـــــرَّدُ مـــــا أرَدْنا   لحـاذَرَنا الجـرَّدُ فى الصحـارى[١]

فقلت فى نفسى : هذا ـ والله ـ وقت هذا البيت ، فنجوت إلى رحلى ، وما فى عظم صحيح ، فلما انقضى حجنا ، وانصرفنا ، جعلت طريقى على ذلك الموضع ، فسألت عنها فقيل لى : إنها امرأة من آل أبى لهب ، قلت : لعنها الله ، ولعن الذى هى منه .

وحكى أبو سويد عن أبى العتاهية عن دعبل بن على الشاعر قال : بينما أنا ذات يوم بباب الكرخ ، وأنا سائر ، وقد استولى الفكر على قلبى فى أبيات شعر نطق بها اللسان ، فقلت :

دمـوعُ عـينِى لهـــا انْبِســـاط   ونومُ عـــيْنِى له انْقِــبَـــاضُ[٢]

فإذا بجارية رائعة الجمال ، فائقة الكمال ، حوراء الطرف ، يقصر عن نعتها الوصف ، لها وجه زاهر ، ونور باهر ، فهى كما قال الشاعر :

كَـأنّمـا أُفْـرِغَتْ فى قِـشْـرِ لُؤلؤةٍ   فى كل جارحةٍ منها لها قَمَرُ[٣]

وكانت تسمع قولى ، فقالت :

هـذا قـليـلٌ لمنْ دَعَـــــتْـــــهُ   بلحظِهــا الأعْـــيُنُ المِراض[٤]

فأجبتها ، فقلت :

فـــــهلْ لمولاتـى عطفُ قلبٍ   أو للذى فى الحـشـا انْقِـراض

(١) البيت من الوافر .
(٢) البيت من المخلع ، والحكاية والشعر فيها واردتان فى العقد الفريد جـ٣ ص٣١٣ـ ٣١٤ .
(٣) البيت من البسيط .
(٤) البيت والبيتان من المخلع .

فأجابتنى فقالت :

إن كنْتَ تبــــغِى الودادَ منا ... فـــالودُّ فى ديننا قِـــراض

قال دعبل : فما أعلمنى : خاطبت جارية تقطع الأنفاس بعذوبة ألفاظها ، وتختلس الأرواح ببراعة منطقها ، وتذهل الألباب برخيم نغمتها ، مع تلاعة جيد ، ورشاقة قد ، وكمال عقل ، وبراعة شكل ، واعتدال خلق ، فحار ـ والله ـ البصر ـ وذهل اللب ، وجل الخطب ، وتلجلج اللسان ، وتعلقت الرجلان ، وما ظنك بالحلْفاء أدنيت لها النار ، ثم ثاب إلى عقلى وراجعنى علمى ، وذكرت قول بشار :

لا يَمْنعنَّك من مُـــخَـــدَّرةٍ ... قـــولٌ تغلَّظُه وإن جَـــرَحــا

عـــسْـــرُ النســاء إلى ميــاســرةٍ ... والصعب يمكن بعدما حجما[1]

هذا لمن حاول ما دون الطمع فيه ، واليأس منه ، فكيف لمن وعد قبل المسألة ، وبذل قبل الطلب ، فقلت مسمعا لها :

أتُرى الزمـــانَ يَسُـــرُّنا بتـــلاق ... ويضمُّ مُشتاقا إلى مُشتاقِ؟[2]

فقالت مجيبة لى فى أسرع من نفسى :

مـا للزمـان يُقـال فـيـه ، وإنما ... أنْتَ الزمـانُ فَسُـرَّنا بِتَـلاق

قال دعبل : فلاحظتها ، فتبعتنى ، وذلك فى أيام إملاقى ، فقلت : ما بى إلا منزل مسلم صريع الغوانى ، فصرت إلى بابه ، فاستوقفتها وناديته ، فخرج فقلت : أحمل لك الخير ، معى وجه تقل له الدنيا بما فيها ، قد حصل مع ضيقة وعسر ، فقال : لقد شكوت ما كدت أبادرك إليه ، ايت بها ، فلما أتيت ودخلت قال : والله ، ما أملك غير هذا المنديل ، فقلت : هو البغية ، فناولنيه ، وقال : خذاه ، لا بارك الله فيه ، فأخذته وبعته بدينار عين وكسر ، فاشتريت لحما وخبزا ونبيذا ، وصرت إليهما ، فإذا هما يتساقطان حديثا كأنه قطع الروض الممطور ، فقال : ما صنعت؟ فأخبرته ، فقال : كيف يصلح طعام وشراب وجلوس ، مع وجه نظيف بلا نقل ولا ريحان ولا طيب؟ فارجع لتمام ما بدأت ، قال : فخرجت ،

(١) البيتان من الكامل الأحذ ، وهما لبشار ، وردا فى وفيات الأعيان جـ١ ص٤٢٦ ، وفى الأغانى جـ٣ ص٣٠٩ وروايتهما «لا يؤنسنك من مخبأة» ولهما حكايات فى مصادر متعددة .

(٢) البيت وما بعده من الكامل .

فاضطربت فى ذلك حتى رجعت به ، فألفيت باب الدار مفتوحا ، فدخلت ، فلم أر لهما خبرا ، ولا شيئا مما أتيت به أثرا ، فسقط فى يدى ، وقلت : أرى صاحب الشرطة أخذهما؟ فبقيت متلهفا حائرا ، أرجم الظن ، وأجيل الفكر سائر يومى ، فلما أمسيت قلت : يا نفسى ، أفلا أدور الدار ؛ لعل الطلب يوقعنى على أثر ، ففعلت ، فوقفت على سرداب ، وإذا هما قد هبطا فيه ، وأنزلا معهما جميع ما يحتاجان إليه ، فأكلا وشربا وتنعما ، فلما أحسستهما دليت رأسى ، ثم ناديت : يا مسلم ، ويحك ، فلم يجبنى حتى ناديت ثلاثا ، فكان من إجابته لى أن غنى بصوت يقول فيه :

بِتُّ فى دِرْعِـهـا ، وباتَ رقـيـبى جُنُبَ الْقَلْبِ ، طاهرَ الأطْراف[١]

ثم قال : يا دعبل ، من يقول هذا؟ فقلت : القائل :

مَنْ لهُ فى حِـراقّـهِ ألفُ قـرْنٍ قـــد أنا فَتْ على عُلُوٍّ مَناف

قال : فضحكا ثم سكتا ، واستجلبت كلامهما ، فلم يجيبانى ، وأخذا فى لذتهما ، وبت بليلة ، يقصر عمر الدهر عن ساعة منها طولا وغما وهما ، حتى إذا أصبحت ، ولم آكل ، خرج إلى مسلم ، فجعلت ألومه[٢] ، فقال لى :

يا صفيق الوجه ، منزلى ومنديلى ، وطعامى وشرابى ، فما شأنك فى الوسط؟ فقلت له : حق القيادة والفضول والله لا غير ، فولى وجهه إليها ، وقال : بحياتى إلا أعطيته حق قيادته وفضوله ، فقالت : أما حق قيادته فتعرك أذنه ، وأما حق فضوله فتصفع قفاه ، فاستقبلنى فعرك أذنى وصفع قفاى ، فقلت : ما هذا؟ قال : جرى الحكم عليك بما جرى من العدل والإنصاف .

وحكى أبو بكر الوراق[٣] قال : حدثنى الحسن بن هانىء : قال : حججت مع الفضل ابن الربيع ، حتى إذا كنا ببلاد بنى فزارة ، وذلك فى أول أيام الربيع نزلنا[٤] بإزاء باديتهم ،

---

(١) البيت وما بعده من الخفيف .

(٢) فى [د]فجعلت أؤنبه .

(٣) أبو بكر الوراق - رواية [د ، س] ، والعقد الفريد حيث وردت الحكاية بتمامها مع تغيير طفيف ، وانفردت [ح] بقوله «أبو داود الوراق» .

(٤) أخلت [س] بقوله : نزلنا منزلا بإزاء باديتهم .

إذا روض أريض ، ونبت عريض ، تخضع لبهجته الزرابى المبثوثة ، والنمارق المصفوفة ، فقرت بنظرتها العيون . وارتاحت إلى حسنها القلوب ، وانفرجت لبهائها الصدور ؛ فلم نلبث أن أقبلت السماء ، فأسفت غمامها ، وتدانى ركامها حتى إذا كان كما قال أوس بن حجر :

دانٍ مُسِفٌ ، فُوَيْقَ الأرض هَيْدُبُهُ ... يكادُ يدفَعُهُ مَنْ قام بالرّاحِ[١]

همت[٢] برذاذ ثم بطش ثم برش ، ثم بوابل ، ثم أقلعت ، وقد غادرت الغدران مترعة تتدفق ، والقيعان تتألق ، ورياضا مونقة ، ونوافح من ريحها عبقة ، فسرحت طرفى ، واقعا منها بأحسن منظر ، واستنشقت من رياحها أطيب من المسك الأذفر ، فلما انتهينا إلى أوائلها ، إذا نحن بخباء على بابه جارية متبرقعة ، ترنو بطرف مريض الجفون ، وسنان النظر ، قد أشعرت لواحظها فتورا ، وملئت سحرا ، فقلت لصاحبى : استنطقها ، فقال : وكيف السبيل إلى ذلك؟

فقلت : استسقها ، فاستسقيناها ماء ، قالت : نعم ونعمًا عين ، وإن نزلتم فعلى الرحب والسعة ، ثم نهضت تتهادى ، كأنها خوط بان ، أو قضيب خيزران ، فراعنى - والله - حسنها ، وما رأيت منها ، ثم أتت بالماء فشربت منه ، وصببت باقيه على يدى ، وقلت : وصاحبى أيضا عطشان ، فأخذت الإناء وذهبت ، فقلت لصاحبى : من الذى يقول :

إذا بارك اللهُ فى مَلْبَسٍ ... فلا باركَ اللهُ فى البُرْقُعِ
يُريك عُيونَ المَها غِرَّةً ... ويكشفُ عن منظرٍ أشْنَعِ[٣]

قال وسمعت كلامى ، فأتت ، وقد نزعت البرقع ، ولبست خمارا أسود وهى تقول :

ألا حَيَّ رَكْبَيْ مَعْشرٍ قد أراهما ... أطالا ، ولَمّا يَعْرفا مُبْتَغاهما
هما اسْتَسْقَيا ماءً على غير ظَمْأةٍ ... ليسْتمتعا باللَّحْظِ مِمَّنْ سقاهما[٤]

---

(١) البيت من البسيط ، وهو لأوس بن حجر من أبيات يصف فيها السحاب ، ويقول بعده :

ينفى الحصا عن جديد الأرض مبتركا ... كأنه فاحصٌ أو لاعبٌ داحِ
فمن بَنجْوَتِه كمن بِعِقْوتِهِ ... والمُسْتَجِنُّ كمن يمشى بِقِرْوَاحِ

الشعر والشعراء - ص١٠٢ .

(٢) أخلت [س] بقوله : همت إلى قوله : برش .

(٣) البيتان من المتقارب .

(٤) البيتان من الطويل ، وهما مضطربان بعض اضطراب فى[ح] وفى [س] سواد غير مقروء فى الشطر الثانى من البيت الثانى ، ورجعنا إلى العقد الفريد ، وإن كان ثمة خلاف فيه عما هو هنا .

فشبهت كلامها بعقد در ، وهى سلكه ، فانتثر ، بنغمة عذبة رخيمة لو خوطب بها صم الصلاب لا نبجست ، مع وجه يظلم لنوره ضياء العقول ، وتتلف فى روعته مهج النفوس ، وتخف فى محاسنه رزانة الحليم ، ويحار فى بهائه طرف البصير ، فلم أتمالك أن خررت ساجدا ، وأطلت ، من غير تسبيح ، فقالت : ارفع غير مأجور ، لا تذم بعدها برقعا ، فلربما انكشف عما يمنع الكرى ، ويحل القوى ، ويطيل الجوى ، من غير بلوغ إرادة ، ولا قضاء وطر ، إلا الحين المجلوب ، والقدر المكتوب ، والأمل المكذوب ، فبقيت ـ والله ـ معقول اللسان عن الجواب ، حيران لا أهتدى لطريق الصواب ، فالتفت إلى صاحبى فقال ، لما رأى هلعى ، كالمسلى عن بعض ما أذهلنى : ما هذه الخفة لوجه برقت لك منه بارقة ، ولا تدرى ما تحته ، أما سمعت قول ذى الرمة :

على وجْهِ ميّ مِسْحَةٌ من مَلاحةٍ وتحتَ الثيابِ الشَّيْنُ لو كان باديا[1]

فقالت : أما ما ذهبت إليه ، لا أبالك ، فلا ، والله ؛ لأنى بقول الشاعر أشبه :

مُنَعَّمَةٌ حَوْراءُ ، يَجْرى وشاحُها على كَشْحٍ مُرْتَجِّ الرَّوادِفِ أهْضَمِ
خُزَاعِيَّةُ الأطرافِ ، مُرِّيَةُ الحَشا فَزَارِيَّةُ العينينِ ، طائِيَّةُ الفَمِ
لها بَشَرٌ صافٍ ، وعينٌ مريضةٌ وأحسنُ إيماءٍ بأحْسَنِ مِعْصَمِ[2]

من قول الأخرق ، ثم رفعت ثيابها ، حتى بلغت بها نحرها ، وجاوزت منكبيها ، فإذا فضة[3] قد شيبت بماء الذهب ، تهتز على مثل قضيب نقا ، وصدر عليه كالرمانتين ، وخصر لو رمت عقده لانعقد ، منطوى الاندماج ، على كفل رجراج ، وسرة مستديرة ،

(١) البيت من الطويل ، وفى نسبته إلى ذى الرمة خلاف ، وبرئ من البيت صاحبه ، ولعله لكنزة أم شملة بنت برد المنقرى من أبيات تهجو فيها مية صاحبة ذى الرمة . انظر : شرح ابن عقيل ـ شرح الشيخ محى الدين عبدالحميد ـ جـ٢ ص١٦٩ .

(٢) الأبيات من الطويل ، وفى ترتيبها خلاف ، إذ جاء الثانى ثالثا فى[د ، س] ، وكذلك فى العقد . مع خلاف فى بعض الألفاظ .

(٣) هذا الوصف النثرى ، ربما تأثر به بعض الناثرين ، وهو فى الأصل وصف شعرى ورد فى الشعر كثيرا ، ولعل أهم من نظروا إليه أبو البقاء الرندى الأندلسى فى رسالته «بيع الأمة فى سوق الرقيق» ورد عليه برسالة مثلها أبو بكر البردعى ، وهما فى الإحاطة .
انظر : «مقامات ورسائل أندلسية» لفرنادندو دى لاجرانخا» وترجمناه إلى العربية ، انظر ص١٤١ ـ ١٦٧ ـ الطبعة الثانية ١٩٨٧ .

يقصر فهمى عن بلوغ نعتها ، من تحتها أرنب جاثم(١) ، أو جبهة أسد خادر ، وفخذان لفاوان ، وساقان تخرسان الخلاخل ، وقدمان كأنهما لسانان ثم قالت : أشين ما ترى؟ لا أبالك ، قلت : لا ، والله ، ولكن سبب القدر المتاح ، ومقرب من الموت الصراح ، فيطبق على الضريح ، ويتركنى جسدا بغير روح ، قال : ثم خرجت عجوز من الخباء ، وقالت : امضى لشأنك ؛ فإن قتيلها مطلول لا يودى(٢) ، وأسيرها مكبول لا يفدى ، قالت : دعيه ؛ فإنه مثل قول غيلان :

ومـالَكَ منهـا غـيـرُ أنَّكَ . . . بعـيـنَيْكَ عَيْنَيْـهـا ، . . . خـائبُ
فـلا تَعـبَنْ يومًـا مُـحَيًّـا مَبَرْقَعًـا فربتمـا أشْجاكَ مـا أنت عائب(٣)

فنحن كذلك ، حتى ضرب الطبل للرحيل ، فانصرفت بكمد قاتل ، وكرب داخل ، وأنا أقول :

يَا حَسْرَتِى مِـمّـا يُجِنُّ فُـؤادى أزِفَ الرحيلُ بغُـرْبتى وبِعـادى(٤)

فلما قضينا حجنا وانصرفنا راجعين ، مررنا بذلك المنزل ، وقد تضاعف حسنه ، وإذا هى تتهادى بين خمس ، ما تصلح أن تكون خادما لأدناهن ، وهن يجتلين من حسن ذلك النبات ، فلما رأيننا وقفن ، فقلنا لهن : السلام عليكم ، فقالت من بينهن : وعليك السلام ، ألست صاحبى؟ قلت : بلى ، قلن لها : أو تعرفينه؟ قالت : نعم ، وقصت عليهن القصة ، ما تركت حرفا ، قلن لها : ويحك ، ماروده شيئا يتعلل به؟ قالت : نعم ، زودته لحدا ضامرا ، وموتا حاضرا ، فانبرت لها أنضرهن خدا ، وأرشقهن قدا ، وأسحرهن طرفا ، وأبرعهن شكلا ، فقالت : والله ما أحسنت بدءا ، ولا أجملت عودا ، ولقد أسأت فى الرد ؛ إذا لم تكافيه فى الود ، فما عليك لو أسعفته فى رغبته ، أو أنصفته فى مودته ، وإن المكان لخال وما معك من ينم عليك ، فقالت : أما والله لا أفعل من ذلك شيئا ، أو تشركينى فى

(١) عبارة «أرنب جاثم» ترجمت للأسبانية للدلالة على الفرج ، حتى على ألسنة العامة يقولونCabeza de conejo : ولعل العبارة العربية حين أسقطت كلمة «رأس» فى الأسبانية إنما تعنى المراد ، يضاف إليها «جبهة أسد خادر» ولم أرها فى الإسبانية .

(٢) «مطلول لا يودى من [د] .

(٣) البيتان من الطويل ، وغيلان هو ذو الرمة . وورد البيت الأول مع حكاية أخرى لأعرابى وأعرابية فى العقد الفريد ـ جـ٢ ص٨٤ مع تغيير فى بعض الكلمات . والبيتان هنا ـ مفردين ـ من اللزوميات .

(٤) البيت من الكامل .

حلوه ومره ، قالت لها : ﴿تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَى﴾[1] تعشقين أنت . . . أنا ؟ قالت أخرى منهن : قد أطلتن الخطاب من غير فائدة ، فسلن الرجل عن نفسه وقصته وبغيته ، فلعله لغير ما أنتن فيه ، فقلن : حياك الله ، وأنعم بك عينا[2] ، من تكون ، وممن أنت ، وإلى من قصدت؟ قلت : أما الاسم ، فالحسن بن هانئ من اليمن ، ثم من سعد العشيرة ، وأحد شعراء السلطان الأعظم ، ومن يدنى مجلسه ، ويتقى لسانه ، ويرهب جانبه ، وأما قصدى ، فلتبريد غلة ، وإطفاء لوعة . قد أحرقت الكبد وأذابته ، قالت : لقد أضفت إلى حسن المنظر كريم الخبر ، وأرجو أن يبلغك الله أمنيتك ، وتنال بغيتك ، ثم أقبلت عليهن فقالت : ما لواحدة منكن عن مثله مرغب ، فتعالين نشترك فيه ، ونقترع عليه ، فمن واقعتها القرعة منا تكن بادئة ، فاقترعن فوقعت القرعة على المليحة ، التى قامت بأمرى ، فعلقن إزارا على باب غار يجاورهن ، وأدخلت فيه ، وأبطأن عنى ، وجعلت أتشوق لدخول إحداهن على ، إذ دخل على أسود كأنه سارية ، بيده شيء كالهراوة ، قد أنعظ ، فقلت : ما تريد؟ قال : أريد أن . . . ، فهمتنى نفسى ، والله ، بذلك ، ثم صحت بصاحبى ، وكان قريبا ، فجاء إلى وخلصنى منه بعد عسر ، فخرجنا من الغار ، وإذا هن يتضاحكن ، ويتهادين إلى الخيمة ، فقلت لصاحبى : من أين أقبل الأسود ؟ قال : كان يرعى غنما إلى جانب الغار ، فدعونه ، ووسوسن إليه شيئا ، فدخل عليك ، قلت : أتراه كان يفعل؟ قال : أتراك فى شك من هذا ؟ وانصرفت وأنا أختزى ، قال أبو بكر فقلت : . . . ، والله ، الأسود ، فقال : مالك أبعدك الله ، لقد كتمت هذا الحديث مخافة هذا التأويل ، حتى ضاق به صدرى ، فرأيتك موضحا له ، فبحقى عليك ، لا تذعه ، قال : فما فهت به حتى مات[3] .

وقال السندى بن شاهد قائد الخليفة : بعث إلى المأمون ، وأنا بخراسان ، فطويت المراحل ، حتى أتيت باب أمير المؤمنين ، وقد هاج بى الدم ، فوجدته نائما ، فأعلمت قصتى الحاجب ، وقدمت إليه عذرى ، وما هاج بن من الدم ، وانصرفت إلى منزلى ، فقلت : ائتونى بحجامى ، فقالوا : هو محموم ، قلت : فهاتوا حجاما غيره ، ولا يكون

(١) سورة النجم ـ الآية ٢٢ .

(٢) «أنعم بك عينا» من[د] والعقد .

(٣) الحكاية فى العقد الفريد تحت عنوان «حديث الحسن بن هانئ مع الأسود» وفيها عن رواية الحدائق بعض خلاف ، يسير جدا ، يدل على الأخذ (بتصرف) من صاحب الحدائق .

فضوليا ، فأتونى به ، فما هو إلا أن دارت يداه على وجهى ، فقال : هذا وجه ما أعرفه ، فمن أنت؟ قلت :

السندى بن شاهد ، قال : ومن أين قدمت؟ فإنى أرى أثر السفر عليك ، قلت : من خراسان ، قال : وأى شىء أقدمك؟ وكم لك فى الطريق؟ قلت : وجه أمير المؤمنين إلى ، ولكن إذا فرغت سأخبرك بالقصة على وجهها إن شاء الله ، قال : وتعرفنى بالمنازل التى جئت عليها؟ قلت : نعم ، قال : فما هو إلا أن فرغ ودخل رسول أمير المؤمنين ، ومعه كركى ، فقال : أمير المؤمنين يقرئك السلام ، وهو يعذرك فيما هاج بك من الدم ، وقد أمرك بالتخلف فى منزلك حتى تغدو عليه إن شاء الله ، ويقول : ما أهدى إلينا اليوم شىء غير هذا الكركى ، فقال الحجام : يصنع كذا وكذا ، فقلت : يصنع كما قال ، وعزمت على الحجام ألا يبرح ، فحضرت الغداء فتغدينا وهو معنا ، ثم قدم الشراب ، فلما دارت الأقداح قلت : يعلق الحجام فى العقابين فعلق ، ثم قلت له : إنك سألتنى عن المنازل التى قدمت عليها ، وأنا مشغول فى ذلك الوقت ، وأنا أقصها عليك الآن فاسمع : خرجت من خراسان وقت كذا ، فنزلت بموضع كذا ، يا غلام : أرجع فاضربه عشرة أسواط ، ثم خرجت إلى موضع كذا ، يا غلام : ارجع فاضربه عشرة أسواط مرة أخرى ، فلم يزل يضربه لكل منزلة عشرة أسواط ، حتى انتهى إلى سبعين سوطا ، فالتفت إلى الحجام وقال : يا سيدى ، أين تريد تبلغ؟ قلت : سألتنى بالله إلى بغداد ، قال : ليس تبلغ والله إلى الرى حتى تقتلنى ، قلت : فأتركك على ألا تعود؟ قال : والله لا عدت أبدا ، قال : فتركته ، وأمرت له بسبعين دينارا ، فلما دخلت على المأمون أخبرته الخبر ، قال : وددت أنك بلغت به إلى الرى على أن تأتى على نفسه(١) .

وحكى الزبير(٢) بن بكار قال : كان بمكة رجل يجمع بين الرجال والنساء ، ويعمل لهم الشراب ، فشكى إلى عامل مكة ، فصرفه إلى عرفات ، فبنى بها منزلا ، وأرسل إلى إخوانه وقال : فما يمنعكم من أن تعودوا لما كنتم فيه؟ قالوا : وأين بك وأنت فى عرفات؟ قال : حمار بدرهمين ، وقد صرتم إلى الأمن والنزهة ، ففعلوا ، فكانوا يركبون إليه ، حتى أفسد أحداث مكة ، فعاودوا شكايته إلى والى مكة ، فأرسل فيه ، فأتى به ، فقال : يا عدو

(١) الحكاية فى العقد الفريد ـ جـ٣ ص٣٩٣ ، وفيها «السندى بن شاهك» .
(٢) الحكاية فى المصدر السبق جـ٣ ص٣٩٣ ـ ٣٩٤ .

الله ، طردناك فى حرم الله ، فصرت بفسادك إلى المشعر الأعظم؟ قال : يكذبون على ، أصلح الله الأمير ، فقالوا : ندلك أصلحك الله على ما نقول ، أن تأمر بحمير مكة وتجمع ، وترسل بها أمينا إلى عرفات ، فإن لم تقصد إلى منزله من بين المنازل لعادتها إذا ركبها سفهاؤنا فنحن مبطلون ، فقال الوالى : إن فى هذا دليلا عدلا ، فأمر بحمير من حمير الكراء ، فجمعت ، ثم أرسلت ، فسارت إلى منزله ، حتى كأنها دلها عليه دليل ، فأعلمه بذلك أمناؤه فقال : ما بعد هذا شىء ، جردوه ، فلما نظر إلى السياط قال : لابد ، أصلحك الله ، من ضربى؟ قال : نعم ، يا عدو الله ، قال : ما فى ذلك شىء هو أشد على من أن يشمت بنا أهل العراق ، ويضحكون منا ، ويقولون : أهل مكة يجيزون شهادة الحمير ، فضحك الوالى ، وخلى سبيله .

الحديقة الثالثة

فى نوادر أولى العقول والألباب ، وحكايات المستخفين والمغفلين من المولدين والأعراب[1]

فيها ثلاثة أبواب :

الباب الأول

فى النوادر المستغربة والنكت المستعذبة

نظر القاضى[2] إياس إلى ثلاث نسوة فزعن من شىء ، فقال : هذه حامل ، وهذه مرضع ، وهذه بكر ، فسئلن ، فوجدن كذلك ، فسئل ، من أين علم ذلك؟ فقال : لما فزعن وضعت كل واحدة يدها على أهم المواضع لها ، فوضعت الحامل يدها على بطنها ، والمرضع على ثديها ، والبكر على فرجها .

وسمع[3] نباح كلب ، فقال : هذا نباح كلب مربوط على شفير بئر فنظر ، فكان كما قال ، فقيل له فى ذلك ، فقال : سمعت عند نباحه دويا ، ثم سمعت بعده صوتا يجيبه ، فعلمت أنه عند بئر .

ونظر بعضهم إلى أعورين يذهبان فى الطريق ، ويد أحدهما فى يد الآخر ، فقال : إنى أرى أعورين ، وأعمى بينهما ، فنظر أصحابه فقالوا : لا نرى إلا أعورين ، وليس بينهما أعمى ، فقال : ضموا عور هذا إلى عور هذا ؛ فإنه ينشأ بينهما رجل أعمى ، وكان أحدهما أعور العين اليمنى ، والآخر أعور اليسرى ، فاستظرف أصحابه ذلك .

وقال الجاحظ : جلست امرأة من العرب إلى فتيان يشربون فسقوها قدحا ، فطابت نفسها ، ثم سقوها آخر ، فاحمر وجهها ثم سقوها ثالثا ، فقالت : خبرونى عن نسائكم بالعراق ، هل يشربن من هذا الشراب؟ قالوا : نعم ، قالت : زنين ورب الكعبة ، والله ، ما يدرى أحدكم من أبوه .

---

(١) أخلت [س] بقوله «والأعراب» وهى ضرورية للسجعة .

(٢) وردت هذه النادرة فى : وفيات الأعيان ـ جـ١ ص٢٤٨ .

(٣) النادرة فى وفيات الأعيان ـ جـ١ ص٢٤٨ .

وسقى أعرابى أقداحا من شراب لم يكن يعرفه ، فحركته الأريحية ، فسألوه عنها ، فقال : والله ، ما أدرى ما هى غير أنى أراكم تحببون إلى ، وأرانى أسر بكم ، وما وهب لى أحد منكم شيئا .

ومر أعرابى بقوم يشربون ، فدعوه فنزل ، وعقل ناقته ، فلما أخذ منهم الشراب قام إلى الناقة ، فنحرها ، وشوى لهم من كبدها وسنامها .

وقيل لأشعب : ما تقول فى ثردة مغمورة بالسمن ، مسقفة باللحم ؟ قال : وأضرب كم؟ قيل : تأكلها من غير ضرب ، قال : هذا ما لا يكون ، ولكن أضرب ، وأتقدم على بصيرة .

وقال المبرد : أضاف رجل رجلا ، فأطال المقام عنده ، حتى كرهه ، فقال الرجل لامرأته : كيف لنا أن نعلم مقدار مضافه؟ فقالت : الق بيننا شرا ، حتى نتحاكم إليه ، ففعل ، فقالت المرأة للضيف : بالذى يبارك لك فى سفرك غدا أينا أظلم؟ فقال : والذى يبارك لى فى مقامى عندكم شهرا أو أزيد ، ما أعلم .

ونزل بصرى على مدنى ، وكان صديقا له ، فأطال المقام عنده ، فقال المدنى لامرأته : إذا كان غدا ، فإنى أقول لضيفنا : كم ذراعا تقفز؟ ثم أقفز فإذا قفز هو فأغلقى الباب ، فلما كان من الغد ، قال له المدنى : كيف قفزك يا أبا فلان؟ قال : جيد ، فعرض عليه أن يقفز معه فأجابه ، فوثب المدنى من داره إلى خارج ذراعا ، وقال للضيف : ثب أنت ، فوثب الضيف إلى داخل الدار ذراعين ، فقال : وثبت أنا إلى خارج الدار ذراعا ، ووثبت أنت إلى داخلها ذراعين ، فقال الضيف : ذراعان فى الدار خير من أذرع برا .

وسئل بنان الطفيلى : هل تحفظ من كتاب الله شيئا؟ قال : نعم ، آية ، قيل : وما هى؟ قال : ﴿فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَاهُ آتِنَا غَدَاءَنَا﴾(١)

وكان يقول : التمكن على المائدة خير من ثلاثة ألوان .

وقال طفيل العرائس : ليس فى الأرض أكرم من ثلاثة أعواد : عصا موسى ، ومنبر الخليفة ، وخوان الطعام .

---

(١) سورة الكهف - الآية ٦٢ .

ومن[١] وصيته لأصحابه : إذا دخلتم عرسا ، فلا تلتفتوا إلى الملاهى ، وتخيروا المجالس ، وإن كان العرس كثير الزحام ، فليحضر أحدكم ، ولا ينظر فى عيون الناس ؛ ليظن أهل الرجل أنه من أهل المرأة ، وأهل المرأة أنه من أهل الرجل ، وإن كان البواب فظا وقاحا ، فليبدأ به ، وليأمره ولينهه من غير عنف ، ولكن بين النصيحة والإدلال .

وقال بعض الطفيليين : الحلواء مثل الملك ، يدخل بيتا فيه قوم جلوس ، ليس فيه متسع لأحد ، فإذا نظروا إليه تضايقوا ، ووسعوا له .

وحضر طفيلى بالكوفة طعام قوم ، فجلس يأكل ، فجعل الغلام يحرك الطست والإبريق ، فقال : من ذا الذى يرجف بنا قبل انقضاء عملنا؟

وبينما طفيلى يأكل ، إذ سمع صوت الطست ، فامتنع من الأكل ، فقيل له : لم لا تأكل؟ قال : حتى يسكن هذا الإرجاف الذى أسمع .

وكان الأعمش إذا حضر مجلسه ثقيل أنشد :

فـمـا الفـيـلُ تحـمـلُه مَـيِّـتـا ... بأثْقَلَ من بعضِ جُـلاّسِـنا[٢]

وذكر له ثقيل ، كان يجلس بجانبه ، فقال : إنى والله ، لأبغض شقى الذى يليه من أجله .

وكان حماد بن سلمة إذا رأى من يستثقله قرأ : ﴿رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ﴾[٣] .

وقال خالى الأستاذ أبو عبد الله محمد بن جزى :

وثـقـيـلٍ نـحـنُ مـنْـهُ ... فى عـذابٍ وامـتـحـانِ
قـد دعـوْنـا إذ أتـانـا ... بِدُعـاءِ فى الدُّخـانِ[٤]

---

(١) الحكاية واردة فى العقد الفريد ـ جـ٣ ص٢٣٩ ، وحكايات التطفل واردة فى هذا الجزء فى مواطن متفرقة .
(٢) البيت من المتقارب ، وهو حكايته ، وحكايات بعض الثقلاء واردة فى العقد الفريد ـ جـ١ ص١٥٨ وما بعدها .
(٣) سورة الدخان ـ الآية ١٢ .
(٤) البيتان من الرمل المجزوء ، وواضح أنه لابن جزى ، والإشارة إلى آية «الدخان» الواردة قبلا .

وقالت عائشة رضى الله عنها : نزلت آية فى الثقلاء : ﴿فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلَا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ﴾[1] .

وروى عن الشعبى أنه قال : من فاتته ركعتا الفجر ، فليلعن الثقلاء .

وكان أبو هريرة - رضي الله عنه - يقول : إذا استثقل رجلا : اللهم اغفر له ، وأرحنا منه .

وقيل لجالينوس : لم صار الرجل الثقيل أثقل من الحمل الثقيل؟ قال : لأن ثقله على القلب دون الجوارح ، والحمل الثقيل يستعين عليه القلب بالجوارح .

وقال طبيب للحجاج : إياك ومجالسة الثقلاء ؛ فإنا نجد فى الطب أن مجالستهم حمى الروح .

وكان بعض الظرفاء إذا رأى ثقيلا قال : قد جاءكم الجبل ، فإن جلس عندهم قال : قد وقع عليكم .

وسمع الأعمش كلام ثقيل فقال : من هذا الذى يتكلم ، وقلبى يتألم .

وسلم ثقيل على بعض الثقلاء ، فقال : وعليك السلام شهرا .

وجلس ظريف عند ثقيل ، فسئل عن ذلك ، فقال : كانت نفسى قد عزت على ، فأردت أن أهينها بذلك .

وقيل لظريف كان له ثلاثة أولاد ثقلاء : أى أولادك أثقل؟ فقال : ليس بعد الكبير أثقل من الصغير إلا الوسط .

وقال زياد بن عبد الله : قيل للشافعى : هل يمرض الروح؟ قال : نعم ، من ظل الثقلاء . قال : فمررت به يوما ، وهو بين يدى ثقيلين ، فقلت : كيف الروح؟ قال : فى النزع .

ومن ملح ابن عباد ، أنه خرج يوما مع جملة وزرائه الأدباء ، فاجتازوا بأشبيلية بالموضع الذى يباع فيه الجير والجبس ، فلقى جارية من أجمل النساء وأقلهم [هكذا] حياء ، قد كشفت عن وجهها ، فأقبل على ابن عمار ، وقال له : يا ابن عمار الجيارين ، فقال له : نعم يا مولاى والجباسين ، وضحكا معا ، فعلم من حضر أنهما لم يريدا أن يعرفا

---

(١) سورة الأحزاب - الآية ٥٣ - والحكاية وما بعدها من حكايات ثلاث فى العقد الفريد - جـ١ ص١٥٨ ، ورواية أبى هريرة واردة فى البيان والتبيين - جـ١ ص٤٠٣ ، برواية سهيل بن أبى صالح عن أبيه .

كل واحد منهما صاحبه بما ذكر ، وسألوا ابن عمار عن مرادهما بذلك ، فقال له ابن عباد : لاتبعها منهم إلا غالية ، ثم إن ابن عمار أخبرهم أن ابن عباد أعجبه حسن الجارية ، وعابها بقلة الحياء فصحف «الحياء زين» فجاء منه «الجيارين» وصحفت أنا «والخنا شين» فجاء منه «والجباسين» فاستغربوا من حضور أذهانهما وحسن كنايتهما .

ودخل قوم على النضر بن شميل ، يعودونه فى مرض ، فقال له رجل يكنى أبا صالح : مسخ الله ما بك ، فقال : لا تقل : مسخ بالسين ، ولكن بالصاد ، بمعنى أذهب ، وهو كلام العرب ، فقال أبو صالح : إن السين تبدل من الصاد ، كالصراط والسراط ، وسقر ، وصقر ، فقال له النضر : فأنت إذن أبو سالح ، فخجل الرجل .

ووقفت[1] امرأة على قيس بن سعد بن عبادة ـ رضي الله عنه ـ فقالت له : أشكو إليك قلة الجرذان بدارى ـ وهى الفئران ـ فقال : ما أحسن هذه الكناية ، املأوا لها بيتها برا ولحما وسمنا ، وبيان ذلك أن الفئران لا يقمن بالموضع الذى ليس فيه طعام .

وأخذ المعنى أبو حفص الوراق ، فكتب رقعة إلى الصاحب بن عباد منها : «وحال عبد مولانا فى الحنطة مختلفة ، وجرذان داره عنها منصرفة ، فإن رأى أن يخلط عبده بمن أخصب رحله ، فعل ، إن شاء الله ، فوقع الصاحب فيها : أحسنت يا أبا حفص قولا ، وسنحسن فعلا ، فبشر جرذان دارك بالخصب ، وأمنها من الجدب[2] فالحنطة تأتيك فى الأسبوع ، ولست عن غيرها من النفقة بممنوع» .

ووجد أعرابى سراويل فى طريق ، فظنها قميصا ، فأدخل يديه فى ساقيها ، والتمس من أين يخرج رأسه ، فلم يجد ، فرمى بها وقال : هذا قميص شيطان .

ومن نوادر[3] أشعب قال سالم بن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما لأشعب : ما بلغ بك من طمعك؟ قال : لم أنظر لاثنين يتحدثان فى شىء إلا قدرت أنهما يأمران لى بشىء .

---

(١) الحكاية واردة فى العقد الفريد ـ جـ١ ص٦٨ . وابن عاصم يشرح النادرة ، وليس فى العقد شرح .

(٢) «من الجدب» رواية [د ، س] ولعلها أولى ؛ للسجعة القائمة والمناسبة لكلام الصاحب المسجوع كله .

(٣) وردت فى العقد الفريد جـ٣ ص٣٢٩ ، وثمة نوادر أخرى لأشعب فى المصدر نفسه والصفحة نفسها ، وواردة هنا بعد هذه . وقد أخذ بشار هذا المعنى واعترف بالأخذ حين قال :

يروعه السرار بكل شىء مخافة أن يكون به السرار ، وأخذه أبو نواس فقال : ما نرى خالبين فى الناس إلا قلت : ما يخلوان إلا لشانى ـ زهر الآداب المجلد ٢ ص٨٠٢ .

وقال له ابن أبى الزناد : ما بلغ من طمعك؟ قال : ما زفت بالمدينة امرأة إلى زوجها ، إلا كنست بيتى ؛ رجاء أن يغلط بها إلى .

وكانت عائشة بنت عثمان كفلته مع ابن أبى الزناد ، فقال أشعب : تربيت معه فى مكان واحد ، فكنت أسفل ويعلو ، حتى بلغنا ما ترون .

وقيل لعائشة بنت عثمان : هل آنست منه رشدا؟ فقالت : أسلمته منذ سنة يتعلم البز ، فسألته بالأمس : أين بلغت فى الصناعة؟ قال : تعلمت نصف العمل ، وبقى نصفه ، تعلمت النشر فى سنة ، وبقى تعلم الطى ، فكيف يؤنس رشده .

وساوم[1] أشعب رجلا فى قوس بدينار ، فقال أشعب : والله ، لو كنت إذا رميت بها طائرا ، وقع فى حجرى مشويا بين رغيفين ، ما اشتريتها بدينار .

ووقف[2] إلى رجل يعمل طبقا فقال له : أسألك الله إلا ما زدت فيه طوقا أو طوقين ، فقال له الرجل : ولم ذلك؟ قال : لعله أن يهدى لى يوما فيه شىء .

وقيل له : أرأيت أطمع منك؟ قال : نعم ، خرجت إلى الشام أنا ورفيق لى ، فتلاحينا فى شىء ، عند دير فيه راهب ، فقلت له : الكاذب منا ، . . . الراهب فى استه ، فنزل الراهب من صومعته وقد أنعظ ، فقال : أيكما الكاذب؟

ثم قال : دعوا هذا ، امرأتى أطمع منى ومن الراهب ، فقيل : وكيف ذلك؟ قال : إنها قالت لى : ما يخطر على قلبك شىء يكون بين الشك واليقين إلا وأنا أتيقنه .

وقيل له : أرأيت أطمع منك؟ قال : كلبة آل فلان ، رأت رجلا يمضع علكا ، فتبعته فرسخين ، تظن أنه يأكل شيئا .

وقيل له : ما بلغ بك الطمع؟ قال : أضجرنى الصبيان يوما ، فقلت : أشغلهم عنى ، فقلت لهم : إن بموضع كذا عرسا ، فامضوا نحوه ، فلما ذهبوا ، قلت فى نفسى : ولعل ثم عرسا ، فتبعتهم .

---

(١) النادرة واردة فى العقد الفريد جـ٣ ص٣٢٩ ، وقد أخذها العقاد ـ بتصرف ـ فى قصته «سارة» حين علق فى رواية سينمائية بطلها صياد فاشل كان يصوب بندقيته ، فيسقط الطير حواليه .

(٢) المصدر السابق .

وقيل لأشعب(١) : لو أنك حفظت الحديث حفظك لهذه النوادر لكان أولى بك ، قال : قد فعلت ، قالوا له : فما حفظت من الحديث؟ قال : حدثنى نافع عن بن عمر عن النبى - ﷺ - أنه قال : من كانت فيه خصلتان ، كتب عند الله خالصا مخلصا ، قالوا : إن هذا حديث حسن ، فما هاتان(٢) الخصلتان ؟ قال : نسى نافع واحدة ونسيت أنا الأخرى .

ورأى بعضهم قاصا ، يقصى غداة يوم ، ثم رآه فى العشى فى بيت خمار والقدح فى يده ، فقال : ما هذا؟ فقال : أنا بالغداة قاص ، وبالعشى ماص .

وقال بعضهم : أتيت الخليل ، فوجدته على طنفسة صغيرة ، فوسع لى ، وكرهت أن أضيق عليه ، فانقبضت ، فأخذ بعضدى ، وقدمنى إلى نفسه ، وقال : ما يضيق سم الخياط بمتحابين ، ولا تتسع الأرض لمتباغضين ، ولقد صدق ، أخذ المعنى أبو محمد غانم بن الوليد المالقى فقال :

صَيِّرْ فؤادك للمحبوبِ مَنْزِلَةً   سُمُّ الخِياطِ مجالُ للمُحَبَّيْنِ
ولا تسامِحْ بغيضا فى مُعاشرةٍ   فقلَّما تَسعُ الدنيا بغيضَيْن(٣)

وقال الأصمعى : مر بى أعرابى سائلا ، فقلت : كيف حالك؟ قال : أسأل الناس إلحافا ، فيعطونى كرها فلا يؤجرون ، ولايبارك لى فيما آخذ منهم .

وخطب(٤) ثقيل فى تزويج ، فقام واحد من القوم وقال : إذا فرغ الثقيل - بارك الله لكم - فإن لى شغلا أريد المبادرة إليه .

---

(١) وردت فى العقد الفريد - جـ٣- ص٣٢٩ ، ووردت فى وفيات الأعيان - جـ٢ ص٤٧٢ - وفيها : نسى عكرمة واحدة . . . .

(٢) فى جميع النسخ «هذه» وعدلناها فى المتن ، من العقد الفريد .

(٣) البيتان من البسيط . والحكاية واردة فى العقد الفريد جـ١ ص١٦٣ ، و«بعضهم» هنا هو : محمد بن يزيد النحوى» وثمة خلاف تجب الإشارة إليه ، وهو أن الشعر الوارد هنا للمالقى معارضة لابن عبد ربه نفسه فى العقد ، ويقول فيه :

صِلْ من هويت وإن أبدى مُعاتبةً   فأطيبُ العيش وصـلُ بين إلْفَيْن
واقطعْ حبائل خِـدْنٍ لا تلائمُهُ   فربمـا ضاقت الـدنيا باِثنين

وبيتا المالقى أحاطا بمعنى الخليل كله ، أكثر من ابن عبدربه الذى وزاد فارتكب ضرورة فى آخر الشعر .

(٤) يلاحظ أن جواب الشرط هنا لم يرد ، لدلالة الكلام عليه .

وكان صائد[١] يصيد العصافير فى يوم بارد ، فكان يذبحها ، ودموعه تسيل من البرد ، فقال عصفور لصاحبه : لا عليك من الرجل ، أما تراه يبكى ؟ فقال له الآخر : لا تنظر إلى دموعه ، وانظر إلى ما تصنع يده .

وصلى[٢] رجل مراء ، فقيل له : ما أحسن صلاتك ، فقال : ومع ذلك فإنى صائم .

وقال طاهر[٣] بن الحسين لأبى عبدالله المروزى : كم لك منذ نزلت العراق؟ قال منذ عشرين سنة ، وأنا أصوم الدهر منذ ثلاثين ، فقال : يا أبا عبدالله ، سألناك عن مسألة واحدة ، فأجبتنا فى مسألتين .

وقال مقاتل بن سليمان يوما ، وقد دخلته أبهة العلم ، سلونى عما تحت العرش إلى أسفل الثرى ، فقال له رجل : ما نسألك عن شىء من ذلك ، وإنما نسألك عما معك فى الأرض ، أخبرنى عن كلب أهل الكهف ، ما كان لونه؟ فأفحمه .

وصعد ابن قتيبة يوما المنبر وقال : يسألنى من شاء عما شاء ، فقام إليه أحد المغفلين ، فقال له : ما الفتيل والقطمير؟ فلم يجد جوابا ، ونزل خجلا ، وانصرف إلى منزله كسلا ، فلما نظر اللفظتين وجد نفسه أذكر الناس لهما .

وقال قتادة : ما سمعت شيئا قط إلا حفظته ، ولا حفظت شيئا قط فنسيته ، ثم قال : يا غلام ، هات نعلى ، فقال : هما فى رجليك ، ففضحه الله .

وقال : حفظت ما لم يحفظه أحد ، ونسيت ما لم ينسه أحد ، حفظت القرآن فى سبعة أشهر ، وقبضت على لحيتى ، وأنا أريد أن أقطع ما تحت يدى ، فقطعت ما فوقها .

وسمع كثير عدى بن الرقاع ينشد الوليد بن عبدالملك قوله :

وعلمْتُ ، حتى ما أُسائل عالما ... عن علْمِ واحدةٍ لكَىْ أزدادَها[٤]

---

(١) لهذه الحكاية نظير فى الأدب الإسبانى ، فى «القونت لوقانور» ومؤلفه معاصر لابن عاصم ، ولابد أن للحكاية أصلا عربيا أقدم ، انظر : القونت لوقانور ـ الفصل الثالث عشر ، عن صياد يصيد الحجل ، وعيناه تدمعان ، وينخدع عصفور ، فينصحه النصيحة ذاتها عصفور آخر ، وقد ترجمنا الكتاب كاملا .

(٢ـ٣) الحكايتان بالترتيب نفسه ـ مع تغيير طفيف ـ فى البيان والتبيين جـ٢ ص٣١٩ ، والثانية واردة فى أخبار الحمقى والمغفلين ص١٣٢ .

(٤) البيت من الكامل من كلمة مطولة لعدى بن الرقاع ، انظر : الأغانى ـ جـ٩ ص٣١٠ ، وانظر جـ٩ من الأغانى=

فى قصيدة طويلة . فقال كثير : كذبت ، ورب البيت الحرام ، فليمتحنك أمير المؤمنين فى صغار الأمور دون كبارها ، حتى يتبين جهلك ، وما كنت قط أحمق منك اليوم ، حتى تظن هذا من نفسك .

وقال ابن موسى المنجم : ما أحد تمنيت أن أراه ، فإذا رأيته أمرت بصفعه إلا عديا ، فقيل له : ولم ذلك؟ قال : لقوله هذا البيت ، كنت أعرض عليه أصناف العلوم ، فكلما مر عليه شيء لا يحسنه ، أمرت بصفعه .

وكان الواثق يقول بخلق القرآن ، ويعاقب من خالفه ، فأدخل عليه رجل فقال له : ما تقول فى القرآن؟ فتصامم الرجل ، فأعاد السؤال فقال : من تعنى يا أمير المؤمنين؟ قال : إياك أعنى ، قال : مخلوق ، وتخلص منه .

وقيل لآخر(١) : ما تقول فى القرآن؟ فأخرج يده ، وجعل يعد أصابعه : التوراة والإنجيل والزبور والقرآن ، هؤلاء الأربعة مخلوقة ، يعنى أصابعه ، وتخلص منه .

ومما يستظرف من ذلك ، أن رجلا تعذر عليه الوصول إلى المأمون فى ظلامة ، فصاح على بابه : أنا أحمد النبى المبعوث ، فأدخل عليه ، وأعلم أنه تنبأ ، فقال له : ما تقول فيما حكى عنك؟ قال : وما هى؟ قال : ذكروا أنك تقول : أنا نبى ، فقال : معاذ الله ، إنما قلت : أنا أحمد النبى المبعوث ، أفأنت يا أمير المؤمنين ممن يحمده؟ فاستظرفه ، وأمر بإنصافه .

وخرج شريح القاضى من عند زياد ، وتركه يجود بنفسه ، فسأله الناس عن حاله فقال : تركته يأمر وينهى ، فجزعوا لسلامته ، فما راعهم إلا صياح النائحات عليه ، فسئل شريح عن قوله ، فقال : تركته يأمر بالوصية ، وينهى عن البكاء .

=ص٣١٣ ـ ٣١٤ ، وحكايته مع جرير الذى رحم عديا حين سمع شطر هذا البيت من تلك الكلمة :

تُزْجى أغَنَّ ، كأنَّ إبْرَةَ رَوْقِهِ قَلَمٌ أصابَ من الدَّواة مِدادَها

إعجابا منه بدقة التشبيه ، وحيرة جرير كيف يجىء المشبه به . وانظر أيضا : الشعر والشعراء ص٣٩٣ ، وإن كان برواية أخرى تقول :

وعمرت حتى لست أسأل عالما عن حرف واحدة لكى أزدادها

(١) وردت فى العقد الفريد ـ جـ١ ص٢٠٥ .

وسئل[١] ابن شبرمة عن رجل ليستعمل ، فقال : إن له شرفا وقدما وبيتا ، فنظروا فإذا هو ساقط ، فقيل له فى ذلك ، فقال : شرفه أذناه ، وقدمه الذى يمشى عليه ، وبيته الذى يأوى إليه .

وذكر المتنبى فى مجلس أمير بمحضر المعرى وجماعة ، فأخذ الأمير يطعن على المتنبى ، ويضعف شعره ، ويذكر مقابحه ، وكان المعرى حاملا على الأمير ؛ لقلة إحسانه إليه ، فحمله ذلك على أن خالفه ، وأثنى على المتنبى ، وقال : هو أشعر الشعراء ، وأحسنهم شعرا ، ولو لم يكن له إلا قصيدته التى أولها :

لَكِ يامَنازِلُ فى القلوب منازلُ[٢]

فأمر الأمير أن يضرب بالسياط ، فضرب وأخرج ، فعظم ذلك على من حضر المجلس ، وقالوا للأمير : رجل كبير من أهل العلم تضربه ؛ لما يقول عن المتنبى ، إنه أشعر الشعراء؟ ماذاك بصواب ، فقال : ليس كما قلتم ، وإنما ضربته على تعريضه بى ، قالوا : وكيف ذلك ؟ قال : لأنه لم يفضله بقصيدة من عالى شعره ، وإنما فضله بتلك القصيدة مع أنها ليست من عالى شعره ؛ لأنه يقول فيها بعد أبيات :

فاستحسن من حضر فهمه ، وحدة ذهنه ، وعذروه فيما فعل ، وسئل المعرى بعد ذلك ، فقال والله ما قصدت غير ذلك .

ومثل ذلك ما حكى[٣] أن ابن الصائغ ، بلغه عن الفتح بن خاقان صاحب «قلائد العقيان» أنه خططه فيها بذم ، فقال فيه : رمد عين الدين وكمد نفوس المهتدين ، لايتطهر

---

(١) هذه الحكاية واردة فى البيان والتبيين ـ جـ ١ ص ٣٣٧ ، منسوبة إلى عيسى بن موسى .

(٢) البيت مطلع قصيدة من الكامل ، يمدح المتنبى فيها أبا الفضل الإنطاكى ، ومنها البيت الوارد فى الحكاية ، والأمير هنا هو الشريف المرتضى ، أخو الشاعر الشريف ، ووهم ابن عاصم أن باعث المعرى هو قلة إحسان المرتضى إليه ، بل لأن أبا العلاء كان شديد الإعجاب بأبى الطيب ، حتى إنه شرح ديوانه بعنوان «معجز أحمد» وقد نشر مؤخرا فى القاهرة بتحقيق د . عبدالمجيد دياب ، نشرة جيدة جدا ، ثم إن المعرى ترك بغداد بعد قليل ـ لا لذلك فقط وإن كان سببا ـ بل لأنه بلغه أن أمه مريضة وقدرحلت وهو فى طريقه إلى معرة النعمان ، انظر للشعر : ديوان المتنبى ـ جـ ٢ ص ٢٤٩ . والبيت الثانى فى ص ٢٦٠ .

(٣) ابن الصائغ هو : ابن باجة الفيلسوف ، وقد مدح ابنُ خاقان ابن باجة من قبل ، وحين سخط عليه جرده من كل ما قلده قديما . انظر : نفح الطيب ـ المقرى ـ جـ ٩ ص ٢٥٢ ، وانظر : دراسة فى مصادر الأدب د . الطاهر مكى ط ٦ ص ٣٥٤ – ٣٥٥ .

من جنابة ، ولا يظهر مخايل إنابة» ، فمر على الفتح وهو جالس فى جماعة ، فسلم على القوم ، وضرب على كتف الفتح وقال له : شهادة ، يا فتح ، ومضى ، فلم يدر أحد ما قال إلا الفتح ، فإنه فهمه ، فتغير له ، فقيل له : ما قال لك؟ فقال : إنى وصفته فى كتابى بما تعلمون ، وأنا ـ والله ـ ما بلغت بذلك عشر ما بلغ هو بهذه الكلمة ، إنه يشير بها إلى بيت المتنبى .

وإذا أَتَتْكَ مَــذَمَّــتى من ناقصٍ ... فَـهِىَ الشـهـادَةُ لى بأنِّى كـاملُ

وحضر[1] جحظة المغنى مع جماعة فيهم على بن بسام ، فأخذ كل واحد منهم مخدة ، فقال جحظة : مالى لا أعطى مخدة؟ فقال له ابن بسام : غن فالمخاد كلها إليك تصير ، يريد حين يرمونه بها .

وقال أبو زيد[2] : رأيت أعرابيا كأن أنفه كوز من عظمه ، فرآنا نضحك منه ، فقال : ما يضحككم؟ فوالله لقد كنت فى قوم يسمونى الأفطس .

وقال[3] : ما رأيت الديك فى بلد قط إلا وهو يدعو الدجاجة إذا وجد الحبة ، ويلتقطها لها إلا بمرو ، فإنى رأيته يأكل وحده ، ولا يدعو الدجاجة إذا وجد الحبة ، فعلمت أن لؤمهم كثير جدًا ، وهو طبع فيهم .

وقال : رأيت بها طفلا صغيرا ، وبيده بيضة ، فقلت له : أعطنيها ، فقال لى : ليس تسع فى يدك ، فعلمت أن المنع طبع مركب فيهم .

وجلس[4] ثقيل إلى بشار بن برد ، فضرط بشار ضرطة منكرة ، فظن الرجل أنها فلتة ، فمشى فى حديثه ، فضرط بشار ثانية وثالثة ، فقال له : يا أبا معاذ ، ما هذا؟ قال : رأيت أو سمعت؟ قال : بل سمعت ، قال كل ما سمعت ريح ، لا تصدق حتى ترى .

وكان[5] لعبد الملك بن مروان جارية تتكلم بلغة من يكسر حروف المضارعة فتقول : أنت تِعلم ، فقـــال الشعبى ، أتأذن لى يا أمير المؤمنين فى الغض منها؟ قال : افعل ، قال :

---

(١) مهجو ابن الرومى ، الذى تفنن فى إقذاع هجائه ، حين يغنى ، بقبح صوته ، وشناعة صورته ، انظر مواطن متفرقة فى ديوان ابن الرومى ، تحقيق د . حسين نصار ، وانظر دراسة العقاد عنه فى «ابن الرومى حياته من شعره» ففيها تحليل جيد لهجاء ابن الرومى وتصويره .

(٢) وردت فى العقد الفريد ـ جـ ٢ ص ٨٦ .

(٣) وردت فى البخلاء للجاحظ ولها نظائر كثيرة مثلها .

(٤) وردت فى وفيات الأعيان ـ جـ ١ ص ٤٢٦ .

(٥) هذه الظاهرة اللغوية موجودة بكثرة فى الأندلس ، انظر معجم : Pedro ALcala ، وحققه ودرسه فى الدكتوراه بجامعة مدريد زميلنا د . عبدالمقصود كمال ولم ينشر بعد . وهى لغة بنى أسد .

يا جارية ، ما بال قومك لايكتنون؟ فقالت له : أما نكتنى؟ فقال : لا والله ، ولو فعلت لاغتسلت ، فخجلت من ذلك ، واستغرق عبدالملك فى الضحك .

وقال الحجاج يوما لجلسائه ، وقد وصلت إليه الشمس ووجد حرها ، ما كان أحوجنا إلى كن نكتن فيه ، فقال سعيد بن مطعم المارزى قد أصبت لك أيها الأمير كنا ، قال : وأين هو؟ قال : تنورى ، فوالله ما سخن[١] منذ ثلاثين يوما ، فقال له الحجاج : تلطفت فى المسألة ، وأمر له بجائزة .

وحكى أن رجلا قام من مجلس خالد بن عبد الله يوما ، فقال : إنى لأبغض هذا الرجل ، وما أذنب لى ذنبا ، فقال بعض من حضر : أوليته معروفا قط؟ قال : لا ، قال : فأوله معروفا يخف على قلبك ، ففعل ، وخف على قلبه ، وصار واحدا من جلسائه .

وقال بعضهم : رأيت قبرين ، مكتوب على أحدهما : من رآنى فلا يصغرن قدرى أنا كنت أحبس الرياح وأفرقها ، وعلى الآخر : كذب ابن الزانية ، إنما كان يجمع الرياح في الزق ثم يخرجها ، قال : فما رأيت مشاجرة بين ميتين غيرهما .

وقال آخر : رأيت قبرين ، مكتوب على أحدهما : أنا ابن سافك الدماء ، وعلى الآخر : أنا ابن مستخدم الرياح ، فسألت عنهما فقيل لى : أحدهما ابن حجام ، والآخر ابن حداد .

وقال بعضهم : مثل الحريص فى طلب الدنيا ، كمثل رجل يصلى خلف الإمام ، وهو مستعجل لحاجته ، فهو يسبق الإمام بالركوع والسجود ؛ استعجالا للفراغ ، ولا ينفعه ذلك ولا يخرجه من الصلاة إلا سلام الإمام .

وحكى أبو الطيب الكاتب : أن أمير المؤمنين الرشيد ، كان ليلة بين جاريتين ، مدنية وكوفية ، فجعلت الكوفية تغمز يديه ، والمدنية تغمز رجليه ، فجعلت المدنية ترفع إلى فخديه حتى ضربت بيدها على متاعه ، فحركته حتى أنعظ ، فقالت الكوفية : ويحك ، نحن شركاء فى البضاعة ، وأراك قد انفردت دوننا برأس المال وحدك! فقالت المدنية : حدثنى مالك عن هشام بن عروة عن أبيه قال : من أحيا مواتا فهو له ولعقبه ، قال :

---

(١) تشبه نادرة «قلة الجرذان» وقد سبقت .

فاستغفلتها الكوفية فدفعتها ثم أخذته بيديها جميعا وقالت : حدثنى الأعمش عن خيثمة عن عبدالله بن مسعود أنه قال : الصيد لمن صاده ، لا لمن أثاره .

وحكى الأنماطى أن المتوكل على الله ، كان طلب من محمود الوراق جارية مغنية ، وأعطاه فيها عشرة آلاف دينار ، فأبى ، فلما مات محمود اشتراها بخمسة آلاف ، وقال لها : كنا أعطينا فيك لمولاك عشرة آلاف ، وقد اشتريناك بخمسة آلاف ، قالت : يا أمير المؤمنين ، إن كانت الخلفاء تتربص بلذاتها المواريث ، فنشترى بأرخص مما اشتريت .

وحكى إسحاق بن إبراهيم الموصلى قال : لاعب هارون الرشيد جارية من جواريه بالشطرنج على إمرة مطاعة ، فغلبته ، فقال : مرى بما شئت ، فقالت : تقوم إلى السرير ، فقام ، فقضى منها وطره ، ثم لاعبها فغلبته فقالت : قم لميعادك ، قال : لا أقدر على ذلك ، قالت : فاكتب لى كتابا أن آخذك به متى شئت ، قال : افعلى ، فدعت بدواة وقرطاس ، ثم كتبت : هذا كتاب فلانة على مولاها أمير المؤمنين : أن عليه فردا آخذه به متى شئت ، وأنى شئت من ليل أو نهار ، وكان على رأسها وصيفة لها ، فقالت لها : يا سيدتى ، إنك لاتأمنين الحدثان ، فزيدى فى كتابك ، ومن قام بهذا الذكر فهو لى ما فيه ، فضحك الرشيد حتى استلقى على فراشه ، واستظرفها[1] ، وأمر أن تنزل مقصورة ويجرى عليها رزق سنين ، وشغف بها ، ويقال إنها مراجل ، أم المأمون .

وارتفع رجل وامرأته إلى بعض القضاة ، وكانت متنقبة ، فأخذ القاضى معها ، ففطن الرجل لذلك ، فقال : أيها القاضى : قد شككت أنها زوجتى ، فمرها تسفر عن وجهها ، فوقع ذلك على اختيار القاضى ، وقال : اكشفى عن وجهك ، فلما كشفت عن وجهها ، رآها قبيحة ، فقال أخزاكن الله ، تجيء إحداكن بعينى مظلومة ، فإذا كشفت ، كشفت عن وجه ظالمة .

واختصم رجلان عند قاض فى خصومة بينهما ، فأهدى إليه أحدهما منارة ، والآخر بغلة ، فلما وقفا للخصومة ، رأى مهدى المنارة القاضى يميل عليه فى الحكومة ، فقال : أعز الله القاضى ، إن حقى أشهر من منارة ، وردد ذلك مرارا ، فقال : يا هذا ؛ إن البغلة كسرت المنارة برجلها .

(١) «واستظرفها ، إلى قوله : سينن» عبارة أخلت بها [د ، س] .

وجاءت امرأة إلى موثق يشهد عليها فى عقد ، فوجد اسمها جميلة ، فلما نظر إليها وجدها قبيحة ، فرمى العقد من يده وقال : لا أشهد بالزور ، إنما أنت قبيحة .

وكان بإشبيلية فقيه لوذعى ، فجلس يوما مع طلبته فى نزهة ، وبين أيديهم طعام ، فيه بيض ، فتكلم بعض القوم بكلام فيه ضعف ، فأخذ الفقيه فص بيضة ، فألقاه قدامه ، ففطن القوم وضحكوا .

وودع رجل رجلا كان فى قلبه منه شىء ، فقال له : امض فى ستر من حفظ الله ، وحجاب من كلاءته ، ففطن الآخر ، وقال الآخر : رفع الله مكانك ، وشد ظهرك ، منظورا إليك ، أراد أن يكون مصلوبا .

ووجه المبرد غلامه فى حاجة ، وقال له بحضرة الناس : إن رأيته ، فلا تقل له ، وإن لم تره ، فقل له ، فذهب الغلام ورجع ، وقال له : لم أره ، فقلت له ، فجاءه ، فلم يجىء ، فسئل الغلام عن معنى هذا ، فقال : بعثنى إلى غلام ، وقال لى : إن رأيت مولاه ، فلا تقل له ، وإن لم تر مولاه ، فقل له ، فذهبت فلم أر مولاه ، فقلت للغلام ما أمرنى ، فجاء مولاه ، فلم يجىء الغلام .

وأرسل أعرابى غلامه إلى امرأة يواعدها موضعا ، يأتيها فيه ، فذهب الغلام ، وأبلغها الرسالة ، فكرهت المرأة أن تقول للغلام ما بينهما ، فقالت له : والله لئن أخذت أذنيك لأعركهما عركا ، وأشدك إلى تلك الشجرة ، حتى تغشى عليك العتمة ، فانصرف الغلام إلى مولاه ، وحكى له قولها ، فعلم أنها واعدته تحت الشجرة ، وقت العتمة .

وأراد أحد تلامذة أبى حنيفة أن يتزوج ، وكان فقيرا ، فلم يأخذه أحد لفقره ، فشكى ذلك لأبى حنيفة ، فقال له : ضع يدك على ذكرك ، وسر واخطب ، فإن سألك الناس عن حالك ، وما عندك فابعثه إلى ، ففعل الطالب ما أمره ، فجاء شخص إلى أبى حنيفة ، فسأله عن حال ذلك التلميذ ، وهل عنده شىء أم لا؟ فقال أبو حنيفة : رأيت بيده سلعة ، إذا أهلكت عليه ، ثمنها خمسمائة دينار ، فأخذوه فلم يجدوا عنده شيئا .

ومر طفيلى بقوم يأكلون ، فقال : السلام عليكم معشر اللئام ، قالوا : لا ، والله ، إلا كرام ، فجلس ، وقال : اللهم اجعلهم من الصادقين ، واجعلنى من الكاذبين .

وخطر[١] طفيلى على قوم يأكلون ، فجلس يأكل معهم ، فقالوا له : هل تعرف منا أحدا؟ قال : نعم ، قالوا : من هو؟ قال : هذا ، وأشار إلى الخبز .

ومر طفيلى[٢] بقوم يأكلون ، فقال لهم : ما تأكلون؟ فقالوا : سما ، قال : لا خير فى الحياة بعدكم ، وجعل يأكل معهم .

وقال بعضهم : كانت لى حاجة عند بعض الحكام ، فلم يقضها لى ، فجلست فى طريقه ، فكل من يأتى إليه أصلح بينهم بدراهمى ، حتى قطعت عليه معيشته من الناس ، فقيل له عنى ، فبعث إلى ، وقضى حاجتى .

وكان آخر له محفظة ، لها طاقتان ، طاقة نظيفة ، والأخرى غير نظيفة وعنده دراهم طيبة ، ودراهم رديئة ، فإذا أراد شراء اللحم ، فإن قطع بائع اللحم له ما يرضيه ، جعله فى الطاقة النظيفة ، وأعطى من الدراهم الطيبة ، وإن كان غير ذلك جعله فى الطاقة الأخرى ، وأعطى من الدراهم الرديئة ، فإن رد الدراهم ، رد له هو اللحم ، وقد سوده .

واشترى رجل ثنا [هكذا] ، وأنفق عليه مثل ثمنه ، فوجده مالحا ، لايستطيع أحد أكله ، فذهب به لبائعه ، ورغب إليه فى رد ثمنه ، ويخسر ما ينفق عليه ، فأبى من ذلك ، فجلس بالقرب منه ، فكل من يجىء ، ليشترى منه يقول له : إياك أن تشترى منه ، وإن شئت فذق هذا ، فإنه منه ، فلم يشتر أحد منه ، فأعطاه ثمنه وما أنفق عليه ، وانصرف عنه .

وكان لنصرانى قرد ، فأعطاه دجاجة ينتفها ، فأخذتها حدأة من بين يديه ، فبقى القرد خائفا من سيده ، فجرح نفسه ، ولطخ جسده وبقى ملقى على قفاه بالأرض ، كأنه ميت ، فلما أكلت الحدأة الدجاجة ، رجعت تتشوف ، فرأته على تلك الحال ، فنزلت إليه لتأخذه ، فقبض عليها ، وقطع رأسها ، ونتفها ، ودفعها إلى سيده ، وقد كان ينظر فعله .

(١) وردت ـ بتوسع ـ فى العقد الفريد جـ ٢ ، ص ٨٨ ، وتكررت فى جـ٣ ص ٢٤٠ . والنادرة قبلها واردة فى العقد ـ جـ ٣ ص ٢٤٢ .

(٢) المصدر السابق ـ جـ ٣ ص ٢٤٠ .

وأودع رجل عند آخر جرة من زيت ، وقال له : أسلفني دراهم حتى نبيعها ، ونعطيك ، ففعل ، فلم يرجع إليه بعد ، فأراد بيعها[١] ، فوجدها ملأى ماء ، وعلى وجهها شيء يسير من الزيت .

ومر أبو العيناء يوما بدرب بشر ، فقال له غلامه : إن بالدرب جملا سمينا ، وليس معه أحد ، فقال : خذه ، فأخذه وسار به إلى منزله ، فلما كان من الغد ، جاءته رقعة من بعض الرؤساء الساكنين في ذلك الدرب ، مكتوب فيها : جعلت فداك ، ضاع لنا بالأمس جمل ، فأخبرني بعض صبيان الزقاق أنك أخذته ، فاردده متفضلا ، فكتب إليه : سبحان الله ، مشايخ عندنا يزعمون أنك فطيم ، فلم أقبل قولهم ، ولا صدقتهم ، وتصدق أنت صبيا من صبيان دربك؟ .

وزاحم[٢] أبا العيناء رجل بالجسر ، راكب على حمار ، فضرب بيده على الحمار ، وقال : يا رجل ، قل للحمار الذى عليك : يقول : الطريق .

وولد لأبى العيناء ولد ، فأتى ابن مكرم ، فسلم عليه ، ووضع حجرا بين يديه ، وانصرف ، فأحس به ، فقال : من أدخل هذا الحجر؟ قيل له : ابن مكرم ، قال : لعنه الله ، إنما عرض بقول النبى ﷺ : «الولد للفراش ، وللعاهر الحجر»[٣] .

ومر أبو العيناء بموسى بن المتوكل ، فقال له : انزل على ما حضر ، فقدم له صحفة بلحم ، وخبزا ، فأدخل أبو العيناء يده ، فقلبها ، فما وقعت يده إلا على عظم ، فقال : يا سيدى ، هذه صحفة أو قبر؟ فضحك موسى ، وأمر له بإحضار شيء آخر .

ومر[٤] ببشار بن برد قوم ، وهم يسرعون بجنازة ، فقال : ما أظنهم إلا سرقوه ، فيخافون أن يؤخذ منهم .

ومرت امرأة من الأعراب بقوم من بنى نمير ، فلحظوها بأبصارهم ، فقالت : والله ، يابنى نمير ما أخذتم بواحدة من اثنتين ، لا بقول الله سبحانه ، ولا بقول الشاعر ، أرادت

(١) «فأراد بيعها» أخلت بها [س] .
(٢) أخلت [س] بهذه النادرة . وردت فى زهر الآداب ـ المجلد الأول ص ٣٢٥ .
(٣) انظر : مسند أحمد بن حنبل جـ ١ ص ٢٥ وورد فى مواطن متفرقة كثيرة منه ، والنادرة التى بعدها فى زهر الآداب : المجلد الأول ص ٣٣١ .
(٤) وردت فى الأغانى جـ ٣ ص ١٦١ ، وفى وفيات الأعيان ـ جـ ١ ص ٤٢٥ .

بقول الله سبحانه ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ﴾[1] ، وأرادت بقول الشاعر :

فَـغُضَّ الطرْفَ ؛ إنك من نُمَـيْـرٍ   فـلا كَـعْـبًـا بلَغْتَ ولا كِـلابا[2]

ومرت امرأة ماجنة ، برجل ، وهو يأكل ، فقالت له : أعرس فى بطنك؟ نرى لحيتك ترقص .

وأتى رجل إلى خاطبة فقال لها : أريد امرأة ترضع ابنى ، فجعلت تعرض عليه كل ما عندها ، وهو لا يرضى منهن شيئا ، فقالت له : عندى جارية بكر مليحة ظريفة ، أتريدها ترضع ابنك؟ قال : نعم ، قالت له : فأنت تريدها لنفسك لا لابنك .

وقال بعضهم : إن قوما من المسلمين غزوا قوما من الروم ، فكان بين من قتل إخوة ، وأمهم حاضرة ، فكرهت الحياة بعدهم ، فقالت للذى صارت إليه : أرأيتك إن علمتك شيئا لا يقطع فيك الحديد به ، أتخلى سبيلى : قال : وكيف نعلم ذلك؟ فقالت له : أول ما تجربه فىّ ، قال : نعم : فجلست ، وقالت له : اضرب عنقى ، وبقيت تحرك شفتيها ، كأنها تقول شيئا ، فضرب بالسيف ، فقطع رأسها فعلم أن ذلك كان حيلة منها .

ورفع قوم غريما لهم إلى بعض القضاة ، فقالوا : لنا عليه كذا وكذا دينارا ، فقال : نعم ، لهم عندى ذلك ، إلا أنى سألتهم أن يؤخرونى أياما يسيرة ؛ حتى أبيع عقارى وغنمى وبقرى وإبلى ، وأدفع لهم ما عندى ، فقالوا : كذب ، والله ، ما عنده شىء من ذلك ، قال : فاشهد لى عليهم ، بأنهم شهدوا لى ، أنى فقير عديم ، فقال القاضى : ركبوه حمارا ، ونادوا عليه ألا يعامله أحد ، ففعلوا ذلك النهار كله ، فلما كان العشى ، قال له صاحب الحمار : أعطنى أجرة الحمار ، قال : فيم كنا اليوم كله؟ فمضى وتركه .

وارتفع خصمان إلى سوار القاضى ، وكان سوار يبغض أحدهما ، فقال له : يا ابن اللخناء ، قال : كذلك خصمى ، قال خصمه : احكم لى عليه ، قال : نعم ، خذ له بحقه منى ، وخذ لى بحقى منك فندم سوار ، وسأله الصفح .

(١) سورة النور الآية ٣٠ .

(٢) البيت من الوافر ـ وهو لجرير ، وهو وحكايته فى البيان والتبيين ، جـ٤ ص ٣٥ ، وعلق الجاحظ بقوله : وأخلق بهذا الحديث أن يكون مولدا ، ولقد أحسن من ولده ، والحكاية واردة أيضا فى العقد الفريد ، جـ ٢ ص ١٠٥ .

ولما أراد شيرويه قتل أبيه ، وجه إليه من يقتله ، فلما دخل عليه قال : إنى أدلك على شيء يكون فيه غناك ، وذلك لوجوب حقك على ، قال : وما هو؟ قال : الصندوق الفلانى ، فذهب إلى شيرويه فأخبره الخبر ، فأمر بإخراج الصندوق ، فوجد فيه ربعة ، وفى الربعة حق ، وفى الحق حب ، وعلى الحق مكتوب : من أخذ منها حبة افتض عشرين جارية من غير مضرة ولا ضعف ، فطمع شيرويه فى صحته ، فأخذه وعوضه به ، ثم أخذ منه حبة ، فكان هلاكه فيها .

ومرض مولى لسعيد بن العاص ، ولم يكن له من يخدمه ، ويقوم بأمره ، فبعث إلى سعيد فأتاه فقال : ليس لى وارث غيرك ، وها هنا ثلاثة آلاف درهم مدفونة ، فإذا مت فخذها ، فقال سعيد حين خرج من عنده : ما أرانا إلا قد أسأنا لمولانا هذا ، وقصرنا فى تعاهده وهو من شيوخ موالينا ، فبعث إليه من يخدمه ويتعاهده ، فلما مات ، اشترى له كفنا بثلاثمائة درهم ، وحضر جنازته ، فلما رجع حفرالموضع كله ، فلم يجد شيئا ، وجاء صاحب الكفن ، وطلب ثمنه فقال : لقد هممت أن أنبش عليه .

وجاء رجل إلى أبى حنيفة فشكى إليه أنه أودع عند بعض الناس المشهورين بالأمانة والديانة مالا ، وأنه أنكر الوديعة ، وكان ذلك المستودع يعتنى بأبى حنيفة ، فقال أبو حنيفة للرجل : تعود لى ، وخلا أبو حنيفة بالرجل الذى أودع عنده ، فقال له : إن هؤلاء قد بعثوا إلى يستشيرونى فيمن يصلح للقضاء ، فهل تنشط لذلك ؟ فتمانع الرجل قليلا ، وأقبل أبو حنيفة إليه يرغب فيه ، ثم انصرف عنه ، وهو طامع فى القضاء ، ثم جاء الرجل صاحب الوديعة إلى أبى حنيفة فقال أبو حنيفة : اذهب إلى الرجل ، فقل له : احسبها ، أنسيت الحال ، وأنا أودعتك في وقت كذا ، والعلامة كذا ، فذهب الرجل وقال له ما أمره به ، فرد عليه الوديعة ، فلما رجع ذلك الإنسان إلى أبى حنيفة قال له : إنى نظرت فى أمرك ، فرأيت أن أرفع قدرك ، ولا أسميك ؛ حتى يحضر ما هو أجل من هذا .

وجاء[1] رجل إلى أبى حنيفة فشكا إليه أنه دفن مالا ، فى موضع ولا يذكر الموضع ، فقال أبو حنيفة : ليس هذا فقها ، فأحتال لك ، ولكن اذهب ، فصل لربك الليلة ، فإنك

(١) وردت الحكاية فى وفيات الأعيان ـ جـ ٥ ص ٤١١ .

ستذكره إن شاء الله ، ففعل الرجل ذلك ، فلم يقم إلا أقل من ربع الليل ، حتى ذكر الموضع ، فجاء إلى أبى حنيفة فأخبره ، فقال : قد علمت أن الشيطان لا يدعك أن تقوم ليلتك حتى يذكرك ، فهلا أتممت ليلتك شكرا لله تعالى .

وأقبل رجل إلى أبى حنيفة وقال له : إن لصوصا دخلوا على ، وأخذوا مالى ، وحلفونى بالطلاق ألا أسميهم ، وخرجوا عنى ، فقال أبو حنيفة : أحضر لى إمام مسجدك والمؤذن والمشهورين من جيرانك ، فأحضرهم ، فقال لهم أبو حنيفة : هل تحبون أن يرد الله على هذا متاعه؟ قالوا : نعم ، قال : فاجمعوا كل داعر ومتهم ، وأدخلوهم فى دار أو فى مسجد ، ثم أخرجوهم واحدا واحدا ، وقولوا له : هذا من لصوصك؟ فإن لم يكن منهم فيقول : لا ، وإن كان منهم فيسكت فاقبضوا عليه ، ففعلوا ذلك ، فرد الله عليه ماله .

وقال أبو حنيفة : احتجت وأنا بالبادية إلى ماء ، فجاءنى أعرابى ، ومعه قربة من ماء ، فأبى أن يبيعها إلا بخمسة دراهم ، فدفعت له ذلك ، وقبضت القربة ، ثم قلت : يا أعرابى ، هل لك فى سويق؟ قال : نعم ، فأعطيته سويقا ملتوتا بزيت ، فجعل يأكل حتى امتلأ ، فعطش ، فقال : شربة ماء ، فقلت : بخمسة دراهم ، فأعطانى[1] خمسة دراهم فى قدح من ماء ، وبقى بقية الماء ربحا .

وجاءت امرأة إلى أبى حنيفة فقالت : إن زوجى حلف بطلاقى أن أطبخ قدرا فيه مكوك ملح ، ولا يتبين طعم الملح فيما يؤكل منها ، قال : خذى قدرا ، وألقى فيه مكوك ملح ، واسلقى فيه بيضا ، فإنه لا يوجد طعم الملح فى البيض .

ودخل شريك القاضى على بعض العمال ، فأخذ العامل بيده ، ثم قال : يا غلام جئنا بعود ، فلم يدر الغلام أى عود أراد ، فعاد الغلام ، ومعه عود الغناء ، فلما رآه العامل لم يخجل ، ولم يتغير ، وقال : أخذنا رجلا معه هذا ، ما ترى فى كسره؟ فأفتاه بكسره ، فقال : هات لنا بخورا! .

وكان لجعفر بن عبدالواحد صديق ، يوجه له كل يوم سلة برطب مع غلام له ، فقيل له : إن الغلام يأخذ من السلة ، فاختمها ، فختمها ، فوجد السلة قد فتحت ، فقال

(١) أخلت بها [س] .

لصاحبه : اجعل فيها زنبورين قبل أن تختمها فكان إذا فتحها وطار الزنبوران علم أنها لم تفتح .

وجاء فتيان إلى نباذ ، فشربوا عنده نبيذا ، ثم قالوا ما عندنا شيء فخذ منا رهنا ، فقال : وما الرهن؟ قالوا : تأخذ من كل واحد منا صفعة ، ففعل ، فلما كان بعد أيام جاءوا إليه ، فقالوا له : خذ حقك ورد الرهن ، فرغب إليهم أن يتركوه ، فلم يفعلوا فصفعوه وضحك أهل سوقه عليه .

وكان زياد بن عبدالله الحارثى على شرطة المدينة ، وكان بخيلا ، فدعا أشعب فى رمضان يفطر مع جماعة عنده ، فقدم إليهم معقودة ، فجعل أشعب يمعن فيها وزياد يلمحه ، فلما فرغ من الأكل ، قال زياد : ما أظن لأهل السجن إماما يصلى بهم فى هذا الشهر ، فليصل بهم أشعب ، فقال أشعب : أو غير ذلك ، أصلح الله الأمير؟ قال : وما هو؟ قال : أحلف ألا آكل معقودة أبدا ، فخجل زياد وتغافل عنه .

وكان لزياد هذا كاتب ، فأهدى له طعاما ، قد تفنن فيه ، فوافاه وقد تغدى ، فغضب زياد ، وقال : يبعث أحدكم الشيء فى غير محله ، ثم قال : ادع لى المساكين يأكلونه ، فبعث إليهم حرسيا يدعوهم ، فقال له رسول الكاتب : أصلح الله الأمير : إن أمرت أن يكشف لك عنه حتى تنظر إليه قال : اكشفوا عنه ، فإذا به دجاج وسمك وحلواء ، فأعجبه ذلك ، وقال : ارفعوه ، ثم جاء المساكين ، فقال : اضربوهم عشرة عشرة ؛ فإنه بلغنى أنهم يفسون فى مسجد رسول الله ﷺ ، ويبولون على بابه ، فرغب فيهم ، فصرفهم .

وأتى طفيلى دار عرس ، فمنع من الدخول ، فذهب إلى بعض أصحاب الزجاج ، فرهن عنده رهنا ، وأخذ منه أقداحا ، وقال للموكل بالباب : افتح حتى أدخل هذه الأقداح التى طلبوها ، ففتح له ودخل ، فأكل وشرب ، ثم أخذ الأقداح وردها إلى صاحبها ، وقال : لم يرضوها .

وجاء طفيلى آخر إلى باب عرس ، فمنع من الدخول ، فأخذ إحدى نعليه ، وجعلها فى كمه ، وعلق الآخر ، وجاء إلى الموكل بالباب ، كالمستعجل ، وقال : أخذت[1] فردة

(١) «أخذت إلى الأخرى» من [د] .

نعلى ، وتركت الأخرى ، فتفضل بالله بإخراجها ، فقال له البواب : أنا مكلف بهذا الباب ، ولست أتركه ، فادخل أنت ، وخذ متاعك ، فدخل وأكل وخرج .

واجتمع ثلاثة من الطفيليين ، فلم يظفروا بأكل ، ولا قدروا عليه ، فاجتمع رأيهم على أن يأتوا صاحب الشواء والرقاق ، ولا يكون إقبالهم فى دفعة ؛ لئلا يشعر بهم ، فتقدم أحدهم ، فأخذ الشواء ، ورقاقا ، ودخل يأكل ، فلما أمعن ، أقبل الثانى ، فأخذ مثل الأول ، وقعد ناحية يأكل ، ثم أقبل الثالث ، فأخذ مثلهما ، فلما قارب أن يخلص أكله ، قام الأول يريد الخروج ، فقال له الشواء : هات ما عليك ، قال : دفعت لك ، قال :متى؟ قال له الثانى حين أعطيتك أنا ، قال له : ومتى أيضًا أعطيتنى أنت؟ فقام الثالث إليه حنقا وهو يقول : أتراك ، يا ابن الفاعلة ، تنكرنى كما أنكرت هذين؟ فلما سمع الشواء كلامهم علم أنهم طفيليون ، فترك سبيلهم .

وقال بعضهم : نزل رجل على ديرانى[(١)] بالشام ، فقدم إليه أربعة أرغفة ، وذهب ليأتيه بعدس ، فلما جاءه به وجده قد أتى على الأرغفة ، فوضع العدس بين يديه ، وذهب ليزيده رغيفا ؛ لكى يأكل به العدس ، فلما جاء به وجده قد أكل العدس ، فوضع الرغيف وذهب ، فجاءه بصحفة أخرى من عدس ، فوجده قد أكل الرغيف ، فما زال كذلك حتى أتى على وظيف تسعة أنفس ، فلما فرغ سأله الديرانى عن حاله ومقصده ، قال : أريد الأردن ؛ فإنه بلغنى أن فيه طبيبا جيدا ، وأنا فى هذه المدة أصابنى سوء هضم ، وقلة شهوة الطعام ، فقال له الديرانى : عسى بالله ، إذا رجعت ، وقد تطببت أن تأخذ على غير هذا الطريق ؛ فإن هذا الدير لقوم ضعفاء ، فخجل الرجل ، وقال : نعم .

وكان بعض الناس يتخدم ليونس بن أسباط ، فانقطع عنه مدة ، فقال يونس لبعض من حضره : ما فعل فلان؟ فقال : لا أدرى ، ولكن لو مات ما كنت تفعل معه؟ قال : أكفنه وأقبره ، قال : فإنه عريان ، فضحك ، وأمر له بكسوة .

وكان ابن هرمة[(٢)] مولعا بالشراب ، فحد فيه مرارا ، فأتى المنصور ومدحه ، فاستحسن شعره ، وقال له : سل حاجتك ، قال : تكتب إلى عامل المدينة ألا يحدنى إذا أوتى بى

(١) فى [د] على دير نصرانى بالشام .

(٢) وردت هذه الحكاية فى الشعر والشعراء ـ ص ٤٧٤ . وقد أخلت [د] من قوله : مولعا بالشراب ـ إلى قوله : فضحك معاوية ، وهى تمثل بضع ورقات .

سكران ، فقال له المنصور : ويلك ، هذا حد من حدود الله عز وجل ، لا يجوز لى تعطيله ، قال : فاحتل يا أمير المؤمنين ، قال : أما هذا فنعم ، وكتب إلى عامل المدينة : من أتاك بابن هرمة وهو سكران ، فاجلده مائة واجلد ابن هرمة ثمانين ، فكان العون بعد ذلك يمر به وهو سكران ، فيقول ابن هرمة : من يشترى مائة بثمانين؟ .

وحكى ابن[1] دهمان قال : مررت يوما ببشار ، وهو جالس على بابه وحده ، وليس معه أحد ، وبيده قضيب ، وبين يديه طبق فيه تفاح وأترج ، فلما رأيته ، وليس معه أحد ، جئت قليلا قليلا ، ومددت يدى لأتناول ما بين يديه ، فرفع القضيب ، وضرب يدى ضربة يكاد يكسرها ، قلت : قطع الله يدك ، أنت الآن عند نفسك أعمى ، قال : يا أحمق : فأين الحس؟ .

وحكى المدائنى عن محمد بن حجاج قال : كنا عند بشار بن برد الضرير ، فأتاه رجل يسأله عن منزل رجل ، قال : فجعل بشار يصف له ويفهمه ، وهو لا يفهم ، فوثب بشار ، وأخذ بيده ، وجعل يقول :

أعـمى يقـودُ بصـيـرًا ، لا أبا لَكُمُ قد ضلَّ منْ كانتِ العِميانُ تَهْدِيه[2]

وحاسب[3] بشار يوما وكيله ، وذكر فى بعض حسابه عشرة دراهم فى جلاء مرآة ، فقال بشار ـ وصفق بيديه ـ : واغوثاه ، جلاء مرآة لأعمى بعشرة دراهم ، والله لو صديت عين الشمس ، حتى يبقى الناس فى ظلمة ، ما ساوى جلاؤها عندى عشرة دراهم .

وكان أبو العتاهية يهوى عتبة ، فلبس يوما ثياب راهب ، ووقف على طريق عتبة ، ولما مرت به ، قال : أنا راهب ، وكنت فى صومعة منذ سنين كثيرة ، وأتانى آت فى منامى ، وأمرنى بالإسلام على يديك ، وتقبيل يديك ولست أبغى منك على ذلك جزاء ولا شكورا ، فسرت بذلك ، ومدت يدها اليمنى وقبلها ، وقال : إنما أمرت بتقبيل يدك اليسرى ، فمدتها وقبلها ، وقال : بأبى أنت من يد قريبة العهد بأحب المواضع إلى ، قالت : ماجن ورأس المهدى .

---

(١) وردت فى الأغانى جـ ٣ ص ١٦٩ .

(٢) البيت فى البسيط ، وقد ورد هو والحكاية فى الأغانى جـ٣ ص ٢٢٥ ، وكذلك فى وفيات الأعيان جـ ١ ص ٤٦٧ - ٤٦٨ .

(٣) وردت فى وفيات الأعيان ـ جـ ١ ص ٤٢٥ .

وحكى المبرد أن عتبة جاءت إلى عبدالله بن مالك برسالة ريطة بنت أبى العباس فى مماليك لتشتريهم وتعتقهم ، وإذا بأبى العتاهية قد دخل وهى لا تعرفه ، وقال : إنى جعلنى الله فداك ـ شيخ ضعيف وموالى يسيئون ملكى ، فإن شئت أن تأمريه يجعلنى فيمن يعتق ، فكلمت عبدالله بن مالك فى ذلك ، فقال : أفعل إن شاء الله ، فقال لها أبو العتاهية : قد أحسنت وتفضلت فأذنى فى تقبيل يدك ، فمدت يدها فقبلها وانصرف ، فقال عبدالله بن مالك : أتدرين من هو؟ قالت : لا ، قال : هذا أبو العتاهية ، فاستحيت وقالت : يا أبا العباس ، ما ظننتك تعبث مثل هذا العبث .

وقرأ الحجاج في سورة هود ، فلما انتهى إلى ابن نوح ، لم يدر كيف يقرأ ﴿**إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ**﴾[1] أو عمل غير صالح ، فبعث حرسيا ، فقال : ائتنى بقارئ ، فذهب وأتى به ، وقد ارتفع الحجاج من مجلسه ، فحبسه ونسيه ، حتى عرض الحجاج حبسه بعد ستة أشهر ، فلما انتهى إليه قال : فيم حبست؟ قال : فى ابن نوح ، أصلح الله الأمير ، فأمر بإطلاقه .

وكتب زياد إلى معاوية : قد أخذت العراق بشمالى ، وبقيت يمينى فارغة ، وهو يعرض له بالحجاج ، فبلغ ذلك عبدالله بن عمر رضي الله عنه ، فرفع يديه إلى السماء ، وقال : اللهم اكفنا يمين زياد ، فخرجت به قرحة فى يمينه ، قتلته .

وقال خالد بن الوليد عند موته : لقد لقيت كذا وكذا زحفا ، وما فى جسدى قيس شبر ، إلا وفيه طعنة أو ضربة أو رمية ، ثم ها أنذا أموت على فراشى ، حتف أنفى ، فلا نامت أعين الجبناء .

ووعظ مالك بن دينار فبكى وأبكى أصحابه ، ثم افتقد مصحفه ، فلم يجده ، فنظر إلى أصحابه ، وكلهم يبكى ، فقال : كلكم تبكون ، فمن أخذ مصحفى ؟ .

ودخل أبو العيناء على إبراهيم بن المدبر ، وعنده الفضل بن اليزيد وهو يلقى على ابنه مسائل فى النحو ، فقال : في أى باب هذا؟ فقال : فى باب الفاعل والمفعول به ، فقال : هذا بابى وباب الوالدة ، حفظها الله ، فغضب الفضل وانصرف .

---

(١) سورة هود ـ الآية ٤٦ .

ومن نوادره ونكته العجيبة أن ابن مكرم قال : يا عديوط ، فقال له : نعم ، يا ابن النمامة ، وذلك أن العديوط هو الذى يحدث عند الجماع ، فلما دعاه بهذا الاسم ، أجابه بقوله : يا ابن النمامة ، تعريضا بأمه ، أى ما أخبرك بذلك إلا أمك إذ جامعتها .

وقال(١) له ابن مكرم يوما : أنا أجمع بين الصلاتين ، قال : نعم ، بالترك .

وكان أبو يوسف يكتب كتابا ، وإلى جانبه رجل يتطلع عليه ، ففطن به أبو يوسف ، فلما فرغ من الكتاب ، التفت إلى الرجل ، وقال له : هل أبصرت فيه خطأ؟ فقال : لا . قال أبو يوسف : جزيت عن الجساسة خيرا .

واشترى رجل كبشا فى العيد ، فلما دخل به على زوجته ، ورأته ضعيفا ، قالت له : هذا الكبش يشبهنى ويشبهك ، قال : وكيف ذلك؟ قالت : يشبهنى فى الشحم ، وإياك فى القرون .

وكان لابن أبى عتيق جارية تخدمه ، وكان يتبعها جار له ، فبينما هى ذات يوم توضئه ، إذ وقع حجر بين يديه ، فتغافل ، فلما كان بعد ساعة وقع حجر آخر ، فقال بأعلى صوته ، إنها مشغولة ، فانقطع الرجم .

وكتب عبدالله بن الزبير إلى بعض عماله : عمدت إلى مال الله فأكلته ، فكتب إليه : إذا لم آكل مال الله ، فمال من آكل؟ لقد طلبت من الشيطان ماله مرة ، فما فرج عنى كربة .

وغصب بعض عمال عيسى بن صبيح امرأة موضعا ، فجاءت إليه ، ومجلسه قد غص بأهله ، فقالت له : بالذى أعز النصرانية بسيماء غلامك ، وأعز اليهود بهارون كاتبك ، وأذل المسلمين بك إلا أنصفتنى ، فخجل عيسى وقال : ردوا عليها موضعها .

وقال الرشيد لابنه المعتصم : ما فعل وصيفك فلان؟ قال : مات واستراح من المكتب ، قال : وبلغ بك المكتب هذا المبلغ؟ والله ، لا تحضره أبدا ، ووجهه إلى البادية ، فتعلم الفصاحة ، وكان أميا .

---

(١) هذه النادرة من [س] . وأخلت بها [ح] .

وكان بعض الكتاب يكتب كتابا ، وإنسان يتطلع عليه ، فشق ذلك عليه ، فكتب : ولولا ابن ألف كذا وكذا ، كان يقرأ كتابى حرفا حرفا لأعلمتك ، فقال الرجل : ما كنت أنظر فى كتابك ، قال : فمن أين لك معرفة ما أنكرت؟

وروى أن يزيد بن معاوية ، لما أراد توجيه مسلم بن عقبة إلى المدينة ، اعترض الناس ، فمر به رجل معه ترس قبيح ، فقال له : يا أخا أهل الشام : مجن ابن ربيعة كان أحسن من مجنك ، يريد قوله :

فكان مَجِنِّى دُونَ من كنتُ أتَّقِى ثلاثَ شُخوصٍ :كاعِبان ومُعْصِرُ[١]

وقال الشعبى[٢] : سمعت المغيرة بن شعبة يقول : ما غلبنى أحد قط ، إلا غلام من بنى الحارث بن كعب ، وذلك أنى خطبت امرأة من بنى الحارث ، وكان عندى شاب منهم ، فأصغى إلى ، فقال : أيها الأمير ، لا خير لك فيها ، فقلت : يا ابن أخى ، وما لها؟ قال : إنى رأيت رجلا يقبلها ، فتركتها ، قال : ثم بلغنى أن الفتى تزوجها ، فأرسلت فيه فقلت : ألم تخبرنى أنك رأيت رجلا يقبلها؟ قال : نعم ، رأيت أباها يقبلها .

وحكى[٣] الأصمعى قال : كان رجل من ألأم الناس وأبخلهم ، وكان عنده لبن كثير ، فسمع به رجل ظريف ، فقال : الموت ، أو أشرب من لبنه ، فأقبل ومعه صاحب له ، حتى إذا كان بباب صاحب اللبن ، غشى عليه وتماوت ، فقعد صاحبه عند رأسه ، يسترجع ، فخرج صاحب اللبن ، فقال : ما باله؟ فقال : هذا سيد بنى تميم أتاه أمر الله ها هنا ، وكان قال : اسقنى لبنا ، قال صاحب اللبن : هذا هين موجود ، يا غلام ، ائتنى بقدح من لبن ، فأتاه به ، فأسنده صاحبه إلى صدره ، وسقاه حتى أتي عليه ، وتجشأ ، فقال صاحبه لصاحب اللبن : أتقول : هذه راحة الموت؟ ففطن لهما وقال : أماتك الله وإياه .

وقال الأصمعى[٤] : مر رجل بأبى الأسود الدؤلى ، وهو يقول : من يعشى هذا الجائع؟ فقال : علىّ به ، فأتاه بعشاء كثير ، فأكل حتى شبع ، ثم ذهب السائل ليخرج ، فقال : أين تريد؟ قال : أريد أهلى ، قال : لا أدعك تؤذى المسلمين الليلة بسؤالك ، اطرحوه فى الأدهم ، فبات مكبولا حتى أصبح .

(١) البيت من الطويل ، من رائية ذائعة لابن أبى ربيعة ، وهو وحكايته واردة فى العقد الفريد ـ جـ ٣ ـ ص ١٢٥ ، وفى وفيات الأعيان جـ ٣ ص ٤٣٨ .
(٢) وردت فى العقد الفريد ـ جـ ٣ ـ ص ١٩٩ .
(٣) وردت فى العقد الفريد ـ جـ ٣ ص ٢٢٩ .
(٤) المصدر السابق ـ جـ ٣ ص ٢٣١ ، ووفيات الأعيان ـ جـ ٢ ص ٥٣٩ .

ووقع[١] درهم بيد سليمان بن مزاحم ، فجعل يقبله ، ويقول فى شق : لا إله إلا الله ، وفى شق : قل هو الله أحد ، مـا ينبغى لهـذا أن يكون إلا تعويذا أو رقيـة ، ورمى به فى الصندوق .

وكان[٢] ابن عيسى بخيلا ، وكان إذا وقع الدرهم بيده ، طعنه بظفره ، وقال : كم مدينة دخلتها ، وأيد درجتها ، فالآن استقر بك القرار ، واطمأنت بك الدار ، ثم يرمى به فى الصندوق .

ونظر[٣] أشعب إلى رجل قبيح ، فقال : ألم ينهكم سليمان بن داود عن الخروج بالنهار؟

وحكى[٤] المدائنى قال : أتت ليلة الشك من رمضان ، فكثر الناس على الأعمش يسألونه عن الصوم ، فضجر ، ثم أرسل إلى بيته فى رمانة ، فشقها ، ووضعها بين يديه ، فكان إذا نظر إلى رجل قد أقبل يريد أن يسأله ، أخذ حبة فأكلها ، وكفى الرجل السؤال ، ونفسه الرد .

وقال[٥] رجل لمحمد بن مطروح الأعرج - رحمه الله - ما تقول في رجل مات يوم الجمعة أيعذب عذاب القبر؟ قال : يعذب يوم السبت .

وقال[٦] آخر : أتجد في بعض الكتب أن جهنم تخرب؟ قال : ما أشقاك إن اتكلت على خرابها .

وكان[١] يجلس إليه خصى لزرياب ، قد حج وتنسك ، ولزم الجامع ، يتحدث في مجلسه ، بأخبار زرياب ، ويقول : كان أبو الحسن رحمه الله يقول كذا وكذا ، فقال له الأعرج : من أبو الحسن هذا؟ قال : زرياب ، قال : بلغنى أنه كان أخرق الناس لاست خصى .

وسأله[٢] مرة أخرى ، ما تقول فى الكبش الأعرج ، أيجوز للذبيحة؟ قال : نعم ، والخصى مثل ذلك .

---

(١) وردت في العقد الفريد - جـ ٣ ص ٢٧٣ .
(٢) المصدر السابق - والنادرة زيادة من [س] .
(٣) وردت فى العقد الفريد - جـ ٣ ص ٣٢٩ ، وتنسب هذه الحكاية إلى قتيبة بن مسلم وأولها : ونظر مخنث إلى شيخ .. إلخ ، انظر البيان والتبيين - جـ ٢ ص ٣١٣ .
(٤) وردت فى العقد الفريد - جـ ٣ ص ٣٩٠ .
(٥) وردت في العقد الفريد جـ ٣ ص ٣٩٠ .
(٦ ، ٧ ، ٨) المصدر السابق .

الباب الثانى
فى أخبار الأعراب والمتنبئين
ونوادر المجان والمستخفين

قدم إلى أعرابى كامخ ، فأكل منه ، فلم يستطبه ، وخرج إلى المسجد ، والإمام فى الصلاة يقرأ : ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ﴾(١) ، فقال الأعرابى : والكامخ ، لاتنسه ، أصلحك الله .

وكان موسى بن عبدالملك قد اغتال نجاح بن سلمة في شراب شربه عنده ، فقال المتوكل لأبى العيناء بعد ذلك : ما تقول فى نجاح بن سلمة؟ فقال : ما قال الله عز وجل : ﴿فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ﴾(٢) فاتصل ذلك بموسى ، فعتب عليه وقال له : أردت قتلى ، فاعتذر له ، وافترقا عن صلح ، فلقيه بعد ذلك موسى ، فقال له : يا أبا عبدالله قد اصطلحنا ، فما بالك لاتأتينا ؟ فقال : ﴿أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالأَمْسِ﴾(٣) فقال موسى : ما أرانا إلا كما كنا .

وقال المتوكل لأبى العيناء : إبراهيم بن نوح النصرانى واجد عليك ، فقال : ﴿وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلاَ النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾(٤) .

وقال له المتوكل يوما : إن سعيد بن عبدالملك يضحك منك فقال : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ﴾(٥) .

وقال له رجل : يا مخنث ، فقال : ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلاً وَنَسِيَ خَلْقَهُ﴾(٦) .

---

(١) سورة المائدة ـ الآية ٣ .
(٢) سورة القصص ـ الآية ١٥ .
(٣) سورة القصص ـ الآية ١٩ – والحكاية واردة فى : زهر الآداب ـ المجلد الأول ـ ص ٣٢٦ .
(٤) سورة البقرة ـ الآية ١٢٠ ـ ووردت فى زهر الآداب ـ المجلد الأول ص ٣٢٧ مع إضافة بيت من الشعر هو :
إذا رضيت عنى كرام عشيرتى فلا زال غضبانا على لئامها
(٥) سورة المطففين ـ الآية ٢٩ .
(٦) سورة يس ـ الآية ٧٨ ـ وردت الحكاية فى زهر الآداب ـ المجلد الثانى ص ٨٤٩ .

ولقى خالد بن صفوان الفرزدق ، وكان الفرزدق قبيحا ، فقال له خالد : يا أبا فراس ما أنت بالذى ﴿فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ﴾(١) ، فقال له : ولا أنت بالذى قالت الفتاة لأبيها : ﴿يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ﴾(٢) .

وبعث المنصور سليمان بن راشد ، إلى الموصل ، وضم إليه ألف فارس من العجم ، وقال له : قد ضممت لك ألف شيطان تذل بهم أهل الأرض ، فلما أتى الموصل عاثوا فى نواحيها ، وقطعوا الطرق ، وانتهبوا الأموال ، وانتهى خبرهم إلى المنصور ، فكتب إليه : كفرت النعمة يا سليمان . فكتب إليه فى الجواب : ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا﴾(٣) فضحك المنصور ، وعرف عذره ، وأنذر له بجيش غيرهم .

وأتى بأعرابى إلى سلطان ، وبيده كتاب فيه مكتوب ﴿هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ﴾(٤) ، فقيل له : إنما يقال هذا يوم القيامة : هذا ، والله ، أشد ؛ فإن يوم القيامة يؤتى بحسناتى وسيئاتى ، وأنتم جئتم بسيئاتى فقط ، وتركتم حسناتى .

ورأى أبو الضمضم القاضى رجلا قريبا من مجلسه يسمع نوادره ، فرماه بالدواة ، وأمر بسجنه ، فقال له الكاتب : كيف أكتب قصته فى الديوان؟ قال له : اكتب ﴿اسْتَرَقَ السَّمْعَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ مُبِينٌ﴾(٥) .

وأتى أعرابى(٦) المسجد ، والنبى ﷺ جالس ، فقام يصلى ، فما فرغ قال : اللهم ارحمنى وارحم محمدا ، ولا ترحم معنا أحدا ، فقال النبى ﷺ : ولم حجرت واسعا يا أعرابى؟ .

وقال الأصمعى(٧) : رأيت أعرابيا يقول فى الطواف : اللهم اغفر لأمى ، فقلت له : مالك لا تذكر أباك؟ فقال : أبى رجل يحتال لنفسه .

---

(١) سورة يوسف ـ الآية ٣١ .
(٢) سورة القصص ـ الآية ٢٦ .
(٣) سورة البقرة ـ الآية ١٠٢ .
(٤) سورة الحاقة ـ الآية ١٩ ـ ووردت الحكاية فى العقد الفريد جـ ٢ ص ٨٦ .
(٥) سورة الحجر ـ الآية ١٨ .
(٦) وردت فى العقد الفريد ـ جـ ٢ ص ٨٦ .
(٧) المصدر السابق .

وسمع أعرابي رجلا يقرأ : «قُلْ هَلْ أنَبِّئُكُمْ بِالأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً »(١) فقال : أنا أعرفهم ، فقيل : ومن هم؟ قال : الذين يبردون ويأكل غيرهم .

وكان ابن أبي علقمة غزير اللحية كثيرها ، وكان ابن والان قليل اللحية ، فاجتمعا يوما ، فقال ابن أبي علقمة لابن والان يعرض بقلة لحيته : ﴿وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبُثَ لاَ يَخْرُجُ إِلاَّ نَكِدًا﴾(٢) ، فقال ابن والان : ﴿قُلْ لاَ يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ﴾(٣) .

وجلس أعرابي مع معاوية على المائدة ، فقدم ثريد كثير الدسم ، ففجره الأعرابي بإصبعه إلى جهته ، حتى سال الدهن إليه ، فقال معاوية : ﴿أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا﴾(٤) . فقال الأعرابي : لا ، ولكن ﴿سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَيِّتٍ﴾(٥) .

وقرئ بين يدى أعرابي : ﴿كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ﴾(٦) ، فقال : هؤلاء خلاف نسائكم العجاف .

وكان رجل شهر بالشراب والمعاصي ، فوعظه أحد الناس ، وقال له : ما تكون حجتك يوم القيامة؟ قال : خضراء مزججة .

وخطب(٧) وكيع بن أبي سويد بخراسان ، فقال : الحمد لله الذى خلق السماوات والأرض فى ستة أشهر ، فقيل له : فى ستة أيام ، فقال : أردت أن أقولها ، فاستقللتها .

وقرأ :(٨) ألم غلبت الترك ، فقيل له : الروم ، فقال : كلهم أعداء ، كفانا الله مئونتهم .

وصلى رجل فقال فى سجوده : يارب ، عبدك العار بن العار ، سجد لك ، الأيمان تلزمنى ، ما يغفر لى غيرك .

---

(١) سورة الكهف الآية ١٠٣ ـ وصحتها قل هل ننبئكم .
(٢) سورة الأعراف الآية ٥٨ ـ والحكاية واردة فى العقد الفريد ـ جـ ٢ ص ١٠٥ .
(٣) سورة المائدة ـ الآية ١٠٠ .
(٤) سورة الكهف ـ الآية ٧١ .
(٥) سورة الأعراف ـ الآية ٥٧ .
(٦) سورة الرحمن ـ الآية ٥٨ ـ وورد فى [س] نسائكم القحاب ، ولعل ما فى المتن هنا أولى ؛ للمقابلة . ووردت فى أخبار الحمقى والمغفلين ـ لابن الجوزى ص ١٢٧ ، وفيها : نسائكم الفجار .
(٧) وكيع بن أسود ، فى البيان والتبيين ، والحكاية واردة فى جـ٢ ص ٢٣٦ .
(٨) وردت فى أخبار الحمقى والمغفلين ـ مع تغير يسير ـ ص ١٠٦ .

وقيل للحسن بن هانئ : أى شىء تشتهى؟ قال : مالا أجده فى الدنيا ولا فى الآخرة ، قيل : وما هو؟ قال : ركوب الصبيان على الحلال .

وكان[١] إمام يطول الصلاة على الناس بالقراءة ، فقال له الجماعة : إما أن تقصر ، وإما أن تترك الجامع ، فصلى يوما ، فلما قرأ ، الحمد لله ، قال : ما تقولون فى عبس ، قال له الآخر : كيست من فيها .

وقيل لأعرابى يدعى حفظ القرآن : ما أول الدخان؟ قال : الحطب الأخضر .

وقيل لأعرابى : أتحفظ : ﴿لَمْ يَكُنِ﴾[٢]؟ قال : أنا لا أحفظ ما كان ، فكيف أحفظ ما لم يكن؟ .

وقرأ رجل بين يدى قوم : ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾[٣] فخجل ولم يستطع تمامها ، فقال آخر ؛ من أراد أن يحضر بقية السورة ، فليأت غدا إن شاء الله .

وقيل لأبى النخاس ، صاحب . . . الكبير ، يدخل فيه سبع فولات مصريات : هل جامعت قط بكرا؟ قال : ما أحصيهن كثرة ، قيل وكيف كن يأتينك؟ قال : ﴿كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنظُرُونَ﴾[٤] .

وجعلت عصيدة بلا عسل بين يدى أعرابى ، فقال : عملت هذه العصيدة من قبل أن يوحى ربك إلى النحل .

وقيل لأعرابى : فى أى سورة هو :

الحـــمـــدُ لله لا شـــريكَ لهُ مَنْ لم يَقُلْها ، فنَفْسَهُ ظلما؟[٥]

ففكر ساعة وقال : فى حم الدخان .

---

(١) وردت في المصدر السابق ص ١٠٧ ـ مع زيادات ، وفيها «كيسة مرفيها» آخر النص . وفى [س] كيسه مذ فيها ، وهى غير واضحة فى النسخ كلها .

(٢) سورة البينة ـ الآية الأولى .

(٣) سورة الإخلاص ـ الآية الأولى .

(٤) سورة الأنفال ـ الآية ٦ .

(٥) البيت من المنسرح ـ للنابغة الجعدى ـ طبقات فحول الشعراء ـ السفر الأول ص ١٢٧ ـ والشعر والشعراء ـ وورد البيت ضمن قصيدة مطولة ـ ص ١٦٢ ، وورد البيت وحكايته ـ مع تغيير يسير ـ فى أخبار الحمقى والمغفلين ـ ص ٦٩ . وبعدها فيه حكايات مناظرة .

وقال أعرابى[١] لآخر : أيهما أفضل عيسى بن مريم أو معاوية؟ فقال : ويلك ، تشبه نبى النصارى بكاتب الوحى؟

وقال الأصمعى : خرج على قوم فى بادية ريح شديدة ، فيئسوا من الحياة ، ثم سلموا ، فأعتق كل واحد منهم مملوكا أو مملوكة ؛ شكرا لله على ذلك ، وكان فيهم رجل من بنى غفار ، فقال : اللهم إنه لا مملوكة لى ولا مملوك ، ولكن امرأته طالق ثلاثا لوجهك[٢] .

وكان رجل يقرأ ، فقرأ سورة تبارك حتى وصل إلى قوله تعالى : ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِيَ اللَّهُ وَمَنْ مَعِيَ﴾[٣] فأرتج عليه ، فجعل يكررها ، فقال له أعرابى من خلفه : أهلكك الله وحدك ، فما ذنب من معك؟ .

وحكى الأصمعى قال : قرأ رجل : ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا﴾[٤] فأرتج عليه ، فجعل يرددها ، فقال له نبطى : إن لم يذهب نوح ، فأرسل غيره .

وكان ببجاية قاض ماجن فكلما أقبل إليه غلام يعجبه ، أو يجلس فى حلقته ، يقوم على قدميه ، ويقول : قولوا عند دعائى : آمين ، اللهم ولنا أدبارهم ، اللهم اكفلنا أكفالهم ، اللهم كبهم على وجوههم ، اللهم أعر عوراتهم ، اللهم سلط رماحنا عليهم .

ومرض قاض ، فدخل عليه أصحابه ، فقالوا له : أبشر بالجنة ، تقدم عليها ، فتأكل من ثمرها ، وتشرب من مائها ، وتنكح من حورها ، فقال بصوت ضعيف ؛ ولكن عندكم أحب إلى .

وجاء رجل إلى قومه ، فجعلوه إماما لصلاتهم ، وكان أكثر ما يطعمونه خبزا وكامخا ، فلما طال عليه ذلك ، افتتح الصلاة ذات ليلة ، بفاتحة الكتاب ، ثم قرأ : يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ، ولا تطعموا إمامكم كامخا ، بل لحما ، فإن لم يكن لحما ، فشحما ، فإن لم تجدوا شحما فبيضا ، ومن لم يفعل ذلك فقد خسر خسرانا مبينا ، ثم قرأ فى الركعة الثانية بعد فاتحة الكتاب : فإن لم تجدوا بيضا فسمكا ، فإن لم يكن سمكا فلبنا ، ومن لم يفعل

(١) وردت : أخبار الحمقى والمغفلين ـ ص ١٤٦ - ١٤٧ .
(٢) وردت فى المصدر السابق ـ ص ١١٠ .
(٣) سورة الملك الآية ٢٨ .
(٤) سورة نوح ـ الآية الأولى .

ذلك فقد ضل ضلالا بعيدا ، فلما فرغ من الصلاة ، قالوا له : فى أى سورة هذا؟ قال لهم : فى سورة المائدة .

ومات لامرأة ولد ، فأعطت القارئ الذى يقرأ عليه أجرة لم ترضه ، فقرأ : ﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ (٣٠) ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ (٣١) ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ﴾[١] ، فقالت له : ما هذا الذى قرأت عليه؟ قال لها : قرأت عليه ما يناسب عطيتك فزادته ، فقرأ : ﴿عَلَى سُرُرٍ مَوْضُونَةٍ (١٥) مُتَّكِئِينَ عَلَيْهَا مُتَقَابِلِينَ (١٦) يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ (١٧) بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ (١٨) لاَ يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلاَ يُنْزِفُونَ (١٩) وَفَاكِهَةٍ مِمَّا يَتَخَيَّرُونَ (٢٠) وَلَحْمِ طَيْرٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ﴾[٢] .

وكان فقيه يشرب الخمر مع شخص من أبناء الدنيا ، فقال له يوما : يا فقيه ، ما يكون جوابك يوم الحشر ، لله تعالى؟ قال : أقول : ﴿رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلاَ﴾[٣] .

وسمع ابن أبى مريم هارون الرشيد ، يقرأ فى صلاة الليل : ﴿وَمَا لِيَ لاَ أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي﴾[٤] ويرددها ، فقام من فراشه وقال : لا أدرى ، والله ، فقطع هارون الصلاة ، وضحك وقال : لاتعد .

وسمع أبو العيناء مغنيا غير محسن ، فقال : صدق الله : ﴿إِنَّ أَنْكَرَ الأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾[٥] .

وقال أبو نصر : نظرت إلى أبى نواس ، وهو يصلى العصر ، ثم رأيته بعد ذلك يصلى ركعتين ، فقلت له : ما هذا؟ قال : اسكت ، يصعد إلى السماء خبر طريف .

ومر بشار برجل فى عنقه غل ، فقال الرجل : الحمد لله ، فقال بشار : استزده يزدك .

وكان رجل يقول الشعر ، فيستبرده قومه ، فكان يحمل ذلك منهم على الحسد ، فقال لهم : بينى وبينكم بشار ، فأتى ، فأنشده ، فلما فرغ قال له بشار : أظنك من أهل بيت

---

(١) سورة الحاقة ـ الآية ٣٠ - ٣٢ .
(٢) سورة الواقعة ـ الآية ١٥ - ٢١ .
(٣) سورة الأحزاب ـ الآية ٦٧ .
(٤) سورة يس ـ الآية ٢٢ .
(٥) سورة لقمان ـ الآية ١٩ .

النبوة ، فقال : وكيف ذلك؟ قال : إن الله عز وجل يقول : ﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ﴾[(١)] فضحك القوم وانصرفوا .

وسمع[(٢)] مزيد جارا له يضرب غلامه ، وهو يستغيث ، فخرج إليه ، وقال له : مالك تضرب هذا الغلام؟ فقال له : ذنبه عظيم ، قال : وما ذنبه؟ قال : سرق حبلا ، حج به أبى واعتمرت به أمى فقال : والله لو سرق الكعبة حتى يبقى الناس بلا حج ما وجب عليه هذا .

وقال منصور بن عمار يوما فى مجلسه : اللهم اغفر لأعظمنا ذنبا ، وأقسانا قلبا ، وأقربنا بالخطيئة عهدا ، وأشدنا إصرارا على الذنب ، فقال مزيد : امرأته طالق إن كان أراد بهذا كله إلا إبليس ؛ فإن هذه الخصال كلها فيه .

ودخل مزيد على خالصة المغنية ، فرأى مكتوبا فى بعض جانب البيت : آدم وحواء ، فقال : ما هذا؟ قالت : سمعت أن الشيطان ، لايدخل بيتا ، مكتوب فيه آدم وحواء ، قال : ياخالصة ، دخل عليهما ، وهما فى جوار رب العالمين ، فكيف لايدخل بيت مغنية .

وشكا رجل إلى مزيد سقوط أسنانه ، فقال : الذنب منك ، لا لك ؛ لأنك تقرأ القرآن ، والله تعالى يقول : ﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلاً ثَقِيلاً﴾[(٣)] .

وخرج سالم بن عبدالله متنزها بأهله وحرمه ، فبلغ أشعب الخبر ، فوافى الموضع ، فصادف الباب مغلقا ، فتعلق بالحائط ، فقال له سالم : ويلك يا أشعب ، تكتشف على عيالى وبناتى؟ قال : ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ﴾[(٤)] ، فأخرج له من الطعام ، فأكل وحمل .

وقال الأصمعى : رأيت أعرابيا شيخا ، متعلقا بأستار الكعبة ، وهو يقول : يا رب ، أنا سفلة من خلقك ، وضيع محروم ، فمن أنا يارب حتى تعاقبنى؟ فبعزك إلا رحمت

(١) سورة يس ـ الآية ٦٩ .
(٢) مزيد ـ من [س] .
(٣) سورة المزمل ـ الآية ٥ ـ وقد أخلت [س] بقوله : لا لك .
(٤) سورة هود الآية ٧٩ .

ضعفى ، وخشيتى وذلى ، وفقرى ، وفاقتى وحرمانى وشؤمى وشماتتى ، وتفضلت على ، وغفرت لى .

وتغدى الغاضرى مع بعض أشراف المدينة ، وكان بخيلا ، فلما أحضرت الغداء . قال : يا غلام ، هات الدجاجة ، فجاء بقدر فيها دجاجة ، فلما أكلا منها يسيرا ، قال : يا غلام ، ارفع ، فلما كان فى العشاء فعل مثل ذلك ، فقال الغاضرى : ما أظن هذه الدجاجة إلا من آل فرعون ، قال : وكيف ذلك؟ قال : ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا﴾[1] .

ودخل[2] أعرابى على سليمان بن عبدالملك ، وبين يديه جام فيه فالوذج ، فقال : ادن يا أعرابى فكل ؛ فإن هذا مما يزيد فى الدماغ ، قال : لو كان الأمر كما تقول ، كان رأس الأمير مثل رأس البغل .

ونظر أعرابى إلى جنازة ، والناس يقولون : كان سبب موته التخمة ، فقال الأعرابى : وما التخمة؟ قيل له : أكل كثيرا فمات ، فقال الأعرابى : اللهم اجعل موتى من التخمة .

وضل لأعرابى جمل ، فبينما هو يطلبه ، إذ رأى فى باب الأمير بختيا ، فتعلق به وادعاه ، فقيل له : جملك عربى ، وهذا بختى ، فقال : كان عربيا فتبخت عند الأمير ، فرفع خبره إلى الأمير فضحك ، وأمر له به .

ودخل أعرابى على معاوية ، فقال : يا أمير المؤمنين ، أعطنى البحرين ، قال : لست لها بأهل ، قال : فاستعملنى على البصرة ، قال : صاحب أخذته لها ، لا أريد عزله ، قال : فهب لى ألف درهم وقطيفة ، قال : أمرت لك بذلك ، فلما رجع الأعرابى إلى أهله قيل له : رضيت بعد سؤالك البحرين بألف درهم وقطيفة؟ قال : اسكتوا ، فوالله لولا ذلك ما أعطيت شيئا .

---

(١) سورة غافر الاية ٤٦ .

(٢) وردت فى البيان والتبيين ـ جـ ٢ ص ٢٣٨ - ٢٣٩ ، والفالوذج هنا ، جدى فى البيان ، كما وردت ـ ببعض طول ـ فى العقد الفريد ـ جـ ٢ ص ٨٩ .

وحج(١) أعرابى ، فسبق الناس ، فطاف بالبيت وصلى ركعتين ، ثم رفع يديه إلى السماء وقال : اللهم اغفر لى ، قبل أن يدهمك الناس .

ووقفت امرأة على قوم يصلون جماعة ، فقرأ الإمام بعض آيات السجود ، فسجد وسجدوا ، فقالت : صعق الناس ، ورب الكعبة .

وصلى رجل بقوم من الأعراب فى شهر رمضان ، فقام فى الصلاة ، وخلفه نسوة خلف صف الرجال ، فقرأ : ﴿وأنكحوا الأيامى منكم﴾ وارتج عليه فكررها مرارا ، فلما انصرفوا ، قالت امرأة منهن لأخواتها ، والله ، مازال يأمرهم بنا ، حتى خشيت أن يثبوا علينا .

وكان أعرابى من بنى ضبة ، إذا توضأ بدأ بوجهه فيغسله ، ثم يغسل فرجه بعد ذلك ، فقيل له فى ذلك فقال : والله ، لا أبدأ بالخبيث قبل وجهى .

وقيل لأعرابى : أتحسن القرآن؟ قال : نعم ، قيل : فاقرأ شيئا ، فقرأ : ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ﴾(٢) فلما بلغ : ﴿وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ﴾ سكت ، فقيل لم تتم ، قال : لا يليق بمثلى ذكر نساء الأشراف .

وقيل(٣) لأعرابى : أتحسن سورة أم القرآن؟ قال : والله لا أحسن قراءة بنته ، فكيف أمه .

وقال الأصمعى : قلت لأعرابى : أتحفظ من القرآن شيئًا ؟ قال : نعم ، خمس سور ، قلت : اقرأها على ، فقرأ ثلاثا ثم سكت ، فقلت ؛ اقرأ السورتين الباقيتين ، قال : إنى علمتهما ابن عم لى ، فوهبتهما له ، والله ، لا أعود فيما وهبت له .

وقال الأصمعى : صلى أعرابى بالبادية فقرأ : «الحمد لله» بفصاحة وبيان ، ثم قال :

---

(١) وردت فى «أخبار الحمقى والمغفلين» ص ١٠٩ - مع بعض تغيير .

(٢) سورة المسد الآية الأولى ، وبعدها الآية ٤ .

(٣) هذه الرواية فى [س] ، ولعل الأدق أتحسن سورة أم القرآن ؟ أو أم الكتاب؟ . لمناسبة السياق .

(٤) البيت من الطويل ، وللحكاية نظير فى البيان والتبيين جـ ٢ ص ٢٤٤ ، وبطلها خطيب هو عدى بن وتّاد الإيادى حين قال : أقول لكم كما قال العبد الصالح «ما أريكم إلا ما أرى وما أهديكم إلا سبيل الرشاد» فقيل له : قال هذا فرعون ، فقال : من قاله فقد أحسن . وللحكاية هذه نظائر فى الحدائق .

ثم ركع ، فلما فرغ قلت : يا أعرابى ، ليس هذا فى القرآن ، قال : بلى ، والله ، قد سمعت كلاما هذا معناه .

وصلى[1] أعرابى خلف إمام صلاة الغداة ، فقرأ فى صلاته سورة البقرة ، وكان الأعرابى مستعجلا ، فما فرغ حتى انقطع الأعرابى عن شغله ، فلما كان من الغد ، بكر الأعرابى ليصلى وينصرف فى حاجته ، فقرأ الإمام سورة الفيل ، فقطع الأعرابى صلاته ، وولى هاربا ، وهو يقول : ما أنت إلا رسول إبليس قرأت البقرة ، فلم تفرغ منها إلى نصف النهار . وتريد أن تقرأ الفيل ، فما أظن تفرغ منها إلا مع الليل .

وقيل لأعرابى : من أين معاشكم؟ قال : لو نعيش إلا مما نعلم ، لم نعش .

وسأل رجل من بنى تميم عن رجل ، فقيل له دعاه ربه فأجاب ، قال : ولم أجاب؟ أو ما علم أن الموت أحد المهالك؟

ودخل أعرابى إلى الحاضرة يوم جمعة ، فمر بالجامع والناس قعود ، والإمام يخطب ، فقال لبعضهم : ما يقول هذا؟ وكان المسئول ماجنا ، فقال : هو يدعو إلى الطعام ، ويقول : ما يرضى الأعراب أن يأكلوا حتى يحملوا معهم ، فتخطى الأعرابى رقاب الناس ، حتى دنا من الإمام ، فقال : يا هذا ، إنما يفعل هذا سفهاؤنا .

وقيل لأعرابى : هل لك فى النكاح يا أعرابى؟ قال : لو قدرت أن أطلق نفسى لطلقتها .

ونزل عطار يهودى ببعض أحياء العرب ، فمات ، فأتوا إلى شيخ لهم ، لا يقطع أهل الحى في أمر دونه ، فأعلموه خبر اليهودى ، فجاءه وغسله وكفنه وتقدم وأقام الصلاة خلفه وقال : اللهم إن هذا اليهودى جار لنا ، وله ذمام ، فأمهلنا نقضى ذمامه فى لحده ، وشأنه لقه .

واشترى[2] أعرابى غلاما ، ثم قال للبائع : أفيه عيب؟ قال : لا ، إلا أنه يبول فى الفراش ، قال : ما هذا عيب ، إن وجد الفراش فليخر .

---

(١) وردت فى : أخبار الحمقى والمغفلين ـ ص ١١٢ .
(٢) وردت فى العقد الفريد جـ ٢ ص ٨٦ .

وقدم أعرابى على آخر ، فقدم إليه قرصا يابسا ، وملحا جريشا ، فأكله الضيف ، فقال له : أشبعت؟ قال : لا ، قال : لأنك لم تذكر اسم الله عليه ، قال : وكيف أذكر اسم الله الطيب ، على قرصك اليابس الخبيث؟ .

ومر أعرابى وبيده رغيف بغلام بيده سيف ، فقال له : يا غلام ، بعنى ذلك السيف بهذا الرغيف ، قال : ويلك ، مجنون أنت؟ كيف أبيعك سيفا برغيف؟ قال الأعرابى : لعن الله شرهما فى البطن .

ولقى أعرابى أعرابيا ، فقال له : من أين أقبلت؟ قال : من خلفى ، قال : وأين تريد؟ قال : أمامى ، قال : كيف العشب؟ قال : رطب ويابس ، قال : كيف الماشية؟ قال : ضأن ومعز ، قال : ممن أنت؟ قال : من أم وأب .

وولى أعرابى موضعا ، فلم يحدث فى ذلك الموضع حادثة يرتفق بها ، فلما طال عليه ذلك ، جمع اليهود ، وقال لهم : ما الذى فعلتم بالمسيح؟ قالوا : قتلناه وصلبناه ، قال : والله ، لاتبرحوا حتى تؤدوا ديته ، فما برحوا حتى أدوا ما طلب منهم .

وكان أعرابى واليا على اليمامة ، فإذا اختصم إليه خصمان فى شىء ، يشكل الحكم فيه ، يحبسهما حتى يصطلحا ، ويقول : جزاء ذى اللبس الحبس .

واستعمل أعرابى على بعض كور خراسان ، فلما كان يوم الجمعة صعد المنبر ، وقال : الحمد لله ، فأرتج عليه ، فقال : أيها الناس ، إياكم والدنيا ، فإنكم لن تجدوها إلا كما قال الله تعالى :

ومــا الدُّنْيــا ببــاقــيــةٍ لِحَيٍّ ولا حَيٌّ على الدنيـا ببــاقى[1]

فقال له كاتبه : أصلح الله الأمير ، هذا شعر ، وليس من كلام الله ، قال : فالدنيا باقية على أحد؟ قال : لا ، قال : أفيبقى عليها أحد؟ قال : لا ، قال : فيكفيك إذن .

وشهد[2] أعرابى على رجل بشىء لم يره منه ، فقال : ويحك ، تشهد بشىء لم تره منى؟ قال : نعم ، كما أشهد أنك ابن أبيك ، ولم أر أباك حين عملك فى أمك .

(١) البيت من الوافر ـ والحكاية لها نظير سبق فى هذا الباب .

(٢) مرت هذه النادرة من قبل .

وسئل أعرابى عن مسـألة فــى الفرائض ، ففكر ساعة ، ثم قال : انظروا هل مات مع هذا الميت أحد من قرابته؟ فقالوا : ولم؟ فقال : لأن هذه الفريضة لا تصح إلا بموت آخر .

وقال أبو العيناء لأعرابى : إن الله محاسبك ، فقال الأعرابى : سررتنى ؛ إن الكريم إذا حاسب تفضل .

وقال الأصمعى : حضر أعرابى عند الحجاج ، فقدم إليه فالوذج ، فلما أكل الأعرابى منه لقمة ، قال الحجاج : من أكل هذا ضربت عنقه ، فامتنع الناس ، فجعل الأعرابى ينظر إلى الحجاج مرة وإلى الطعام مرة ، ثم قال : أوصيك بالصبية خيرا ، وأتى على الأكل ، فضحك الحجاج حتى استلقى على ظهره ، وأمر له بجائزة .

وقال الأصمعى : دخل أعرابى من فزارة بعد المغرب ، وأنا أتعشى ، فقلت : العشاء ، قال : إنى صائم ، فقلت : قد دخل الليل ، قال : قد علمت ، ولكنى وجدت صوم الليل أهون من صوم النهار ، وهما جميعا واحد ، ولن يكلف الله نفسا إلا وسعها .

وقال الأصمعى : سألت أعرابيا عن شهر رمضان ، كيف صاموه؟ قال : تجرد منا ثلاثون رجلا ، فصام كل واحد يومه .

وذكر(١) قوم قيام الليل وما فيه من الأجر ، وعندهم أعرابى ، فقالوا له : يا أعرابى ، أتقوم الليل؟ قال : إى والله ، أقوم أبول وأرجع .

وقيل لأعرابية : ما صفة . . . عندكم؟ قالت : قصبة ينفخ فيها الشيطان ، فلا يرد أمره .

وشهد أعرابى عند معاوية ، فقال له معاوية : كذبت ، فقال الأعرابى : الكاذب ، والله ، المتزمل فى ثيابك ، فضحك معاوية ، وقال : هذا جزائى .

وقيل لأعرابى : أتقرأ شيئا من القرآن؟ قال : نعم ، أم القرآن ، ومدحة الرب ، وهجاء أبى لهب .

---

(١) وردت فى : أخبار الحمقى والمغفلين ـ ص ١١٢ .

وضل لأعرابى[١] جمل ، فجعل ينشده ، ويقول : من وجده فهو له ، فقيل له : لم تطلبه وقد وهبته لواجده؟ فقال : وأين لذة الوجدان؟ .

وضل لأعرابى جمل ، فحلف بالله إن وجده باعه بدرهم ، فوجده ، فلزمه بيعه ، فشد فى عنق الجمل سنورا ، وقال السنور بمائة درهم ، والجمل بدرهم ، ولا أبيعهما إلا معا .

وجمع أعرابى[٢] أولاده ، وقال : يابنى ، أوصيكم بالناس شرا ، كلموهم شزرا ، وأطعموهم نزرا ، ولا تقبلوا لهم عذرا ، ولا تقيلوا لهم عثرة ، ولا ترحموا لهم عبرة ، وقصروا الأعنة ، واشحذوا الأسنة ، وإياكم والوهن ؛ فيطمع الناس فيكم .

وقرأ أعرابى فى الصلاة[٣] : إنا بعثنا نوحا إلى قومه ، فقال له رجل من خلفه «إنا أرسلنا نوحا إلى قومه» فقال : والله ما يفرق بينهما إلا جاهل .

وسقط أعرابى عن بعير ، فانكسرت أضلاعه . فأتى الجبر ، فقال له : خذ زبيبا ، وانزع عجمه وأقماعه ، ودقه واعجنه بعسل ، وضمد به الموضع ، فقال الأعرابى : من داخل أضمده أو من خارج؟ قال : اجعله حيث تعلن أنه ينفعك .

وقيل لأعرابى ، وقد رئى مغتما ، ما شأنك؟ قال : سوء الحال ، وكثرة العيال ، قيل : لاتغتم ؛ فإنهم عيال الله ، قال : قد صدقتم ، ولكن كنت أحب أن يكون الوكيل عليهم غيرى .

وشوى لأبى جعفر الهاشمى دجاج ، ففقد فخذا من دجاجة ، فأمر فنودى فى داره : من هذا الذى تعاطى فعقر ، والله ، لا أخبز فى هذا التنور شهرا أو يرد ، فقال ابنه الأكبر : ﴿أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا﴾[٤] .

---

(١) أخبار الحمقى والمغفلين .

(٢) لعل أمثال هذه النادرة المرة كانت ـ إلى جانب طبع المازنى ـ وراء سخريته القانطة من الناس ، انظر قصيدته «وصية» فى ديوانه ، وانظر كتابنا المازنى شاعرا .

(٣) وردت فى أخبار الحمقى والمغفلين ، ص ١١١ ، مع تغيير فى نهايتها ، لأن الإمام هنالك ارتج عليه مع قراءته الصحيحة ، فقال له من خلفه : لم يذهب نوح فأرسل غيره وأرحنا والآية فى سورة نوح ـ رقم ١ .

(٤) سورة الأعراف ـ الآية ١٥٥ .

ورأى[١] أعرابى رجلا سمينا ، فقال له : إنى أرى عليك قطيفة من نسج أضراسك .

وحضر أعرابى على مائدة المغيرة ، فجعل يأكل ويتعرق ، فقال المغيرة : يا غلام ، ناوله سكينا ، فقال الأعرابى : كل امرئ سكينه فى رأسه .

وغزا[٢] أعرابى مع رسول ﷺ فقيل له : ما سمعت من رسول الله ﷺ فى غزوتك هذه؟ قال : حط عنا نصف الصلاة ، وأرجو فى غزوة أخرى أن يضع عنا النصف الآخر .

وشهد[٣] أعرابى على رجل وامرأة ، فقيل له : رأيته داخلا وخارجا كالمرود فى المكحلة؟ قال : لا ، والله ، ما كنت أرى هذا لو كنت جلدة استها .

وقيل[٤] لأعرابى : ألا تغزوا الأعداء؟ قال : كيف يكونون لى أعداء ، وأنا لا أعرفهم ولا يعرفوننى ؟

وقيل[٥] لآخر : ألا تجاهد فى سبيل الله؟ فقال : والله ، إنى لأبغض الموت على فراشى ، فكيف آتيه ركضا ؟ .

---

(١) وردت فى العقد الفريد ـ جـ ٢ ص ٨٦ .
(٢) وردت فى العقد الفريد ـ جـ ٢ ص ٨٦ .
(٣) لها شبيه فى البيان والتبيين ـ جـ ٤ ص ٦ مع خلاف يسير .
(٤) المصدر السابق . ووردت فى البيان والتبيين ـ جـ ٤ ص ١٩ .
(٥) المصدر السابق .

فصل فى المتنبئين

قال أبو الطيب[1] اليزيدى : أخذ رجل ادعى النبوة في أيام المهدى ، فأدخل عليه ، فقال له : أنت نبى؟ قال : نعم ، قال : وإلى من بعثت؟ قال : أو تركتمونى أذهب إلى أحد؟ ، ساعة بعثت ثقفتمونى فى السجن ، فضحك المهدى وخلى سبيله .

وادعى آخر[2] النبوة بالبصرة ، فأتى به سليمان بن على مقيدًا ، فقال له : أنت نبى مرسل؟ قال : أما الساعة ، فإننى نبى مقيد ، قال : ويلك ، من بعثك؟ قال : ما هذه مخاطبة الأنبياء يا ضعيف العقل ، والله لولا أنى مقيد لأمرت جبريل يدمدمها عليكم ، وقال : والمقيد لا تجاب دعوته؟ قال : نعم ، الأنبياء خاصة إذا قيدوا لايرتفع دعاؤهم ، فضحك سليمان ، وقال : إنى أطلقك الآن ، فأْمر جبريل ، فإن أطاعك آمنا بك وصدقناك ، قال صدق الله حيث يقول ﴿فَلاَ يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الأَلِيمَ﴾[3] فضحك سليمان ، وسأل عبدالله بن حازم[4] عنه فشهد له أنه ممرور ، فخلى سبيله .

وقال [5] خلف بن خليفة : إنى لجالس فى مجلس عبدالله بن حازم ببغداد ، وإذا بجماعة قد أحاطوا برجل ادعى النبوة ، فقال له عبدالله بن حازم : أنت نبى؟ قال : نعم ، قال : فإلى من بعثت؟ قال : إلى الشيطان الرجيم ، فضحك عبدالله ، وقال : دعوه يذهب إلى الشيطان الرجيم .

وقال [6]ثمامة بن أشرس صاحب المأمون : كنت فى السجن فأدخل علينا رجل ذو هيئة جميلة ومنظر حسن ، فقلت له : من أنت ـ جعلت فداك ـ؟ قال : أنا نبى مرسل ، قلت : فهل عندك دليل؟ فإنك تعلم أن النبوة لا تقبل إلا بالأدلة ، قال : نعم ، معى أكبر الأدلة ، ادفعوا إلى امرأة ؛ فإنى أحبلها لكم فتأتى بولد ذكر ، يشهد لى بالرسالة .

---

(١) وردت فى العقد الفريد ـ جـ ٣ ـ ص ٢١٥ ، وفيه (أبو الطيب الربذى) .

(٢) المصدر السابق .

(٣) سورة يونس الآية ٨٨ .

(٤) «عبدالله بن حازم» من [س] .

(٥) وردت فى العقد الفريد ـ جـ ٣ ص ٢١٦ .

(٦) المصدر السابق .

وقال [(١)]محمد بن غياث : رأيت فى أيام الرشيد جماعة ، قد أحاطوا برجل له هيئة حسنة ، فقلت : ما قصة هذا؟ قالوا : ادعى النبوة ، قلت : كذبتم عليه ، مثل هذا لا يدعى الباطل[(٢)] ، فرفع رأسه إلى وقال : وما علمك أنهم قالوا على الباطل؟ قلت : فأنت نبى؟ قال : نعم ، قلت : وما دليلك على ذلك؟ قال : دليلى أنك ولد زنى ، قلت : نبى يقذف المحصنات؟ قال : لهذا بعثت ، قلت : أنا كافر بما بعثت به ، قال : ﴿مَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ﴾[(٣)] فإذا بحصاة قد وقعت على رأسه ، فرفع رأسه إلى السماء ، وقال : ما أردتم بى خيرا ، إذا طرحتمونى فى أيدى هؤلاء الجهال .

وقال محمد[(٤)] بن غياث أيضًا : ادعى النبوة في أيام المأمون رجل ، فقال المأمون ليحيى بن أكثم : امض بنا مستترين حتى ننظر إلى هذا الرجل ، وإلى دعواه ، فركبا فى الليل متنكرين ، ومعهما خادم ، حتى ضربا عليه الباب ، وكان مستترا بمذهبه ، فقال : من أنتما؟ قالا : رجلان يريدان أن يسلما على يديك ، ففتح لهما ودخلا ، فجلس المأمون عن يمينه ويحيى عن يساره ، فقال له المأمون : إلى من بعثت : قال : إلى الناس كافة ، قال : فيوحى إليك ، أم ترى فى المنام أم تناجى؟ قال : أناجى وأكلم ، قال : ومن يكلمك؟ قال : جبريل ، قال : ومتى يكون عندك؟ قال : أول الليل قبل مجيئكم بيسير ، قال : فما قال لك؟ قال : إنه سيدخل عليك رجلان ، فيجلس أحدهما عن يمينك ، والآخر عن يسارك والذى يجلس عن يسارك ألوط خلق الله ، قال المأمون : أشهد أنك رسول الله ، وضحك من قوله ، وخرجا من عنده .

وحدث[(٥)] بعض الكوفيين قال : بينما أنا جالس فى منزلى ، إذ جاءنى صديق لى فقال : إنه ظهر بالكوفة رجل يدعى النبوة ، فقم بنا إليه نكلمه ونعرف ما عنده ، فقمت معه إلى أن دخلنا عليه ، فإذا شيخ خراسانى ، أخبث من رأيت على وجه الأرض ، فقال صاحبى ، وكان أعور : دعنى حتى أسائله ، قلت : افعل ، قال له : جعلت فداك - من أنت؟ قال : نبى ، قال : وما دليلك؟ قال : أنت أعور من عينك اليمنى ، فاقلع عينك

(١) المصدر السابق ، وفيه «محمد بن عتاب » ، وفى كل هذه النقول تصرف . من ابن عاصم .

(٢) فى [س] مثل هذا لايدعى النبوة ، وهى هنا أدق نظرا للجواب ، وهى فى العقد كما فى المتن .

(٣) سورة الروم - الآية ٤٤ .

(٤) وردت فى العقد الفريد - جـ ٣ ص ٢١٦ .

(٥) وردت فى العقد الفريد - جـ ٣ ص ٢١٦ - ٢١٧ .

اليسرى ، حتى تصير أعمى ، وادعنى فنرد عليك بصرك ، فقلت لصاحبى : أنصفك الرجل ، فاقلع عينك[(١)] ، قال : اقلع أنت عينيك جميعا وخرجنا من عنده .

وأتى المأمون[(٢)] برجل يدعى النبوة ، فقال له : ألك علامة؟ قال : نعم ، علامتى أن أعلم ما فى نفسك ، قال : قربت على ، فما فى نفسى؟ قال : فى نفسك أنى كذاب ، قال : صدقت ، وأمر به إلى السجن ، فأقام فيه أياما ثم أخرجه ، فقال : أوحى إليك شىء؟ قال : لا ، قال : ولم؟ قال : الملائكة لا تدخل السجن ، فأمر بإطلاقه .

وتنبأ[(٣)] رجل ، وتسمى نوحا صاحب الفلك ، وذكر أنه سيكون طوفان على يديه يهلك الناس إلا من اتبعه ، ومعه صاحب له قد آمن به وصدقه ، فأتى به الوالى ، فلم يتب ، فأمر به فصلب ، وأتى بصاحبه فتاب ، فناداه من الخشبة يا فلان ، أسلمتنى في مثل هذه الحال؟ قال له : يانوح ، قد علمت أنه لايصحبك من السفينة إلا الصارى .

و[(٤)]تنبأ رجل في أيام المأمون ، فقال : يا ثمامة ، ناظره ، فقال : ما أكثر المتنبئين فى دولتك يا أمير المؤمنين فهون[(٥)] عليك ، ثم التفت إلى المتنبئ ، فقال : ما دليلك على نبوتك؟ قال : تحضر لى امرأتك يا ثمامة ، فأنكحها بين يديك فتلد غلاما ينطق بالمهد ، ويخبرك أنى نبى ، قال ثمامة : أشهد أنك رسول الله ، قال له المأمون : ما أسرع ما آمنت به ، قال : وأنت يا أمير المؤمنين ، ما أهون عليك أن ينكح امرأتى على بساطك ، فضحك المأمون وأطلقه .

وادعى رجل[(٦)] النبوة فى أيام المهدى ، فأتى به ، فقال له : من أنت؟ قال : نبى ، قال : ومتى تنبأت؟ قال : وما تصنع بالتاريخ؟ قال : فى أى موضع جاءتك النبوة؟ قال : وقعنا فى شغل ، ليس هذا من مسائل الأنبياء ، إن كان رأيك أن تصدقنى فى كل ما أقول لك فاعمل بقولى ، وإن كنت عزمت على تكذيبى ، فدعنى ، أذهب عنك ، قال المهدى : هذا لا يجوز ، إذ فيه فساد الدين ، قال : واعجبا لك تغضب لفساد دينك ، ولا أغضب

---

(١) «عينك زيادة من [د] .

(٢) المصدر السابق ص ٢١٧ .

(٣) وردت فى العقد الفريد ـ جـ ٣ ـ ص ٢١٧ .

(٤) المصدر السابق .

(٥) «فهون عليك» زيادة من [س] .

(٦) العقد الفريد ـ جـ ٣ ـ ص ٢١٥ .

لفساد نبوتى ، وأما والله ، ما قدرت على إلا بمعن بن زائدة ، والحسن بن قحطبة وما أشبههما من قوادك ، وكان عن يمين المهدى شريك القاضى ، فقال له : ما تقول فى هذا النبى؟ قال : شاورت هذا فى أمرى ، ولم تشاورنى فى أمره ، قال له القاضى : هات ما عندك ، قال : أخاصمك بما جاء به من قبلى من الرسل ، قال القاضى : قد رضيت ، قال : أكافر أنا عندك أم مؤمن؟ قال : كافر ، قال : فإن الله تعالى يقول : ﴿**وَلَا تُطِعِ الكافرين والْمُنافقين وَدَعْ أَذاهُمْ**﴾(١) فلا تطعنى ولا تؤذنى ، ودعنى أذهب إلى الضعفاء والمساكين ؛ فإنهم أتباع الأنبياء ، وادع الملوك والجبابرة ؛ فإنهم حطب جهنم ، فضحك المهدى وخلى سبيله .

وقال ثمامة(٢) بن أشرس : شهدت المأمون ، وأتى برجل يدعى النبوة ، وأنه إبراهيم الخليل ، فقال المأمون : سمعتم أجرأ على الله من هذا؟ فقلت له : يا هذا إن إبراهيم ـ عليه السلام ـ كانت له براهين ، قال : وما براهينه؟ قلت : أضرمت له نار ، فألقى فيها ، فصارت عليه بردا وسلاما ، ونحن نضرم لك نارا ، ونطرحك فيها ، فإن كانت عليك كما كانت على إبراهيم عليه السلام آمنا بك ، قال : هات ما هو أقرب من هذا ، قلت : فبراهين موسى عليه السلام ، قال : وما كانت؟ قلت : عصاه التى ألقاها فصارت حية تسعى ، وضرب بها البحر فانفلق ، قال : هذا صعب ، هات ما هو أقرب من هذا ، قلت فبراهين عيسى عليه السلام ، قال : وما هى؟ قلت : كان يبرئ الأكمه والأبرص ، ويحيى الموتى ، قال : ما معى من هذا كله شىء ، وقد قلت لجبريل : إنكم توجهوننى إلى شياطين ، فأعطونى حجة أذهب بها إليهم ، وأحتج بها عليهم فغضب على وقال : بدأت بالشر ، اذهب الآن ، فانظر ماذا يقول لك القوم ، قلت : هاجت بى مرارة يا أمير المؤمنين ، قال : قد صدقت فدعه .

وتنبأ رجل بخراسان فأتى به العامل ، فقال : من أنت؟ قال : نبى ، قال وما صناعتك؟ قال حائك ، قال : فنبى حائك؟ قال له : فأردت أنت صيرفيا؟ ﴿**اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ**﴾(٣) فضحك منه وأمر بإطلاقه .

---

(١) سورة الأحزاب ـ الآية ٤٨ .

(٢) وردت فى العقد الفريد ـ جـ٣ ص ٢١٥ .

(٣) سورة الأنعام الآية ١٢٤ .

الباب الثالث

فى أخبار المغفلين وأهل البله

وما يحكى عن المجنونين ، ومن لا عقل لهم

قال بعضهم : أردت النكاح ، فقلت : لأستشيرن أول من يطلع على ، فأعمل برأيه ، فأول من طلع على هبنقة القيسى الأحمق ، وهو راكب على قصبة ، فقلت له : إنى أستشيرك فى النكاح ، قال : البكر لك ، والثيب عليك وذات الولد لا تقربها ، واحذر فرسى ؛ لئلا يضربك ، فلم أر أعقل منه فى هذا الكلام .

وحكى بعض الناس قال : دخلت حمص ، وفى فمى درهم لأشترى بعض ما أشتهى ، فإذا برجل بباب المسجد ، جالس على كرسى ، وعلى رأسه عمامة ، وقد تقلد سيفا ، وفى حجره مصحف يقرأ فيه ، وإلى جانبه كلب رابض يمسكه بحبل ، فسلمت عليه ، وقلت له : أترى القوم صلوا؟ فقال لى : يا أحمق ، وأنت أعمى أما ترانى قاعدا؟ قلت : من أنت؟ قال : أنا خالد إمام المسجد ، قلت : مع هذه الحلية؟ قال : نعم ، ورد رجل زنديق ، يقرأ السبع الطوال ، ويشتم أبا بكر الصناديقى ، وعمر القواريرى ، وعثمان بن أبى سفيان ، ومعاوية بن أبى غسان ، الذى هو فى حملة العرش وزوجه النبى ﷺ بنته فى زمن الحجاج بن يوسف ، فاستولدها الحسن والحسين ، قلت : ما أعرفك بالتاريخ والأنساب ، قال : وما خفى عليك أكثر ، قلت : أتحفظ القرآن؟ قال : نعم ، قلت : فاقرأ شيئا منه ، قال : بسم الله الرحمن الرحيم ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ﴾[1] ﴿لاَ تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا﴾[2] ﴿وَأَكِيدُ كَيْدًا (١٦) فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا﴾[3] فرفعت يدى فصفعته صفعة سقطت بها عمامته ، فصاح بالناس : احملوه إلى إلى المحتسب ، فأوصلونى إلى رجل حاسر حاف ، قد لبس دراعة بلا سراويل ، فقال : ما فعل هذا؟ قال : صفع إمام المسجد ، قال : يا مسكين ، هلكت نفسك ، قلت : هذا حكم الله فصبرا عليه ، فقال : أيما أحب إليك سمل عينيك ، أو قطع يديك ، أو تدفع نصف درهم؟ فرفعت يدى ، وصفعت المحتسب صفعة شديدة ، ثم أخرجت

---

(١) سورة لقمان ـ الآية ١٣ .

(٢) سورة يوسف ـ الآية ٥ .

(٣) سورة الطارق ـ الآية ١٦ - ١٧ .

الدرهم من فمى ، وقلت : يا سيدى ، خذ نصف درهم لك ، ونصفه لإمامك ، وانصرفت ، وبأهل حمص يضرب المثل فى الحمق .

وحدث الزبير عن عبدالملك الهاشمى قال : مررت ببعض المعلمين ، ويعرف بكسرى ، فرأيته يصلى بصبيان صلاة العصر ، فلم أزل واقفا أنظر إليه ، فلما ركع أدخل رأسه بين رجليه ؛ لينظر ما يصنع الصبيان خلفه ، فرأى صبيا يلعب ، فقال له ، وهو راكع : يا ابن البقال ، إنى أرى ما تصنع .

وقال الجاحظ[١] : مررت بمعلم ، وقد كتب على لوح صبى : ﴿قَالَ يَا بُنَيَّ لاَ تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا﴾ ﴿وَأَكِيدُ كَيْدًا (١٦) فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا﴾ فقلت : ويحك أتدخل سورة فى سورة ؟ قال : نعم ، عافاك الله ، إن والده يدخل أجرتى شهرا فى شهر ، وأنا أيضًا أدخل سورة فى سورة فلا أنا آخذ شيئا ، ولا الصبى يتعلم شيئا .

وقال أبو بكر القبطى[٢] : مررت بمعلم ، وهو يملى على صبى بين يديه : «فريق فى الجنة وفريق فى الشعير» فقلت له : ما هذا؟ ما قال الله من هذا كله شيئا ، إنما قال : ﴿فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ﴾[٣] فقال : أنت تقرأ على حرف ابن عاصم بن العلاء الكسائى ، وأنا أقرأ على حرف أبى حمزة بن عاصم المدنى ، فقلت : معرفتك بالقراء ، أعجب من معرفتك بالقراءة .

وحكى الجاحظ قال : كان بالمدينة معلم يفرط فى ضرب الصبيان ، فلاموه فى ذلك ، فساء حاله معهم ، فجلست عنده يوما ، فاستفتح صبى فقال : يا سيدى ﴿وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ﴾[٤] ، فقال المعلم : بل عليك وعلى والدك ، وقال له الآخر : يا سيدى : ﴿فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ﴾[٥] ما بعده ، قال : ذلك أبوك السجان .

---

(١) تكررت من قبل فى الحدائق ، وإن كانت هنا مزيدة بأملوحة أخرى ، وقد وردت بهذه الزيادة فى أخبار الحمقى والمغفلين ـ ص ١٣٧ .

(٢) وردت فى أخبار الحمقى والمغفلين ـ ص ١٣٥ .

(٣) سورة الشورى ـ الآية ٧ .

(٤) سورة الحجر ـ الآية ٣٥ .

(٥) سورة الحجر ـ الآية ٣٤ .

وقال[1] الجاحظ : وخرجنا مرة إلى حرب ، ومعنا معلم كان يقول : إنى أتمنى أن أرى الحرب ، فأخرجناه معنا ، فأول سهم وقع فى رأسه ، فلما انصرفنا ، دعونا له معالجا ، فنظر إليه فقال : إن خرج الزج ، وفى رأسه شىء من دماغه مات ، وإن لم يخرج من دماغه شىء ، لم يكن عليه بأس ، فسبق إليه المعلم ، وقبل رأسه وقال له : بشرك الله بكل خير ، انزعه ؛ فما فى رأسى من دماغ ، قال الحجام[2] : ولم؟ قال : لأنى معلم ، وما فى رءوس المعلمين ذرة من دماغ ، ولو كان فى رأسى ذرة من دماغ ما كنت ها هنا .

وقال غيره : كان فى دربنا معلم طويل اللحية ، فكنت أجلس إليه كثيرا ، فجئته يوما ، وبين يديه صبى ، يقول له : ويلك ، الدجلة من حفرها؟ قال : عيسى بن مريم ، قال : فالجبل من خلقه؟ قال : موسى بن عمران ، قال : فالبعر من دوره فى است الجمل؟ قال : شيطان ، قال : أحسنت ، فآدم من أبوه؟ قال : نوح ، قال : أحسنت ، فقلت : ياسبحان الله ، أليس آدم أبا البشر؟ قال : نعم قلت : فكيف يكون نوح أباه؟ قال : ويلك ، أتعرفنى بآدم؟ وأنا أبوعبدالله المعلم ، يا صبيان ، كرفسوه ، فكرفسونى بالبزاق ، حتى صرت أبلق ، فحلفت ألا أقف على معلم أبدا .

وقال الجاحظ : أتت امرأة إلى معلم بولدها ، وكان المعلم طويل اللحية ، براق العينين ، قبيح الوجه ، فقالت : إن هذا الصبى عازم ألا يطيعنى ، فأحب أن تفزعه ، فأخذ المعلم لحيته ، وألقاها فى فمه ، ونفخ شدقيه ، وبرق عينيه ، وحرك رأسه ، وصاح صيحة ، فضرطت المرأة من الفزع ، وقالت : إنما قلت لك : أفزع الصبى ، لا إياى ، قال لها : مرى يا حمقاء ؛ إن البلاء إذا نزل أهلك الصالح والطالح .

وقال الأصمعى : مررت بمعلم بالبصرة يضرب صبيا ، ثم أقام الصبيان صفا وجعل يدور عليهم ويقول : اقرأوا ، فلما وصل إلى الصبى المضروب قال للذى إلى جانبه : قل له : يقرأ ؛ فإنى لست أكلمه .

وقال طلحة بن عبيد الله : دخلت يوما على كثير فى نفر من قريش ، وكان كثيرا ما نهزأ به لحمقه ، فقلنا له : كيف تجدك يا صخر؟ وكان مريضا ، فقال : بخير ، هل سمعتم

(١) وردت نظائر لهذه الحكاية فى الأدب الإسبانى ، انظر : تأثيرات عربية فى حكايات إسبانية ـ ص ٣٥ - ٣٩ .

(٢) أخلت [د ، س] بهذه العبارة : قال الحجام إلى قوله : ومافى رءوس المعلمين ذرة من دماغ .

الناس يقولون شيئا؟ قلت : نعم : سمعت الناس يتحدثون أنك الدجال ، قال : أما والله ، إنى لأجد في عينى ضعفا منذ أيام .

وقال الأصمعي : كان أبو حية النمرى جبانا مع حمق وبله فيه ، وكان له سيف سماه لعاب المنية ، فدخل تحت سريره كلب ، فظن أنه لص ، وسمعه جار له وهو يقول : أيها المغتر المجترئ علينا ، بئس ما اخترت لنفسك ، خير قليل ، وسيف صقيل ، وهو لعاب المنية الذى سمعت به ، مشهورة ضربته ، لا تخاف نبوته ، اخرج بالعفو عنك ، قبل أن أدخل بالعقوبة عليك ، إنى إن أدع قيسا ملأت الأرض عليك خيلا ورجالا ، سبحان الله ، ما أكرمها وأطيبها ، وخرج الكلب ، فقال أبو حية : الحمد لله الذى مسخك كلبا ، وكفانى حربا .

وقال الشعبى : ما شبهت تأويل الروافض إلا بتأويل رجل مضعوف من بنى مخزوم من أهل مكة ، وجدته قاعداً بفناء الكعبة ، فقال لى : يا شعبى ، ما عندك فى تأويل هذا البيت؟ :

بيتٌ زُرارةُ مُـــحْـــتَـبٍ بِفِنـائهِ ومُجاشعٌ وأبو الفوارسِ نَهْشَلُ(١)

فإن بنى تميم يغلطون فيه ، ويزعمون أنه إنما قيل فى رجال منهم ، فقلت له : وما عندك أنت؟ قال : البيت هو هذا البيت ، وأشار إلى الكعبة ، وزرارة الحجر زر حول البيت ، ومجاشع زمزم ، جشع بالماء ، وأبو الفوارس هو أبو قبيس جبل مكة ، قلت له ، فنهشل؟ قال : هذا أشدها ، ففكر طويلا ثم قال : قد أصبته ، هو مصباح البيت طويل أسود ، وهو النهشل .

وقال رجل لغلامه : أي يوم صلينا الجمعة؟ ففكر ساعة ، وقال : يوم الثلاثاء .

وكان الجصاص يسبح فى كل يوم ، فيقول : نعوذ بالله من نعمه ، ونتوب إليه من إحسانه ، ونسأله عوائق الأمور ، سبحان الله وحسبى الله والملائكة الكرام ، اللهم ادخلنا من دعائه فى بركة القصور على قبورهم ، سبحان الله ، قبل الله(٢) ، سبحان الله .

---

(١) البيت من الكامل ـ الفرزدق ـ طبقات فحول الشعراء ـ السفر الأول ـ ص ٣٩٠ . ووردت الحكاية فى العقد الفريد ـ جـ٣ ص ٢٢٤ ـ وقوله : «رجل مضعوف» رواية [د] .

(٢) فى [د] قوله : قبل الله . بعد سبحان الله الأولى كما هو هنا ، وشطبت مرتين ، وفى [ح] دون شطب ، وفى [س] قوله : بعد الله ، وقد جاءت بعد سبحان الله الأولى ، والحكاية واردة فى : أخبار الحمقى والمغفلين ـ ص٤٦ .

وركب أحمقان فى زورق واحد ، فتحركت الريح ، فقال أحدهما : غرقنا ، والله ، فقال الآخر : قل : إن شاء الله ، قال : لا أستثنى .

وقال الجاحظ : دخلت على مؤدب ، ورأسه فى حجر صبى ، وفى أذنه خرقة معلقة ، وكان المؤدب أصلع ، والصبى يكتب فى رأسه ، ويمحوه بالخرقة ، ثم يكتب مرة أخرى ، فقلت له : ما هذا الذى يصنع الصبى فى رأسك؟ قال لى : يا فلان ، هذا الصبى يتيم ، وليس له لوح ، ولا ما يشتريه ، فأنا أعطيه رأسى يكتب فيه ؛ ابتغاء ثواب الله .

وكان فى زمان ابن عباد أحمق ، يخرج كل يوم إلى السوق ، وينادى بأعلى صوته : أغنى الله الأغنياء ليشكروا ، فلم يشكروا ، وأفقر الفقراء ليصبروا ، فما صبروا ، حرم هؤلاء وحرم هؤلاء .

وكان أحمق يمشى فى الأسواق فى زمان البرد ، ويصيح : ما هذا صواب ، ولا فى المدينة احتساب ، يؤخذ الحر كله ويجعل فى الحمامات ، وتترك الدنيا بالبرد .

وخطر[1] أحمق بغرناطة الآن ، ويعرف بفاضت ، على جماعة ، فقالوا له : فاضت ، قال : إي والله ، فاضت ، إن زرادا وقميصا ويحيى ماتوا وبقى البلد كله على أكتافى .

وسئل رجل كان ينظر فى الفرائض ، عن فريضة ، فالتمسها فى كتابه ، فلم يجدها ، فقال : هذا الرجل لم يمت ، ولو كان مات لوجدت ذلك فى كتابى .

وقيل لرجل : كيف برك بأمك؟ قال : ما ضربتها ـ والله ـ بسوط قط .

وقيل لأبى مروان عبدالملك[2] : لأى شىء تزعم أن أبا على الإسوارى أفضل من سلام بن المنذر؟ قال : لأنه لما مات سلام بن المنذر مشى أبو على فى جنازته ، ولما مات أبو على لم يمش سلام فى جنازته .

وأراد[3] أبو سنان الحج ، فبكى أولاده ، فقال لهم : لا تبكوا ؛ فإنى أرجو أن أضحى عنكم .

---

(١) هذه النادرة من [د ، س] وأخلت بها [ح] .

(٢) وردت فى البيان والتبيين ـ جـ ٢ ص ٢٣٤ ، وفيه : وقيل لأبى عبدالملك .

(٣) وردت فى المصدر السابق ـ جـ ٤ ص ١٥ ، بلفظ : أبو شيبان ، وتكررت فى الحدائق مع وهب الصيدلانى ، ووردت فى أخبار الحمقى والمغفلين ـ مع زيادات ـ ص ٤٥ .

وقال الجاحظ : شيعت عبدالعزيز المخزومى قاضى مكة إلى منزله ، وبباب المسجد مجنونة تصفق وتقول : أرق عينى ضراط القاضى ، فقلت له : أظنه قاضى مكة .

وركب بعض المحدثين فى سفينة ، ومعه فى السفينة نصرانى فتغديا ، ثم استخرج النصرانى ركوة فيها شراب ، فصب منه فى كأس وشرب ثم صب فيها وعرضها على المحدث ، فأخذها وشربها من غيركأس فقال له النصرانى : إنما عرضت عليك كما يعرض الناس على الناس ، إنما هى خمر ، قال : ومن أين علمت أنها خمر؟ قال : غلامى اشتراها من يهودى حلف له أنها خمر ، فشرب مرة أخرى مستعجلا ، وقال له : أنت أحمق ، نحن - أصحاب الحديث - نضعف حديث سفيان بن عيينة وزيد بن هارون ، فكيف نصدق نصرانيا عن غلامه عن يهودى؟ والله ما شربتها إلا لضعف الأسانيد .

وأمر عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - لرجل بكيس فيه دراهم ، مختوم بخيط ، فقال له الرجل : آخذ الخيط معه ، فقال له عمر : دع الكيس وانصرف .

وجاء رجل إلى الحاكم بغلام ، فقال له : اضربه ألف سوط ؛ فإنه شتمنى قال[1] له الحاكم : يموت ، قال : فأضربه نصف سوط ، قال له كيف شتمك؟ قال : قال لى : يا ممسوس ، قال له : صدق ، ما يلزمه شىء .

وكان[2] الأستاذ أبو على الشلوبينى ، على جلالة قدره ، ومعرفته بالنحو ، فيه تغفل ، فتروى عنه أشياء غريبة ، طلع يوما فى زورق بوادى إشبيلية ، مع طلبته ، ومعه كراريس ينظر فيها ، فسقطت له كراسة فى الماء ، فأخذ أخرى يخرجها بها .

وطلع يوما آخر ، فى زورق فى الوادى ، فأعطاه بعض طلبته عنقود عنب ، فألقاه في الماء ، فلما كان بعد ساعة ، وقد ساروا فى الوادى نحو أربعة أميال ، أدخل يده فى الماء ينظره ، فقالوا له : ماتنظر يا سيدى؟ قال : العنقود الذى أعطيتنى ، كنت جعلته فى الماء يبرد ، فلم أجده .

(١) أخلت [د ،س] بقوله : قال له الحاكم - إلى قوله : نصف سوط .
(٢) وردت فى وفيات الأعيان - جـ ٣ - ص ٤٥١ .

وتقدم يوما يصلى بقوم ، فقرأ فى الركعة الأولى : الحمد لله ، و«قل أعوذ برب الناس» ثم قرأ فى الركعة الثانية : الحمد لله ، وسكت ، فقال رجل من الجماعة : اقرأ أبجد ، فضحك القوم .

وكان إذا جلس يقرئ الطلبة ، ينضم إليهم قليلا قليلا ، وهو لا يشعر ، ثم إذا وصل إلى الذى يليه تذكر ، ورجع إلى موضعه ، فاتفق الطلبة يوما على أن يتأخروا قليلا قليلا ، كلما انضم إليهم ، ففعلوا ، فجعل ينضم إليهم ، وهم يتأخرون عنه ، فلما كان آخر القراءة جاء ليسند على الحائط ، كما كانت عادته ، فسقط على ظهره ووجد نفسه في وسط المسجد .

ونصبوا له يوما القرق ، حين أراد الخروج ، وجعلوه له محولا ، فلبس الفردة وجاء ليلبس الأخرى ، فلم يمكنه ، فنزعها ، ودار فلبس الأخرى ، وجاء يلبس الأخرى ، فلم يمكنه فنزعها ، ودار فلبس الأخرى ، وجاء يلبس الأولى ، فلم يمكنه ، فنزعها ، ولم يزل كذلك ينزع الواحدة ، ويلبس الأخرى ، فرآه صبى صغير يفعل ذلك ، فأخذ الفردة الواحدة ، وصوبها له مع الأخرى ، فقال له : لله درك ! ما أحذقك ، ثم سأله عن والده ، واجتمع معه ، وقال له : دعه يقرأ ؛ فما رأيت أحذق منه .

وجاء يوما ، وعليه ثوب امرأته ، فنظر إليه الطلبة ، وقالوا له : يا سيدى ، ما هذا الثوب؟ فنظر إليه ، وقال : قمت مستعجلا ، فلم أدر ما لبست .

وجاء يوما ، وغفارته محولة ، صدرها من ورائه ، وظهرها أمامه .

وخرج يوما ، وعليه غفارة دون ثوب تحتها ، فلقيه رجل ، فرفع يده ليصافحه ، فظهرت عورته .

وركب يوما بغلة ، يمشى بها إلى جنان بعض أصحابه ، فأخذته الهراقة ، فنزل يبول ، فلما ركب دارت به البغلة ، فسار إلى أن وصل إلى البلدة ، فقال : ما أنا أريد إلا الجنان .

وركب يوما فرسا ، وسار مع الطلبة إلى موضع واحد منهم ، فصادفوا فى الطريق فارسا يجرى ، فجرى الفرس به : فقالوا : شد يدك في اللجام ، فرمى اللجام من يده ، وأخذ بعرف الفرس ، فلم يقف ، فرمى نفسه فى الأرض ، وأسرع الطلبة فرفعوه ، وأخذوا الفرس ،

وقالوا له : يا سيدى ، لو شددت يدك فى اللجام لوقف ، فقال : ما أجهلكم ، هو لم يقف حين شددت يدى بالمتصل ، فكيف بالمنفصل؟

وقال بعضهم : سألت السرجى عن أربعين رأسا من الغنم ، نصفها ضأن ، ونصفها معز ، كم يجب فيها من الزكاة؟ فقال : شاة ، نصفها ضأن ونصفها معز .

وكسر لوزة ، فخرج منها لوزتان ، فقال : سبحان الله الذى يصور فى الأرحام كيف يشاء .

وقيل له : لا تأكل الثلج ؛ فإنه يضر البصر ، فقال : لست أزيد على مصه ، وأرمى تفله .

وقال له غلامه : سرق الحمار ، فقال : الحمد لله الذى لم أكن على ظهره .

ودخل يوما السوق ، ليشترى نعلا لابنته ، فقال له : كم سنها؟ فقال : لا أدرى ، ولكنها فى حجم الشجرة .

وجاء رجل من البادية إلى الحاضرة ، فقالت له زوجته : اشتر لنا حصيرا كاملا ، يفرش من الطارقة ، إلى آخر البيت ، فلما وصل إلى الحاضرة ، قال لصاحب[١] الحصور : أعطنى حصيرا جيدا كاملا يفرش من الطارقة إلى آخر البيت ، فقال له : كم يكون طوله من شبر؟ قال : لا أدرى ، هكذا قيل لى .

وقال بعضهم[٢] : صليت يوما إلى جانب ابن الجصاص ، فسمعته يدعو فى إثر صلاته : اللهم اغفر لى ذنوبى ، ما تعلمه منها ومالا تعلمه .

وقال[٣] : صليت يوما إلى جانبه يوم جمعة ، فلما قال الإمام : ولا الضالين ، قال لى : لعمرى ، أراد بها آمين .

---

(١) أخلت [س] بقوله : قال لصاحب الحصور - إلى قوله : آخر البيت .

(٢) وردت فى أخبار الحمقى والمغفلين - ص ١٦٦ - غير منسوبة .

(٣) وردت فى المصدر السابق - ص ٤٦ - مع نقص فى نهايتها ، ووردت كاملة فى المصدر نفسه ص ٤٨ .

ودخل[١] ابن الجصاص على المقتدر يوما ، والمقتدر قد حلق رأسه ، ودهنه ، فقال : يا أمير المؤمنين : دعنى أقبل رأسك ، قال : دعه الساعة؟ فإن عليه الدهن ، قال : والله ، أقبله ، ولو كان عليه الخرا .

وأخرج يده من الفراش فى ليلة باردة ، ثم أعادها إلى جسده فى ثقل النوم ، فأيقظته ببردها ، فقبض على يده بيده الأخرى وصاح : اللص ، وقد قبضت عليه ، أدركونى ، أدركونى ، لئلا يكون عنده حديد ، فأتوا بالسراج ، فوجدوه وهو قابض علي يده .

ودخل على ابن له قد مات ، فبكى ، وقال كفاك الله يا بنى محنة هاروت وماروت ، فقيل له : وما هاروت وماروت؟ فقال : لعن الله النسيان ، إنما أردت يأجوج ومأجوج فسئل : وما يأجوج ومأجوج؟ قال : فطالوت وجالوت ، قيل له : لعلك تريد منكرا ونكيرا؟ قال : والله ما أردت إلا غيرهما يريد ما أردت غيرهما .

وجاءت[٢] طباخته يوما ، فقال لها : ليس هذا يوم طعام ولا شراب ، فأخبر ولده بذلك ، فأتاه فوجده مفكرا مطرقا ، فقال له : يا أبت ، ما دهاك؟ قال : يا بنى ، فكرت فى أمر ، لو فكرت فيه قبل هذا ما هنأ لى عيش ، قال : وما هو؟ قال : تمنيت على الله أن يخلقنى امرأة ، ويزوجنى من أبى بكر فى الجنة ، فقال له ابنه : فهل تساميت بالأمنية إلى النبى ﷺ ؟ قال : قد كنت ترمى عندى بالرفض ، وأنا أدافع عنك ، والآن صح عندى ، قال : وكيف ذلك؟ قال : لأنك أردت أن أكون ضرة لعائشة رضى الله عنها .

ودخل عليه أهله يوما ، فوجدوه كالميت ، فقالوا له : مالك؟ قال : فكرت فى كثرة مالى ، وكثرة مصادرة السلطان فى هذا الوقت وتعديه ، فغلقت عينى ، حتى أرى كيف صبرى ، فانتشبت ، ولم أقدر على التخلص ، حتى كدت أن أموت ، لولا ما دخلتم علي .

---

(١) المصدر السابق ص ٤٨ ، وثمة أربع صفحات فى هذا المصدر تنكر غفلة ابن الجصاص وتنسبه إلى التطابع ، لا إلى الطبع ، وتذكر نوادر فيها من دهائه شىء كثير ، وحزم عظيم . ويذكرون عنه أنه كان شيخا حسنا طيب المحاضرة ، وليس معنى هذا عدم نسبة هذه النوادر المتغافلة إليه لأنه يقول ـ المصدر المذكور ـ كان ابن الجصاص يطلق بحضرة الوزراء قريبا مما يحكى عنه لسلامة طبع فيه ، ولأنه كان يحب أن يصور نفسه عندهم بصورة الأبله ، ليأمنه الوزراء لكثرة خلواته بالخلفاء ، فيسلم عليهم .

(٢) وردت فى أخبار الحمقى والمغفلين ، ص ٨٧ - ٨٨ . ولكنها منسوبة إلى عيسى بن صالح ، وفيها بعض طول .

وكان المعتضد يقول إذا رأى ابن الجصاص : هذا الأحمق المرزوق .

وقال ابن الجصاص يوما : إنى أتمنى أن أخسر ، فقيل له : اشتر التمر بالكوفة ، وبعه بالبصرة ، فاتفق أن نخل البصرة لم تحمل فى تلك السنة فربح ربحا عظيما .

وكان[1] وهب الصيدلانى أكثر الناس غفلة ، كتب إلى أبيه ، وقد خرج يريد الحج؟ إن قدرت أن تضحى عندنا ؛ للفرح بهذا العيد ، فافعل .

وجاء إلى حجام ، ليأخذ من شعره ، فلما جلس بين يديه ، ذكر أنه نسى منديل كمه ، فقام وقال للحجام : لاتأخذ من شعرى شيئا ، حتى أعود إليك .

وسقطت ابنته فى البئر ، فقال : لاتبرحى ، حتى آتى بمن يخرجك .

وأتاه[2] ساكن فى دار له ، فقال له : قد انفتح الكنيف ، قال : قد رأيته منذ عامين ، فعلمت أنه ينفتح ، ولكنى ما ظننت أنه ينفتح بهذه السرعة ، وإلا كنت أتغداه قبل أن يتعشانى .

وتبخر[3] فى ثيابه فاحترقت ، فحلف بالطلاق ألا يتبخر إلا عريان .

وجاء[4] ليكسر لوزة ، فخرجت من تحت الحجر ، فقال : كل شىء يفر من الموت حتى البهائم .

ووقف مغفل على باب داره يبكى ، فقال له بعض أصحابه : ما شأنك؟ قال ولدى الكبير افتصد ، فغرق المبزق فى ذراعه ، وجرى دمه .

وجاء رجل إلى الواعظ ، وكان مغفلا ، فوجده يبكى بكاء شديدا ، وقال له : ادع الله ؛ فقد ارتكبت أمرا عظيما ، قال : وما هو؟ قال : أريد كتمه عن الناس ، فأدننى منك ، فأدناه وأعطاه أذنه ، فقال : إنى نكحت بقرة ، فأعلى الواعظ صوته وقال : أمنوا على

(١) وردت فى أخبار الحمقى والمغفلين ـ ص ٤٣ ـ وتنسب إلى جحا وأبيه ، وذكرت مرة أخرى فى المصدر المذكور ص ٤٥ منسوبة إلى جامع الصيدلانى .

(٢) المصدر السابق ـ ص ٤٥ .

(٣) وردت فى المصدر السابق ص ٤١ منسوبة لجحا . ونسبة النوادر لجحا شىء متواتر فى الأدب العربى ، كما أن نسبة الشعر العاطفى للمجنون ما دام فيه ذكر ليلى شىء معروف بنفس القدر .

(٤) وردت فى أخبار الحمقى والمغفلين ـ ص ٤٦ ، منسوبة إلى ابن الجصاص .

دعائى ؛ فإنى أدعو الله لهذا الخاطئ أن يتوب عليه ؛ فإنه نكح بقرة ، فغطى الرجل وجهه[1] وانصرف .

وكان أبو علقمة الصوفى ، يجمع الصبيان ويدهن رءوسهم ، ويضرط لهم ، والصبيان يضحكون ، فقيل له فى ذلك ، فقال : ليس لى شىء أعطيهم ، وأحببت أن أفرحهم بهذا ، حتى ينصرفوا مسرورين .

ومر بعض أهل البله بباب شوكى ، فوطئ شوكة ، فدخلت فى رجله ، فقال للشوكى : اجعلنى فى حل ؛ فلست أقدر على إخراجها الساعة ، فأردها لك ، قال : قد جعلتك فى حل .

وكان ابن عبدالنور من أهل ألمرية ، مع فطنته فى العلم ، كثير التغفل يحكى أنه تفقد قدرا كان يطبخ فيه فى بعض متنزهات الطلبة ، فذاقه ، فوجده ناقص الملح ، فزاد فيه غرفة ، وبقى فيه من المرق ما فى المغرفة دون ملح ، ثم عاد وذاق ما بالمغرفة ، فلم يجد طعما ، فزاد إلى أن بلغ الملح بالقدر حيث لا يصلح للأكل ألبتة .

وأدخل يده فى مفجر صهريج ، فصادفت يده ضفدعة كبيرة ، فقال له من حضر : هل وجدت فيه شيئا؟ قال : نعم ، حجر رطب ثم .

وأتى يوما إلى بعض ولاة ألمرية ، وكان له من عتاق الخيل ، فطلبه له ، وقد كان يعلم حاله فى التغفل ، فسأله : ما يصنع به؟ قال : أسقى به فى السانية بعض اليوم فصرفه ، ووجه له دابة بذلك .

واشترى يوما فضلة ملف للباسه ، فبلها فنقص من ذرعها على العادة ، فسار إلى التاجر يطلبه بما نقص ، فأخذ التاجر يبين له العادة ، فلم يقبل منه ، وحمله على الكذب والخيانة .

ونظر بعض أهل البله إلى الهلال ، فقال : ربى وربك الله ، سبحان الله ، خلقك من عود يابس .

---

(١) فى [د] فغطى الرجل وجهه ورأسه وانصرف .

ورقد رجل فى بيته ، فدخلت عليه الشمس من طاق هناك ، فغطى وجهه بكمه ، فجاءت الشمس على كمه ، فغطى كمه بثوب ، فطلعت الشمس على ذلك الثوب ، فقال : هذا شيء لا يغطى .

وتسوق دلال ثوبا لرجل ، فلم يسو له اختياره ، فقال الرجل : أنا أولى برخيصى ، فدفع للدلال ثمنه الذى بلغ ، وأخذ ثوبه .

ودخل رجل على مريض يعوده ، وكان شديد المرض ، فقال له : ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾[1] .

وتوقف إمام في لفظة من القرآن ، فرد عليه شخص بصوت ضعيف ، فقال له آخر : ارفع صوتك ؛ فإنه أصم ، وكانوا جميعا فى الصلاة .

وقال بعضهم[2] : رأيت مؤذنا أذن ، ثم عدا ، فقلت : إلى أين؟ قال : أنظر إلى أذانى إلى أين بلغ .

وقال[3] : رأيت مؤذنا آخر قد أذن ، ثم ذهب ، فقلت : إلى أين؟ قال : أسمع أذانى من بعيد .

وكان مؤذن يؤذن ، وفى يده رقعة ، فسقطت من يده ، فاحتملتها الريح ، فجعل يجرى وراءها ويقول : أمسكوا أذانى ، أمسكوا أذانى .

واختصم رجلان فى جارية مملوكة ، فوضعوها على يد مؤذن ليلة ، فلما أصبح قال المؤذن : ذهبت الأمانة من الناس ، قيل له : وكيف ذلك؟ قال : أودعوا هذه الجارية عندى على أنها بكر ، وقد اختبرتها البارحة فوجدتها ثيبا .

وكان مؤذن قد اتخذ قرعة يابسة ، وثقب فيها ثقبتين ، وكان يملؤها بالماء ، فإذا وصل الماء إلى الثقب الأول أذن الظهر ، وإذا وصل إلى الثقب الثانى أذن العصر ، ففطن به أحد المؤذنين ، فوسع الثقب الأول ، فأسرع جرى الماء ، وتفقدها المؤذن على عادته ، فوجد الماء

---

(١) سورة آل عمران الآية ١٨٥ والحكاية لها نظائر متعددة فى أخبار الحمق والمغفلين .

(٢) وردت فى أخبار الحمقى والمغفلين ص ١٠٥ .

(٣) المصدر السابق .

قد وصل إلى الشقب الأول من غير وقت أذان ، فأذن فصاح به الناس ، فقال : مهلا عليكم ، فإنى أعرف بقرعتى .

وكان لقوم إمام أحمق ، فقال لهم يوما ، وقد انفتل من صلاته ، ويلكم تسابقوننى فى الصلاة ، قالوا : ومن أين لك معرفة هذا؟ قال : ما أركع ركعة ولا أسجد سجدة إلا التفت إليكم ؛ أرى ما تفعلون .

وأحدث[1] إمام فى الصلاة ، فتأخر وقدم رجلا ، وذهب يجدد الوضوء ، فظن الرجل الذي قدم فى نفسه ، أنه لا يجوز له أن يصلى ، فوقف ينتظر الإمام ، فلما طال قيامه ، تنحنح له قوم ، فالتفت إليهم وقال : ما لكم ، إنما قدمنى لأحفظ مكانه .

وتقدم بعض الحمقى ، فصلى بقوم المغرب فى شهر رمضان ، فابتدأ بسورة البقرة ، فانصرف القوم وتركوه ، فلما رآهم قد انصرفوا جعل يقول : سبحان الله ، سبحان الله ، ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾[2] .

وكان عبدالله اليشكرى عاملا لموسى بن عيسى على المدائن ، فصعد المنبر ، فلما قال : الحمد لله ، ارتج عليه فسكت ، فقال بهلول : الذى ابتلانا بك ، فجلس وضحك كل من حضر .

وصعد[3] أبو العنبس منبرا من منابر الطائف ، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أما بعد ، فأرتج عليه ، فقال : أتدرون ما أريد أن أقول لكم؟ قالوا : لا ، قال : فما ينفعكم أن أقول لكم ما لا تدرون؟ ونزل ، فلما كان فى الجمعة الثانية صعد المنبر ، فقال : أما بعد ، ثم ارتج عليه ، فقال : أتدرون ما أقول لكم؟ قالوا : نعم ، قال : فما حاجتكم إلى أن أقول لكم ما قد علمتم؟ ثم نزل ، فلما كان فى الجمعة الثالثة ، صعد المنبر ، فقال : أما بعد ، ثم ارتج عليه ، فقال : أتدرون ما أقول لكم؟ فقالوا : بعضنا يدرى ، وبعضنا لا يدرى ، فقال : فليخبر الذى يدرى للذى لا يدرى ، ثم نزل .

---

(١) وردت فى أخبار الحمقى والمغفلين ـ ص ١٠٦ ، وقد وردت أخبار الأئمة هنا ، بعد المؤذنين ، كما حدث تماما فى كتاب أخبار الحمقى المذكور ، وإن كانت الأخبار عند ابن عاصم متناثرة .

(٢) سورة الكوثر ـ الآية الأولى ، والحكاية واردة في أخبار الحمقى والمغفلين ، ص ١٠٧ ـ مع تغيير ـ سورة البقرة والكوثر هنا بسورة يوسف ، والإخلاص ، ورجوع المصلين بعدما دعاهم بسورة الإخلاص إلى الصلاة مرة أخرى .

(٣) لهذه الحكاية نظائر فى الأدب الإسبانى ـ انظر : تأثيرات عربية ص ٣١ - ٣٥ .

وخطب عبدالله بن عامر البصرى يوم عيد الأضحى ، فأرتج عليه ، فقال : والله ، لا أجمع عليكم عيا ولؤما ، من أخذ شاة من السوق ، فهى له ، وعليّ ثمنها .

وكان بسجستان رجل يعرف بأبى العباس ، يتقلد أعمال السلطان ، فجاءه أبوه في أمر إنسان ، فاشتد عليه وأضجره ، فقال لأبيه : إذا جاءك أحد أن تكلمنى فقل له : ليس ذلك ابنى ، فقال : هذا الذى أقول لهم منذ ثلاثين سنة ، فلا يقبلون منى ، فخجل الابن ، وندم على ما قال .

وكان[١] هبنقة يحسن إلى السمان من إبله ، ويسيء إلى المهازيل ، فقيل له فى ذلك ، فقال : أكرم من أكرم الله ، وأهين من أهان الله .

وضل[٢] له بعير ، فجعل بعيرين لمن جاء به ، قال : أتجعل بعيرين فى بعير؟ فقال : إنكم لاتعلمون فرحة من وجد ضالة .

وافترس[٣] الذئب له شاة ، فقال له رجل : أخلصها من الذئب ، وآخذها؟ فقال له : إذا فعلت ، فأنت والذئب سواء ، وترك الذئب مضى بها .

وقال نافع[٤] : كان الغاضرى من أحمق الناس ، فقيل له : ما رأيت من حمقه؟ فسكت ، فلما أكثروا عليه قال : قال لى مرة : البحر من حفرة ، وأين ترابه ، وهل يقدر أمير المؤمنين أن يحفر مثله فى ثلاثة أيام؟

واشترى[٥] باقل شاة بأحد عشر درهما ، فلقيه رجل فقال له : بكم اشتريتها؟ ففتح يديه . ونشر أصابعه ، وأخرج لسانه ، فمضت الشاة طريقها .

وضاع باز لمعاوية بن مروان ، فقال : أغلقوا أبواب المدينة ؛ لئلا يخرج .

(١) وردت فى العقد الفريد ـ جـ ٣ ص ٢١٩ ، ووردت فى أخبار الحمقى والمغفلين ص ٣٦ بعبارة أخرى .
(٢) وردت فى أخبار الحمقى والمغفلين ـ ص ٣٦ . كما وردت فى البيان والتبيين ـ جـ ٢ ص ٢٤٢ ـ ووردت فى العقد الفريد ـ جـ ٣ ص ٢١٩ .
(٣) وردت فى العقد الفريد ـ جـ ٣ ـ ص ٢١٩ .
(٤) المصدر السابق ـ جـ ٣ ص ٢١٨ .
(٥) وردت فى العقد الفريد ـ جـ ٣ ـ ص ٢٢٠ .

وجاء[١] إليه رجل أحمق منه ، فقيل له [هكذا] : تعير لنا ثوبا ، نكفن إنسانا ونرده إليك ، فقال : أخشى أن ينجسه ، فلا نلبسه ، .

وجاء[٢] إليه قوم ، فقالوا له : مات جارك فلان ، وما ترك شيئا فعسى أن تأمر له بكفن ، فقال : ما عندى اليوم شىء ، ولكن تعودون إلينا فى غير هذا الوقت .

وقال[٣] قاص : كان اسم الذئب الذى أكل يوسف عليه السلام كذا ، قالوا له : ومتى أكله الذئب؟ قال : فهو اسم الذئب الذى لم يأكله .

وكان[٤] بالبصرة ثلاثة إخوة ، من بنى عتاب ، كان أحدهم يحج عن حمزة ، ويقول : استشهد ولم يحج ، وكان آخر يضحى عن أبى بكر وعمر ، ويقول : أخطآ السنة فى ترك الأضحية ، وكان الثالث يفطر أيام التشريق عن عائشة ويقول : غلطت فى صومها أيام التشريق .

وخطب[٥] عدى بن وتاد الإيادى ، فقال : أقول لكم كما قال العبد الصالح : ﴿مَا أُرِيكُمْ إِلاَّ مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلاَّ سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾[٦] فقيل له : فرعون قال هذا ، قال : يا قوم ، من قاله فقد أحسن .

ووقع بين شخص وابنه كلام ، فقال الابن للأب : والله لولا أنك أكبر سنا منى ، لرأيت ما كنت أصنع بك .

وتلا[٧] أبو بكر القاضى فى وعظه يوما قوله تعالى : ﴿يَتَجَرَّعُهُ وَلاَ يَكَادُ يُسِيغُهُ﴾[٨] ثم قال : اللهم اجعلنا ممن يتجرعه ويسيغه .

---

(١) وردت في أخبار الحمقى ص ١٨٢ .

(٢) وردت هى والتى بعدها فى [د ، س] وأخلت بهما [ح] والأولى وردت فى البيان والتبين - مع ظرف أكثر - فى جـ ٤ ص ١١ ، إذ قالوا له - فى عبارة الجاحظ - نملحه حتى يتيسر الكفن ، وفى أخبار الحمقى والمغفلين ص ١٨٢ ، كما هى فى البيان .

(٣) وردت فى أخبار الحمقى والمغفلين - ص ١٢٨ - وفى العقد الفريد - جـ ٣ ص ٢٢٠ .

(٤) وردت فى أخبار الحمقى والمغفلين ص ١٤٥ .

(٥) وردت فى البيان والتبيين - جـ ٢ ص ٢٤٤ ، منسوبة إلى عدى بن وتّاد الإيادى ، وقد حققناها فى المتن ، وكانت خطأ ، وقد ورد نظير فى الحدايق من قبل .

(٦) سورة غافر الآية ٢٩ .

(٧) وردت في أخبار الحمقى والمغفلين - ص ١٢٨ .

(٨) سورة إبراهيم - الآية ١٧ .

وكان قوم من أهل العلم يتناظرون فى أمر على ومعاوية ، فقال له أحد القوم : وتعرف أنت من على؟ قال : نعم أليس هو أبا فاطمة؟ قال : ومن كانت فاطمة؟ قال : امرأة النبى ﷺ بنت عائشة ، أخت معاوية ، قال : فما كانت قصته؟ قال : قتل فى غزوة حنين مع النبى ﷺ .

ووقف على شيخ من أهل العلم ، فقال : أصلحك الله ، سمعت الساعة في السوق شيئا منكرا ، قال : وما هو؟ قال : يشتمون الأنبياء ، قال الشيخ : ومن هو من الأنبياء الذى شتم؟ قال له : معاوية ، قال له : يا ابن أخى ، ليس معاوية نبيا ، قال : فقيه نصف نبى ، أيشتم؟ .

وقال أبو على اللواز يوما لقوم من أصحابه ، دخلوا عليه فى داره : والله ، لو كان عندى دجاج مشويات ، لذبحتها لكم .

وتعرض[1] الأسد لأهل رفقة ، فخرج إليه رجل منهم ، فلما رآه سقط الرجل فى الأرض ، فوثب عليه الأسد ، فشدوا عليه بأجمعهم ، فتنحى عنه الأسد ، فقالوا له : كيف أنت؟ فقال : لا بأس على ، غير أن الأسد خرا فى سراويلى .

ومر رجل بحمار على المقابر فنفر الحمار عند قبر منها ، فقال : ينبغى أن يكون صاحب هذا القبر بيطارا .

ورأى أبو عوانة قوما قد صلبوا ، فجعل يقول : هذا ما وعد الله ، وصدق المرسلون ، بارك الله لنا إذا صرنا إلى ما صاروا إليه .

وقال[2] أبو العباس : اجتزت يوما فى بعض طرق بغداد ، فإذا أنا بامرأة قد عرضت لى ، فقالت : بالله ، ما اسمك؟ فقلت : أحمد ، قالت : وأنا أحب الغرباء فهل لك أن أزوجك جارية حسناء؟ قلت : نعم ، قالت : وتلد ولدا وتدعه ينصرف إلى المكتب ، فيطلع يوما للسطح ، ويقع منه ، وينشق رأسه ويموت ، ثم صاحت وصرخت وبكت ولطمت وجهها ، فخفت منها أن تكون مجنونة ، فمضيت وتركتها فرأيت شيخا ينظر إلى على باب

(١) وردت فى البيان والتبيين ـ مع تغيير طفيف ـ جـ ٤ ص ٧ ، ووردت في أخبار الحمقى والمغفلين ـ ص ١٦٤ .
(٢) وردت فى أخبار الحمقى والمغفلين ـ ص ١٦٨ ، مع تغيير فى بعض الحوار .

الدار ، فقال لي : مالك؟ فحدثته ، فقال : لا تأخذ عليها ، ما الموت إلا مصيبة ، ومن يرزق مثل صبرك؟ قال : فرأيت الشيخ أحمق منها .

وكان لبعضهم بغلة ، فغضب عليها ، وقطع عنها العلف ، ثم ركبها فلم تستطع المشى ، فقال لخادمه ، ما بالها لا تمشى؟ قال : لأنك قطعت عنها العلف ، قال : أعطها علفها ، ولا تعلمها أنى قلت لك شيئا .

وجرى[(١)] ذكر رجل ، فقال آخر : هو رجل سوء ، فقيل له : ومن أين تعلم هذا؟ قال : أفسد على بعض أهلى ، قيل ومن هن؟ قال : أمى .

وكتب المنصور إلى عبدالله الحارثى ، وهو والى البصرة : اقسم المال بين القواعد من النساء ، وهن اللائى قعدن عن النكاح ، وبين أهل الأعذار فقال له رجل فقير : اكتبنى فى العميان ، قال : اكتبوه ؛ فإن الله تعالى يقول : ﴿**فَإِنَّهَا لاَ تَعْمَى الأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ**﴾[(٢)] قال : واكتب ابنى فى الأيتام ، قال : نعم ، من كنت أباه فهو يتيم ، اكتب ابنه في الأيتام .

وقال[(٣)] ابن الماجشون : كان لى صديق فقدته زمانا ، ثم رأيته فسألته : أين غاب؟ فقال : كنت بالكوفة ، فقلت : وكيف صبرت فيها وهم يشتمون أبا بكر وعمر؟ قال : يا أخي ، صبرت لهم على ما هو أشد من هذا ، قلت ، وما هو؟ قال : فإنهم يفضلون الكتابى على معبد فى الغناء .

وماتت[(٤)] جارية لبعضهم ، فلما حملت جنازتها ، جعل يقول : خدمت مولاك حق الخدمة فى حياتك ، وأنا اليوم أكافئك ، اشهدوا أنى قد حررتها لوجه الله تعالى .

ودخل رجل على مريض ، فقال : ﴿**إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ**﴾[(٥)] إذا رأيتم العليل علي هذه الصفة ، فاغسلوا أيديكم منه ، فقال له العليل : قم عنى ؛ فقد قتلتنى .

---

(١) وردت فى أخبار الحمقى والمغفلين - ص ١٦٥ ، بزيادة مليحة تقول : أمى صانها الله! .

(٢) سورة الحج الآية ٤٦ .

(٣) وردت فى المصدر السابق . وفيه «الكباشى» بدلا من الكتابى .

(٤) المصدر السابق - ص ١٧٩ .

(٥) سورة البقرة الآية ١٥٦ ووردت النادرة في أخبار الحمقى والمغفلين ص ١٦٢ .

وقال[١] رجل لآخر : قد أحكمت النحو كله إلا ثلاث لفظات أشكلت على ، قال له : وما هى؟ قال : أبا فلان وأبو فلان ، وأبى فلان ، ما الفرق بينها؟ قال له صاحبه : أما قال أبو فلان فللملوك والأمراء والقضاة والحكام ، وأما أبا فلان فللتجار وأرباب الأموال والوسط من الناس ، وأما أبى فلان فللسفلة والأسقاط والأوباش من الناس .

وقال[٢] عبدالله بن طاهر : قلت مرة لرجل : كم اليوم من الشهر : قال : ليس أنا ، والله ، من هذه البلدة .

وختن[٣] محمد بن الخليل ولده ، فقال للحجام : ارفق به ؛ فإن هذه أول مرة ختناه .

ودخل[٤] بعضهم على رجل قد ذهب بصره ، والناس يعزونه ، فقال له : لا تغتم يا أخى ؛ فلو رأيت ثواب ذلك لتمنيت أن يقطع الله يديك ورجليك ، فقال له الرجل : فعل الله ذلك بك ، وأجزل لك الثواب .

وقال[٥] بعضهم : مررت بمؤدب ، والصبيان يضربونه ، فتقدمت لأخلصه منهم ، فقال : دعهم فإنى أتسابق معهم ، فإذا سبقتهم ضربتهم ، وإن سبقونى ضربونى ، وهم اليوم قد سبقونى .

وقال الصبى لأبيه : ما الذى يزرع حتى ينبت به الخرفان؟ قال : القرون فجمع القرون وزرع ، ومازال يسقيها شهرا ، فلم ينبت . فنبشها لينظرها ، فلسعته عقرب ، فقال : أنتم لم تنبتوا بعد ، وصرتم تنطحوننى .

وقال[٦] الشيبانى : مررت ببهلول المجنون ، وهو يأكل خبيصا ، فقلت له : أطعمنى منه ، فقال : والله ، ما هو لى ، قلت : فلمن هو؟ قال : لعاتكة بنت الخليفة ، بعثته لى ؛ لآكله وحدى .

(١) وردت فى المصدر السابق ص ١١٨ .
(٢) المصدر السابق ـ وفيه نادرتان ـ ص ١٦٩ .
(٣) المصدر السابق ص ١٥٣ .
(٤) وردت فى العقد الفريد ـ جـ ٣ ص ٢١٨ .
(٥) وردت فى أخبار الحمقى والمغفلين ـ مع تغيير ـ ص ١٣٨ .
(٦) وردت فى العقد الفريد ـ جـ ٣ ـ ص ٢١٨ .

وحدث الوليد بن بكار قال : كان ابن إدريس عييا ، وكان هو وجماعة يخرجون إلى العقيق يتنزهون ، فكان أصحابه يبعثون إلى بيته على لسانه ، فيأخذون ما يريدون ، فعلم بذلك ، فقال لهم : اجهدوا جهدكم ؛ فقد والله ، أحكمت أمركم ؛ فما تقدرون أن تأخذوا من منزلى شيئا على لسانى ؛ فقد قلت لأهلى : إذا جاءكم رأسى فى طبق ، فلا تبعثوا إلى بشىء ، فمضى الرسول إلى أهله وعرفهم : هذا الكلام أمارة ، وطلب لهم ما أراد ، فأعطوه ، فلما حضر ذلك بين يديه قال لهم : قد أعيتنى الحيلة ، فيكم ؛ فالله حسيبكم .

وقال الجاحظ : مررت بمعلم ، وهو قد حبس ديكا ، وهو يضربه ، ويقول له : ألف شين ، ألف شين ، فقلت له : ما هذا؟ فقال لى : أعزك الله ، انظر إلى تلك المزبلة ، وأشار إلى مزبلة أمام مكتبه ، فقال : أنا أنصب فيها فخاخا ؛ لصيد العصافير ، فيأتى هذا الديك فيلتقط الحب الذى أجلعه لها ، فقلت له : اش ، فلا يفهمنى ، فقلت : لعله لا يعلم ، وأردت أن أعلمه ؛ حتى يفهمنى .

ومات[1] ولد لبعضهم ، فقيل له : يغسله فلان ، فقال : بينى وبينه عداوة متقدمة ، وأخاف أن يرد غيظه على ابنى فيهلكه .

واستعمل[2] معاوية رجلا من كلب على بعض الأعمال ، فحضر عنده يوما أهل عمله ، وجرى ذكر المجوس ، فقال الكلبى : لعن الله المجوس ينكحون أمهاتهم وأخواتهم ، والله ، لو أعطيت ألف دينار ما نكحت أمى ، فبلغ الخبر معاوية ، فقال : قبحه الله ، ما أظنه إلا لوزاده ، لفعل .

وكان[3] بالبصرة مجنون يأوى إلى دكان خياط ، وبيده قصبة ، قد جعل فى رأسها كرة ، ولف عليها خرقة ؛ لئلا يؤذى الناس بها ، فكان إذا أحرجه الصبيان التفت إلى الخياط ، فقال له : إنه قد حمى الوطيس ، وطاب اللقاء ، فما ترى؟ فيقول شأنك بهم ، فيشد عليهم بالقصبة وهو يقول :

أَشُـدُّ على الكتيبـة ، لا أُبالى   أَحَتْفى كان فيها أمْ سِواه[4]

---

(١) وردت فى أخبار الحمقى والمغفلين ـ ص ١٧٩ .

(٢) وردت في البيان والتبيين ـ جـ ٢ ص ٢٦٠ ، وفيه فى النهاية : فعزله . ووردت في العقد الفريد ـ جـ ٣ ـ ص ٢٢١ .

(٣) وردت فى العقد الفريد ـ جـ ٣ ـ ص ٢١٨ .

(٤) البيت من الوافر ـ للعباس بن مرداس ـ وروايته : «أكر» . . انظر زهر الآداب ـ مجلد ٢ ص ١١٤٠ .

فـإذا أدرك منهم صـبـيـا ، رمى الصبى بنفسه على الأرض ، وأبدى له عورته ، فيتركه[١] وينصرف عنه ، ويقول : عورة المؤمن حمى ، ولولا ذلك لتلفت نفس عمرو بن العاص يوم صفين ، ثم يقف ويناديهم :

أنا الرَّجُلُ الضَّرْبُ الذى تعرفونَهُ خَشَاشٌ ، كرأسِ الحيَّةِ المُتَوَقِّدِ[٢]

ثم يرجع إلي دكان الخياط ، فيلقى القصبة من يده ، ويقول :

فَأَلْقَتْ عصاها ، واستقرَّ بها النَّوى كما قَرَّ عْينًا بالإيابِ المُسَافِرُ[٣]

ودخل[٤] أبو عتاب المصاب مع قوم يعودون مريضا ، فبدأ يعزى قومه ، فقالوا : إنه لم يمت ، فخرج وهو يقول : يموت إن شاء الله ، يموت إن شاء الله .

وأغمى على رجل من الأزد ، فصاح النساء ، وبعث إلى أخيه ، فوجده حيا فقال لهم : اغسلوه فإنكم لن تفرغوا من غسله ، حتى يقضى به .

ووعد[٥] رجل رجلا من الحمقى بنعل حضرمية ، فطال عليه الانتظار ، فأخذ قارورة وبال فيها ، ثم أتى إلى الطبيب فقال : انظر فى هذا الماء ، إن كان يهدى إلى بعض إخوانى نعلا حضرمية .

وكان[٦] عيناوة الأحمق جيد القفا ، فربما مر به من يريد العبث به ، فيصفعه فجعل خرا فى قفاه ، وقعد على الطريق ، فكان إذا ضرب أحد قفاه ، قال له : شم يدك يا فتى ، فلم يكن أحد يصفعه .

---

(١) «فيتركه» زيادة من [د] .

(٢) البيت من الطويل ـ من معلقة طرفة بن العبد ـ شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات ـ ص ٢١٥ ، وروايتها : أنا الرجل الجعد .

(٣) البيت من الطويل : وهو لمعقر البارقى ـ انظر هامش «التنبيهات» ، ص ٢٢١ ـ لعلى بن حمزة ـ تحقيق عبدالعزيز الميمنى الراجكوتى ـ دار المعارف .

(٤) وردت فى العقد الفريد ـ جـ ٣ ـ ص ٢١٨ ، ووردت فى أخبار الحمقى والمغفلين فى ١٤٣ .

(٥) وردت فى العقد الفريد ـ جـ ٣ ص ٢١٩ .

(٦) المصدر السابق . ووردت فى البيان والتبيين ـ جـ ٢ ص ٢٣٠ ، وتنسب إلى بهلول لا عيناوة .

وقال(١) الأصمعى : سوبق بين الخرنفش وهبنقة ، أيهما أحمق؟ فجاء الخرنفش بحجارة خفاف من جص ، وجاء هبنقة بحجارة ثقال وترس ، فبدأ الخرنفش ، فقبض على حجر ، ثم رفع رأسه ، وقال : الترس ، ثم رمى بالحجر ، فأصاب الترس ، فانهزم هبنقة ، فقال أصحابه : مالك انهزمت؟ فقال : إنه قال : الترس(٢) فأصاب الترس ، فلو أنه قال : العين ، أما كان يصيب عينى .

وتبع(٣) داود بن المعتمر امرأة ظنها من الفواسد ، فقال لها : لولا ما رأيت عليك من سيماء الخير ما اتبعتك ، فضحكت المرأة وقالت : إنما كان يعتصم مثلى من مثلك بسيماء الخير ، وأما إذا صار سيماء الخير هو المغرى ، فالمستعان الله .

وخلا(٤) داود أيضًا بجارية ينكحها ، فلما أمعن فى فعله قال لها : أبكر أنت أم ثيب؟ قالت له : اسأل المجرب .

وقال(٥) أبو دحية القاص : ليس فىّ ولافيكم خير ، فتبلغوا بى ؛ حتى تجدوا خيرا منى .

وقال(٦) ثمامة بن أشرس سمعت قاصا ببغداد ، وهو يقول : اللهم ارزقنى الشهادة ، أنا وجميع المسلمين .

ووقع(٧) الذباب على وجهه ، فقال : ما لكم؟ كثر الله بكم القبور .

قال(٨) : ورأيت قاصا يحدث بقتل حمزة ، فقال : ولما بقرت هند عن كبد حمزة فاستخرجتها عضت عليها ولاكتها ، ولم تزدردها ، فقال النبى ﷺ : لو ازدردتها ما مستها النار ، ثم رفع القاص يديه إلى السماء وقال اللهم أطعمنا كبد حمزة .

---

(١) وردت فى العقد الفريد ـ جـ ٣ ـ ص ٢٢٠ .

(٢) فى [د ، س] قال : للترس ، فأصاب الترس : زيادة منهما .

(٣) وردت فى العقد الفريد ـ جـ ٣ ص ٢٢٠ .

(٤) المصدر السابق ـ وفى [د ، س] اسأل المجرى ، وليس بشىء .

(٥) المصدر السابق .

(٦) وردت فى البيان والتبيين ـ جـ ٢ ص ٣١٧ ، وفى العقد الفريد ـ جـ ٣ ص ٢٢٠ .

(٧) وردت فى المصدرين السابقين ـ المجلد نفسه والصفحة نفسها ، ووردت فى أخبار الحمقى والمغفلين ـ ص٩٧ .

(٨) وردت فى العقد الفريد ـ جـ ٣ ص ٢٢٠ .

وتزوج(١) مالك بن زيد فتاة من تميم ، فلما دخل على امرأته ، رأت منه الجفاء والجهل ، فجلس ناحية منقبضا ، فقالت له : ضع شملتك ، قال : بدنى أولى بها ، قالت : فاخلع نعليك ، قال : رجلاى أحق بهما ، فلما رأت ذلك ، قامت وجلست إليه ، فلما شم رائحة الطيب وثب عليها .

وأرسل ابن العجل فرسا له فى حلبة ، فجاء سابقا ، فقال لأبيه عجل : كيف ترى أن أسميه؟ قال : افقأ إحدى عينيه ، وسمه الأعور ، وفيه يقول الشاعر :

رَمَتْنى بَنو عُجْلٍ بداءِ أبيهِمُ ... وأىُّ عبادِ الله أنْوكُ من عِجْلِ
أليسَ أبوهمْ عارَ عَيْنَ جوادِه ... فأضحْت به الأمثالُ تُضربُ فى الجهلِ(٢)

ومر معاوية بن مروان بحقل له ، فلم يعجبه ، فقال : ما كذب من قال : كل حقل لا يرى است صاحبه لايفلح ، ثم نزل عن دابته ، فأحدث فيه ثم ركب .

وهو(٣) الذى قال لوالد زوجته : ملأتنا ابنتك البارحة بالدم ، قال : إنها من نسوة يخبئن ذلك لأزواجهن ، ولو كنت خصيا مازوجناك ، فعلى الذى دلنا عليك لعنة الله .

وكان أبو العاج واليا بواسط ، فأتاه صاحب شرطته بقوادة ، فقال : ما هذه؟ قال : قوادة ، قال : وما تصنع؟ قال : تجمع بين الرجال والنساء ، قال : إنما جئتنى بها لتعرفها بدارى ، خل عنك ، لعنك الله ولعنها .

ودخل(٤) قوم عل كردم ، فقالوا له : أين القبلة فى دارك؟ فقال : والله ، ما اهتديت لها ؛ لأنى إنما دخلت هذه الدار منذ ستة أشهر .

(٥)ودخل كردم على رجل فدعاه للغداء ، فقال : قد أكلت ، فقال له : وما أكلت ؟ قال : قليل أرز ، فأكثرت منه .

---

(١) وردت فى البيان والتبيين - جـ ٢ ص ٢٢٥ .

(٢)(أنوك : أحمق) المحقق ، والبيتان من الطويل ، والحكاية والشعر واردان فى العقد الفريد - جـ ٣ - ص ٢٢٠ ، وفى وفيات الأعيان - جـ ١ ص ٢٠٩ .

(٣) وردت فى البيان والتبيين - جـ ٢ ص ٢٦١ . وكلمة [بالدم] زيادة من [د . س] .

(٤) وردت هذه النادرة فى [س] ، وهى فى العقد الفريد - جـ ٣ - ص ٢٢١ .

(٥) وردت فى العقد الفريد - جـ ٣ - ص ٢٢١ - وفى أخبار الحمقى والمغفلين - ص ١٨٢ ، وفى البيان والتبيين - جـ ٢ ص ٢٤٥ . والرجل بها هو بلال بن أبى بردة الذى دخل عليه كردم .

ومرض[1] كردم ، فقال له عمه : أى شىء تشتهى؟ قال : رأس كبشين ، قال : لايكون ذلك ، قال : فرأسىْ كبش ، قال : وهذا لايكون ، قال : فلست أشتهى شيئا .

وكان[2] أبو إدريس السمان يكتب : وأنت ، فلا صبحك الله إلا بخير ، ولا حيا وجهك إلا بكرامة .

وأتى[3] عامر بن عبدالله بن الزبير بعطائه وهو فى المسجد ، فقام ونسيه ، فلما سار إلى بيته ذكره ، فقال لغلامه : ائتنى بعطائى الذى نسيت فى المسجد ، قال له وأين يوجد وقد دخل بعد ذلك المسجد جماعة؟ قال : وبقى أحد يأخذ ما ليس له؟ .

وسرقت[4] نعله ، فلم يلبس بعد ذلك نعلا حتى مات ، وقال : أكره أن أتخذ نعلا ، فيجىء من يسرقها فيأثم .

وقال بعضهم : مررت ببعض طرق الكوفة ، فإذا أنا برجل يخاصم جارا له ، فقلت : ما بالكما؟ فقال : إن صديقى زارنى ، فأشتهى رأسا فاشتريته وتغدينا ، فأخذت عظامه فوضعتها على باب دارى ؛ أتجمل بها عند جيرانى ، فجاء هذا فأخذها ، ووضعها على باب داره ؛ يوهم الناس أنه اشترى الرأس .

وقال بعض المتبردين : أفطرت البارحة على رغيف وزيتونة ونصف زيتونة ، أو زيتونة وثلث ، أو زيتونة وربع ، أو زيتونة وما علم الله من زيتونة أخرى ، فقال له بعض الحاضرين : يا فتى إنه بلغنا من الورع ما يبغضه الله ، وأحسبه ورعك .

ونظر آخر إلى أهل عرفات فقال : ما أظن الله إلا قد غفر لهم ، لولا أنى كنت فيهم .

وحكى الأعمش قال : أتانى عبدالله بن سعيد ، فقال لى : ألا تعجب؟ أتانى رجل فقال : دلنى على شىء إذا أكلته مرضت ؛ فقد استبطأت العلة ، وأحببت أن أعتل فأؤجر ،

---

(١) وردت فى العقد الفريد ـ جـ ٣ ـ ص ٢٢١ ، وكذلك فى البيان والتبيين ـ جـ ٢ ص ٢٤١ ، وروايته : ومرض فتى عندنا ، بالتنكير .

(٢) وردت فى العقد الفريد ـ جـ ٣ ص ٢٢٢ . وفى اليان والتبيين ـ جـ ٢ ص ٢٣٥ . وفى أخبار الحمقى والمغفلين ـ ص ١٤٩ ، وتنسب لغير أبى إدريس فى المصدر الأخير .

(٣) وردت فى البيان والتبيين ـ جـ ٢ ص ٣٤٩ ، وروايته : بعطائه بالعين المهملة ، وكانت فى الحدائق بالغين المعجمة ، ووردت فى العقد الفريد بنفس الرواية التى فى البيان ـ جـ ٣ ص ٢٢٣ .

(٤) وردت فى العقد الفريد ـ جـ ٣ ص ٢٢٣ .

فقلت : اسأل الله العافية ، واستدم النعمة ، فإنه من شكر الله على النعمة كمن صبر علي البلية ، فألح علي فقلت له : كل السمك المملوح ، واشرب النبيذ الحار ، وقم فى الشمس ، واستمرض الله يمرضك إن شاء الله .

ودخل[١] قوم على رجل من الزهاد ، فوجدوا عنده رائحة قبيحة ، فقالوا له : ما هذا؟ نظنه فى بعض نعالكم ، فقال الزاهد : ليس كما قلتم ، هو من حشو الكنيف أودعته شاربى ، رياضة للنفس وإذلالا لها ، ألا تطلع إلى الروائح التى تحرم عدا رائحة الجنة .

وسمع[٢] آخر تشاجر قوم فى تاريخ شىء فقال : ليس هذا كما تزعمون ، إنما كان هذا قبل ابتدائى بصيام الدهر ، فلا كان هذا ولا كان صيامه .

وكان بغرناطة رجلان أحمقان ، يقال لأحدهما : حسين ، وللآخر : يحيى ، فاشترى يوما يحيى زنارا جديدا فرآه حسين عليه ، فأعجبه ، فقال له : جرده وألبسه أنا أقيسه ، والبس أنت زنارى ، فلبسه حسين ، وأعطاه زناره المبتذل ، ونظر عليه يمينا وشمالا ، ثم ذهب به مسرعا ، فقال له : جرد زنارى ، وذهب خلفه ، إلى أن وصلا إلى البيازين ، واجتمع عليهما الناس ، فلم يقدر أحد أن يجرده له . فقالوا له : رد زناره ، ونشترى لك غيره ، ففعلوا ، وبقى ذلك الزنار عليه .

وجمع[٣] بعض الملوك بين مجنونين ، ليضحك عليهما ، فبعث بهما ، فأسمعاه ما يكره ، فدعا بالسيف ، فقال أحد المجنونين لصاحبه : كنا اثنين فصرنا ثلاثة .

---

(١) وردت - باختصار - فى أخبار الحمقى والمغفلين - ص ١٣٢ ، وفى [س] هو شىء من حشو الكنيف .

(٢) ورد مشابه لهذه النادرة فى البيان والتبيين ، أشرنا إليها من قبل ، كما وردت فى أخبار الحمقى والمغفلين ص ١٣٢ ، مع زيادة مناسبة .

(٣) وردت فى البيان والتبيين - جـ ٢ ص ٢٣١ ، ولعل الصواب : فبعث فيهما .

الحديقة الرابعة

فى الوصايا والحكم

وفيها باب واحد

لما وجه ابن هبيرة مسلم بن سعيد إلى خراسان ، قال له : أوصيك بثلاثة : حاجبك ؛ فإنه وجهك الذى تلقى به الناس ، إن أحسن ، فأنت المحسن ، وإن أساء فأنت المسىء ، وصاحب شرطتك ؛ فإنه سوطك وسيفك ، وحيث وضعتهما ، فقد وضعتهما ، وعمال الفرد ، قال له : وما عمال الفرد؟[1] قال : أن تختار من كل كورة رجالا لعملك ، فإن أصبت فهو الذى أردت ، وإن أخطأت فهم المخطئون ، وأنت المصيب .

وقال عدى بن أرطاة لإياس بن معاوية : دلنى على قوم من القراء ؛ أولّهم ، فقال له : القراء ضربان ، ضرب يعملون للآخرة ، لايعملون ، وضرب يعملون للدنيا ، فما ظنك بهم ، إذا أمكنتهم منها؟ ولكن عليك بذوى البيوتات الذى يستحيون لأحسابهم ، فولّهم .

وقال معاوية : إنى لا أضع سيفى ، حيث يكفينى سوطى ، ولا أضع سوطى ، حيث يكفينى لسانى ، ولو أن بينى وبين الناس شعرة ما انقطعت ، قيل له : وكيف ذلك؟ قال : إذا مدوها أرخيتها ، وإذا أرخوها مددتها .

وقال ﷺ : من تواضع لله رفعه[2] .

وقال بعض الحكماء : كل ذى نعمة محسود عليها ، إلا التواضع .

وقال عبدالملك بن مروان : أفضل الرجال من تواضع عن رفعة ، وزهد عن قدرة ، وأنصف عن قوة .

وسئل بعض الحكماء : أى الأمور أشد تأييد للعقل ،وأيها أشد إضرارا له؟ فقال : أشدها تأييدا له ثلاثة أشياء : مشاورة العلماء ، وتجربة الأمور ، وحسن التثبت ، وأشدها إضرارا به : الاستبداد ، والتهاون ، والعجلة .

---

(١) وعمال العذر فى [س] .

(٢) مسند أحمد بن حنبل جـ ٣ ص ٧٦ مع خلاف .

وقال بعض الحكماء : ما كنت كاتمه عن عدوك ، فلا تظهر عليه صديقك .

وقال عمرو بن العاص : ما استودعت رجلا سرا ، فلمته عليه إذا أفشاه ؛ لأنى كنت أضيق صدرا حين استودعته منه حين أفشاه .

وحكى أسامة بن زيد قال : كان النبى ﷺ ، إذا غزا أخذ طريقا وهو يريد أخرى ، ويقول : الحرب خدعة(١) .

وعن مالك بن أنس قال : كان مالك بن عبدالله الخثعمى ، وهو على الطائفة ، يقوم فى الناس ، كلما أراد أن يرحل ، فيحمد الله ويثنى عليه ، ثم يقول : إنى آخذ بكم غدا ، إن شاء الله ، على موضع كذا وكذا فتفترق الجواسيس عنه بذلك ، فإذا أصبح الناس سلك بهم طريقا أخرى ، وكانت الروم تسميه الثعلب .

وقال عمرو بن معدى كرب : الفزعات ثلاث ، فمن فزعته فى رجليه ، فذاك الذى لا تقله رجلاه ، ومن كانت فزعته فى رأسه فذاك الذى يفر عن أمه ، ومن كانت فزعته فى قلبه ، فذاك الذى يقاتل ،

قال النبى ﷺ : إذا أتاكم كريم قوم فأكرموه(٢) .

وقال ﷺ : اصطناع المعروف يقى مصارع السوء(٣) .

وقال أبو ذر : إن لك شريكين فى مالك ، الحدثان والوارث ، فإذا استطعت ألا تكون أبخس الشركاء حظا ، فافعل .

وقال بعضهم : إذا أقبلت الدنيا عليك ، فأنفق منها ؛ فإنها لا تغنى ، وإذا أدبرت عنك ، فأنفق منها ؛ فإنها لا تبلى ، أخذ الشاعر هذا المعنى فقال :

لاتَبْخَلَنَّ بدُنْيا وهْيَ مُقبلةٌ ... فلَيس يُنْقِصها التَبْذيرُ والسَّرَفُ
وإنْ تَولَّتْ فأحْرى أن تَجودَ بها ... فالشكرُ منها إذا ما أدبرتْ خَلَفُ(٤)

(١) مسند أحمد بن حنبل جـ ١ ص ٨١ ، ٩٠ .
(٢) الفتح الكبير - البنهانى جـ ١ ص ٦٥ .
(٣) المصدر السابق جـ ٢ ص ١٩٢ .
(٤) البيتان من البسيط - ووردت فى العقد الفريد جـ ١ ص ٦٠ ، وبعضهم هو برز جمهر .

وقـال النبى ﷺ : إذا أردتم أن تعلموا ما للعبد عند ربه ، فانظروا إلى ما يتبعه من حسن الثناء[١] .

وقال بعض أهل التفسير فى قوله تعالى فيما حكى عن إبراهيم عليه السلام : ﴿وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الآخِرِينَ﴾[٢] أنه أراد حسن الثناء من بعد .

وقال عليه السلام : استعينوا على حوائجكم بالكتمان ؛ فإن كل ذى نعمة محسود[٣] .

وفى الحديث : من نشر معروفا فقد شكره ، ومن كتمه فقد كفره[٤] .

وقال ابن عباس رضي الله عنه : لو أن فرعون مصر أسدى إلى يدا صالحة ، شكرته عليها .

وقال بعضهم : إذا قصرت يداك عن المكافآت فليطل لسانك بالشكر .

وقيل : ما نحل الله عباده أقل من الشكر ، واعتبر ذلك بقول الله سبحانه : ﴿وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾[٥] .

وقال سهل بن هارون : العقل رائد الروح ، والعلم رائد العقل ، والبيان ترجمان العلم .

وقيل : الروح عماد البدن ، والعقل عماد الروح ، والعلم عماد العقل ، والبيان عماد العلم .

وقال عليه السلام : إن من البيان لسحرا ، وإن من الشعر لحكمة[٦] .

وقال الأحنف بن قيس : أحق الناس بالعفو ، أقدرهم على العقوبة .

وقال ابن سيرين : العلم أكثر من أن يحاط به ؛ فخذوا من كل شىء أحسنه .

وقيل لأبى عمرو بن العلاء : هل يحسن بالشيخ أن يتعلم؟ قال : إن كان يحسن به أن يعيش ، فيحسن به أن يتعلم .

---

(١) لم أقف عليه .
(٢) سورة الشعراء الآية ٨٤ .
(٣) الفتح الكبير جـ ٢ ص ١٩٢ ـ وميزان الاعتدال للذهبى رقم ٣١٩٥ مع اختلاف فى الرواية .
(٤) مسند أحمد بن حنبل جـ ٦ ص ٩٠ وسنن الترمذى جـ ٤ ص ٣٧٩ مع خلاف أيضًا .
(٥) سورة سبأ الآية ١٣ .
(٦) مسند أحمد بن حنبل جـ ١ ص ٢٦٩ ، وجـ ٣ ص ٤٥٦ وتردد كثيرا فى مواضع أخرى من هذا المصدر .

وقال عروة لبنيه : اطلبوا العلم ، فإن تكونوا صغار قوم لايحتاج إليكم ، فعسى أن تكونوا كبار قوم ، لايستغنى عنكم .

وقال رجل لأبى هريرة رضي الله عنه : أريد أن أطلب العلم ، وأخاف أن أضيعه ، قال : فكفاك بترك العلم إضاعة له .

وقال بعض الحكماء : اقصد من أصناف العلم إلى ما هو أشهى لنفسك ، وأخف على قلبك ؛ فإن نفاذك فيه على قدر شهوتك له ، وسهولته عليك .

وقال رؤبة بن العجاج : قال لى النسابة البكرى : يا رؤبة ، لعلك من قوم إن سكت عنهم لم يسألونى ، وإن حدثتهم لم يفهمونى ، قلت : أنا أرجو ألا أكون كذلك ، قال : فما آفة العلم ونكده وهجنته؟ قلت : تخبرنى ؟ قال : آفته النسيان ، ونكده الكذب ، وهجنته نشره عند غير أهله .

وقال عبدالله بن مسعود ، إن العبد لايولد عالما ، وإنما العلم بالتعلم ، أخذه الشاعر فقال :

تَعَلَّمْ ؛ فليسَ المرءُ يُولدُ عـالما ... وليس أخو علْم كمن هُو جاهلُ
وإن كبيرَ القومِ ، لا علْمَ عنده ... صغيرٌ إذا الْتَفَّتْ عليه المحافلُ
وإن صغيرَ القومِ ، والعلمُ عنده ... كبيرٌ ، إذا رُدَّتْ إليه المسائل(١)

وقال بعض الحكماء : علم علمك من يجهل ، وتعلم ممن يعلم ؛ فإنك إذا فعلت ذلك حفظت ما علمت ، وعلمت ما جهلت .

وقال مالك بن أنس رحمه الله : إذا ترك العالم : لا أدرى ، فقد أصيبت مقاتله .

وقال عبدالله بن عمرو بن العاص : من سئل عما لايدرى ، فقال : لا أدرى فقد أحرز نصف العلم .

وقالوا : العلم ثلاثة : حديث مسند ، وآية محكمة ، ولا أدرى ، فجعلوا لا أدرى من العلم ، إذا كان صوابا من القول .

---
(١) الأبيات من الطويل .

وقالوا : الحكمة إذا خرجت من القلب وقعت فى القلب ، وإذا خرجت من اللسان ، لم تجاوز الآذان .

وقال الحسن البصرى : لسان العاقل من وراء قلبه ، فإذا أراد الكلام تفكر ، فإن كان له قال ، وإن كان عليه سكت ، وقلب الأحمق من وراء لسانه ، فإذا أراد أن يقول قال .

وقال على بن أبى طالب رضي الله عنه : العقل فى الدماغ ، والضحك فى الكبد ، والرأفة فى الطحال ، والصوت فى الرئة .

وقال عمر رضي الله عنه : من لم ينفعه ظنه ، لم ينفعه يقينه .

وسئل بعضهم : من أحب بنيك إليك؟ قال : الصغير حتى يكبر ، والغائب حتى يرجع ، والمريض حتى يفيق .

وقال ﷺ : لا تضعوا الحكمة عند غير أهلها ؛ فتظلموها ، ولا تمنعوها من أهلها ؛ فتظلموهم(١) .

وفى الحديث : خذ الحكمة ولو من ألسنة المشركين(٢) .

وقال عليه السلام : الحكمة ضالة المؤمن ، يأخذها ممن سمعها ، ولا يبالى من أى وعاء خرجت(٣) .

وقال زياد : أيها الناس ، لايمنعنكم سوء ما تعلمون منا ، أن تنتفعوا بأحسن ما تسمعون منا ؛ فإن الشاعر يقول :

اعمل بقولى ، وإن قصرت فى عملى ينفعك قولى ، ولايضررك تقصيرى(٦)

وقيل لقس بن ساعدة : ما أفضل المعرفة؟ قال : معرفة الرجل نفسه ، قيل له : فما أفضل العلم؟ قال : وقوف المرء عند علمه ، قيل له : فما أفضل المروءة ؟ قال : استبقاء الرجل ماء وجهه .

---

(١) اقتفاء القول والعمل للخطيب البغدادى ص ٦ طبعة بيروت مع خلاف .
(٢) إتحاف السادة المتقين بشرح علوم الدين ـ للمرتضى الزبيدى جـ ١ ص ٣١٤ مع خلاف .
(٣) سنن الترمذى جـ ٥ ص ٥١ .
(٤) البيت من البسيط .

وقال الحسن : التقدير نصف العيش ، والتودد نصف العقل ، وحسن طلب الحاجة نصف العلم .

وقيل : ثلاثة لاتكون إلا فى ثلاثة : الغنى فى النفس ، والشرف فى التواضع ، والكرم فى التقوى .

وقيل : ثلاثة لاتعرف إلا فى ثلاثة ، ذو البأس لايعرف إلا عند اللقاء ، وذو الأمانة لا يعرف إلا عند الأخذ والعطاء ، والإخوان لا يعرفون إلا عند النوائب .

وقال عمر بن الخطاب ﷺ : أخوف ما أخاف عليكم شح مطاع ، وهوى متبع وإعجاب المرء بنفسه .

ومر أعرابى برجل صلبه السلطان ، فقال : من طلق الدنيا ، فالآخرة صاحبته ، ومن فارق الحق ، فالجذع راحلته .

وقال قس بن ساعدة : من فاته حسب نفسه ، لا ينفعه حسب أبيه ،

وقال عليه السلام : لا دين إلا بمروءة[١] .

وقال ربيعة : المروءة ست خصال ، ثلاثة فى السفر ، وثلاث فى الحضر ، فأما التى فى السفر ، فبذل الزاد وحسن الخلق ، ومداعبة الرفيق ، وأما التى فى الحضر فتلاوة القرآن ، وملازمة المساجد ، وعفاف الفرج .

وقيل : من أخذ من الديك ثلاثة أشياء ، ومن الغراب ثلاثة أشياء ، تم بها أدبه ، من أخذ من الديك سخاءه وغيرته وشجاعته ، ومن الغراب بكوره فى طلب الرزق ، وشدة حذره ، وسترة سفاده .

وقال المأمون : الرجال ثلاثة ، فرجل كالغذاء لا يستغنى عنه ، ورجل كالدواء يحتاج إليه حينا ، ورجل كالداء لايحتاج إليه أبدا .

وقال الخليل رحمه الله : الرجال أربعة ، رجل يدرى ويدرى أنه يدرى فذلك العالم فاسألوه ، ورجل يدرى ولايدرى أنه يدرى فذلك الناسى فذكروه ، ورجل لايدرى ، ويدرى

---

(١) لم أقف عليه .

أنه لا يدرى فذلك الجاهل فعلموه ، ورجل لايدرى ولا يدرى أنه لا يدرى فذلك أحمق فارفضوه .

وفى الحديث : إذا أحب الله عبدا حببه إلى الناس[١] ، أخذ المعنى ابن عبدربه ، فقال :

وجهٌ عليه من الحياء سكينةٌ ومحبةٌ تجرى مع الأنفاس
وإذا أحبَّ الله يوماً عبدَهُ ألْقَى عليه محبةً للناس[٢]

وقال على بن أبى طالب رضي الله عنه : لاراحة لحسود ، ولا إخاء لملول ، ولا محب لسىء الخلق .

وقال عبدالله بن مسعود : لاتعادوا نعم الله ، قيل : من يعادى نعم الله؟ قال : «الذين يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله» .

وقال عليه السلام : شر الناس من اتقاه الناس لشره[٣] .

وعرض على أبى مسلم فرس جواد ، فقال لأصحابه : لماذا يصلح مثل هذا الفرس؟ قالوا : أن يُغزى عليه العدو ، قال : لا ، ولكنه يركبه الرجل ، فيهرب عليه من الجار السوء .

وقالت الحكماء : لا شىء أضيع من مودة من لا وفاء له ، واصطناع من لا شكر عنده والكريم يود الكريم عن لقية واحدة ، واللئيم لا يصل أحدا إلا عن رغبة أو رهبة .

وقال ﷺ : من أوتى حظه من الرفق ، فقد أوتى حظه من خير الدنيا والآخرة ، ومن حرم حظه من الرفق ، فقد حرم حظه من خير الدنيا والآخرة[٤] .

وقال بعض الحكماء : العين باب القلب ، فما كان فى القلب ظهر فى العين .

وقيل لبعض الحكماء : علام أسست عبادتك؟ قال : على أربعة أشياء ، علمت أن لى رزقا لا يفوتنى ، فلم أشغل قلبى به ، ولم أطلبه ، وعلمت أن لى أجلا يبادرنى فأنا

(١) الفتح الكبير جـ ١ ص ٦٨ .
(٢) البيتان من الكامل ـ العقد الفريد جـ ١ ص ٧٢ .
(٣) الفتح الكبير جـ ٢ ص ١٣٧ .
(٤) لم أقف عليه .

أبادره ، وعلمت أن على فرضا لا يقيمه غيرى ، فأنا مشتغل به ، وعلمت أنى لا أغيب عن نظر ربى ، فأنا مستح منه .

وقال بعضهم : عشرة من مكارم الأخلاق ، صدق الحديث ، وصلة الرحم وحفظ الجار ، وأداء الأمانة ، وبذل المعروف ، ومكافآت الأيادى ، ورعاية ذمام الصاحب ، وقرى الضيف ، وكتمان السر ، ورأسهن الحياء .

وكان يقال : أربعة من كن فيه فقد حيزت له الدنيا والآخرة ، صدق الحديث ، وأداء الأمانة ، وعفاف الطعمة ، وحسن الخلق .

وقال بعض الحكماء ستة إن أهينوا فلا يلوموا إلا أنفسهم ، المستخف بالسلطان ، واللاعب مع الصبيان ، ومعترض السكران ، والمقبل بحديثه علي من لا يسمعه ، ومن قعد مقعدا ليس بأهل له ، ومن تقدم إلى طعام لم يدع إليه .

وقال بعض الحكماء ، من كتم السلطان نصيحته ، والأطباء مرضه ، والإخوان بثه ، فقد أخل بنفسه .

وقالت الحكماء : إمام عادل خير من مطر وابل .

وقال الشعبى : قال لى ابن عباس ، قال لى أبى : إنى أرى هذا الرجل - يعنى عمر ابن الخطاب - يستفتيك ويقدمك على الأكابر من أصحاب رسول الله ﷺ ، وإنى موصيك بخلال أربع ، لاتفش له سرا ، ولا يجربن عليك كذبا ، ولا تطو عنه نصيحة ، ولاتغتابن عنده أحدا ، قال : لابن عباس : كل واحدة خير من ألف ، قال : إى والله ، ومن عشرة آلاف .

وقال بقراط الحكيم : العفو يفسد من اللئيم بقدر ما يصلح من الكريم .

ومن حكم البخلاء ووصاياهم ، قال أبو الأسود الدؤلى : إمساكك ما بيدك خير من طلبك ما بيد غيرك .

وقال : لو أطعنا المساكين فى أموالنا لكنا أسوأ حالا منهم .

وقال لهم : لاتجادوا الله ؛ فإنه أجود وأكرم ، ولو شاء أن يغنى الناس كلهم لفعل ، ولكنه علم أن قوما لايصلحهم ، ولا يصلح لهم إلا الغنى ، وقوما لا يصلحهم ولا يصلح لهم إلا الفقر .

وقال رجل من تغلب : أتيت رجلا من كندة أسأله ، فقال : يا أخا بنى تغلب ، إنى ، والله لو مكنت الناس من دارى لنقضوها طوبة طوبة ، والله ما بقى بيدى من مالى وعرضى إلا ما منعته من الناس .

وقيل لخالد بن صفوان : مالك لاتنفق . فإن مالك عريض؟ فقال : الدهر أعرض منه ، قيل له : كأنك تأمل أن تعيش الدهر كله ، قال : لا ، ولكنى أخاف ألا أموت فى أوله .

وقال الجاحظ : قلت لرجل : أترضى أن يقال لك بخيل؟ قال : لا أعدمنى الله هذا الاسم ؛ لأنه لا يقال لى : بخيل ، إلا وأنا ذو مال ، فسلم لى المال ، وسمنى بأى اسم شئت .

وقال شبيب : اطلبوا الأدب ؛ فإنه مادة العقل ، دليل على المروءة ، صاحب فى الغربة ، مؤنس فى الوحشة ، صلة فى المجلس .

وقال الخليل ـ رحمه الله ـ : من لم يكتسب بالأدب مالا ، اكتسب به جمالا .

وقال عبدالملك بن مروان لبنيه : عليكم بالأدب ؛ فإنكم إن احتجتم إليه كان لكم مالا ، وإن استغنيتم عنه كان لكم جمالا .

وقال عبدالملك بن مروان سمعت بعض الأعراب يقول : الفقر فى الوطن غربة ، والغنى في الغربة وطن .

وقال الخليل بن أحمد رحمه الله : ثلاثة أحبها لنفسى ، ولمن أريد رشده ، أحب أن أكون[1] بينى وبين ربى من أفضل عباده ، وأكون بينى وبين الخلق من أوسطهم ، وأكون بينى وبين نفسى من شرهم .

وقيل ثلاثة ينسين المصائب ، مر الليالى ، والمرأة الحسناء ، ومحادثة الرجال .

وعن ابن عمر رضي الله عنه قال : ثلاثة تجلو البصر ، النظر إلى الخضرة والنظر إلى الماء الجارى ، والنظر إلى الوجه الحسن .

وقال ابن عباس رضي الله عنه : من لم يجلس فى الصغر حيث يكره ، لم يجلس فى الكبر حيث يحب .

(١) فى المتن «يكون» وصوابها أكون .

ومر ابن الخطاب رضي الله عنه ببنيان يبنى بآجر وجص ، فقال : لمن هذا؟ فقيل : لعامل من عمالك ، فقال : أبت الدراهم إلا أن تخرج أعناقها ، وأرسل إليه من يشاطره ماله .

وقال رسول الله ﷺ للمجاشعى : إن كان لك مال فلك حسب ، وإن كان لك خلق فلك مروءة ، وإن كان لك دين فلك كرم(١) .

وكان سعد بن عبادة رضي الله عنه يقول : اللهم ارزقنى حمدا ومجدا ؛ فإنه لامجد إلا بفعال ، ولا فعال إلا بمال .

وقال حكيم لابنه : يابنى ، أوصيك ، عليك بطلب المال ، فلو لم يكن فيه إلا أنه عز فى قلبك ، وذل فى قلب غيرك[؟] .

وقال آخر لابنه : أوصيك باثنين ، لن تزال بخير ما تمسكت بهما ، درهمك لمعاشك ، ودينك لمعادك .

وعن ابن عمر رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : خلقان يحبهما الله ، وهما السخاء والسماحة ، وخلقان يبغضهما الله ، وهما البخل وسوء الخلق ، وإذا أراد الله بعبد خيرا استعمله على قضاء حوائج الناس(٢) .

وقال عبدالله بن عمر رضي الله عنه : إنا ـ معشر قريش ـ نعد الحلم والجود سؤددا ، ونعد العفاف ، وإصلاح الحال مروءة .

وقدم وفد على معاوية ، فقال لهم : ما تعدون المروءة؟ فقالوا : العفاف ، وإصلاح المعيشة ، قال : اسمع يايزيد .

وقال النبى ﷺ لقوم من العرب : من سيدكم؟ فقالوا : فلان على بخل فيه ، فقال ﷺ : وأى داء أدوى من البخل(٣)؟ .

وقال كسرى : عليكم بأهل السخاء والشجاعة ؛ فإنهم أهل حسن الظن بالله .

(١) لم أقف عليه .
(٢) كنز العمال ـ علاء الدين المتقى الهندى رقم ٢٨٧٧٧ مع خلاف .
(٣) تفسير الطبرى جـ ١٠ ص ١٠٤ .

وقال ﷺ : اصنع المعروف مع من هو أهله ، ومع من ليس من أهله ، فإن أصبت أهله فهو من أهله ، وإن لم تصب أهله ، فأنت من أهله .

وقال عبدالله بن مسعود رضي الله عنه : القرابة قد تقطع ، والمعروف قد يكفر ، وما رأيت كتقارب القلوب .

وقال أكثم بن صيفى : القرابة تحتاج إلى مودة والمروءة لاتحتاج إلى قرابة .

وقيل لبعضهم : من أحب إليك؟ أخوك أو صديقك؟ فقال : ما أحب أخى إلا إذا كان صديقى .

وقال رسول الله ﷺ : أحب الناس إلى الله أكثرهم تحببا إلى الناس .

وقال بعض الحكماء : إذا أيسر الرجل ابتلى بثلاثة ، صديقه القديم فيجفوه ، وامرأته يتزوج عليها ، وداره يهدمها ويبنيها .

وقال رجل لبكر بن عبدالله : علمنى التواضع ، فقال : إذا رأيت من هو أكبر سنا منك ، فقل : سبقنى إلى الإسلام والعمل الصالح ، فهو خير منى وإذا رأيت من هو أصغر سنا منك ، فقل : سبقته إلى الذنوب فهو خير منى .

وقال الشافعى رضي الله عنه : أظلم الظالمين لنفسه من تواضع لمن لايكرمه ، ورغب فى مودة من لا ينفعه .

وقال أيضًا : من تعلم القرآن عظمت قيمته ، ومن نظر فى الفقه نبل مقداره ، ومن تعلم اللغة رق طبعه ، ومن تعلم الحساب جزل رأيه ، ومن كتب الحديث قويت حجته ، ومن لم يصن نفسه لم ينفعه علمه .

وقال بعض الحكماء : أقل الدنيا يكفى ، وأكثرها لايكفى ، أخذه أبو فراس فقال :

ما كلُّ ما فوق البسيطة كافيا وإذ اقنعْتَ فكلُّ شيءٍ كافى[١]

وقال ﷺ : سافروا تغنموا ، وصوموا تصحوا[٢] .

(١) البيت من الكامل ـ ديوان أبى فراس ص ١٩١ ـ دار بيروت للطباعة والنشر .
(٢) إتحاف السادة المتقين جـ ١ ص ٣٢٢ ،

وقال موسى بن عمران عليه السلام : لاتذموا السفر ؛ فإنى أدركت فيه ما لم يدرك أحد ، يريد أن الله تعالى كلمه .

وقال رجل لمعروف الكرخى : يا أبا محفوظ ، أتحرك لطلب الرزق أم أجلس؟ قال : لا ، بل تحرك ؛ فإنه أصلح لك ، فقال له : أتقول هذا؟ فقال : ما أنا قلته ، ولكن الله تعالى قاله وأمر به ، قال لمريم : ﴿وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا﴾[(١)] ، ولو شاء أن ينزله عليها لأنزله ، أخذه الشاعر فقال :

ألم تَرَ أن اللهَ أَوحى لمريم ... وهُزِّى إليك النخلَ تَسَّاقطِ الرُّطَبْ
ولو شاءَ أن تجنيه من غير هزِّها ... جَنَتْهُ ، ولكنْ كلُّ شىء له سَبَبْ[(٢)]

قيل لأعشي بكر : إلى كم ذا الاغتراب ، أما ترضى بالدعة؟ فقال : لو دامت عليكم الشمس لملتموها ، أخذ المعنى حبيب فقال :

وطولُ مقامِ المرءِ فى الحىِّ مُخْلِقٌ ... لديباجَتَيْهِ ، فاغتربْ تَتَجَدَّدِ
فإنى رأيتُ الشمسَ زادت محبةً ... على الناس أنْ ليستْ عليهم بسَرْمَدِ[(٣)]

وقال الحكماء : لاتدرك الراحة إلا بالتعب ، ولا الدعة إلا بالنصب .

وسئل بعض الحكماء : أى الأشياء أحلى؟ قال : النصرة على العدو بعد الهزيمة ، والاستغناء بعد الحاجة ، والغلبة للمتكلم .

وحكى الأصمعى قال : كنا بطريق مكة فى بعض المنازل ، إذ وقفت علينا أعرابية ، فقال : أطعمونا مما أطعمكم الله ، فناولها بعض القوم شيئا ، فقالت : كتب الله لك كل عدو إلا نفسك .

قال معاوية : كل الناس أقدر على أن أرضيهم إلا حاسد نعمة ؛ فإنه لا يرضيه إلا زوالها .

(١) سورة مريم الآية ٢٥ .
(٢) البيتان من الطويل .
(٣) البيتان من الطويل ـ ديوان أبى تمام جـ ٢ ص ٢٣ طبعة محمد عبده عزام ـ دار المعارف .

وقيل : للمعروف خصال ، تعجيله وتيسيره وستره ، فمن أخل بواحدة فقد بخس المعروف حقه .

وحدث الشعبى[1] قال : صاد رجل قمرية ، فقالت له : ما تريد أن تصنع بى؟ قال : أفكك وآكلك فقالت : والله ، ما أشبعك من جوع ، وخير لك من أكلى أن أعلمك ثلاث خصال ، واحدة وأنا فى يدك ، والثانية وأنا على الشجرة ، والثالثة وأنا على الجبل ، قال : هات ، قالت : لاتلهفن على شىء فات ، فخلى سبيلها ، فلما صارت على الشجرة قالت : لا تصدقن بما لا يكون أنه يكون ، فلما صارت على الجبل قالت : يا شقى ، لو ذبحتنى لأخرجت من حوصلتى درتين فى كل واحدة عشرون مثقالا ، فعض الرجل على يده ندما وتلهفا ، ثم قال : هات الثالثة ، قالت : أنت قد نسيت الأولى والثانية ، فكيف أخبرك بالثالثة؟ ألم أقل لك : لا تلهفن على ما فات ، ولا تصدقن ، بما لا يكون أنه يكون؟ أنا ولحمى ودمى وريشى لا يكون فى عشرون مثقالا ثم طارت .

(١) وردت فى العقد الفريد جـ ١ ص ٢٣٨ .

الحديقة الخامسة

فى أمثال العامة وحكمها

وفيها باب واحد مرتب على حروف المعجم وفيه فصول

الفصل الأول

أشهر من الريحان فى دار العرس أخذه الشاعر فقال :

فَضْلُهُ بيْن الورى مُشْتهِرٌ   شُهرةَ الرَّيحان فى دارِ العروس[1]

أسخف من عبو الفحام الذين يزين الفحم بالورد ، أذل من قط ابن أحمد الذى يغرم الجزية للفرين . أضد من أقرع ، أثقل من غريم . أسلط من مجذوم . أرق من دين طبينة . أقدم من إبليس . أكسى من بصلة ، أكسى من جمارة . أعز من مجتاز فى قرية تقل قدم من الذى يجلس الكلب . أزلط من فار الجامع . أرق من دين يهودى . أعجز من الطريس يخرا فعش . أضيع من قنديل مع الشمس ، أسخف من قطاط الذى يحرز الغنم بالبطين ، أغزر من جحيم . أغرش من ثعلب ، قال الشاعر :

كُلُّهُمُ أَرْوغُ من ثَعْلَبٍ   ما أشْبَهَ الليْلَةَ بالبارحهْ[2]

أجوع من أنقر لعين ، أحوج من مبطول المد ساق . أخف من بق فشق . أقل عقل من خياط المى . أشط من عام الجوع ينظر إلى قال الشاعر :

نُبِّئْتَ أَنَّ فَتَاةً كنتُ أخطُبُها   عُرقوبُها مثلُ شهْرِ الصوم فى الطول[3]

أهين من البول فالسرير . فصل . إذا كان المحدث أحمق يكون المستمع عاقل . إذا رأيت لحية جارك تنتف اجعل متاعك فى الدباغ . إذا حج جارك بع دارك وإذا حج مرتين بع بالدين . إذا رأيت الدجاج تبق عين الفروج يسر السل للبيض . إذا بليت بالسعى اقصد الديار الكبار ينظر إلى قول الشاعر :

---

(١) البيت من الرمل .

(٢) البيت من السريع وهو لطرفة بن العبد - فى صباه - وقبله آخر هو :

كل خليل كنت خاللته   لاترك الله له واضحه

الشعر والشعراء ص٩٤ .

(٣) البيت من البسيط .

وإذا لَـمْ يـكـنْ مـن الـذلِّ بُـدٌّ فَـالْقَ بالذُّلِّ إنْ لقـيتَ الكِبـارا(١)

وإذا وقعت البقرة اجتمعت السكاكين . إذا وصلت لحاجتك لا تتكلف . إذا كان القاضى خصيمك لمن تشتكى قال الشاعر :

يئِسْتُ من الإنصافِ بينى وبينَه ومن لِىَ بالإنصافِ والخَصْمُ يحْكُمُ(٢)

إذا انطارب الزمار طاب العرس . إذا كنت ميجم مراس وإذا كنت وتد انصب راس . إذا كنت قادركن نعم القادر . إذا فاتك الطعام قل شبعت . إذا بات الهم فات . إذا اجتمعت القمار يتناصف . إذا عطب الفيل فعظامه راس ميل . إذا أصبت الزياد أبشر بالنقصان . إذا أراد الله يعطيك دارك يدل . إذا غاب الوجه إش للقفا من حرمة . إذا لم ينفعك الباز انتف وهذا كقول الشاعر :

إنْ لم يكنْ رُشْـدُ الفـتى نافـعـا فَـغَـيُّـهُ أحْـسَنُ من رُشْـده(٣)

إذا رأيت حد يصلب زيد شدا . إذا جئت تقلى سوف تدرى ينظر إلى قول الشاعر وهو أبو فراس الحمدانى :

سَيَذْكُرُنى قومى إذا جَدَّ جِدُّهُمْ وفى الليلة الظلماءِ يُفْتقدُ البدْرُ(٤)

إذا بار الريح فالبنيس يدخل . إذا رأيت حمارك يمشى لا تزد منخص . إذا فاق العليل اشتهى خبط الطبيب . إذا رأيت حنش يلمع ادرى أن آخر بلع . إذا عدم الصوف يجز الكلاب ينظر إلى قول الشاعر :

خلتِ الديارُ فسُدْتَ غيرَ مُسَوَّدِ ومن الشقاء تفرُّدِى بالسُّؤْددِ(٥)

إذا أكلت الخنزير كول سمين . إذا غلا القمح اش لو حصا له . إذا أصيب القمح أهرق الشعير . إذا كنت فضولى كن فى جيهة المخزن . إذا كان السخا من الشامل لا يسبقك به

(١) البيت من الخفيف .

(٢) البيت من الطويل .

(٣) البيت من السريع .

(٤) البيت من قصيدة ذائعة لأبى فراس ، وهو من الطويل ديوانه ص ١٦١ .

(٥) البيت من الكامل ، وهو ذائع ، وينسب لأكثر من واحد ، ورد فى وفيات الأعيان ، جـ ٤ ص ٢٢٠ ، وفى هامشها : قاله رجل من خثعم ، وينسب إلى عمرو بن النعمان البياضى ، وورد فى العقد الفريد جـ ١ ص ١٥٧ .

أحد . إذا كثر همك أرقدك . إذا حبك القمر لاتبالى بالنجوم ، إذا كان معك جار لطيف ادعى إلى الله أن لا يزول ، وهذا كقول الشاعر :

كنتُ أشكو من التبـاعـد دهرا صرتُ أبكى من التفـرقِ دهرى[(١)]

إذا دخلت بلد فخذ من سير أهل وهذا كقول الشاعر :

وكنْ أكْيَسَ الكَيْسى إذا كنتَ فيهمُ وإن كنت فى الحمقى فكنْ أنت أحمقا[(٢)]

إذا ترى الأكل اقرب وإذا ترى المقرع اهرب . إذا كان الطريق آمن لا عليك من بعد . إذا يجى الرزق يجى بدول . إذا اشتريت افتكر في يوم تبيع . إذا كثر الطير خرى بعض لبعض . إذا طارت لا تقله اش . فصل . إش يعمل الكيس في البيت الفارغ وهذا كقول الشاعر :

لقـدْ أسْـمَـعْـتَ لو ناديْت حـيًّـا ولكـنْ لاحـــيـــاةَ لمن تُنادى[(٣)]

اِش يعمل العقرب بين الجراد وهذا كقول الشاعر :

تكاثرتِ الظبـــاءُ على خِـــراشٍ فـمـا يدرى خِـراشٌ مـا يصيـدُ[(٤)]

اِش تجى عزيز من القاضى . اِش ما يصيب الغبار يحمل للدار . اشحل تاكل صايم تصبح . اشحل نذرى أكثر يخصك وهذا كقول الشاعر وهو حازم :

أهَلْ درى عـارفُ وجـدى أنَّ مـا مـا لـم يدْرِ أكـثـرُ مما قـدْ درى[(٥)]

(١) البيت من الخفيف .

(٢) البيت من الطويل ، وله سابق يقول :

وللدهر أيام فكن فى لباسه كلبسته يوما أجد وأخلقا

وهما لماجد بن علقمة أو لماجد الأسدى ـ البيان والتبيين جـ ١ ص ٢٤٥ .

(٣) البيت من الوافر .

(٤) البيت من الوافر ، وقد ورد فى الأغانى منسوبا لعبد الله بن معاوية ـ جـ ١٢ ص ٢٢٩ ، وروايته وإن كانت غير مشهورة ، كما هى هنا :

تفرقت الظباء على خداش فما يدرى خداش ما يصيد

(٥) هذا البيت من مقصورة حازم القرطاجنى ، وهى ذائعة ، عارضها كثيرون حتى العصر الحاضر ، ولها معارضات في الشعر العمانيِ قديما وحديثا ، لعل من أشهرها حديثا مقصورة الشيخ عبدالله الخليلى ، لكن مقصورة حازم شأت كل من عارضها تقريبا . وهى من الرجز .

اش شيء أن لا يدرى قال شيء لاينوى ، اش أسود إذا قال سيدى أحمد . اش دخل ضرط لمنجل . اش دخل باسم الله فى خبزنا . إش دخل است لقلب قال العروق متصل . اش بين ترنج وبطيخ قال مبيت ليل . اش شيء أسرع من البرق قال يدفعنى إذا قال خذ . اش كلنا حتى نشرب عليه . اش برطل واش مرق وشى لزم فى ساق . اش ما كتبت أنت قريت أنا . اش بين الأحمق والعاقل قال كشف عورة . اش يراد الطاس يبزق فيه الدم وهذا كقول الشاعر وهو أبو فراس :

ولا أنا راضٍ إن كـثُـرْنَ مكاسـبى　　　إذا لم تكنْ بالعـز تلك المكاسبُ[(١)]

اش لو الشابع من الجايع . اش ينفع الضراط عند الموت . اش يوصل غربتى لأهلى [قال الشاعر] فى الشرق أحبتى وفى الغرب أنا[(٢)] .

اش الشخينة من يد سلوة . اش ما فى القدير المغير ف تخرج . اش ما وفر العنزى فى دار الدباغ يخليه . . فصل . اش يقوم حيط من حيط إلا في عمارة . اش بنا ألف إلى الذى يجى وراه . اش المرقد القداح . اش للباز إلا ما حاز . اش ينوح إلىّ مقروح . اش فى البقير ما تشرب العجيلا . اش اطامن طا وهذا كقول أبى فراس :

ولا الفضَّةُ البيضاءُ والتِّبْرُ واحدٌ　　　نَفُوعانِ للمُكْدِى وبينهما صرْفُ[(٣)]

اش للراس أنقى من المس . اش تربى الكشفا ولد أحد . اش تعلم اليتيم البكا قال الشاعر :

فلا تَصِفَنَّ الحرْبَ عندى فإنها　　　طعامِىَ مُذْ بعتُ الصِّبا وشَرابى[(٤)]

اش عمل الصور إلى لأبناء الحلال . اش تسع العفافى فى رأس كل أحد اش ينطب الأحمق إلى فالغدران . اش يجى كيس إلا من مشعوف . اش يرى الأحدب حدبة إلى متاع غيره ، اش عليه البغل من ركض أم . اش يخرج قنديل للريح . اش يكل سبع إلى فى عام سو . إش يقول الحق إلى صبى أو أحمق ، اش تشبه ضرط لجرقب ، اش الخل طعام

---

(١) البيت من الطويل ديوان أبى فراس ص ٣٨ .

(٢) ليس هذا بقول شاعر ، بل هو قول ناثر .

(٣) البيت من الطويل وليس فى ديوان أبى فراس .

(٤) البيت من الطويل .

القطاطيس . اش يضرب السارق على سرقته إلى على قلة ذريته . اش ينبح الكلب إلا قدام دار . اش ينفع الحلقين بالراكل . اش يصطاد باز قدام عـقـاب . اش يهـرب قط من مطبـاخ وهذا كقول جرير :

لقد أصبحتْ عِرْسُ الفرزدق ناشزًا ولو رضيتْ رمْحَ اسْتِهِ لاسْتقرّتِ(١)

اش يلوم الشيء إلا من لا يقدر عليه . اش يمشى مركب فى البر . إش تبقى الحم دون مبطول . اش يبكى إلى على ما يخلى ، اش خلف كما تعرف . اش يسمعنى فالقلب نفسى وهذا كقول الشاعر :

وهل يُجـــمع الســـيــفـــان ويْحَكِ فـى غِـــمْـــــدِ(٢)

اش تخرج شوكة بقطن . اش يسمع القاضى من ساكت . اش تغلى قدر فى نفسى . اش الجراز يكبر اللقم وهذا كقول ابن عمار :

غـــيّـــرْتُمـــونى بالنُّحـــول وإنما شَـــرفُ المهنَّدِ أن تَرقّ شِـــفَـــارُهُ(٣)

اش كل مدور كعك وينظر هذا إلى قول الشاعر :

أكلَّ امـــرئٍ تحـــســبين امـــرءاً ونـارٍ تَـوَقَّـــــــدُ بالـلـيـل نـارا(٤)

اش يكل الكعك إلى من يد الصناع . اش تقع حـجـة إلى فى نفـسى . إش ياكل الحرام إلا بالاتفاق . اش يقول أحد عن قط خرير . اش يقال الحق إلى بشواى من باطل .

---

(١) البيت من الطويل . وهو لجرير ، ورد فى الأغانى لجعفر بن الزبير ، جـ٩ ص ٣٣٠ ، وروايته :

ألا تلكم عـرس الفـرزدق جـامـحـا ولو رضيت رمح استـه لاستـقـرت

وورد فى طبقات فحول الشعراء :
وقد أنشده ابن سيرين برواية الحدائق وقام ليصلى حين سئل هل إنشاد الشعر ينقض الوضوء ، وأنشد البيت الآخر الذى سبق فى هذا الباب «عرقوبها مثل شهر الصوم فى الطول» زهر الآداب ـ المجلد الأول ص ٢٠٧ .

(٢) شطر من الطويل ، وهو لأبى ذؤيب الهذلى ، أوله وتاليه :
وهو من شواهد النحو ـ الشعر والشعراء ص ٤١٣ .

تريدين كـيـمـا تجـمـعيني وخـالدا وهل يجمع السيفان ويحك فى غمد
أخـالـد مـا راعيـت منى قرابـــة فتحفظنى بالغيب أو بعض ما تبـدى

(٣) البيت من الكامل ، وهو لابن عمار الأندلسى
(٤) البيت من المتقارب من شواهد النحو ، قاله أبو داود الإيادى وهو جارية بن الحجاج ، شرح ابن عقيل جـ ٢ ص ٧٧ ـ وفى شـرح الأشـمـونى ينسب لابن أبى داود فى جـارية بن الحـجـاج جـ ١ ص ٥٢٦ . ولعل الأصح : أبو دواد الإيادى ، ولعل ابن عقيل والأشمونى حدث فيها خطأ مطبعى في اسم الشاعر ـ انظر الشعر والشعراء ص ١٢٢ .

اش ينفض الجوز إلى بالمقرع ، اش قدر للحمار رجع للبردع . اش يدرى حمار اش زنجبيل . اش يقرن الخز لوبر المعز . إش يصطاد الكلب إلا خانق . اش يلد الحنش إلا طويل . إش زلت الحول حتى أرت الدول . اش يقوم كفوها بحفرها . اش قطعت أذنيها إلى أن تكون صياد ، فصل . اش قال على الطيران أحبتنى . اش غيرك فالعش . فصل . الله يجعل آخرنا أحسن من أولنا . الله يخلطنا مع من هو أحسن منا . الله لايورينا نهار سوء أن نمدح . الله يعطينا رزق ويعطينا فاش نجعلوه . فصل . البيان فى الفدان خير من اللطام فى الأندر . الغربيل الجديد أربعين يوم يعلق . الناس فى العرق وهو يقول المرددوش للغرس . المفتح فى حربتى والناس فى غرفتى . الكيس بالسوم وغير ذى سرق . الحمار يدرى فى وجه من يضرط . الزلط ما لو مروة . الكلب الجويل اش ياكل من عظام دار . العشت الطيب من بحين تظهر . البويل فى السرير أقوى صول . البيت فيت ، الجبال لها عنين والحيطان لها أذنين . الشىء كثير والشاكل قليلة . الفقيه الدكالى اعمل بقولى ولا تعمل بأعمالى . اللون يبيع البرذون . الناس مع الناس والهريق مع الفاس . الدراهم تجلب الدرهم . المعروف فى وقت خلا البيض الشقر كيف السود النقر ، المريب يقول خذونى قال إبراهيم بن سهل اليهودى .

هيهات لاتخفى علاماتُ الهوى   كـادَ المُريبُ بأن يقـولَ خُـذونى[(١)]

الزمر فالأصابع . السلف مردود وصاحبه مشكور . الكركر والعيش المر . البالغ لا ترضيه . السبع أى يدى اش يدى ، الجلوس بلا شغل يحمق . الجديد فى يد الأحمق يمتد .

التجار مضمونة آكن اش تربح تخسر ، الكبار ولو كان حصارم وينظر هذا إلى قول المتنبى :

التـاركين من الأشـيـاء أهْوَنَهـا   والراكبين من الأشياء ما صَعُبا[(٢)]

الغازى والفار لا تعلمهم الدار . الظن اللطيف لاتفارق . السياط للسيف سلامة . الضراط مع الأصم نزيهة . الفرن انبنى قبل الجامع . الضرب يعلم الرقص قال ابن الجهم :

ولكن إحسَان الخليفةِ جعفرٍ   دعانى إلى ما قلتُ فيه من الشعْرِ[(٣)]

---

(١) البيت من الكامل ـ لابن سهل .
(٢) البيت من البسيط ـ للمتنبى يمدح أبا المغيث العجلى ـ ديوانه ـ شرح العبكري جـ ١ ١١٨ .
(٣) البيت من الطويل ـ لعلي بن الجهم .

المطير فى البيض يعتر . الكل ذلك الرجل قال الشاعر :

ولاتحسبنْ هندا لها الغدرُ وحدها   سجية نفس كلُّ غانية هِنْدُ(١)

الجالس على الغدير عوام . الرهن بين القصار . الحك أوكد من الفلى . القرض من العرض والزريع وحد . قال أبو السعود :

فإلا يكنْها أو تكنْهُ فإنه   أخوها غَذَتْهُ أمُّه بلبَانِها(٢)

الطرق الكبار وإن طالت والعزبات وإن بارت . اللقيته الرملى من فسيوه . الجيد فى قاع السل يبقى . الدخول بالمرو هين والخروجَ منها صاعب . والدور والتحليق على الدقيق . المقتول منا والدى علينا ، العوينيت إلى تودك من بعيد تضحك لك وهذا كقول الشاعر :

أُصادقُ قَلْبَ المرءِ من قبْل جسمِهِ   وأعرِفُها فى لحْظِهِ والتَّكلُّمِ(٣)

الهدى مقبول ولو كانت قول . الطلى من أول شىء ما هو شىء . القطيع لى نصرا إذا كان قطع فأخرى . الحواجل بالمحفل عربد . المنيكى توا تنصر . الشىء فالزيد نقص من . العلة بالعزلة لاترى ولا تدرى . الفول إذا نور شهر يدور . فصل أرى الجبن ولم يرى القط . أنبت كميمن حتى يزرعك سليمان . انصف الناس وشاركهم فى أموالهم . اقسم البحر يرجع سواقى . اربط صبعك صحيح تجاد . أورلى حق وكل . انطح موسى يقع عيسى . أما قيمة اليوم ولولا ما دخل الليل كتخد واحد أو انتي . أحول بوقيع يجي من أعمي . اسأل العليل ولا تسأل الطبيب .

اعط الكبش لمن يهنك الكرش . آخر العصير سل . آخر الصيف قد يرى . احتكت الحمار والزيتونة جى منها أهل وختونة . اذكر الكلب يسر المقرع . اذكر الحبيب يسر الزبيب . اعمل خير وارقد فالطريق . أمنا تعزى ولدنا يجي بالأخبار . اضحك للصبي يكشف لك است ، أخو من شتى زياد فالأعدى قال أبو فراس :

---

(١) البيت من الطويل .

(٢) البيت من الطويل ـ لأبى الأسود الدؤلى ، وهو من شواهد النحو ـ شرح الأشمونى على ألفية ابن مالك ، ومعه شرح الشواهد للعينى جـ ١ ص ٧٧ ـ دار إحياء الكتب العربية .

(٣) البيت من الطويل .

فـأقْـصـاهُـم أقـصـاهُـم من إسـاءتى   وأقـربهـم ممَّنْ كـرهتُ الأقـارِبُ(١)

اخـدم باطل ولا تجلس عـاطل . اسم على واه اش يغطى رجلى ، إمـا نموت بالعطش وإما نمشو فالسيل وهذا كقول أبى فراس :

ونـحـن أنـاسٌ لاتـوسُّـطَ بـيـنـنـا   لنا الصـدْرُ دون العـالمين أو القبـرُ(٢)

أسير الصلح اش لو فدى . أعمش يلعب غبار . أعطنى قطير نبكى معك دميعه . انزل عليه عـمك خـالك أى وحش تفـضى لك ، أعطنى مـتـاعك أو إلى نكسر دراعك . اخز الصغار يشعوف الكبار . أدب حموا يدق فالجبص ويصفر فالجامع . أسود بلا سياط بحال جامع بلا حصور . اكسر قدح يجك أملح . أقل للمحروم اتغصص قال بعد العيد أرخص . أطيب تينة وقـعت فى الزيت . انتظار الجـبنا خـيـر من أكله ، أيام إن مـضت لش تعـود . أشكرنى فـمدحك اسلف يطلبك . ازوج فى غـرناطة ومت فى بليش . انجبرت الخرجير بصاطل . أضعف ساق الله يكسار . وهذا كقول أبى فراس :

رعى الله أوفـانا إذا قـال ذمَّـةً   وأنْفَـذَنَا طعْنًا وأثبَـتَنَا ضَـربًا(٣)

إبليس بلا بطاق أدرى إذا بطق لو . افتح كرنب سلقتكم إن اللحم غالى . أما تستر الثياب قال أبو فراس :

وقـد صـار هذا الناسُ إلا أقلَّهم   ذئابا على أجـسـادهن ثيـابُ(٤)

إن حضر إش يشور وإن غاب اش ينتظر قال الشاعر :

فَـيُـقـضى الأمـرُ إن غـابتْ تَميمٌ   ولايُسـتـأذنون وهمْ شُـهـودُ(٥)

---

(١) البيت من الطويل - لأبى فراس ديوانه ص ٢٣ .
(٢) البيت من الطويل - لأبى فراس ديوانه ص ١٦١ .
(٣) البيت من الطويل - لأبى فراس ديوانه ص ٤٣ ، وروايته «وأثبتنا قلبا» ولعلها أدق .
(٤) البيت من الطويل - لأبى فراس ديوانه ص ٢٥ .
(٥) البيت من الوافر ، وله رواية ذائعة تقول :

ويقـضى الأمـر حين تغـيب تيم   ولايسـتـأذنون وهم شـهـود

اقـرا النقـيض مع كل أحـد تفلح . اخـرج عن بلدك وبل بالواقف . ارم أحـدب [تجد أحدب[1] وهذا كقول الشاعر :

وليس يَهْلِكُ منا سـيـدٌ أبدا   إلا افـتلينا غـلامًـا سيـدا فـينا[2]

انتظر من توعد يجك من لم تظن به . أى م يمشى المحروم بقيله فحص يجاد .

اشقطير تحت يد فونير . ارحمونى خضر والحيرم إلى على الحمار . ارحمنى وارحم متى الساحل . احبسوا لى ذا الحمير ندخل فى الشرير . أعجزأولادك شياع للحطب . اتبع القليبق حتى تعميه ، أنا أمير وأنت أمير فمن يقود الحمير . قلت الكلب قال الكلب لذناب . آخر لقمة عجين . أكل فقى دون زريب . امدح العوام ولو كانوا أعاديك . اعطنى ميز تنفق عليه قال المميز ينفق على روح . أرنب تاكل لحم قال بالى بجلدى كنخلص وهذا كقول الشاعر :

وقـد طوَّفْتُ فى الآفـاق حـتَّى   رضـيتُ من الغنيمـةِ بالإياب[3]

حرف الباء .

بحال من مضال ماشط وأصاب حمام . بحال غازى لاينكرك ولا يعطيك . بحال سوق بلش فالهبط . بحال بندق أكبر من الذى عمال . بحال موج إذا أراد يجوط يجوط وإذا أراد يموا يموا وهذا كقول الشاعر :

فـإذا مـا أردْتَ كنْتَ رِشـاءً   وإذا مـا أردْتَ كنْتَ قَليـبـا[4]

بحال رخام يسكت عام ويقول نخرا . يد كيبوس اجعل من فوق هبط من أسفل . بحال فخار إن معيوب زوج فى واحد . بحال أمشاط طول النهار ويبيت الليل معنقين . بحال من سعى واهتر فل . بحال فاس يخدم باللقمة . بحال اسفرنج فى فج . بحال خروف

(١) «تجد أحدب» من [ح] .

(٢) اليت من البسيط ، وهو لنهشل بن حرى النهشلى ، وقبله :

إنا لـمـن مـعـشـر أفنـى أوائلهـم   قـيـل الكمـاة : ألا أيـن المحـامـونـا

لو كان فى الألف منا واحد ، فدعوا   من عـاطــف ، خـالهـم إيـاه يعنونا

الشعر والشعراء ص ٤٠٥ .

(٣) البيت من الوافر ـ لامرئ القيس ـ الشعر والشعراء ص ٤٢ .

(٤) البيت من الخفيف .

جنان . بحال فرس القيونى أول خرجت اش يعجبك وما مضى يخلى . بحال ميز غمارا نفسى فى كدى . بحال فروج يدن واش يصلى بحال عرسّ إبليس يسمع واش يرى . بحال شرطى ياكل معك ويكسر الصحفة . بحال يضى قنديل للناس ويحرق روح . وهذا كقول الشاعر :

كمرضعة أولاد أخرى وضيعت بنى بطنها هذا الضلال عن الرشد(١)

ويشبهه أيضًا قول أبى فراس :

وأظمأُ حتى ترتوى الأرضُ والقَنا وأسْغَبُ حتى يشبعَ الذئبُ والنَّسْر(٢)

بحال صياح بليل عمد ولا من يخرج . بحال أعمى لا ندر أن مدرى بحال عجوز لقول الباطل . بحال اشقرا أكن اش تتكلم تهز رأسك . بحال قفه بنى تصل للسقف وترجع . بحال فرس سلطان مليح وعاقل . بحال (حانوت)(٣) فخار فالبسيس فالولج . بحال برغوت الأكل والقرك والكفن . بحال رحا ابزازر يدور على الشميل . بحال يهودى فى غضب الله . بحال محروم فى مال . بحال شريط تكس بالنهار وتعرى بالليل . بحال شمس فخندق . بحال بلوط زوال الشستى وارم فى النار . بحال بقير الجاموس القرن والحفى والرقاد فى المى . بحال طيزفيز فرد اذن وميت قرن . بحال من يرقص ربيب كبير أو فلى كبير . بحال سوس ياكل واش يشروب . بحال عزى فى حبس . بحال فسيس فى جنين . بحال غربيل شدق وشاعر . بحال جرعود رأسه فى الخرا وذنبه مرفوع . بحال قط باخراص . بحال ضبيه وترمى ومصارن . بحال قنبر الخوا والفرج . فصل(٤) . بيدم التمق حامد الرامى أخذ الحصن . بيدم ويجى الترياق من بيت المقدس يذهب صحب الوجع . بيدم تمتد مرى يرقد زب خوان . فصل . برور الشيخ بيد وهذا كقول زهير :

ومن يجعل العروفَ من دُون عرضِهِ يَفِرهُ ، ومن لا يتَّقِ الشَّتْم يُشْتِمِ(٥)

بين الأخ والخالا يمضى الابنه خسارا . بل صاف وادخل اصباعك فى عين الحكيم . بالكيل الذى تكيل يكيل لك . بيع القط باليد فالذنب . بدلة لون أحسن من معسل .

(١) البيت من الطويل .
(٢) البيت من الطويل ـ لأبى فراس ديوانه ص ١٥٩ وروايته : حتى ترتوى البيض .
(٣) أخلت به [س] .
(٤) أخلت به [س] .
(٥) البيت من الطويل ـ من معلقة ـ زهير شرح القصائد السبع الطوال ص ٢٨٥ .

بنخالتنا نستغنى عن درمك جارتنا . بين أخذ الدك واطلاق ينكسر ساق . برج أبو دلامة إن ترق إليه ترق . بالطول يتمشى المبطول . بنيان العمالق بالخرا والطرج . بدل جنب تصب راح . بيـدق حـاشى خيـر من لاشى . بطن يدل أى صنيع تشكل ، بشى لك قل بكل شى . بالجديد يغنى ، برطل فى فمك أحسن من مى ذهب في كمك . بشهوة للموت أصبح فى المقابر . برج حمام أبيض من برا أسود من داخل . حرف التاء . تحلق ابن بياضة تقع سرى فالخنقيق . تربية الحبس لا أدب ولا شكل . تعرف الخيل ركابه . تاجر بلا قطاع قليل الخروج . ترد أم حكم إلى استنجت بيد المهريز . تبيين الواضح فاضح . تحليق للجنة خير من المقصود للنار . تنظيم قناوة جوهرة وفوقنة . تنبرت مرماد أطم من فسوة مجذم . تد تكسب عدو ضريل سير وانقطعالو . تد تربح لاتفتح . تد تعيش كثير لا تطلع ثمار ولا تهبط فى بير .

حرف الثاء . ثوبى فالعنق من أمارة الحمق . ثوب العير لا يدوم ولا يدفى . ثوب العير قصير . ثمار ديش ذل بلا طعم . حرف الجيم . جى يدعى لرب خرق الفروج فى عين وهذا كقول الشاعر :

إن كـان غـيـرُ الله للمـرء عُـدةً　　　أتتْـه الرَّزايا من وُجـوهِ الفـوائدِ[1]

جي يعمل حسنه خرجت لو سيئة ويشبه هذا قول الشاعر :

إذا لم يُرزقِ الإنسـانُ بَخـتًـا　　　فـمـا حـسناتُه إلا ذُنوب[2]

جي يعمل حكمة عمل نقمة . جى يفسى عمل بو . فصل . جلسة خير من أكله . جندون حر يسبح بالخرا فى فم . جول نجول للشرق أملا . جوع أن تهدا بشابع لا عليك من . جواب أبناء القحبات السكوت قال الشاعر :

إذا نطقَ السفـيـهُ فـلا تجـبْـهُ　　　فـخـيـرٌ من إجـابتـه السكوتُ[3]

جراد فى يدك أحسن من برطال يطير . جويجل منصور تسمع من وراء السور .

(١) البيت من الطويل : ديوان أبى فراس ص ٨٨ .
(٢) البيت من الوافر .
(٣) البيت من الوافر .

جوزنى ذا الخندق واذبحنى فى آخر . جنيزت يهودى الجرى والسكوت . جن رمل أسود مغبر . جمل بدرهم وأين الدرهم . حرف الحاء . حاج بقطاع يهودى يقضيها . حاجة إن لا يدرى بها جارك فاضل هى صاف . حكم العزيز . حديث إن شاط فى حاجة أن يسيرة . حسب دبورى لا قر ولا عسل وهذا كقول الشاعر :

هو الكشوتُ فلا أصلٌ ولاورقٌ ولا نعيمٌ ولا ظلٌ ولا ثَمَرُ(١)

حوت الشمال اشى لو شوكة . حزن الجماعة فرح وهذا كقول الخنساء

ولولا كثرةُ الباكين حولى على إخوانهم لقتلتُ نفسى(٢)

حمار بحمار أحسن إللى يدل الدار . حبل الدقيقة وحدت السبيل . حقنا اش نصلول نطلبو عبار الوزانة .حمورا فالوجه ولا تخم فالقلب حرف الخاء . خذ من الموقف ورد مشرف . خذ السارق قبل أن يأخذك . خذ فالأحمر خذ فالأصفر . خذ من يد وبقط فى الحيط . خذ بالموت حتى يرضى بالحمى . خذ واش تجعل . قال المعرى :

إذا ما النارُ لم تُطعمْ ضراما فأوشِكْ أن تمرَّ بها رمادا(٣)

خرج الفزق أكبر من الزقاع . خرج خروج الوبر من العجين . خرجت الشبعا فى العرق . خرج خروج حضرى اصباع فى است تجرى . خبز الشرك داع يحترق خبز المقيت مرتى يكل . خبز أرملة واحدا وصغيرا . خلى جدى وجدك وأرجع لجلدى وجلدك . خل من قال خير فالناس غيز . خير السلع ماعجب المشترى . خبطناهم على البول خروا . خفت عليلش إلى اسقى لاح بالدرج وثنى بالغرفة . خادم شنوع شاقى ملعون . خليفة موسى العطار ماعك حنة . خير الخير عاجل قال الشاعر :

خذوا ما أتاكم به واعذروا فإن الغنيمةَ فى العاجِلِ(٤)

(١) البيت من البسيط .
(٢) البيت من الوافر ـ للخنساء ـ زهر الآداب المجلد الثانى ص ٩٩٩ .
(٣) البيت من الوافر ـ المعرى ـ سقط الزند ـ ص ٦٠ .
(٤) البيت من المتقارب ـ المتنبى ـ ديوانه ـ جـ ٣ ص ٢٨ ـ شرح العكبرى .

حرف الدال . دقم وشفتى مقاد لهم لى . دقم دوة الحبس . دخلناهم ارمينا عليهم جردونا . دع النيس يصير أكديس . دنيا بلا أكل أخرى أحسن منها . دردورا وارجع لقورا . حرف الذال . ذيب التهمت الجد لثقب أذينها وهذا كقول المعرى :

أَبَعْدِ حوْلٍ تُناجى النفسَ ناجيةُ هَلاَّ ونحنُ على عُشْرٍ من العُشُرِ(١)

ذيب عول انبهك الطوس . ذكروا الأوانى قام البسيس قال ترانى . ذكرت المدون قامت اللقون . ذا الجواجل على بزغات هيث . حرف الراء . رأس بلا حزب قراع أحسن من . رأس بلا عينين مايسوى حبتين رجع حسن كما كان . رجع الخرا لمجراه والعبد لمولاه . رى عيشه إلى باعت مدينة بسبول . رى قحبة ان سكرانه طرفه محلول ووسطه مبلول . رضى الشرطى بالشرطنة وم يرضى بالبرصنة . ركض الحمار ومات . رخيص كسر القراعة بموت الفار . رحم الله ديك الحمير إلى كيخرا الانجاص . حرف الزاى . زد للمليح مرود وتيفد . زيد للطين بلة . زاد الله للكدس كديشى . زياد للقراح قطاعة البراح . زقلى مقلى اش تقم خدمتى بأكلى . زبلين احشارش أربعة على مفقاش . زواج أهل بسطه بالحبال فالأرقاب . زواج مباطل يقلب لواحد صحيح . زوجنى واضمن لى بخت . زجة نافذة خير من سقام وإن طويل . زبل خراز لا للجنان ولا للفدان . زن الطرار يلتهم لروح . زد النقيلة فالقيلة . زامر قرى لش يلهى وهذا كقول الشاعر :

واطْوِا المراحلَ عن أرضٍ تُهان بها فالمَنْدَلُ الرَّطْبُ فى أوطانه حَطَبُ(٢)

حرف الطاء . طلع الريح من شردنه . طلع فى قصيبة سنبل . طلع لو الشرق من المغرب . طير عين وادهن لو بشحيمة . طالع البكور أسود مخطط . طار طيرك وخادُ غيرك . طربتنا فرحناك . طاق طاق أحسن من سلام عليك . طجون أحسن من الجوع وهذا كقول أبى فراس .

لقد قَنِعوا بَعْدى من القَطر بالندى ومنْ لمْ يجِدْ إلا القُنوعَ تَقَنَّعا(٣)

(١) البيت من البسيط ـ المعرى ـ سقط الزند ص١٦ .
(٢) البيت من البسيط .
(٣) البيت من الطويل ـ لأبى فراس : ديوانه ص ١٨٤ .

حرف الظاء . ظنى به صيدوه قيد . ظنى متجروه فالرسميل ينقر . ظالم أو مظلوم مع متاعك تقوم . ظالم بظالم البادِى أظلم . ظهر الفساد بذنوب العباد . ظلام الليل يستر الويل . ظلمة الهم اش تضى بقنديل حرف الكاف . كل من يجى فينا يتهجى . كل شىء فيه مليح حتى بويلت فالطس تصيح . كل الطيور خرتنا حتى المنتفين الأذنيب وهذا كقول الفرزدق .

فياعجباً حتى كليبٍ تسبُّنى كأن أباها نَهشل أو مُجاشع(١)

كل أحد يضم النار لخبيزه . كل طريق للجامع ينفد وهذا كقول الشاعر :

ومن لم يمْت بالسيف مات بغيره تنوعتِ الأسبابُ والموتُ واحد(٢)

كل واحد لأصل يرجع وهذا كقول الشاعر :

وإن يتخلقِ امـرؤٌ لك لايدُمْ وتغْلبْ عليه عن قريبٍ طبائعُهُ(٣)

كل موجود رخيص . كل ديك فى مزبلة أمير . كل شهر ان لشى لك فيه رزق لا تعد أيام . كل أقرى بلى . كل شىء فى وقته حتى البليط ينير . كل أحد يدرى من اش يوجع راس . كل أحد فى شر غير حليم وهذ كقول الشاعر :

يصيِّرنى أن ضِقْتُ ذَرْعا بهجره ويجزعُ أن ضاقتْ عليه خلاخِلُهْ(٤)

كل ماهو باطل يعشيش فيه البراطيل . كل أحد يعجاب غنيه . كل برطل على سبوله . كل بلد وهلال وكل زمان ورجال . كل أحد فى سوق يبيع خروق . فصل . كلب الورد لايشم ولا يخلى من يشم . كيف مايبيع السارق

بالفاضل هو . كيف دفن جحا أم لا للظهر ولا للعصر . كم من حمال على ذا الميت . كم من سلامة فى طرق الغدر . كثرة الوصية من قلة الاطمأنينه . كثرة الاطمئنين تولد القرون . كلام عمى أحمد شط بارد بلا فايد . كلام بجواب اش ينتقض من . كلام

---

(١) البيت من الطويل ـ الفرزدق ـ طبقات فحول الشعراء ـ السفر الأول ص٣٦١ .
(٢) البيت من الطويل ـ ابن نباتة ـ وفيات الأعيان ـ جـ٣ص١٩٣ ، وتصحبه حكاية تشى بأن البيت شرّق وغرّب .
(٣) البيت من الطويل .
(٤) البيت من الطويل .

الحبيب يبكى ومتى العدو يضحك . كن حبيب امليح ولطام الريح . كرار يخرج ضرار . كنا أصدقا صرنا معارف . كل البقلة ولاتسأل عن المبقلة . كذا وجدنيها وكذا نخلوها . كيكون ذا الغرس فى مرسى كيجى أبريل يصيب بكير . كلاب الحدادين يرقود للزبار ويقم للقم .

حرف اللام . لو زويج الكلب مانبح ، لو كان فالغراب خير مايكرموه الصياد . لوجا أحسن مننا كينكسر فالطريق . لو كان فالبوم خير ما كيسلم على الصياد . لو مشى للبحر كيصيب مرج . لو كان ماع أسود عاقل كيعشش فى قراع . لو درى السارق مايدرى صاحب الدار اش كيقدر ل أحد . لو كان فالبرانى خير ماكيرمى من الكرنب . لو جى الرزق بالطيب ماكيمل أحد . لو ردت خبز وزيتون حرة دارى كنكون . فصل . لولا حاجتى مازرتك ياجارتى . لولا أبناء القحبات كيمشى السبع فالسوق . لولا ما أصبح كيعسلج . فصل . ليلة بلا عشا ما تخلف أبدا . ليلة هيت مع معربد اللحم اش فالسوق فدا الأحرش منى . لقا مايلقا فلو العطار إذا أهرق الربعا . لسان العز فصيح . لبد بحال شيخ على بليط للضراط مفاصل . ليس البديل بيذق بفيل . لطمة الجار مخلوف . حرف الميم . من بعض الكسبور فى شارب يكبر . من بغض يد قطاع . من يعمل مايريد يلقى ما لايريد . من وفر الزز فى رقابة تحصل وهذا كقول زهير .

ومن لاَ يَذُدْ عن حوْضِهِ بسلاحه يُهـدَّمْ ومن لايظِلم الناسَ يُظلِم(١)

من ملك مل وابزق فى دل . وهذا كقول امرئ القيس .

وإن كنت قدساءتك منى خليقة فسلى ثيابى من ثيابك تنسل(٢)

ومثله قول أبى فراس :

إذا الخلُّ لم يهْجُركَ إلا ملالةً فليس له إلا الفراق عتابُ(٣)

(١) البيت من الطويل ــ من معلقة زهير ــ شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات ــ ص ٢٨٥ .

(٢) البيت من الطويل ــ من معلقة امرئ القيس ــ شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات ص٤٦ ، وروايتها : وإن تك قد ساءتك منى خليقة .

(٣) البيت من الطويل ــ لأبى فراس : ديوانه ص ٢٤

من أراد كل فات جل . من حب السقا يحمل قلال وهذا كقول أبى فراس

تهـونُ علينا فى المعـالى نفـوسُنا ومن خَطَبَ الحسناءَ لـم يُغْلِه المَهْرُ[1]

من لطم يد لخد اش ماع لمن يشتكى . من وقع فى البـير يقلل بالدعـا . من حصل لا يطرب . من خطبك ازواج . من اتكل على أديم جـارة تصبح قـشـيـرة على الغطا . من هددك ارقد فى بيب دار . من خرج عروف انتف ريش . من خرج عزيز حان زز . من جاء بوحده لاتلعبوه . من ردت عليـه بريش لاتعـامل إلا بالنتف . من زاد عليك بنهـار زاد عليك بخبار . من رفع من غديه لعشية لشى ينتقموه أعديه . من عمل الخصلة قال ولد سبهل قال سيف سد موم . من عمـل الذنب لاينكر العقوبة . من ضرا لعق العسل يمشى باصباع معوج . من مات من شبعة لا أقام الله منها .

من لا ماع بالى اش مع من جديد قال العرجى

سـمـيـتَنِى خَلِقًـا لخُلة قَـدُمَتْ ولا جـديدَ لشـخص مـاله خَلَقُ[2]

من دخل بين الظفر واللحم ينتن . من صبر ظفر قال الشاعر :

أخْلقْ بذى الصبر أن يحظى بحاجته ومُدمِن القرعِ للأبواب أن يلِجـا[3]

من أفدى نكتة من عام قلوق يفتى فيه . من توضأ قبل الوقت يصلى فالوقت . من عليك أن تفارق لاتخاسروا . من ربا جد ونجر عراقب وهذا كقول المتنبى

ومن يجـعِلِ الضِّرغـامَ بازًا لصيدِه قصيَّدَهُ الضرغـامُ فيمـا تصيَّدا[4]

من مدح العروس قال أمه وخالته . من تزارع يقلاعه . من لاماع راح اش ماع تجارا . من انتلفت انسيل تدلك أعـميل . من عطا ولم يأخـذ طلب ولم يعط . من كـذب مـرة لاتصدق أكثر . من خيرك حيرك . من باع خبيز يعطيه لشى ياكل .

(١) البيت من الطويل ـ لأبى فراس : ديوانه ص١٦١ وروايته لم يغلها .

(٢) البيت من البسيط ـ العرجى .

(٣) البيت من البسيط . محمد بن يسير ــ الأغانى ــ جـ ١٤ ص٤٢ . والشعر والشعراء ص٥٦١ ، والبيان والتبيين جـ٢ ص٣٦٠ ، وهو من أبيات :

إن الأمور إذا استدت مـسالكها فالصبر يفتح منها كل ما ارتتجا
لاتيـأسـن وإن طالت مطالبـة إذا استعنت بصبر أن ترى فرجا
لا يمنعنك يأس من مطالبـــة فضيق السبل يوما ربما انتـهجا

(٤) البيت من الطويل ـ المتنبى ـ ديوانه ـ جـ١ ص٢٨٧ .

وهذا كقول الشاعر :

والنـاسُ من يلْقَ خـيـرا قـائلون له مـايشـتـهـى ولأمِّ المخطئ الهَـبَلُ[(١)]

من ماع مغرافة اش يحترق يد . من ماع فالفرن راس مايجيه نعاس . من هو عبد الله فى عباد الله . من هو برناط فى جنوا . من أمنك لا تخونوا . من اختلط مع النخال أكلوه الكلاب . من رق أم فى سوق النخاسين يسمع من نهاقه ومن ضراطه . من لايشكل قفيل يشكل جبيل . من لايسمع من كبير يرجع الخرا نصير . من هو نصيب جناح اش يخد صدره . من صفت قطاع فشياع . من قدم زيب يصب قنديل وهذا كقول الشاعر :

خَـدَمَ العُلى فـخـدمْنَهُ وهى التى لاتخـدمُ الأ قـوامَ مـالم تُخـدمِ[(٢)]

من عرفت كسوته جاز عريه . من لا أرى فى دار أم حنيه يتعجب فى قبة الفرن . من صبر على جوع بلاد ينال من رخاها . من ماع ترقجه لينير يرفاعه . من هو عيب فى وجه كيف يخفى . من اهترق زيت فى دقيق يعمل كعك ويكل . من دخل بلا نفقة خرج بلا أجرا . من لايقبل النصيحة أوغيه . من لاينفع ادفع وهذا كقول حازم فى مقصورته

والبـعـدُ مما لا يفـيـد قـربُه فـائدةٌ حـقـيـقـةٌ أن تُقـتـنى[(٣)]

من افتقر اتخلص . من واصب الرحا يطحن وهذا كقول الشاعر

أخلق بذى الصبر أن يحظى بحاجته ومـد من القرع للأبواب أن يلجـا[(٤)]

---

(١) البيت من البسيط . القطامى ـ الشعر والشعراء ص ١٠٦ ، وبعده :

قـد يدرك المتـأنى بعض حـاجـتـه وقـد يكون مع المسـتـعـجل الزلل

وفى زهر الآداب المجلد٢ ص٦٤٦ ، وأثار الحصرى وابن قتيبة إلى أنه منظور فيه إلى المرقش :

ومن يلق خـيـرا يحـمـد الناس أمـره ومن يغـو لايعـدم على الغى لائمـا

وفى العقد جـ ٣ ص ١٠٦ .

(٢) البيت من الكامل .

(٣) البيت من الرجز ـ من مقصورة حازم ، وقد مر آنفا .

(٤) مر البيت من قبل .

من غاب عن العين غاب عن القلب . من غاب خاب وأكل نصيب الأصحاب . من اسطحى من بت عمه اش تنفس لو ولد . من كثرة صناع قلت قطاع .

من لشى ينفعك حياة فموت عرس وهذا كقول الشاعر :

والمرءُ مـالم تُفـدْ نَفْـعـا إقـامَـتُـهُ   غَيْمٌ حَمى الشمسَ لم يُمْطِرْ ولم يَسرِ(١)

من غر الرخيص وقع فالرخيص . من بدل يخسر العريان ! من بدلَ لحيته بأخرى خسر الاثنين . من عمل حزمة إن تقيله لعنق بحماله . من اشتغل بوتدى واحد يسع فى سواه . من قرا لشى يشقى . من لو حاجة يغير الحجة . من لايبيت اش ينتظر . من عمل بحمق يحمل لعنق . من هو فى سعود النميلة تقود . من كثر بنات كين الكلاب اختينوا . من بنى في غير بلاد لا لو ولالى . من عاند حمار الوحش ينقطع فى صفاق قلب وهذا كقول الشاعر

وفى تعبٍ من يحسدُ الشمس نورَها   ويطمعُ أن يأتى بهـا بضـريبِ(٢)

فصل من طيور غافق يجى يخرا وينسى الطيران . من بنى أميه يرى النعمة ويضراط . من إل فزع فيه وقع . من أى مايدور القمح لعين الرحا يرجع . من طيب الحنة ومن رطوبة الكف . من درج لمدرج حتى لقبه الفرن . من بى لبو حتى لضراط من قنطار . من اهنا لغداكم من أمر ينقضى قال الشاعر

مابين غمضةِ عيْنٍ وانتباهتِها   يُصرف الحال من حالٍ إلى حال(٣)

من ذا العيب انباع ذا الدار . من كثرة المصائب رجع الأعدا حبايب قال الشاعر :

ياوَيْحَ من يرِثى له الشـامتُ(٤)

(١) البيت من البسيط ـ المعرى ـ سقط الزند ص ٢٠ .
(٢) البيت من الطويل ـ المتنبى ـ ديوانه ـ جـ١ ص٥٦ وروايته : ويجهد أن يأتى لها بضريب .
(٣) البيت من البسيط ـ وأخلت [س] بشطره الثانى .
(٤) شطر من السريع .

[من][1] النقط تتلف الأودى . من خلاع بجينه يدرس الزرجونه ويشكر . من الله جيت ذا السفنجين . من أين ندخلك يانص خبزه . من شيت تتنوع . فصل مالايقضى صعب . ما أطيب العرس لولا النفاقة . ما بعد السماى صباغ . قال المتنبى .

والهجرُ أقتلُ لى من أن أراقِبَهُ أنا الغريقُ فما خوْفى من البلَلِ[2]

مابقى للسقا فالويد الكبير . مايغلط فالزق بقله . ما كان أول شرط كان آخر سلامة . مابعد العصر ماينتظر وهذا كقول الشاعر

تمتعْ من شميم عرارِ نجدٍ فما بعْدَ العشيةِ من عرارِ[3]

ما أهين ماهو الحرب عند النظارا . ما سوى ترس ولد مبارك . مايدرى قيمة للشىء حتى يفقد وهذا كقول مهيار

ماكنتُ أعرفُ ما مقدارَ وصلكمُ حتى هجرتمْ وبعضُ الهجرِ تأديبُ[4]

فصل متى دخلت القصر قال أمس فالعصر . متى يعمل أبو فسس عسل . متى ترينى وخرنى نهار . متى كان الباز نديم الرخام . فصل . مع من تمسكن بحال تكون . مع كل ريح إقلاع وهذا كقول الشاعر

صعدةٌ نابتهُ فى حائرٍ أينما الريحُ تُميِّلْها تَمِلْ[5]

مع ساعتك كن وهذا كقول الشاعر

مامضى فات والمُؤمَّلُ غيْبٌ ولك الساعةُ التى أنت فيها[6]

(١) أخلت بها [س] .
(٢) البيت من البسيط ـ المتنبى ـ ديوانه ـ جـ ٣ ص٧٦ .
(٣) البيت من الوافر ـ ديوان حماسة أبى تمام . باب النسيب .
(٤) البيت من البسيط ـ مهيار الديلمى .
(٥) البيت من الرمل ـ كعب بن جعيل ـ وهو من شواهد النحو ـ شرح ابن عقيل ـ جـ ٢ ص٣٦٧ .
(٦) البيت من الخفيف .

فصل . ميزت الكلب وماتميز وبر وهذا كقول الشاعر

متى كان الخيامُ بذى طُلوحٍ سقيتِ الغيثَ أيتها الخيامُ[١]

مدغ الزفت/ ٢٤٠ أ أسودعلى البطن . مسروقة هى ذا الغنم . منك فيك يؤتى عليك قال أبو فراس

فأقصاهمُ أقصاهمُ من إساءتى وأقربهمْ ممن كرهتُ الأقاربُ[٢]

مشرب رحا تطحن قال للسعى جت . مشغول هو الفول بنوار . مر إلى مشت الحمار بأم عمرو ولا الحمار رجاعت ولا أم عمرو سمع له خبر . مضى الحايل وبقى الفدين . منت عيش بدشيشه البارد . ماعك ماتاكل قال لا وماتغرم . قال ندبر فيه . محمد بسراول ولد . مت مع الناس ولاتمش وحدك قال الشاعر

ولو أنى حُبيتُ الخلدَ فردا لما أحببتُ بالخلد انفرادا[٣]

ميت بلانياح قال آخر الليل تسمع الصياح . من ريح ومن بريح . مدحنهم حتى خرينهم . من أفسى فى الرماد يقع است برغيفه . محبة الرايس فالقلاع . مسمعين إلى ياالخرا أو أخوه . متعلم قرين وقبح زبلح . مسلم ضاع يهودى أحسن من . مليح ويغنى . مشينا لمصر إن تعز صبنا الفقهاء ثم يزر . بنقر اللحم معوج هيت . حرف النون . نفس فى القارب قال من سرق القيدوم . نفس على الحاج صاحب المتاع . فصل . نحن نقرو ولش نفلح إدعى إذا نغنوا . نحنا بنخروها وهى تنتن . نحن نتضّارب على الميس واه فطلب عقيد . فصل . نكونوا نفسى تسيروا صفى . نمل الشجر يمشوا مع الملى ويجى مع الفروع . نزل مع الجحترق الأخضر . نصحنهم فما قبلوا . نص غبار تكفى للأعمش . نظر الله وم يعطى للمعز ذنب بشى يغطى سوته قال الشاعر

فلا حَسَبُ فخرتَ به لِتَيْمٍ ولاجدُّ إذا ازدحم الجدودُ[٤]

---

(١) البيت من الوافر .

(٢) البيت من الطويل ـ أبو فراس . ديوانه ص٢٣ .

(٣) البيت من الوافر ـ المعرى ـ سقط الزند ـ ص٦١ .

(٤) البيت من الوافر .

حرف الصاد . صفا ماطبخ . صفا عرس سليمان من لو يسعى سعى . صفا جبى من عتاب . فصل . صاحب بخسار عدو أحسن من . صاحب مدينة فتشنى عندك أحد صاحب الدابة أولى بمقدمها . صاحب الحاجة أعمى قال الشاعر

صــاحبُ الحــاجــة أعــمى لا يرى إلا قـــــضـــــاها (١)

فصل . صحبت الأسيود يشجعنى برق عين وفزعنى . صاحب هو الأكل حتى يفتدى . صدف خير من وعد . صاحب العمش للمرى . صار البير يعير للمهريز يقل مر يامحفور قال المعرى

إذا وصَفَ الطائىَّ بالبخل مـادرٌ وعـيَّـر قَـسًّـا بالفـهـاهة باقلُ
وقال السُّها للشمس أنتِ خفيةُ وقال الدجا ياليلُ صبحُك حائِلُ(٢)

حرف الضاد . ضربيت الحبيب محبه ولو كينت بمرزبه . ضربة فى جنب غيرك أو فى الحيط سواء . ضربى هى الصخرا بالقطارا ! . ضبة صالح إلى حمالة الناس فالسيل . ضرطت لكم اغفروا لى . حرف العين . عاد الفاحز لداخل . عاد يجى من موسى رجل . على ساحل كيسك تمدد رجليك . على وجه البهيمة تميز زبدة . على فرد است بنول . عيشه اش معه ماتلعق على الجريز تصدق . عيشه تعطى متاعه من يمناعه . عينين ضراط فى حميم . عينى واش بكيكم . عين إلا يرى قلب ان لا يوجع . عنب السبيكة أسود وبارد . عنب الغروس أبيض مسوس . علش خطبوه قال هم يدروا . عزك الرايس وعطاك دويرا فاحشارش . عجيبة مرتين أخذ الجوع أكله . عيبك أولا رد على . عش نهار تسمع خبار . علة من الحنكة وأخرى من الجرى وهذا كقول الشاعر

فـيـبكى إن نأوْا شـوقـا إليـهـم ويبكى إن دنَوْا خـوفَ الفــراقِ(٣)

عريان يجرى ورا مجرد . عزة الزمار يمشوا ركبان يجوا على ساقيهم . عنكبوت يلعب ركض . عرضت الجوهر على البصالين قالوا عندنا ماهو أجل وأنتن .

(١) البيت من مجزوء الرمل .
(٢) البيتان من الطويل ـ المعرى ـ سقط الزند ــ ص ٥٧ .
(٣) البيت من الوافر ــ ديوان حماسة أبى تمام .

عود البرقوق أسود معقد . عند البطون تذهب العقول . عد سبع أضالع وانحر . عمد بالفقون من فوق تكون عند الحقيقة تنحل البنيقة . عطى للبربرى شبر طلب دراع . عطيه ذراع طلب مرى فاش يتمتاع وهذا كقول الشاعر

وهبتَ على مقدار كفَّى زماننا ونفسى على مقدار كفيكَ تطلبُ[1]

حرف الغين . غزر الشد حل . غزر الذهب يحمق . غزر الهم يضحك . غزر الجفا يقطع أصول المحبة . غزر الأيدى تخرق است النفيسة . غزر الجراد يرخص القمح . غزر الصحبا تودن قال حبيب

فإنى رأيتُ الشمسَ زيدتْ محبةً إلى الناس أنْ ليستْ عليهم بسَرْمَدِ[2]

غالى السوق خير من رخيص الدار . حرف الفاء . فى فم خالك ماتقبل ومايبقى لك . فى ساقى ولا فى السباط . فى كل قرية بلية . فأخر عقد يضراط النجار . فالدينا اش نيدك فى الآخرة نبلغ لك السليم . فالأواخر تكبر المفاخر . فالوجه مملاسه فالقفا مكناسه . فرخ القق واحد ومطيار . فرخ الصقر مبروم محروم . فرخ أبو جعران لورا لورا . فضول من أكره قال أنا جيت باطل . فضول فى رحا عبدون . فدين بشريك ماياكل من فريك . فار ان قلوق مايجى من طوبه . فم نحنا اى كنا وكشف العورا زياد . فول فى قاع مطموره قفا فحر كلب أحسن من . فالأموال ولا فالأبدان . فارح بأحزان . فالإشاره مايغنى عن السؤال قال الشاعر

قد كان ماكان مما لستُ أذكره فَظُنَّ خيراً ولاتسألْ عن الخبر[3]

حرف القاف . قم من المكين قد جى من هو أحسن منك /٢٤٢أ . قم أجدتى أنتَ أخف منى قال الشاعر

(١) البيت من الطويل .

(٢) البيت من الطويل ـ أبو تمام ـ الأغانى جـ١٦ ص٣٨٥ . وقبله :

وطول مقام المرء فى الحى مخلق لديباجتيه ، فاغترب تتجدد .

(٣) البيت من البسيط .

قومٌ إذا استنبح الأضيافَ كلهُمُ قـــالوا لأمـــهمُ بولى على النار[١]

قيراط البخيل ألف مثقال هو . قيراط للسوق وتزول شهوة الدنوق . قربوا لى نعجن لكم . قبل فم تنسى آخر . قرد مهاود خير من غزال ان نفور . قيجط لى نجبن لك . قسمة حنش النصف لى والنصف بينى وبينك .

قشيرة بلوط من الله يعطيك تهيط . قرقول من سعا . قليل ويدوم خير من كثير وينقطع . قفل على مقبض قل . قل للحمار سيد حتى تجوز الواد . قلبى عليك ملى كلفتى وترى . قرابة من شوق أهل . قلوق مايطحن فارحا . قصب الفول شط خاوي . قبر يهودى شط ضيق . قنديل الرحى لايضى ولاينطفى .

حرف السين . سود باخفاف من الخلاف . سود زنت معز فست . سلامة القدر شى محمود وهذا كقول الشاعر :

ومن تعـرَّض للغـربانَ يزجُـرُها على سـلامتـه لابدَّ مشـئومُ[٢]

سلامة الفنقع لاتضر ولاتنفع . سبع أخوا على شر بيل مرتاين وقالوا أراه على الغربة سليخة ودم وزيل الهم . سوم سو عداوا . سارق ويبغض السراق . قال أبو الأسود الدولى :

لاتنْهَ عن خُلق وتأتى مـــثْلَهُ عـــارٌ عليك إذا فـعلْتَ عظيمُ[٣]

سعد يزدى حراك يزوى . سلام عليك قال يجيك فى خديك . سفر فالشتا نقيمه الأعداء . ساكن حلوى لين قاطع . سخر العاجز يرجع كاهن . سيف ينير يبرق وش يقطع . سوه ألم تضرا سراول يجيها الحال صعب وهذا كقول الشاعر

(١) البيت من البسيط ، وجاء فى هامش [د] بعده :

فتمسك البول بخلا أن تجود به ولاتبول لهم إلا بمقدار

وهو للأخطل ـ الأغانى ج-٨ ص٣١٨ .

(٢) البيت من البسيط .

(٣) البيت من الكامل ـ وهو من شواهد النحو ـ نسبه ياقوت وأبو الفرج للمتوكل الكنانى ، وهو منسوب أيضا للدؤلى من قصيدة له مشهورة . شرح ابن عقيل ـ جـ ٢ ص٣٥٣ .

ومـاكنتمُ عـوَّد تُم الصَّبَّ جـفْـوة وصَعبٌ على الإنسان مالم يُعَوَّدِ[١]

حرف الشين . شيخ الخناقين أكبرهم أحمقهم . شيوخ بجاية يحن ولاش يرحام . شرى الجبن فالمراحل سعيه . شرى فقيه طيب ورخيص وموصل للدار . شغل العكرك لايعجبك ولايسرك . شوكة مع عروجة يجى منها بطلان . شمس الله أكثر من شقاق القصارين شقفه بلقفه . شوارد جيجه شقف وخرابه . شرب الخل ولا العطا له . شرب الدويب يعكر المى . شرارا تحرق بلاد . شحم قرد لايكل ولايدهن به .

شجرة ابلش كل من يجى يعلق مزيود . حرف الهاء . هند غمار يعطى الجزى للرصاص . هشوس ما يقضى حلفه . هم الراس أوكد من الأضراس . هم الغدى والعشى مايتم أبدى . همك ثقب الطاجين . همى وهم الناس متى نفلح . هم البنات للممات . هرب أخزاه الله أحسن من قتل رحمه الله . هو يقل اش نبعت شى وهو يجرد سراول . هو ولاتخبط . هدرة حاوى لاتهولك . هز المحسافى زر الخيل يقوم المدبر بالزوج . هم عجنوها وهم يلطموها . هرب إلى قاله . هل أكسب مالا . هل أموت غريبا وهذا كقول امرئ القيس :

فــقلتُ له لاتبـكِ عــيناك إنما نحــاولُ مُلْكًا أو نموتَ فنُعْــذَرا[٢]

حرف الواو . واحد مرق وآخر يسعى فيه وهذا كقول الشاعر

ولجُندبِ سـهْلُ البـلاد وعَـذْبُهـا ولىَ الملاحُ وحَــزْنُهُنَّ الْمجُــدِبُ[٣]

واحد سوط وآخر ارتعش . واحد مرمى واتبع البقى . واحد أمير وآخر يقود الحمير قال الشاعر

واذا تكونُ كــريهــةٌ أُدعى لهــا وإذا يُحاسُ الحيسُ يُدعى جندبُ[٤]

واحد بمصران على دراع . وآخر يقل ارم طريف للقط . قال الشاعر :

كعصفورةٍ فى كفِّ طفلٍ يسومُها تذوقُ حيـاضَ الموت والطفلُ يلعبُ[٥]

---

(١) البيت من الطويل .

(٢) البيت من الطويل ـ امرؤ القيس ـ الشعر والشعراء ص ٤٦ .

(٣) البيت من الكامل .

(٤) البيت من الكامل .

(٥) البيت من الطويل .

واحد يقود وآخر يضرب بالعود . واحد يقول وآخر يزكى . وصل الحمار للماء اشرب أو فلا شرب . وصل الكذاب لباب دار واطليق . وفى الأحمق خير من عطاه . وجد المقالا فقالا . وجه الايرى ألف مثقال يسوى . وقع الحك وأصاب غطاه قال الشاعر :

وشبــهُ الشىء مُنجـذبٌ إليــه   وأشــبــهُنا بدُنيــانا الطَّغــامُ(١)

وبر من است الخنزير خير ان كثير . ولدى وعبدى على قرض سعدى .

ولدى بلا لقم بحال خبز بلا رشم . حرف لام الألف . لاتقل واحد حتى تحصل فى العـدل . لاتلطم فى دنا أجل . لا من الكلاب ولا من الصيـاد . لا مع الطيـور ولا مع الوحـوش . لاستى شىء ولاسيـدى شىء . لا ديرى ولاحب الملوك . لا است ولاطوير . لاتكذب إلا على ميت وهذا كقول الشاعر

نقــدْتَ على المبَــرِّد ألف بيتٍ   كــذاك الحىُّ يغلبُ أَلْفَ مَــيْتِ(٢)

لا بشطاط عزيز ولا بقصر ابنته . لا قربة ان تهدى ولا زبد ان يجتمع . لا صبى إن يحفظ ولا أديب ان يعذر . لامع أم ولا فى العرس . لا حاجة إن قضينا ولا وجه ان بقينا وهذا كقول الشاعر

إذا الجودُ لم يُرزقْ خلاصا من الأذى   فلا الحمدُ مكسوبًا ولا المالُ باقيا(٣)

لاتلهم الدب لرمى الحجار . لاترى القرد فى طلوع إلا فى هبوط . لاتلم العصير حتى تقطع النويله . لاراحة مع عقاب . لايجاع الذيب ولايظلم الراعى .

حرف الياء . يبيع النهار ويشترى الليل . يطلب بجاجن فى اسفنج . يطلب الاسفنج فاطراف الذرو . يعمل من الجريح قريح . ياعلى بياع الدقيق يعقل . يدخول بين الظفر واللحم . يفرق مال على متعلمين . يدخل الجنة برحمه رب . يزين الحبس حتى يتمنى فيه رقدا وهذا كقول حبيب

وتكَفَّلَ الأيتــامَ عن آبائهم   حــتى ودِدْنا أننَّا أيْتــامُ(٤)

يتكى على رزق بالوظف . يعيش فالخنزرا باطل . يخدم جهنم ويموت بالبرد . يازايرين العصير أى كنتم وقت الزبير وهذا كقول الشاعر

أفى الولائمِ أولادٌ لواحــدةٍ   وفى الكريهــة أولادٌ لعــلاَّتِ(٥)

(١) البيت من الوافر ـ المتنبى ـ ديوانه جـ ٤ ص٧١ .
(٢) البيت من الوافر .
(٣) البيت من الطويل المتنبى ـ ديوانه ـ جـ ٤ ص٢٨٣ .
(٤) البيت من الكامل ـ أبو تمام .
(٥) البيت من البسيط ، وجاء بيت المبنى (وشبه الشىء) موضعه فى [د] .

يخدم جهنم ويموت بالبرد وهذا كقول الشاعر

جُلُّ حظِّى منهــا إذا هىَ دارتْ أن أراها وأن أشَمَّ النســيــمـــا[١]

يخلى الصيد ويتّبع الأثر . يضرب فى حديد ان بارد . يطلب الغنيمة فالهزيمة . يبنى قاصر يهدم مدينة . يضرب الطبل تحت الكسا . يوقف زول إن ناقص للحيط . يسرق مع السارق وينوح مع صاحب الدار . يرقى يد لعين الشمس . يغسل البول بالخرا . يقسم الخرا بعظم الجيفة . يمّم سهل بكل رزق بالسكوت يقل لك اش هنا شى قال الشاعر

لا لا أبوحُ بحب بَثْنَةَ إنهـــا أخـذتْ علىَّ مـواثقـا وعُـهـودا[٢]

يجعل الله لكل شى سبب قال الشاعر

نَذُمُّ من جـهلنا الدنيـا وتعـجـبُنا وكلُّ شىء إلى شىء له ســبَبُ[٣]

يغطى عين الشمس بسلم قال زهير المهلبى :

وإنى لأخْفى منك ماليس خافيا وأكـتمُ وجـدا مـثلَه ليس يُكتَم[٤]

يربى الحمار من النعايم الكبار وهذا كقول الشاعر

تعدُّون عَقْرَ النِّيب أفضلَ مجدكمْ بنى ضَوْطرى لولا الكمىَّ المقنَّعـا[٥]

يد إن لاتقطع قبال . يخرج من الورد شوكه ومن الشوكة وردة .

---

(١) البيت من الخفيف .

(٢) البيت من الكامل .وينسب لجميل ، وينسب أيضا لكثير عزة ، ويقول الشيخ محى الدين عبد الحميد : إن ذكر بثينة فيه سهو ــ قطر الندى ــ لابن هشام ص٤١٢ ــ وهو من شواهد النحو .

(٣) البيت من البسيط .

(٤) البيت من الطويل ــ زهير المهلبى . وأخلت [د ، س] بقوله «ماليس» .

(٥) البيت من الطويل .
وانتهى الباب من [س] بعد هذا البيت .
وهو من شواهد النحو ، وهو لجرير ــ شرح ابن عقيل جـ ٢ ص٣٩٦ .

الحديقة السادسة
فى الحكايات الغريبة والأخبار العجيبة
وفيها ثلاثة أبواب :
الباب الأول
فى الحكايات المستطرفة والأخبار المستظرفة

كان الحجاج قد استعمل مالك بن أسماء بن خارجة ، على الجزيرة ، وكانت أخته هند تحت الحجاج ، فبلغه عنه شىء ، فعزله ، وبعث إلى أهل الجزيرة ، وأمرهم أن يقولوا : ظلمنا ، وأخذ أموالنا ، فقال بعضهم لبعض : حتى الأمير يغضب عليه اليوم ، ويرضى غدا ، لا تتعرضوا لذلك ، ولما دخلوا على الحجاج ، قدموا شيخا لهم ، فسأله الحجاج عن سيرته فيهم ، فأثنى عليه الشيخ خيرا ، فأمر به الحجاج فضرب مائة سوط ، فقال الباقون : كذب الشيخ ، بل كان يظلمنا ويأخذ أموالنا فقال مالك : أيها الأمير ، مثلى ومثلك ، قال : قل ، فقال : زعموا أنه كان أسد وذئب وثعلب ، اشتركت مرة فيما تصيد ، فصادت حمار وحش ، وظبيا ، وأرنبا ، فقال الأسد للذئب : اقسم بيننا واعدل ، فقال الذئب : لك الحمار ، ولى الظبى ، وللثعلب الأرنب ، فضربه الأسد ، وقطع رأسه ، ووضعه بين يديه ، وقال للثعلب : اقسم بيننا واعدل ، فقال : الحمار لك تتغدى به ، والظبى تتعشى به ، والأرنب تتفكه بها فيما بين الغداء والعشاء ، قال الأسد : ما أعدلك فى القسمة ، من علمك هذا ؟ قال : الرأس الذى بين يديك ، فضحك الحجاج ، ورده إلى موضعه .

وصعد[1] خالد بن عبدالله القسرى منبر مكة يوم الجمعة ، وهو أمير الوليد بن عبدالملك ، فأثنى على الحجاج خيرا ، فلما كان فى الجمعة الثانية ، وقد مات الوليد ، ورد عليه كتاب سليمان ، فأمر بشتم الحجاج ، وذكر عيوبه ، وإظهار البراءة منه ، فصعد المنبر ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : إن إبليس كان يظهر من طاعة الله عز وجل ، ما كانت الملائكة ترى به فضلا ، وكان الله قد علم من غشه ، ما كانت الملائكة قد خفى عنها ، فلما أراد الله فضيحته ابتلاه بالسجود لآدم ، فظهر لهم ما كان يخفيه عنهم ، فلعنوه ، وإن

---

(١) وردت فى زهر الآداب ـ المجلد الأول ص ٣٩٧ ـ ١٩٨ ، وفى [س] وهو أمير المؤمنين بدلا من وهو أمير الوليد . و [س] خطأ بالطبع .

الحجاج كان يظهر من طاعة أمير المؤمنين ما كنا نرى له به فضلا ، وكان الله قد اطلع أمير المؤمنين على غله وغشه ، على خلاف ما أخفى عنا ، فلما أراد الله فضيحته ، أجرى الله ذلك على يدى أمير المؤمنين ، فالعنوه ، لعنه الله ، ثم نزل .

ومر غيلان بن خرشة الضبى مع عبدالله بن عامر ، بنهر أم عبدالله الذى يشق البصرة ، فقال عبدالله : ما أصلح هذا النهر لأهل البصرة[١] ، فقال غيلان : أجل ، يا أمير المؤمنين[٢] ، يتعلم العوم فيه صبيانهم ، ويكون لسقيهم[٣] ، ويأتيهم بميرهم ، ثم عاد غيلان ، فساير زيادا عليه ، فقال زياد : ما أضر هذا النهر لأهل هذا المصر ، فقال غيلان : أجل يا أمير المؤمنين ، تتهدم به دورهم ، وتغرق به صبيانهم ، وتكثر لأجله بعوضهم .

ويحكى أن حاتما نزل به أعرابى ، فبات عنده جائعا ، فلما كان فى السحر ركب وانصرف ، فتقدمه حاتم ، فلما خرج من بين البيوت لقيه حاتم متنكرا ، فقال له : أين كان بيتك البارحة ؟ فقال : عند حاتم ، فقال : فكيف كان ؟ فقال : خير مبيت ، نحر لى ناقة ، فأطعمنى اللحم ، وسقانى الخمر ، وعلف راحلتى ، وسرت من عنده بخير حال ، فقال له : أنا حاتم ، والله ، لا تبرح حتى ترى ما وصفت ، فرده ، وقال له : ما حملك على الكذب ؟ فقال له الأعرابى : إن الناس كلهم يثنون عليك بالجود ، فلو قلت شرا ، لكذبونى ، فرجعت مضطرا إلى قولهم ؛ إبقاء على نفسى ، لا .

وأمر الوليد بن يزيد بحمل ابن شراعة من الكوفة ، فلما قدم عليه قال : يا ابن شراعة ، والله ، ما أرسلت من الكوفة إليك ؛ لأسألك عن كتاب الله ، وسنة نبيه ، قال : يا أمير المومنين ، لو سألتنى عنهما لوجدتنى حمارا ، قال : أرسلت إليك ؛ لأسألك عن الفتوة . قال : أنا دهقانها الحكيم ، وطبيبها العليم فسل عما بدا لك ، قال : أخبرنى عن الماء ، قال : لابد لى منه ، والكلب والجمل[٤] يشاركانى فيه ، قال : فما تقول فى اللبن ؟ قال : ما رأيته إلا استحيت من أمى ؟ لطول ما أرضعتنى إياه ، قال فالسويق ؟ قال : شراب المحرور ، والمسافر العجلان ، قال : فنبيذ الزبيب ؟ قال : مرعى ، ولا كالسعدان ، قال : فنبيذ التمر ؟ قال : سريع الامتلاء ، سريع الانفشاش ، ضراط كله ، قال : فما تقول فى الخمر ؟

(١) فى [د] لأهل هذا المصر .
(٢) تكررت "يا أمير المؤمنين" مرتين ، والمخاطب ليس بأمير المؤمنين فى كلتيهما .
(٣) فى [س] ويكون لسقيهم ، وسيل مياههم .
(٤) فى [د] والكلب والحمار يشاركانى فيه .

قال : تلك صديقة روحى ، جلت عن المثل ، تلك التى تزيد الدم إشراقا ، قال : وأنت يا ابن شراعة صديقى ، اجلس ، أى الطعام أحب إليك ؟ قال يا أمير المؤمنين ، ليس لصاحب الشراب على الطعام حكم ، غير أن أنفعه أدسمه .

وكان أعرابى قد تعشق جارية ، فقيل له : ما كنت صانعا ، لو ظفرت بها ، ولا يراكما غير الله ؟ قال : إذن ، والله ، لا أجعله أهون الناظرين ، لكنى كنت أفعل بها ما كنت أفعله بحضرة أهلها ، شكوى ، وحديث عذب ، وإعراض عما يسخط الرب ، ويقطع وصل المحبوب ، إذا سمح لمثال هذا ، فعصيان النصيح واجب[١] .

وحكى عن بشار الطفيلى أنه قال : رحلت إلى البصرة ، فلما دخلتها ، قيل لى : إن هنا عريفا للطفيليين ، يبرهم ويكسوهم ، ويرشدهم إلى الأعمال ، ويقاسمهم ، فسرت إليه فبرنى وكسانى ، وأقمت معه ثلاثة أيام ، وله خلق يأتونه بما يأخذون ، فيأخذ النصف ويعطيهم النصف ، فوجهنى معهم فى اليوم الرابع ، فحصلت فى وليمة ، فأكلت وأخذت شيئا كثيرا ، فجئته به ، فأخذ النصف وأعطانى النصف ، فبعت ما وقع لى بدراهم ، فلم أزل على هذا أياما ، ثم دخلت يوما على عرس جليل ، فأكلت ، وخرجت بشىء كثير ، فجئته به وأعطانى النصف ، فلقينى إنسان ، فاشتراه منى بدينار ، فأخذته وكتمت أمره ، وأخذ جماعة الطفيليين وقال : إن هذا الطفيلى البغدادى خان ، وظن أنى لا أعلم ما فعل ، فاصفعوه وعرفوه ما كتمنا ، فأجلسونى شئت أم أبيت فما زالوا يصفعونى واحدا بعد واحد ، يصفعنى الأول منهم ويشم يدى ويقول : أكلت مصيرة ، ويصفعنى الآخر ويشم يدى ويقول : أكلت بقيلة ، حتى ذكروا كل شىء أكلته ، ما غلطوا بزيادة ولا بنقصان ، ثم صفعنى شيخ منهم صفعة عظيمة وقال : بعت ما أخذت بدينار ، وصفعنى آخر وقال : هات الدينار ، فدفعته إليه ، وجردونى الثياب التى أعطانيها ، وقال : اخرج يا خائن فى غير حفظ الله ، فخرجت إلى بغداد ، وحلفت ألا أقيم ببلد ، طفيليوها يعلمون الغيب .

وكان إبراهيم بن المدبر عاملا على البصرة . وكان له ندماء ، لا يأنس بغيرهم ، وكل واحد منهم منفرد بنوع من العلم . وكان طفيلى يعرف بابن الدراج ، من أكمل الناس أدبا وأخفهم روحا[٢] ، فاحتال ودخل فى جملة الندماء ، ودخل إبراهيم فرآه ، فقال لحاجبه :

---

(١) فى [س] كان أعرابى قد طال تعشقه لجارية ــ ويقطع الحب ، فإن تلق وصل المحبوب ، إذا سمح مثل هذا ، فعصيان النصيح واجب .

(٢) وأخفهم روحا ، زيادة من (ح) .

قل لذلك الرجل : ألك حاجة ؟ فسقط فى يد الحاجب ، وعلم أن الحيلة تمت عليه ، وأنه لا يرضى ابن المدبر من عقوبته إلا بقتله ، فمر يجرر رجليه ، فقال له : يقول لك الأستاذ : ألك حاجة ؟ فقال : قل له : لا ، فأدخله عليهم ، فقال له : أنت طفيلى ؟ فقال نعم ، أصلحك الله ، فقال : إن الطفيلى يحتمل فى دخوله بخصال ، منها أن يكون لاعبا بالشطرنج ، أو بالنرد ، أو ضاربا بالعود ، أو بالطنبور ، فقال : أيدك الله ، أنا لما ذكرته فى الطبقة العليا ، فقال لبعض الندماء : لاعبه بالشطرنج ، قال : أعزك الله فإن غلبت ؟ قال : أخرجناك ، قال : وإن غلبت ؟ قال : أعطيناك ألف درهم ، قال : أحضرها ؛ فإن فى حضورها قوة للنفس ، فلعبا ، فغلب الطفيلى ، ومد يده لأخذ الدراهم ، فقال الحاجب : أعزك الله ، ذكر أنه فى الطبقة العليا ، وإن غلامك فلانا يغلبه ، فحضر الغلام فغلبه ، فقيل له : انصرف ، فقال : أحضروا النرد ، فلوعب به فغلب الطفيلى ، فقال الحاجب : لكن فلانا بوابنا يغلبه ، فأحضر البواب فغلبه فقيل له أخرج ، فقال : على بالعود ، فأعطى عودا ، فضرب فأصاب ، وغنى فأطرب ، فقال الحاجب : يا سيدى إن فى جوارنا شيخا يعلم القيان ، هو أحسن منه ، فأحضر ، فكان أطيب منه ، فقيل له : أخرج ، فقال : فالطنبور ، فأحضر ، فضرب ضربا لم ير أحسن منه ، فقال الحاجب : إن فلانا أطيب منه ، فأحضر ، فكان أحذق منه ، فقال ابن المدبر : قد تقصينا لك بكل جهد ، فأبت حرفتك إلا طرحك ، قال : يا سيدى ، بقيت معى فائدة حسنة ، قال : وما هى ؟ قال : تأمر أن تحضر قوس بندق ، مع خمسين بندقة من رصاص ، ويقام هذا الحاجب ، فأرميه فى دبره ، فإن أخطأته بواحدة ، فاضرب عنقى ، فضج الحاجب ، ووجد ابن المدبر شفاء نفسه فى عقوبته ، فأمر بخشبتين ، وشد الحاجب فوقهما ، وأعطى الطفيلى القوس ، فرماه بخمسين بندقة ، فما أخطأ دبره بواحدة ، وخلا الحاجب يتأوه لما به ، فقال له الطفيلى : يا قرنان هل على باب الأستاذ من يحسن شيئا من هذا ؟ فقال له الحاجب : أما ما دام الغرض استى ، فلا ، وذهب الضحك بابن المدبر وأصحابه[1] كل مذهب ، ثم أعطاه ألف درهم ، وانصرف .

وصاحب طفيلى رجلا فى السفر ، فلما نزلوا ببعض المنازل ، قال له الرجل : خذ درهما ، وامض اشتر لنا لحما ، فقال الطفيلى : إنى تعب ، والله ، ما أقدر ، فمضى الرجل

(١) وأصحابه "زيادة" من [س] .

واشتراه ، ثم قال للطفيلي : قم فاطبخه ، قال : لا أحسن ، فطبخ الرجل ثم قال له : قم فاثرد ، فقال : أنا والله كسلان ، فثرد الرجل ، ثم قال له : قم الآن ، فاغرفه ، قال : أخشى أن ينقلب على ثيابى ، فغرف الرجل حتى ارتوى الثريد ، ثم قال له : قم الآن فكل ، فقال : نعم ، إلى متى هذا الخلاف ، قد ، والله ، استحييت من كثرة خلافى عليك ، وتقدم فأكل .

ووجه[1] المأمون فى جماعة من زنادقة البصرة ، فجمعوا ، فرآهم طفيلى ، فمضى معهم ، فأدخلوا فى سفينة ، فمضى معهم ، وجئ بالقيود فقيد معهم ، فقال : هذا آخر تطفيلى وأقبل عليهم فقال : فديتكم ، أى شئ أنتم ؟ قالوا له : بل من أنت ، وهل أنت من أصحابنا ؟ قال : والله ، ما أعرفكم ، غير أنى طفيلى ، خرجت من منزلى ، فرأيت منظرا جميلا ، ونعمة ظاهرة ، فقلت : شيوخ وكهول وشبان ، ما اجتمع هؤلاء إلا لصنيع ، فدخلت وسطكم ، كأنى أحدكم إلى هذا الزورق ، فرأيته قد فرش ومهد ، ورأيت سفرا مملؤة ، فقلت : نزهة إلى بعض البساتين ، إن هذا اليوم يوم مبارك ، فزدت ابتهاجا ، إلى أن جاء هذا الموكل بكم ، فقيدكم فطار عقلى ، فما الخبر ؟ فضحكوا وفرحوا به ، وقالوا له : قد حصلت فى الإحصاء ، ونحن مانية على مذهب مانى القائل بالنور والظلمة ، نسير إلى المأمون ، فيسألنا عن مذهبنا ، ويدعونا إلى التوبة ، ويظهر لنا صورة مانى ، ويأمرنا أن نبصق عليها ، ونتبرأ منها ، فمن أجابه نجا ، ومن لم يجبه قتل ، فإذا دعيت فأخبره باعتقادك ، وللطفيلى مداخلات وأخبار ، فاقطع سفرنا بها ، فكان كذلك ، فلما دخلوا على المأمون دعاهم بأسمائهم وامتحنهم ، فأمر عليهم بالسيف ، وبقى الطفيلى ، وقد استوعب العدة ، فسأل الموكلين بهم ، فقالوا : وجدناه معهم ، فجئنا به ، فقال له : ما خبرك ؟ فقال : يا أمير المؤمنين ، امرأته طالق ، إن كنت أعرف من أقوالهم شيئا ، وإنما أنا رجل طفيلى ، ثم قص قصته معهم ، فضحك المأمون كثيرا ، ثم أظهر له الصورة فلعنها ، وتبرأ منها ، وقال : أعطوها لى ؛ حتى أسلح عليها ، والله ، ما أدرى ما مانى ، أيهودى هو أم مسلم ؟ فقال المأمون : يؤدب على فرط تطفيله ، ومخاطرته بنفسه ، فقال : يا أمير المؤمنين ، بحياتك ، إن كنت

(١) وردت فى العقد الفريد ــ ج٣ ص٢٤٠ ــ ٢٤١ ، باختصار .

ولا بد عازما ، فاجعل السياط كلها على بطنى ، فهى التى حملتنى على هذا الغرر[١] ، فعاد إلى الضحك ، وكان إبراهيم بن المدبر واقفا على رأسه ، فاستوهبه منه بحديث فى تطفيله ، يذكر فى باب الحكايات ذوات الأشعار .

وحكى[٢] المبرد قال : كان بالبصرة طفيلى مشهور ، وكان ذا أدب ، فمر على قوم عندهم وليمة ، فاقتحم عليهم وأخذ مجلسه مع من دعى ، فأنكره صاحب المنزل ، فقالوا له : لو صبرت يا هذا حتى يؤذن لك ، لكان أحسن لأدبك ، وأجمل لمروءتك ، فقال : إنما اتخذت البيوت ليدخل فيها ، ووضعت الموائد ليؤكل عليها ، والحشمة قطيعة ، واطراحها صلة ، وقد جاء فى بعض الآثار : صل من قطعك ، وأحسن إلى من أساء إليك .

وكان ملك من ملوك فارس ، له وزير مجرب حازم ، فكان يتعرف اليمن فى مشورته ، فهلك الملك ، وأقام ابنه بعده ، فلم يرفع له رأسا ، فذكر له مكانته من أبيه ، فقال : كان أبى يغلط فيه ، وسأريكم ذلك ، فأحضره ، وقال له : أيهما أغلب ، الأدب أو الطبيعة ؟ فقال : الطبيعة ؛ لأنها أصل ، والأدب فرع ، وكل فرع يرجع إلى أصله ، فدعا الملك بسفرة ، فوضعت ، وأقبلت سنانير معلمة ، بأيديها الشمع ، فوقفت حول السفرة ، فقال له : اعتبر خطأك ، وضعف مذهبك ، متى كان أبو هذه السنانير شماعا ؟ فقال له : أمهلنى فى الجواب إلى الليلة المقبلة ، قال : ذلك لك ، وخرج الوزير ، وأمر غلامه أن يسوق له فأرة ، فساقها له حية ، فربطت بخيط ، فلما راح إلى الملك وضعها فى كمه ودخل ، فأحضرت السفرة والسنانير بالشمع ، فألقى لها الوزير الفأرة ، فاستقبلت إليها ، فتطايرت الشمع ، حتى كاد البيت يضطرم عليهم نارا ، فقال للملك : كيف رأيت ، غلبت الطبيعة الأدب ؟ قال : صدقت ، ورجع إلى ما كان عليه أبوه .

---

(١) الحكاية هذه فى الحدائق تضم حكايتين فى العقد الفريد ـ والجامع بينهما هو الزندقة والتطفل ، انظر ج٣ ص٢٤٠ ، ٢٤١ ، ٢٤٣ .

(٢) وردت فى العقد الفريد ـ ج ٣ ـ ص٢٣٩ ، وراويتها هو أحمد بن على الحاسب ، لا المبرد ، وذكر اسم الشارع (سكة النخع) بالبصرة ، وأنشد الطفيلى ـ كما فى العقد ـ هذه الأبيات ، والثالث منها مختل الوزن ، عدلناه ليستقيم ، وهذه هى الأبيات :

كلُّ يوم أدورُ فى عَرْصَةِ ... الدار ، أشَمُّ القُتَارَ شَمَّ الذبابِ
فإذًا ما رأيتُ آثارَ عرسٍ ... أو دُخانٍ أو دعوةَ الأصحاب
لم أعرِّج دون التقحمّ ، لا ... أرهبُ طعْنا أو لَكْزَةَ البَوّاب
مُستهينا بمن دخلتُ عليهم ... غيرَ مستأذن ولا هيّاب
فتراني ألفُّ بالرغم منهم ... كلُّ ما قدّمُوه ، لَفَّ العُقَابِ

وخرج فتيان فى صيد لهم ، فأثاروا ضبعا فنفرت ومرت ، واتبعوها فلجأت إلى خباء لهم ، فخرج لهم بالسيف منصلتا ، فقالوا له : يا أبا عبد الله ، لم تمنعنا من صيدنا ؟ فقال : إنها استجارت بى ، فخلوا بينى وبينها ، فخلوا بينه وبينها ، فنظر إليها مهزولة مضرورة ، فجعل يسقيها اللبن صباحا ومساء ، حتى سمنت وحسن حالها ، فبينا هو ذات يوم متجرد ، إذ عدت عليه فشقت بطنه وشربت دمه .

وحكى الفنجديهى بسنده إلى أبى محمد الحسن بن إسماعيل ، قال : كنت قاعدا أنسخ وبين يدى قدح فيه ماء ، وطبق فيه كعك وزبيب ولوز ، فجاءت فأرة ، فأخذت لوزة ومضت ، ثم عادت فأخذت أخرى ، ففرعت الماء الذى فى القدح ، فعادت الفأرة فكببت القدح عليها ، واشتغلت بشغلى ساعة ، فإذا فأرة أخرى قد جاءت فدارت حول القدح ، فشقشقت وبقيت ساعة على ذلك ، والفأرة الأخرى تشقشق من داخل القدح ، فلم تجد حيلة فى خلاصها فمضت وأتت بدينار فوضعته ووقفت . ولم أرفع القدح عن الفأرة فمضت وأتت بدينار آخر ووقفت . فلم أرفع القدح ففعلت ذلك إلى أن أتت بسبعة دنانير ، ووقفت ساعة فلم أرفع القدح عن الفأرة فمضت ، وأتت بقرطاس فارغ فعلمت أنها لم يبق عندها شىء ، فخليت عن الفأرة .

ودخل أبو يوسف القاضى على الرشيد ومعه الكسائى ، وهما فى مذاكرة وممازحة ، فقال : يا أمير المؤمنين ، إن هذا الكوفى قد غلب عليك ، فقال : يا أبا يوسف ، إنه ليأتينى بأشياء ، يشتمل عليها قلبى ، ويأخذ بمجامعه ، فقال الكسائى : يا أبا يوسف هل لك فى مسألة ؟ فقال : فى نحو أو فقه ؟ فقال : بل فى فقه ، فضحك الرشيد ، وقال : تلقى على أبى يوسف الفقه ؟ قال : نعم ، قال : يا أبا يوسف ، ما تقول فى رجل قال لزوجه : أنت طالق ان دخلت الدار ؟ قال إذا دخلت الدار طلقت ، قال : أخطأت يا أبا يوسف ، فضحك الرشيد ، ثم قال : كيف الصواب ؟ فقال : إذا قال : أن وجب الفعل ووقع الطلاق ، دخلت الدار بعد أو لم تدخل ، وإن قال : إن بالكسر لم يجب ولم يقع الطلاق ، حتى تدخل الدار .

وكان لرجل عند الحجاج حاجة ، فوصف له بالجهل والحمق ، فأراد أن يختبره ، فقال له : أعصامى أنت أم عظامى ؟ فقال له الرجل : عصامى عظامى ، فظن الحجاج أنه يريد : أفتخر بنفسى بفضلى ، وبآبائى لشرفهم ، فقال : هذا من أفضل الناس وقضى حاجته ، ثم

جربه بعد ذلك ، فوجده أجهل الناس وأحمقهم فقال له : اصدقنى ، وإلا قتلتك ، كيف أجبتنى لما سألتك بعصامى وعظامى ؟ فقال له الرجل : لم أعلم معناهما ، فخشيت أن أقول أحدهما ، فأخطىء ، فقلت فى نفسى : أقول بهما معا ، فإن ضرنى أحدهما ، نفعنى الآخر ، فقال الحجاج : المنابر تصير الغبى خطيبا ، فذهبت مثلا ، والعصامى هو الذى يسود بنفسه ، والعظامى هو الذى يفتخر بآبائه الذين صاروا عظاما .

ويحكى أن حامد بن العباس سأل على بن عيسى فى ديوان الوزارة عن دواء الشمل . فأعرض عن كلامه ، فقال : ما لنا وهذه المسألة ، فخجل حامد منه ، ثم التفت إلى القاضى أبى عمرو ، فسأله عن ذلك ، فتنحنح القاضى لإصلاح صوته ، ثم قال : قال سبحانه : ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾[1] . وقال الرسول عليه السلام : «استعينوا فى الصناعات بأهلها» والأعشى هو المشهور بالخمر فى الجاهلية ، وقد قال :

وكـــــأسٍ شـــــربتُ على لـذَّةٍ وأُخـــرى تداويتُ منْهـــا بهـــا[2]

ثم تلاه أبو نواس فى الإسلام فقال :

دعْ عنك لومى ؛ فـإنَّ اللوْمَ إغـراءُ وداوِنى بالتى كـانت هىَ الداءُ[3]

فأسفر[4] وجه حامد ، وقال لعلى بن عيسى : ما ضرك يا بارد ، أن تجيب ببعض ما أجاب به قاضى القضاة ، وقد استظهر فى المسألة بقول الله أولا ، ثم بقول الرسول صلى الله عليه وسلم ثانيا ، وبين الفتيا وأدى المعنى ، فكان خجل على بن عيسى من حامد بهذا الكلام أكثر من خجل حامد منه ، لما ابتدأه بالمسألة .

ويحكى[5] عن أمية بن أبى الصلت ، أنه كان يشرب مع إخوان له فى قصر غيلان بالطائف ، إذ سقط غراب على شرفات القصر ، فصاح صيحة ، فقال له أمية : بفيك التراب ، فقال له أصحابه : ما يقول ؟ قال : يقول : إذا شربت الكأس التى بيدك مت ، ثم

---

(١) سورة الحشر الآية ٧ .

(٢) البيت من المتقارب ـ وهو للأعشى ـ الشعر والشعراء ص ١٣ .

(٣) البيت من البسيط ـ لأبى نواس ـ المصدر السابق ، وورد البيتان متعاقبين فى العقد الفريد ـ ج٣ ـ ص ١٠٦ .

(٤) فأسفر حينئذ وجه وحامد [د] .

(٥) وردت فى العقد الفريد ج .

صاح صيحة ، فقال أمية مثل ذلك ، فقالوا له ؛ ما يقول ؟ قال : زعم أن علامة ذلك أن يقع غراب على تلك المزبلة أسفل القصر ، فيأخذ عظماً ، فيجش به فيموت ، فبينما هم يتكلمون إذ وقع الغراب على المزبلة ليلتقط ، فأخذ عظما ، فأراد أن يبتلعه ، فجشى به فمات ، فانتكس أمية ، ووضع الكأس من يده وتغير لونه ، فجعلوا يغيرون عليه ويقولون : ما أكثر ما سمعنا بمثل هذا ، وكان باطلا ، فألحوا عليه حتى شرب الكأس ، فمال فأغمى عليه ، ثم أفاق فقال : لا برئ فأعتذر ولا قوى فأنتصر ، ثم فاضت نفسه .

وحكى الأصمعى قال : وجه عبدالملك بن مروان الشعبى إلى بعض ملوك الروم فى بعض الأمر ، فاستكبر الشعبى ، فقال له : من بيت عبد الملك أنت ؟ قال : لا ، فلما أراد الرجوع إلى عبد الملك حمله رقعة لطيفة ، وقال له : إذا بلغت صاحبك جميع ما يحتاج إلى معرفته من ناحيتنا ، فادفع له هذه الرقعة ، فلما رجع إلى عبد الملك ذكر له ما احتاج إلى ذكره ونهض ، فلما خرج ذكر الرقعة ، فقال : يا أمير المؤمنين ، إنه حملنى إليك رقعة أنسيتها فدفعها إليه ونهض ، فقرأها عبد الملك وأمر برده ، فقال له : أعلمت ما فى الرقعة؟ قال : لا ، قال : قد عجبت من العرب كيف لم تملك مثل هذا ؟ ، أفتدرى لم كتب إلى بمثل هذا ؟ قال : لا ، قال : حسدنى فيك فأراد أن يغرينى بقتلك ، فقال : لو رآك يا أمير المؤمنين ما استكبرنى ، فبلغ ذلك ملك الروم وما قال عبد الملك ، فقال : لله أبوه ، والله ، ما أردت إلا ذلك .

وقال الأصمعى : أتى عبدالملك بن مروان برجل ، كان مع بعض من خرج عليه فقال : اضربوا عنقه ، فقال : يا أمير المؤمنين ، ما هذا جزائى منك ، قال : وما جزاؤك ؟ قال : والله ، ما خرجت مع فلان إلا بالتطير لك ، وذلك أنى رجل مشئوم ، ما كنت مع رجل قط إلا غلب وهزم ، وقد بان لك صحة ما ادعيت ، وكنت عليك خيرا من مائة ألف معك فضحك ، وخلى سبيله .

وقال(١) دعبل : كنا يوما عند سهل بن هارون وأطلنا الحديث ، حتى أضربنا الجوع ، فدعا بغدائه ، فإذا بصحفة فيها مرق ولحم ديك قد هرم ، حتى ما يقطع فيه سكين ولا تؤثر فيه ضرس ، فأخذ قطعة من خبز ، وحرك المرق بها ، ففقد الرأس ، فبقى مطرقا ساعة ، ثم رفع رأسه إلى الغلام فقال : أين الرأس ؟ قال : رميت به ، قال : ولم ؟ قال : ظننتك

(١) وردت فى وفيات الأعيان ــ ج٢ ــ ص ٢٦٩ .

أنك لا تأكله ، قـال : ولم ظننت ذلك ؟ فـوالله إنى لأمـقت من يرمى برجله فـضـلا عن رأسه ، والرأس رئيس الأعضاء ، وفيه الحواس الخمس ، ومنه يصيح الديك ، وفيه عيناه ، وبهما يضرب المثل فيقال : شراب مثل عين الديك . ودماغه عجيب لوجع الكلية ، فإن كان قد بلغ من جهلك أنى لا آكله ، فإن عندنا من يأكله ، انظر : أين هو ؟ قال : والله ، ما أدرى أين رميت به ؟ قال : أنا والله ، أدرى ، رميت به فى بطنك .

وروى(١) أن رجلا كـان جارا لأبى دلف ببغـداد ، فأدركته حـاجة وركبه دين ، حتى احتاج إلى بيع داره ، فساموه فيها ، فسألهم ألف دينار ، فقالوا : إن دارك تساوى خمسمائة دينار ، فـقال : أبيع دارى بخمـسـمائة دينار ، وجوار أبى دلف بخمـسـمـائة دينار ، فـبلغ أبا دلف الخبر ، فأمر بقضاء دينه ووصله ، وقال : لا تنتقل من جوارنا .

وكان(٢) الأعـمش كثيـر الضجر والتبرم ، فكثر عليه الشعر ، فقـال له تلامـذته : لو أخذت من شعـرك ، فـقـال : لا نجد حجـامـا يسكت ، قـالوا : نأتيك به ، ونأخذ عليـه أن يسكت حتى يفرغ ، قال : افعلوا ، فأتى بحجام ، ووصى ألا يكلمه ، فبدأ بحلقه فلما أمعن سأله عن مسألة ، فنفض ثيابه ، وقام بنصف رأسه محلوقا حتى دخل بيته ، فأخرج الحجام وأتى بغيره ، فقال : والله ، لا أخرج حتى تحلفوه ، فحلف ألا يسأله ، وحينئذ خرج .

وقال(٣) سـهل بن سـعد الساعدى : دخلت على جميل بمصر أعوده فى مرضه الذى مات منه ، فقال : يا ابن سعد ، ما تقول فى رجل لم يزن قط ، ولم يشرب خمرا قط ، ولم يقتل نفسا قط ، يشهد أن لا إله إلا الله وأن محـمـدا رسول الله ؟ فـقلت : أظنه قـد نجا ، فمن هذا الرجل ؟ قال إنى أرجو أن أكونه ، فتضاحكت وقلت : أبعد عشرين سنة تأتي بثينة وتقول فيها الأشعار ؟ والله ، ما سلمت من قول الناس ، قال : إنى لفى آخر يوم من أيام الدنيا وأول يوم من أيام الآخرة ، فلا نالـتنى شـفـاعـة النبى صلى الله عليه وسلم يوم القيامة إن كنت حدثت نفسى بحرام قط ، فضلا عما وراء ذلك .

ويروى أن امرأة معن بن زائدة عاتبت معنا فى يزيد بن مزيد ، وقالت له : إنه لتقدمه وتؤخر بنيك ، ولو رفعتهم لارتفعوا ، فقال لها معن : لم تبعد رحمه ولى حكم الوالد ، إذ كنت عمه ، وبعد ، فإنهم أعلق بقلبى وأدنى من نفسى ، بقدر ما توجبه الولادة ، ولكني لا أجد عندهم مـا أجده عنده ، يا غـلام : ادع جسـاسـا وعـبد الله وزائدة ، فلم يلبث أن

(١) وردت فى العقد الفريد ــ ج١ ــ ص ٦٨ .
(٢) وردت فى المصدر السابق .
(٣) وردت فى وفيات الأعيان ــ ج١ ص ٣٧٠ .

جـاءوا فى القـلائد والغـلائل المطيبـة والنعـال السندية ، بعـد هدأة من الليل فـسلمـوا وجلسوا[١] ، وقال : يا غلام ادع يزيد ، وقد أسبل سترا بينه وبين المرأة ، وإذا بيزيد قد دخل عجلا ، عليه السلاح كله ، ووضع رمحه بباب المجلس ، ثم دخل يتبختر ، فلما رآه معن قال : ما هذه الهيئة يا أبا الزبير ؟ قال : جاءنى رسول الأمير ، فسبق لنفسى أنه يريدنى لوجه ، وقلت : إن كان ذلك مضيت ، ولم أعرج ، وإن كان خلافه فنزع هذه الآلة أيسر الخطب ، قال له معن : وريت بك زندى ، انصرف فى حفظ الله ، فقالت امرأة معن : قد بان لى اختيارك .

ولما بعث عبد الملك الحجاج واليا على العراق ، أتى الكوفة ، وصعد المنبر ، وهو متلثم متنكب قوسه ، فقال : يا غلام ، اقرأ عليهم كتاب أمير المؤمنين ، فقرأ : بسم الله الرحمن الرحيم ، من عبد الملك أمير المؤمنين إلى من بالكوفة من المسلمين ، سلام عليكم ، فلم يقل أحد شيئا ، فقال الحجاج : اسكت ، يا غلام ، هذا أدب ابن بهية[٢] ، والله لأؤدبنكم غير هذا الأدب ، أو لتستقيمن ، اقرأ يا غلام كتاب أمير المؤمنين ، فلما بلغ إلى قوله : سلام عليكم ، لم يبق أحد فى المجلس إلا قال : وعلى أمير المؤمنين السلام ، ثم نزل .

وقال الشيبانى : كان رجل من أهل الكوفة قد بلغه عن رجل من عمال السلطان أنه يعرض ضيعة له بواسط للبيع ، فى مغرم لزمه للخليفة ، فحمل وكيلا له على بغل ، وأعطاه خرجا بدنانير ، وقال له : اذهب إلى واسط ؛ فاشتر هذه الضيعة المعروضة ، فلما خرج عن البيوت لحق به أعرابى ، على حمار له ، معه قوس وكنانة ، فقال له : إلى أين تتوجه ؟ قال : إلى واسط ، قال : فهل لك فى الصحبة ؟ قال : نعم ، فسارا حتى رأوا ظباء عنت لهما ، فقال الأعرابى : أى الظباء أحب إليك ، المتقدم منها أم المتأخر فأذكيه لك؟ قال : المتقدم ، فرماه بالسهم فاقتنصه ، فاشتويا وأكلا ، واغتبط الرجل بصحبته ، ثم عرض لهما سرب قطاة ، فقال : أيها تريد ؟ فأشار إلى واحدة منها ، فرماها فلم يخطئها ثم اشتويا وأكلا ، فلما انقضى أكلهما ، فجعل [٣] الأعرابى سهما على القوس ، ثم قال : أين تريد أن

(١) فسلموا "وجلسوا" . الكلمة الثانية من [س] .
(٢) ابن بهية من [د] ، وهى فى الآخرين : ابن بهيمة .
(٣) فوّق الأعرابى سهما . [د] ، [س] .

أصيبك ؟ قال : اتق الله ، واحفظ ذمام الصحبة ، قال : لا بد من ذلك ، قال : اتق الله واستبقني ، ودونك البغل والخرج فإنه مترع مالا ، قال : فاخلع ثيابك ، فانسلخ من ثيابه ثوبا ثوبا ، حتى بقي مجردا فقال له : اخلع خفيك ، قال له : اتق الله ، ودع لي الخفين ؛ فإن الرمضاء تحرق قدمي ، قال : لابد من ذلك ، قال : فدونك الخف فاخلعه ، فوضع القوس وتناول الخف ، وذكر الرجل خنجرا كان معه في الخف الآخر ، فاستخرجه ، فضرب به صدره ، فشقه إلى عانته وقال : الاستقصاء فرقة ، فذهبت مثلا .

ودخل[١] أبو دلامة على المهدي ، فأنشده أبياتا أعجب بها ، فقال له : سلني أبا دلامة ، واحتكم ما شئت ، قال : كلب ، يا أمير المؤمنين أصطاد به ، قال قد أمرنا لك بكلب ، وها هنا بلغت همتك ، وإلى ها هنا انتهت أمنيتك ؟ قال : لا تعجل علي يا أمير المؤمنين ، فإنه بقي علي ، قال : وما بقي عليك ؟ قال : فرس أركبه ، قال : قد أمرنا لك بفرس تركبه ، قال : وغلام يقود الكلب ، قال : وغلام يقود الكلب ، قال : وخادم يطبخ لنا الصيد ، قال : وخادم يطبخ لك الصيد ، قال : ودار نسكنها ، قال : ودار تسكنها ، قال : وجارية آوي إليها ، قال : وجارية تأوي إليها ، قال : بقي الآن المعاش ، قال : قد أقطعناك ألف جريب عامرة ، وألف جريب غامرة ، قال : وما الغامرة يا أمير المؤمنين ؟ قال : التي لا تعمر ، قال : أنا أقطع أمير المؤمنين خمسين ألف جريب غامرة من فيافي بني أسد ، قال : قد جعلناها لك عامرة كلها ، قال : فيأذن لي أمير المؤمنين في تقبيل يده ؟ قال : أما هذه فدعها ، قال : ما منعتني شيئا أيسر على أم عيالي من هذا .

وحكى[٢] أن سائلا أتى عبدالله بن عباس ، وهو لا يعرفه ، فقال له : تصدق ! فإني نبئت أن عبدالله بن عباس أعطى سائلا ألف درهم واعتذر إليه ، فقال له : وأين أنا من عبدالله ؟ قال له : أين أنت منه في الحسب أم كثرة المال ؟ قال : فيهما جميعا ، قال : أما الحسب في الرجل فمروءته وفعله ، وإذا شئت فعلت ، وإذا فعلت كنت حسيبا ، فأعطاه ألفي درهم واعتذر له من ضيق نفقته ، فقال له السائل : إن لم تكن عبدالله فأنت خير منه ، وإن تكن إياه فأنت اليوم خير منك أمس ، فأعطاه ألفا آخر ، فقال السائل هذه هزة حسب كريم .

---

(١) وردت في الشعر والشعراء ـ ص٤٨٧ ، وفي وفيات الأعيان ج٢ ص٣٢١ ، وفي الأغاني ج١٠ ـ ص٢٣٦ ـ ٢٣٧ .
(٢) وردت في العقد الفريد ـ ج١ ص٧٩ .

وبعث ملك الهند إلى هارون الرشيد بسيوف قلعية وكلاب وثياب من ثياب الهند ، فلما أتاه الرسل بالمدينة ، أمر الأتراك فصفوا صفين ، ولبسوا الحديد حتى لا يرى منهم إلا الحدق ، وأذن للرسل فدخلوا عليه فقال لهم : ما جئتم به ؟ فقالوا له : هذه أشرف كسوة بلادنا ، فأمر الرشيد أن يقطع منها أجلالا(١) لخيله ، فصلب الرسل على وجوههم ونكسوا رءوسهم ، ثم قال لهم : ما عندكم غير هذا ؟ قالوا : هذه سيوف قلعية لا نظير لها ، فدعا الرشيد أن يؤتى بالصمصامة سيف عمرو بن معدى كرب ، فقطعت به السيوف بين يديه سيفا سيفا كما يقطع الفجل ، ثم عرضت عليهم الصمصامة ، فإذا هى لا فل فيها ، فنكس القوم رءوسهم ، ثم قال : ما عندكم ؟ قالوا : هذه كلاب ، لا يبقى لها سبع إلا عقرته ، قال لهم الرشيد : إن عندى سبعا ، فإن عقرته ، فهى كما ذكرتم ، ثم أمر بالأسد فأخرج ، فلما نظروا إليه هالهم ، وقالوا : ليس عندنا مثل هذا السبع ، قال : هذه سباع بلادنا ، قالوا : فنرسلها عليه ، وكانت الأكلب ثلاثة ، فأرسلت عليه فمزقته ، فأعجب الرشيد بها ، وقال لهم : تمنوا فى هذه الكلاب ما شئتم ، قالوا : ما نتمنى إلا السيف الذى قطعت به سيوفنا ، قال لهم : هذا ما لا يجوز فى ديننا أن نهاديكم بالسلاح ، ولولا ذلك ما بخلنا به عليكم ، ثم أمر لهم بتحف كثيرة ، وأحسن جائزتهم .

وقيل للأحنف بن قيس : ممن تعلمت الحلم ؟ قال : من قيس بن عاصم المنقرى ، رأيته قاعدا بفناء داره ، محتبيا بحمائل سيفه يحدث قومه ، حتى أتى برجل مكتوف ورجل مقتول ، فقيل له : هذا ابن أخيك قتل ابنك ، قال فوالله ما حل حبوته ، ولا قطع كلامه(٢) ، ثم التفت إلى ابن أخيه ، فقال : يا ابن أخى ، أثمت بربك ، ورميت بسهمك ، وقتلت ابن عمك ، ثم قال لابن له آخر : قم يا بنى ، فوار أخاك ، وحل كتاف ابن عمك ، وسق إلى أمك مائة ناقة دية ابنها ؛ فإنها فينا غريبة .

وقال الشيبانى(٣) : خرج أمير المؤمنين أبو العباس متنزها ، فأمعن فى نزهته ، وانتبذ من أصحابه ، فوافى خباء لأعرابى ، فقال له الأعرابى : ممن الرجل ؟ قال : من كنانة ، قال : من أى كنانة ؟ قال : من أبغض كنانة إلى كنانة ، قال : فأنت إذن من قريش ، قال : نعم ، قال : فمن أى قريش ؟ قال : من أبغض قريش إلى قريش ؟ قال : فأنت إذن من ولد

(١) أجلالا وبراقع لخيله [س] .
(٢) أخلت [د ، س] بقوله : فوالله ما حل إلى قوله : ابن أخيه .
(٣) وردت فى العقد الفريد ـ ج٢ ص ٨٥ .

عبد المطلب ، قال : نعم ، قال : فمن[1] أي ولد عبدالمطلب ؟ قال : من أبغض ولد عبدالمطلب إلى عبدالمطلب ، قال : فأنت إذن أمير المؤمنين ، السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته ، فاستحسن ما رأى منه ، وأمر له بجائزة عظيمة .

وكان ابن الرومى الشاعر كثير التطير ، فقرع البحترى يوما عليه الباب ، فقال : من هذا ؟ فقال البحترى : سخط الحى القيوم ، والمهل والغسلين والزقوم ، يأخذ جميع الروم ، وكل بلاء كان أو يكون إلى يوم الدين ، فأغلق ابن الرومى بابه ولزم داره ، فسأل عنه الموفق ، فقيل له : فى سجن البحترى وحدث القصة .

وقيل لأبى أيوب صاحب المنصور : إنا نراك إذا دعاك أمير المؤمنين يتغير وجهك ، ويضطرب حالك ، فقال : مثلى معكم كباز قال لديك : ما رأيت أشر منك ، تكون عند قوم من صغرك إلى كبرك ، يطعمونك ويسقونك ، فإذا أرادوا فى وقت من الأوقات ينتقلون من دار إلى دار ، وطلبوا أن ينقلوك معهم لم تمكنهم من نفسك إلا بعد جهد شديد ، وأنا يرسلوننى فى الصحارى التى فيها ربيت والمواضع التى فيها نشأت ، فأرجع إليهم ، وأصيد طعمهم ولا أحتاج إليهم ، قال له الديك : أنت لم تر قط بازا فى سفود ، وأنا قد رأيت عشرين ديكا فى سفود مرارا كثيرة .

وحكى بعضهم قال : كانت أعرابية تحاجى الرجال ، فلا يكاد أحد يغلبها ، فأتاها جنى فى صورة إنسان ، فقال لها : أحاجيك ؟ قالت : قل ، قال : كاد العروس أن يكون أميرا ، قال : كاد ، قالت : كاد المنتعل يكون راكبا ، قال : كاد ، قالت : كاد النعام يكون طائرا ، قال : كاد ، قالت[2] : كاد الفقر يكون كفرا ، قال : كاد ، قالت : كاد المريب يقول خذونى ، ثم أمسك ، فقالت له : جاوبتك ، فأين جوابى ؟ فقال لها : قولى ، فقالت : عجبت ، قال : عجبت للسبخة كيف لا يجف ثراها ، ولا ينبت مرعاها ، فقالت : عجبت ، قال : عجبت للحصى ، كيف لا يكبر صغيره ، ولا يهرم كبيره ، فقالت : عجبت ، قال : عجبت لحفرة بين فخذيك ، كيف لا يدرك قعرها ، ولا يمل حفرها ؟ ، قال : فخجلت من جوابه ، ولم تعد إلى ما كانت عليه .

ودخل سارق دار تاجر ، وكان التاجر غائبا ، واستخفى ، ثم دخل آخر واستخفى ، ولا يعلم الأول بالثانى ، فلما جن الليل خرج السارق الأول ، فذبح الخادم ، ودخل على المرأة ،

(١) أخلت [د] بقوله : فمن أى ولد عبدالمطلب إلى قوله : إلى عبدالمطلب .
(٢) قالت : كاد الفقر يكون كفرا قال : كاد . زيادة من [د] .

وقال لها : هات ما عندك ، فأحضرت له جميع مالها وحليها وحلفت له أن ذلك جميع ما على ملكها ، فأراد ذبحها ، فقالت ولأى شىء تفعل هذا ؟ وقد أعطيتك جميع ما عندى ، فقال لها : لا يؤكل مال حى ، وعزم على قتلها فبكت وخضعت ، فأشفق عليها السارق الثانى ، وخرج عليه بسرعة ، فقتله ، فدهشت منه ، فقال لها : لا خوف عليك ، والله ، لا آخذ لك شيئا ، فناولينى فأسا أو مسحاة ، فناولته ، فحفر فى الدار ، ودفن السارق والخادم ، وأراد الخروج ، فرغبت إليه فى معرفة موضعه ، فعرفها فلما جاء زوجها عرفته بما كان فى غيبته ، فمضى إليه وقاسمه ماله ، وكان صديقه إلى الموت .

وحكى[1] الحسن بن خضر عن أبيه قال : لما أفضت الخلافة إلى بنى العباس ، اختفى رجل من بنى أمية يقال له : إبراهيم بن سليمان بن عبد الملك حتى أخذ له أمان من بنى العباس ، فقال له أبو العباس يوما : حدثنى عما مر بك فى اختفائك ، فقال : كنت يا أمير المؤمنين مختفيا بالحيرة فى منزل على الصحراء ، فبينا أنا ذات يوم على باب بيتى ، إذ نظرت إلى أعلام سود ، قد خرجت من الكوفة ، تريد الحيرة ، فوقع فى نفسى أنها تريدنى ، فخرجت متنكرا ، حتى دخلت الكوفة ، ولا أعرف بها أحدا ، فبقيت متحيرا ، فإذا أنا بباب ورحبة واسعة ، فدخلت الرحبة فجلست فيها فإذا رجل وسيم الوجه ، حسن الهيئة على فرس ، فدخل ومعه جماعة من أصحابه وأتباعه ، فقال : من

---

(١) هذه الحكاية لها صدى فى الأدب الإسبانى ، ملموح فى قصة قصيرة للكاتب الإسبانى العبقرى "ثيرفانتس" ، وعنوانها "ربح الأصدقاء" ، مع خلاف يسير فبطل الحكاية العربية رجل معروف من بنى أمية ، وبطل قصة ثيرفانتس سيدة ، ومسرح أحداثها "الشبونة" ، وقد درس هذه الحكاية الإسبانية مقارنا بينها وبين حكاية عربية أستاذنا الدكتور الطاهر مكى فى كتابه "فى الأدب المقارن" ص ٣١٧ ـ ٣٢٦ ، وأورد الحكاية العربية كما أملاها عليه وعلى أقرانه فى الكتاب "سيدنا" ، وقرت فى ذاكرة الأستاذ ، منذ ذلك الحين ، وجرت أحداثها إبان فتح الأندلس ، والمستجير كان قاتل ولد من أجاره دون أن يعلم كلاهما ، وحين علم صاحب الدار ، خشى على نفسه نكث العهد والإجارة ، فرغب أن يذهب عنه المستجير ويرحل ، وأعطاه بعض الدارهم ، ولعل الحكاية التى فى الحدائق قريب من قريب ، فطرد الأمويين وتعقبهم ، صاحبه فرار عبدالرحمن الداخل ، إلى الأندلس ، وكأنه فتح الأندلس من جديد ، وكان عمله فتحا بمعنى الكلمة ، أما القصة الإسبانية فقد ترجمها ـ بأستاذية ـ الدكتور مكى ، وفيها حوار أطول من القصة العربية ، والمجيرة سيدة قتل المستجير ابنها ، وعاذ بها دون أن يعرف كلاهما أيضا ، وفى القصة نفس مسيحى تمثل فى السيدة وحين عرف المستجير ما حدث منه بالنسبة لمجيرته اعتراه الفزع ، وعلمت السيدة أن ذلك الرجل هو قاتل ابنها ، فطلبت منه أن يغطى وجهه لئلا تراه ، وطلبت من خادمها أن تعطيه مائة درهم من الذهب ، وقالت له : احتفظ برباطة جأشك وأنت خارج لأن الإفراط فى القلق يدل عادة على الجرم ، فخرج الرجل حتى صادف سفينة مبحرة نحو جزائر الهند الشرقية فأسلم نفسه إليها مبحرا ، والدكتور مكى يرجح أن ثيرفانتس سمع هذه القصة العربية إبان إقامته فى الجزائر ، أو من أفواه عامة الإسبان ، وكلامه دقيق .

أنت وما حاجتك؟ فقلت : رجل يخاف على دمه ، واستجار بمنزلك ، قال : فصيرنى فى حجرة تلى حرمه ، فمكثت عنده حولا كاملا فى كل ما أحببت من مطعوم ومشروب وملبوس ، لا يسائلنى عن شئ من مال ويركب فى كل يوم ، فقلت له يوما : أراك تدمن الركوب ، ففيم ذلك ؟ فقال : إن ابراهبم بن سليمان قتل أبى صبرا ، وقد بلغنى عنه أنه مختف ، فأنا أطلبه ، فقلت : يا هذا ، قد وجب حقك على ، ومن حقك أن أقرب عليك الخطوة ، قال : وما ذلك ؟ قال : أنا إبراهيم بن سليمان قاتل أبيك ، فخذ بثأرك ، فأطرق مليا ، ثم قال : أما أنت فستلقى أبى ، فيأخذ بحقه منك ، وأما أنا فغير مخفر ذمتى ، فاخرج عنى ؛ فلست آمن نفسى عليك ، فأعطانى ألف دينار ، فلم أقبلها منه ، وخرجت عنه ، فهذا أكرم رجل رأيت .

وقال أبو الربيع البغدادى : كان فى جوار أبى عمر القاضى رجل ظهر فى يده مال جليل بعد فقر طويل ، قال : فسألته عن أمره ، فقال : ورثت مالا جليلا ، فأسرعت فى إتلافه ، حتى أفضيت إلى بيع أثاث دارى ، ولم يبق لى حيلة ، وبقيت لا قوت عندى إلا من غزل أم أولادى ، فتمنيت الموت ، فرأيت ليلة من الليالى كأن قائلا يقول لى : غناؤك بمصر فاخرج إليه ، فبكرت إلى أبى عمر القاضى وتوسلت إليه بالجوار فى كتب إلى مصر ففعل وخرجت ، فلما وصلت مصر ، ودفعت الكتب وسألت التعريف ، فسد الله على الوجوه ، ونفدت نفقتى ، وبقيت متحيرا ، وتفكرت فى أن أسأل الناس بين العشاءين ، فخرجت أمشى فى الطريق ، ونفسى تأبى المسألة ، إلى أن مضى من الليل كثير ، فلقينى الطائف ، فقبض على ، ووجدنى غريبا ، فأنكر حالى وسألنى فقلت : رجل ضعيف ، فلم يصدقنى ، وضربنى بمقارع فصحت وقلت : أنا أصدقك ، فقال : هات ، فقصصت عليه القصة من أولها إلى آخرها وحديث المنام ، فقال لى : أنت أحمق ، والله ، لقد رأيت منذ كذا وكذا سنة فى النوم قائلا لى : ببغداد فى الشارع الفلانى ، فى المحلة الفلانية مال ، فذكر شارعى ومحلتى ، ثم قال : دار يقال لها دار فلان ، فذكر دارى واسمى ، وفيها بستان فيه سدرة ، تحتها مدفون ثلاثون ألف دينار ، فامضى فخذها ، فما فكرت فى هذا الحديث ولا التفت إليه ، قال : فقوى قلبى بذلك الحديث ، فأطلق عنى ، فخرجت من مصر إلى بغداد ، وقلعت السدرة ، فوجدت تحتها[1] ثلاثين ألف دينار ، فأنا أعيش فيها .

(١) تحتها قمقما فيه ثلاثون ألف من [د] .

وقـال أبو المثنى : كنت أمـشى يومـا بين يدى رجل على رأسـه قـفص زجـاج وهو مضطرب المشى ، فما زلت أرتقب وقوعه ، فزلق وتكسر القفص ، وتلف جميع ما فيه ، فبهت الرجل وأخذ يبكى ، ويقول : هذا والله ، جميع بضاعتى ووالله ، لقد أصابتنى بمكة مصيبة أخرى ، وما دخل على قلبى مثل هذا ، فاجتمع حوله جماعة يرثون لحاله ، فقالوا : ما الذى أصابك بمكة ؟ قال : دخلت قبة زمزم ، وتجردت للاغتسال ، وكان فى يدى دملج وزنه ثمانون مثقالا ، فخلعته واغتسلت ، فخرجت ونسيته ، فقال رجل من الجماعة : هذا دملجك له معى منذ سنتين .

وحكى بعضهم أن شيخا أتى سعيد بن مسلم ، فكلمه فى حاجة ، فوضع زج عصاه على إصبع سعيد ، حتى أدماه ، فما تأوه سعيد لذلك ولا نهاه ، فلما فارقه قيل لسعيد : لم صبرت على هذا ولم تعلمه ؟ قال : خفت أن يعلم جنايته ، فينقطع عن طلبه الذى جاء فيه .

وقال آخر : صاح رجل بيحيى بن خالد : يا أبا على ، متوسل بالله إليك أقعدنى فى دهليزك ، وأجر على كل يوم ألف درهم ، فقال : نعم ، فأقعده وأجرى عليه النفقة كما ذكر ثلاثين يوما ، ثم انصرف ، فقيل ليحيى : إنه انصرف ، فقال : بمن توسل به ، لو أقام حتى يموت لكان له كل يوم ألف درهم .

ودخل عـمارة بن حـمزة على المنصور ، فجلس فى مجلسه فقال رجل للمنصور : مظلوم ، يا أمير المؤمنين ، قال : من ظلمك ؟ قال : عمارة ظلمنى ، وأخذ ضيعتى ، فقال المنصور : قم يا عمارة ؛ فاقعد مع خصمك ، فقال عمارة : ما هو لى بخصم ، قال وكيف ذلك ؟ قال عمارة : إن كانت الضيعة له فلست أنازعه فيها ، وإن كانت لى فقد وهبتها له ، ولا أقوم من موضع شرفنى به أمير المؤمنين .

وحكى أبو سـهل الدارى عـمن حـدثه عن الواقـدى أنه قـال : كـان لى صـديقـان ، أحدهما هاشمى ، فكنا كنفس واحدة ، فنالتنى ضيقة شديدة ، وحضر العيد ، فقالت لى امرأتى : أما نحن فى أنفسنا ، فنصبر على البؤس والشدة ، وأما صبياننا فلا صبر لهم ، قـال : فكتـبت إلى صـديقى الهـاشـمى أسـأله التـوسعـة على بما حضـر ، فوجه لى كيسـا مختوما ، وذكر أن فيه ألف درهم ، فما استقر قراره ، حتى كتب لى صديقى الآخر يشكو إلى حاله فوجهت إليه الكيس بما فيه وخرجت إلى المسجد ، فأقمت به الليل مختفيا من

امرأتى ، فبينا أنا كذلك إذ وافانى صديقى الهاشمى ومعه الكيس كهيئته ، وقال : أخبرنى عما فعلته فيما وجهت إليك به ، فعرفته الخبر ، فقال : إنك وجهت إلى ، وما أملك إلا ما بعثت إليك ، ثم كتبت إلى صديقى أسأله المواساة ، فوجه إلى الكيس بخاتمى ، قال : فاقتسمنا ألف درهم فيما بيننا ثلاثا ، فوصل الخبر إلى المأمون فدعانى ، فشرحت له ما كان ، فأمر لنا بسبعة آلاف دينار ، ألفين لكل واحد ، وللمرأة ألف .

وكان رجل له مال كثير ، وكان لا يقدر أحد على أن يأتى عليه فى أمر ، لشدة حزمه ، وكان يقول لمن جرى عليه أمر : ضيعت الحزم ، فاتفق جماعة[1] على أن يفعلوا معه أمرا يقولون له بسببه : ضيعت الحزم ، فأتوا داره ليلا ، وأخذوا خادمه وربطوها ، وقالوا لها : إن لم تصيحى على سيدك ، وتقولى له : أصابنى وجع ، وأنا أجد الموت فاخرج لى ، وإلا قتلناك ، ففعلت الخادم وجعلت تصيح به ، فقالت له زوجته : اخرج إليها ، وانظر ما دهاها ، فقال : لا أفعل ، فقالت : دعنى أنا أخرج إليها ، قال : لا يفتح بابى بالليل ، قالت : فدعنى أناولها معجونا من تحت الباب ، قال : افعلى ، فأخرجت يدها من تحت الباب بالمعجون ، فقبضوا على يدها ، وأوثقوها بشريط ، فاستغاثت بزوجها ، فقال لها : ألم أقل لك : ضيعت الحزم ، فقالوا له : إن لم تعطنا كذا وكذا ، وإلا قطعنا يدها ، فقال لهم : إن أعطيتكم ما طلبتم وزيادة ، والله أنكم تطلقونها ؟ قالوا : نعم ، قال : فاذهبوا إلى الموضع الفلانى فاحفروا ، فذهب بعضهم وحفر ، فوجد إناء فيها ألف دينار كما طبعت ، فأخذوها ، وأطلقوا يد المرأة ، واقتسموا الدنانير وانصرفوا ، وكان هو قد صنع تلك الدنانير مدلسة ، وأعدها لمثل ما جرى له ، فلما أصبح الصباح انتظروه يعلم الناس بما جرى له ، فيقولون له : ضيعت الحزم ، فلم يعلم أحد بذلك ، ثم ذهبوا ، وتصرفوا فى تلك الدراهم ، واشتروا بها أسبابا وحوائج ، ووقع الناس على دلسها ، فرفعوا إلى الحاكم ، ودخلت ديارهم ، فوجدوا باقى الدراهم بها ، فضربوا وطوفوا فلقيهم ، وقال لهم : ضيعتم الحزم ، هلا حملتم الميلق معكم ؟ فعلموا أنه لا يقدر عليه أحد ؛ لشدة حزمه .

وكتب الإسكندر كتابا إلى بعض ملوك الهند ، يقول له فيه : أما بعد ، إذا أتاك كتابى هذا ، فإن كنت قائما فلا تقعد ، وإن كنت ماشيا فلا تلتفت ، وإلا مزقت ملكك ، وألحقتك بمن مضى من الملوك قبلك ، فلما ورد الكتاب عليه أجاب بأحسن جواب ،

(١) أخلت [س] بقوله : فاتفق جماعة ـ إلى قوله : ضيعت الحزم ، فأتوا .

وخاطبه بملك الملوك ، وأعلمه أنه اجتمع عنده أشياء ، لم تجتمع عند غيره ، فمن ذلك ابنة لم تطلع الشمس على أحسن منها ، وفيلسوف يخبرك بمرادك ، قبل أن تسأله ؛ لحدة ذهنه وحسن قريحته ، واعتدال مزاجه ، واتساع علمه ، وطبيب لا تخشى معه داء ولا شيئا من العوارض ، إلا ما يطرأ من الفناء والدثور ، وقدح إذا ملئ بالماء شرب منه عسكرك بجمعه ، ولا ينقص منه شيء ، وأنا منفذ جميع ذلك إلى الملك ، فلما قرأ الإسكندر الكتاب ، ووقف على ما فيه ، قال : كون هذه الأشياء عندى ، ونجاة هذا الملك الحكيم من صولتى أحب إلى من ألا تكون عندى ويهلك ، فأنفذ إليه الإسكندر جماعة من حكماء اليونانيين والروم وعدة من الرجال ، وقال لهم إن كان صادقا فيما كتب ، فسوقوا تلك الأشياء ، ودعوا الرجل فى موضعه ، وإن تبين لكم أن الأمر على خلاف ذلك ، فأشخصوه إلى ، فمضى القوم حتى انتهوا إلى مملكة ذلك الرجل ، فتلقاهم بأحسن قبول ، وأنزلهم أحسن منزلة ، فلما كان اليوم الثالث ، جلس لهم مجلسا خاصا ، للحكماء منهم ، دون من كان معهم من المقاتلة ، وتكلم معهم فى أصول الفلسفة ، ثم أخرج الجارية ، فلما ظهرت لأبصارهم ، ورمقوها بأعينهم لم يقع طرف واحد منهم على عضو من أعضائها إلا وقف عنده ، ولم يمكنه أن يتعدى إلى غيره ، ثم أراهم بعد ذلك ما تقدم الوعد به وصرفهم ، وصير الفيلسوف والطبيب والجارية والقدح معهم ، فلما وردوا على الإسكندر أمر بإنزال الطبيب والفيلسوف ، ونظر إلى الجارية ، فحار عند مشاهدتها ، وبهرت عقله ، وأمر بقية جواريه بالقيام عليها ، ثم صرف همته إلى الفيلسوف ، وإلى علم ما عند الطبيب ، وقص عليه الحكماء ما جرى لهم من المباحثة مع الملك الهندى فأعجبه ذلك ، ثم أراد مباحثة الفيلسوف على ما خبر عنه فخلى بنفسه[1] ، وأجال فكره فيما يختبره به ، فسنح له سانح من الفكر بإيقاع شيء يختبره به ، فدعا بقدح ، فملأه سمنا ، وبعثه إليه ، فلما ورد الرسول بالقدح على الفيلسوف ، نظر الفيلسوف بصحة فهمه ، فقال : لأمر ما بعث هذا الملك الحكيم هذا السمن إلى ، فأجال فكره فيه ، حتى ميز المراد به فدعا بنحو من ألف إبرة فغرز أطرافها فى السمن ثم رد القدح إلى الإسكندر ، فأمر الإسكندر أن يعمل من الإبر كرة مدورة ، وأمر بردها إلى الفيلسوف ، فلما وصلت إليه أمر ببسطها وأن يتخذ منها مرآة ترى صورة من قابلها من الأشخاص لصفائها ، وأمر بردها إلى الاسكندر ، فلما نظر إليها ورأى أحسن صورته فيها ، دعا بطست ، فحمل المرآة فيه ، وأمر بإراقة الماء عليها حتى ترسب

(١) أخلت [ح] من قوله : الهندى إلى قوله : بنفسه ، والزيادة من [د ، س] .

وأمر بحملها إلى الفيلسوف ، فلما نظر إليها أمر بالمرآة فصنع منها إناء ، وجعله فى الطست طافيا فوق الماء ، وأمر برد ذلك إلى الإسكندر ، فلما وصل إليه أمر أن يملأ ذلك الإناء من تراب ناعم ، وأمر برده إلى الفيلسوف ، فلما نظر الفليسوف إلى ذلك تغير لونه وجرت دموعه وأمر برده إلى الاسكندر ، من غير أن يحدث فيه شيئا ، فلما ورد الرسول على الإسكندر ، وأخبر بفعله وحاله ، تعجب منه ، فلما كان فى صبيحة تلك الليلة ، جلس له الإسكندر جلوسا خاصا ، ودعا بالفيلسوف ، ولم يكن رآه قبل ذلك ، فلما أقبل ، ونظر إليه الإسكندر ، وتأمل قامته وصورته ، رأى رجلا معتدل البنية ، حسن الخلقة ، فقال فى نفسه : إذا اجتمع حسن الصورة وحسن الفهم ، كان صاحب ذلك واحد زمانه ، ولست أشك أن هذا الفيلسوف قد اجتمع له الأمران ، فإن كان هذا الفيلسوف علم كل ما راسلته به وأجابنى عنه من غير مباحثة ، فليس فى زمانه أحد يدانيه فى حكمته ، وتأمل الفيلسوف الإسكندر عند دخوله عليه ، والإسكندر ينظر إليه ، فأدار الفيلسوف أصبعه السبابة حول وجهه ووضعها على طرف أنفه ، وأسرع نحو الإسكندر وهو جالس على سرير ملكه ، فحياه بتحية الملوك فأشار إليه الإسكندر بالجلوس ، فجلس حيث أمره ، فقال له الإسكندر : ما بالك حين نظرت إلى أدرت أصبعك حول وجهك ، ووضعتها على طرف أنفك ؟ قال : تأملتك أيها الملك بنور عقلى ، وصفاء مزاجى ، فتبينت فكرك ، وتأملك لحسن صورتى ، فقلت فى نفسى : إنه قد قال : إن هذه الصفة قل ما تجتمع مع الحكمة ، فإذا كان هذا فصاحبها واحد زمانه ، فأدرت أصبعى مصداقا لما سنح لك ، وأريتك مثالا شاهدا ، وجعلت وهى بمنزلة الدنيا ، فكما أنه ليس فى الوجه إلا أنف واحد ، فكذلك ليس فى مملكة الهند غيرى ، قال له الإسكندر : ما أحسن ما تأتى لك ، فما بالك حين أنفذت إليك قدحا مملوءا سمنا غرزت فيه إبرا ورددته إلى ؟ فقال الفيلسوف : علمت أنك تقول : إن قلبى امتلأ علما مثل هذا الإناء من السمن ، فليس لأحد من الحكماء فيه مزيد ، فأخبرت الملك أن علمى سيزيد فيه ، ويدخل كما دخلت هذه الإبر فى هذا السمن ، قال : فأخبرنى ، ما بالك حين عملت من الإبر كورة ، وبعثتها إليك صنعت منها مرآة صقيلة ورددتها إلى ؟ قال : علمت أنك تريد أن قلبك قد قسا من سفك الدماء ، والشغل بسياسة الملك كقساوة هذه الكرة ، فلا يقبل العلم ، فأخبرتك بسبكى هذه الكرة ، والحيلة فى أمرها ، حتى جعلت منها مرآة ترى الصور عند المقابلة ، فكذلك أفعل بقلبك ، قال الاسكندر : صدقت ، فأخبرنى أيها الفيلسوف حين جعلت المرآة فى الطست ،

وجعلت عليها الماء حتى رسبت ، لم صنعت منها إناء يطفو فوق الماء ثم رددتها إلى ؟ قال : علمت أنك تريد أن الأيام قد قصرت ، والأجل قريب ، ولا يدرك العلم الكثير فى الأمد القليل ، فأجبتك ممثلا أنى سأعمل الحيلة فى إيراد العلم الكثير فى الأمد القليل إلى قلبك ، بتقريبه من فهمك ، كاحتيالى للمرآة من بعد كونها راسبة فى الماء ، جعلت طافية عليه ، قال الإسكندر : صدقت ، فأخبرنى ، ما بالك حين ملأت لك الإناء ترابا رددته إلى ، ولم تحدث فيه شيئا كفعلك فيما سلف ؟ قال الفيلسوف : علمت أنك تريد بالتراب الموت ، وأنه لا بد منه ، ومن لحوق هذه البنية بهذا العنصر البارد الذى هو الأرض ، ومفارقة النفس الناطقة الشريفة لهذا الجسد ، فأعلمتك حين لم أحدث فيه شيئا ألا حيلة فى ذلك ولا عمل ، قال له الإسكندر : صدقت ، ولأحسنن إلى الهند من أجلك ، وأمر له بجوائز كثيرة ، فقال له الفيلسوف : لست أحتاج شيئا يلهينى عن عملى ، ولا أدخل عليه ما ينافيه ، وخيره الاسكندر بين الإقامة عنده ، أو الرجوع إلى وطنه ، فاختار الرجوع إلى وطنه ، فخلى عنه ، وأما القدح[1] فأدهقه بالماء ، ثم أورد عليه الناس ، فلم ينقص منه شىء ، وكان فيما يقال معمولا بضروب من خواص الهند ، وقد قيل : إنه كان لآدم عليه السلام بأرض سرنديب من أرض الهند ، مما نزل من الجنة ، فورث عنه ، وتوارثه الملوك إلى أن انتهى إلى هذا الملك من ملوك الهند ، وأما الطبيب ، فإنه كان له معه أخبار طويلة ، ومناظرة عجيبة فى صنعة الطب .

(١) يلمح القارئ هذا الأمر الأسطورى ، مما اضطر القاص نفسه أن يبحث عن شىء يمكن تصديق الخبر به ، فحاول التعليل لهذا القدح الغريب ، ونسبه إلى الجنة وإلى آدم عليه السلام ، وكأن القاص نفسه لا يصدق الرواية ، فحاول أن يصدق نفسه أولا ، إراغة منه ليصدقه الآخرون ، والخبر فى النهاية أسطورى .

الباب الثانى
فى الحكايات والأخبار
ذوات الأشعار

كان أحمد بن المدبر ، إذا مدحه أحد ، ولم يرض بشعره ، قال لغلامه : امض به إلى المسجد ، ولا تفارقه حتى يصلى مائة ركعة ، ثم خله ، فتحاماه الشعراء إلا الأفراد المجيدون ، فجاءه الحسين بن عبد السلام الضرير المعروف بالجمل ، فاستأذنه فى الإنشاد فقال له : أعرفت الشرط ؟ قال : نعم ، وأنشد :

أردنا فى أبى حسَنٍ مديحا ... كما بالمدح تُنتجعُ الولاةُ
فَقُلْنا : أكرمُ الثَّقَلَيْن طُرّا ... ومَنْ كفَّاهُ دجلةُ والفُرات
فقالوا : يقبل المِدْحاتِ لكنْ ... جوائزُهُ عليهنَّ الصَّلاةُ
فقلتُ لهم : وما تُغنى صلاتى ... عِيالى ، إنما الشأنُ الزكاة
فأمّا إذْ أبى إلا صلاتى ... وعاقتْنى الهمومُ الشاغلات
فيأمرَ لى بكسْرِ الصَّادِ منْها ... لعلِّى أن تُنَشِّطَنى الصِّلاتُ(١)

وحضر أبو نواس مجلس منصور بن عمار ، فرآه الناس يبكى ، فظنوا أنه تاب ، وجعلوا يهنئونه ويقولون : نرجو لك الله ، فقال : أنا أهون على الله من ذلك ، وليس كما تظنون ، ولكنى أبكى لبكاء ذلك الغزال ، ونظر إلى غلام بالمجلس يبكى من وعظ منصور ، ثم قال :

لم أَبْكِ فى مجلسِ منصورِ ... شوقا إلى الجنة والحُورِ
لكنْ بكائى ، لبُكا شادنٍ ... تقيه نفسى كلَّ مَحْذور
تنتسبُ الألْسنُ فى وصفه ... إلى مدى عجزٍ وتقصير(٢)

---

(١) الأبيات من الوافر ، وهى والحكاية فى وفيات الأعيان ـ جـ١ ـ ص١٩ ـ وفى زهر الآداب ـ المجلد الأول ص٥٣٧ ، وقال الشاعر : إنى أخذت البيت الأخير من أبى تمام حيث يقول :

هن الحمام ، فإن كسرت عيافة ... من حائهن ، فإنهن حمام

وأبيات الجمل ليس فيها من الشعر كثير سوى النادرة اللغوية ، ويستحق صاحبها أن يذهب به إلى المسجد ، وبون بعيد بين الأخير منها وبين أبى تمام ، وقد رسمنا «الصلات» بالتاء المفتوحة .

(٢) الأبيات من السريع ، والبيت الأخير يقول فى [د] تنتشب ـ بالشين المثلثة .

وحضر مجلس بعض القصاص أيضا ، فقالوا له : لعل الله تعالى قد أقبل عليك فقال : إنما حضرت لأجل هذا الغزال ، ثم قال :

خَلِّيانى والمعاصى ودَعا ذِكْرَ القِصاصِ
واسقِيانى الخمرَ صِرْفا فى أباريقِ الرَّصاص
وعلى وجهِ غزالٍ طائع ليسَ بعاصى
بين فتيانٍ كرام قد تواصَوْا بالمعاصى
إن لى ربا غفوراً وعَلَى الله خلاصى[1]

ونظر يزيد بن مزيد الشيبانى إلى رجل ذى لحية عظيمة ، وقد تلففت على صدره وإذا هو خاضب ، فقال : إنك من لحيتك فى مئونة ، فقال : أجل ، ولذلك أقول :

لعُمرك لو يُعطى الأميرُ على اللِّحَى لأصبحتُ قدْ أيسرتُ منه زمانى
لها درهمٌ للدهْنِ فى كلِّ جُمعةٍ وآخرُ للحِنّاءِ ، يَبْتَدِران
ولولا نوالٌ من يزيدَ بنِ مَزْيدٍ لصَوَّتَ فى حافاتها الجَلَمَانِ[2]

فأمر له بعشرة آلاف درهم .

وحكى أبو جعفر الشيبانى قال : أتانا يوما أبو شاش[3] الشاعر ، ونحن فى جماعة فقال : ما أنتم فيه ؟ فقالوا : نذكر الزمان وفساده ، قال : كلا ، الزمان وعاء وما ألقى فيه من خير أو شر كان على حاله ، ثم أنشأ يقول :

رأيتُ حلًى تُصانُ على أُناسٍ وأخلاقًا تُذال ، ولا تُصَانُ
يقولونَ الزمانُ به فسادٌ وهم فسدوا ، وما فسدَ الزمانُ[4]

ودخل ابن عبدل على بشر بن مروان لما ولى الكوفة ، فقال : أيها الأمير ، إنى رأيت رؤيا ، فأْذن لى أقصها ، قال : قل ، فقال :

(١) الأبيات من الرمل المجزوء ، والبيت الأخير زيادة من [د ، س] .
(٢) الأبيات من الطويل .
(٣) فى العقد الفريد ـ أبو مياس الشاعر .
(٤) البيتان من الوافر ، وهما والحكاية فى العقد الفريد ـ جـ١ ص١٦٩ .

أَغفيْتُ قبل الصبح ، نومَ مسهَّدٍ   فى ساعةٍ ، ما كنتُ قبلُ أنامُها
فــرأيتُ أنكَ رُعــتَنِى بوليـــدةٍ   ممشوقةٍ ، حَسَنٌ علىَّ قيـامُـهـا
وببـــدرةٍ حُـــملتْ إلى ، وبغلةٍ   شهباءَ ناجيةٍ ، يَصِلُّ لجِامُها(١)

فقال : أبشر بكل شيء قلته أو سمعته عندى ، إلا البغلة ، فليس عندى إلا دهماء ، قال : امرأته طالق ثلاثا ، إن كنت رأيتها إلا دهماء ، لكنى غلطت .

وقال بعض الشعراء ، قدمت على علىّ بن يحيى ، فكتبت له :

رأيتُ فى النوم أنِّى راكبٌ فرسًا   ولى وصيفٌ ، وفى كفِّى دنانيرُ
فجئتُ مُستبشرًا ، مُستشعرا فَرَحًا   وعندَ مثلِكَ لى بالفعلِ تَبْشيرُ(٢)

فوقع فى آخر كتابى : ﴿أَضْغَاثُ أَحْلاَمٍ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الأَحْلاَمِ بِعَالِمِينَ﴾(٣) ثم أمر لى بكل ما رأيت فى منامى .

ومن ملح الصاحب بن عباد ، ما يحكى عنه أن بعض الشعراء كتب إليه :

أيا مَنْ عطاياهُ تُدْنى الغنى   إلى رَاحَــتَىْ مَنْ نأى أو دنا
كسوْتَ المقيمينَ والزائرينَ   كُسًا ، لم يُخَلْ مثْلُها مُمْكنا
وحاشيةُ الدارِ يمشون فى   ثيـــابٍ من الخــزِّ ، إلا أنا(٤)

فقال الصاحب : قرأت فى أخبار معن بن زائدة ، أن رجلا قال له : احملنى أيها الأمير ، فأمر له بناقة وفرس وبغلة وحمار وجارية ، ثم قال : لو علمت أن الله خلق مركوبا

---

(١) الأبيات من الكامل ، وهى وحكايتها فى العقد الفريد ـ جـ٢ ص١٦٤ ، وروايته «أغفيت عند الصبح» .
(٢) البيتان من البسيط ، وهما والحكاية فى العقد الفريد ـ جـ١ ص٧٣ ، بزيادة بيتين بعد الأول وهما :

فقال قوم لهم خلق ومعرفة   رأيت خيرا ، وللأحلام تعبير
رؤياك فاسر غدا عند الأمير تجد   تعبير ذاك وفى الفأل التباشير

ومسألة الرؤيا المنامية واردة بكثرة عند الشعراء ، وبعض الممدوحين أجاز والآخر منع ، ومن ذلك رد المتنبى على شاعر رأى مثل هذا فقال : قد سمعنا ما قلت فى الأحلام وأجزناك بدرة فى المنام .
(٣) يوسف الآية : ٤٤ .
(٤) الأبيات من المتقارب ، وهى لأبى القاسم الزعفرانى ، من ندماء الصاحب ، والأبيات وحكايتها فى وفيات الأعيان ـ جـ١ ص٢٢٩ ، وروايتها فيها خلاف يسير تمثل فى : (لم نخل) ، صنوف من الخز ، ونهاية الحكاية : ثم أمر بإدخاله إلى الخزانة ، لم ترد فى الوفيات .

غير ما أمرت لك به لحملتك عليه ، وقد أمرنا لك بجبة وقميص ودراعة ، وسراويل وعمامة ومنديل ومطرف ، ورداء وكساء ، وجورب وكيس ، ولو علمت لباسا غير هذا لأعطيناك ، ثم أمر بإدخاله إلى الخزانة .

وقال المفضل : دخلت على الرشيد ، وبين يديه جارية مليحة شاعرة وورد قد أهديت إليه ، فقال : يا مفضل ، قل في هذا الورد شيئا تشبهه به ، فقلت :

كأنه خدُّ معشوقٍ يقبِّلُهُ فمُ الحبيبِ ، وقدْ أبقى به خجلا

فقالت الجارية :

كأنه لونُ خدّي ، حين تدفعني كفُّ الرشيدِ ، لأمْرٍ يُوجب الغُسُلا[1]

فقال : قم يا مفضل ؛ فإن هذه الماجنة قد هيجتنا ، فقمت ، وأرخيت الستور .

وقال بعض الرواة : دخلت على أبي العشائر ، أعوده من علة ، فقلت : ما يجد الأمير؟ فأشار إلى غلام قائم بين يديه ، ثم أنشد :

أَسْقَمَ هذا الغلامُ جسمي بما بِعَيْنَيْهِ من سَقَامِ
فتورُ عينيْهِ من دلالٍ أهدى فُتورا إلى عظامي
وامتزجتْ روحُهُ بروحي تَمازُجَ الماءِ بالمُدام[2]

وشرب المأمون وعبيدالله بن طاهر ويحيى بن أكثم القاضي ، فتعامل المأمون وابن طاهر على سكر يحيى ، فغمزا به الساقي فأسكره ، وكان بين أيديهم ردم من ورد وريحان ، فأمر المأمون فشق له قبر في الردم ، وصيراه فيه كأنه ميت ، وعمل بيتي شعر وقال لمغنية : غن بهما على رأسه ، فجلست عند رأسه وغنت بهما :

ناديتُه وهْوَ حَيٌّ لا حَراكَ به مُكَفَّنٌ في ثيابٍ من رياحينِ
فقلتُ : قمْ ، قال : رِجْلي لا تُطاوعني فقلتُ : خُذْ ، قال : كَفِّي لا تُواتيني

فانتبه يحيى لرنة العود والجارية بالبيتين فقال :

---

(١) البيتان من البسيط ، والحكاية معهما في العقد الفريد - جـ٣ - ص٣١٦ ، وهي منسوبة إلى إسحاق الموصلي ، مع بعض تغيير يسير .
(٢) الأبيات من مخلع البسيط .

يا سـيِّـدى ، وأمـيـرَ النـاسِ كُلِّهِمُ   قد جارَ فى حكمه مَنْ كان يَسْقينى
إنى غفلتُ عن الساقى ، فصيَّرنى   كـمـا ترانى سليبَ العقل والدين
لا أستطيعُ نُهوضًا ؛ قد ذَوى بَدَنى   ولا أُجيب لداعٍ حين يدعونى(١)

وخرج الحسن بن هانىء ، وهو أبو نواس ، ومعه مطيط حاجبه ، حتى أتيا دار خمار ، فقال أبو نواس لمطيط : ادخل بنا نتماجن على هذا الخمار ، فدخلا ، فلما سلما رد عليهما السلام ، فقال له الحسن : أعندك خمر عتيقة ؟ قال : عندى منها أجناس ، فأى جنس تريد ؟ قال : التى يقول فيها الشاعر :

حُجِبَتْ حِقْبَةً وصِينتْ فجاءتْ   كـجـلاءِ العـروسِ بعـد الصِّـيانِ
وكأنَّ الأكفُّ تُصبغُ من ضوء سنا   ها ، بـالوَرْسِ والـزَّعْــفَــران(٢)

فملأ الخمار قدحا من خمر صفراء ، كأنها ذهب محلول ، فشربه الحسن وقال : أريد أحسن من هذا ، فقال الخمار : أى نوع تريد ؟ فقال : التى يقول فيها الشاعر :

رَقَّـقَـتْـهـا أيْدى الـهـواجرِ ، حـتى   صَيَّرتْ جِسْمَـها كـجسْمِ الهـواءِ
فَـــهْـيِ كـــالـنُّورِ فـى الإنـاءِ   وكالنارِ ، إذا ما تصيرُ فى الأحشاء(٣)

فملأ الخمار قدحا من قهوة ، كأنها العقيق ، فشربه ، وقال : أرفع من هذه أريد ، قال : أى جنس ؟ قال : التى يقول فيها الشاعر :

فـإذا حَسـا منهـا الوضـيعُ ثلاثةً   سـمحَ الوضيعُ بفِعْلِ ذى القـدْرِ
فى لونِ مـاءِ الغَـيْـثِ ، إلا أنهـا   بين الضلوع ، كـواقـدِ الجَـمْـرِ(٤)

(١) الأبيات من البسيط ، وهى وحكايتها فى العقد الفريد ـ جـ٣ ـ ص٢٩١ ، وفيها تغيير هنا عن رواية العقد ، ولها رابع فيه يقول :

فاختر لبغداد قاض إننى رجل   الراح يقتلنى والعود يحيينى

وهنا خطأ فى «قاض» لأن حقها النصب ،

(٢) البيتان من الخفيف .

(٣) البيتان من الخفيف .

(٤) البيتان من الكامل

فملأ له القدح من خمرة بيضاء ، كأنها ماء المزن ، فشربه الحسن ، فقال للخمار : أتعرفنى ؟ قال : إى والله ، يا سيدى ، أنا أعرف الناس بك ، قال : فمن أنا ؟ قال : أنت الذى سكر من غير ثمن فضحك ، وقال لمطيط : ادفع له ما معك من النفقة ، فأعطاه مائة درهم وانصرف .

وكان بالبصرة رجل ذو ضياع ، فأنفق ما له فى الشراب ، فباع ضيعة يوما ، فلما وقع البيع ، قال المشترى : تأتى بالعشى أدفع لك المال وأشاهدك ، قال له : لو كنت ممن يظهر بالعشى ، ما بعت الضيعة ، ثم أنشأ يقول :

أَتْلَفْتُ مالى فى العقار ... وخرجت فيها عن عَقار
حتى إذا كُتب الكتابُ ... وجاءنى رسُل التُّجَار
قالوا : الشهادةُ بالعشىِّ ... ونحنُ فى صدْرِ النهار
فأجبتهَمْ ؛ رُدّوا الكتابَ ... ولا تُعيروا بانتظارى(١)
لو كنتَ أَظْهرُ بالعشىِّ ... لما سمحتُ ببيع دارى(٢)

وحكى الأصبهانى أن موسى بن داود الهاشمى عزم على الحج وقال لأبى دلامة : احجج معى ، ولك عشرة آلاف درهم ، فقال : هاتها ، فدفعها إليه ، قال : فأخذها وهرب إلى السواد ، فجعل ينفقها هنالك فى شرب الخمر ، فطلبه موسى فلم يقدر عليه ، وخشى فوات الحج وخرج ، فلما شارف القادسية إذا هو بأبى دلامة خارجا من قرية إلى قرية أخرى ، وهو سكران ، فأمر بأخذه وتقييده ، وطرح فى محمل بين يديه ، فلما سار غير بعيد ، أقبل على موسى فناداه :

يا أيها الناسُ قولوا أجمعين معى ... صلَّى الإلهُ على موسى بن داودِ
كأن ديباجَتَيْ خدَّيْه من ذهَبٍ ... إذا بدا لك فى أثوابه السود
إنى أعوذُ بداودٍ ، وأَعْظمُه ... من أن أكلَّفَ حَجّا يا ابن داود
خُبِّرْتُ أن طريقَ الحج معطشةٌ ... من الشراب ، وما شُربى بِتَصْريد
والله ما فىَّ من أجرٍ ، فتطلبَهُ ... ولا الثناءُ ولا دينى بمحمود(٣)

---

(١) فى [د] ولا تعنوا بانتظارى ، وفى [س] ولا تعيوا بانتظارى .
(٢) الأبيات من مجزوء الكامل .
(٣) الأبيات فى البسيط ، ورواية المتن [أجمعون] وهى خطأ ، ثم إن البيت الثالث فيه إيطاء ، لتكرار كلمة «داود» بعد بيت واحد .

فقال موسى : ألقوه من المحمل ، لعنه الله ، فألقى فعاد إلى موضعه بالسواد ، حتى أنفق المال .

وكان الحكم بن عبدل أعرج أحدب[1] ، هجاء خبيث الهجاء ، وكان الشعراء يقفون بباب الملوك ، فلا يؤذن لهم ، وكان يكتب حاجته على عصاه ويدفعها ، فلا تؤخر له حاجة ، فقال يحيى بن نوفل :

عـصـا حَكَم بالبـاب أولُ داخلٍ ... ونحنُ على الأبواب نُقْصى ونُحجبُ
وكانت عصاً موسى لفرعون آيةً ... وهذى ـ لعمر الله ـ أَدْهى وأعجبُ[2]

وجلس المأمون يوما للمظالم . فكان آخر من تقدم إليه امرأة ، وقد هم بالقيام ، وعليها أهبة السفر ، وثياب رثة ، فوقفت بين يديه وقالت : السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته ، فنظر المأمون إلى يحيى بن أكثم القاضى ، فقال يحيى : وعليك السلام يا أمة الله ورحمة الله وبركاته ، تكلمى فى حاجتك فقالت :

يا خيرَ منتصبٍ يُرجى له الرَّشَدُ ... ويا إمـامًـا به قـد أشـرقَ البَلَدُ
تشكو إليك ـ عميدَ الملك ـ أرملةٌ ... عـدا عليـهـا ، فلم يُترك لها لُبَدُ
وابتزَّ منى ضياعا بعْد مَنْعَتِهَا ... ظُلْمًـا وفُـرِّقَ منى الأهْلُ والوَلَدَ

فأطرق المأمون حينا ثم رفع رأسه وقال :

فى دون ما قلْتِ ، زال الصبرُ والجَلَدُ ... عنى وأُقْرِحَ منى القلبُ والكَبِدُ
هذا أوانُ صلاة العصر ، فانصرفى ... وأَحْضرى الخَصْمَ فى اليوم الذى أَعِدُ
والمجلسُ السبتُ إن يُقضَ الجلوسُ لنا ... ننصفْكِ منهُ ، وإلا المجلسُ الأحَدُ[3]

فجلس يوم الأحد ، فكانت أول من تقدم إليه ، فقالت : السلام عليك يا أمير المؤمنين فقال : وعليك السلام ، أين الخصم ؟ قالت : واقف على رأسك ، وأشارت إلى ابنه

---

(١) أعرج زيادة من [د ، س] وهى فى وفيات الأعيان هكذا ، والحكاية والشعر فى الوفيات جـ٢ ، ص٢٠١ .
(٢) البيتان من الطويل ، وبعدهما ثالث :
تطاع فلا تعصى ، ويحذر سخطها ... ويرغب فى المرضاة منها ويرهب
والرواية تقول : إن ابن عبدل غضب من يحيى لسخره من عصاه ، واجتنب الكتابة عليها ، وكتب فى الرقاع حوائجه .
(٣) هذه الأبيات والتى قبلها من بحر البسيط ، وهى وحكايتها فى العقد الفريد ـ جـ١ ، ص ٩ .

العباس ، فقال : يا أحمد بن أبى خالد ، أجلسه معها للخصومة ، فجعل كلامها يعلو كلامه فقال لها أحمد : يا أمة الله ، أنت بين يدى أمير المؤمنين وتكلمين الأمير ، فاخفضى من صوتك ، فقال المأمون : دعها يا أحمد ؛ فالحق أنطقها ، والباطل أخرسه ، ثم قضى لها برد ضياعها ، وأمر لها بنفقة ، وكتاب إلى عامل بلدها ؛ بحسن معاملتها .

وحكى الأصمعى قال : كان أعرابيان متآخيين بالبادية ، ثم إن أحدهما استوطن الريف ، واختلف إلى باب الحجاج ، فولاه أصبهان ، فسمع أخوه خبره ، فسار إليه فأقام ببابه حينا لا يصل إليه ، ثم أذن له فى الدخول ، فأخذه الحاجب ، فمشى به وهو يقول : سلم على الأمير ، فلم يلتفت إليه ، ثم أنشأ يقول :

فَلَسْتُ مُسلِّما ما دمتُ حيّا ... على زَيْدٍ بتسليم الأميرِ

فقال زيد : لا أبالى ، فقال الأعرابى :

أتذكرُ إذ لِحافُكَ جِلْدُ شاةٍ ... وإذْ نَعْلاكَ من جِلْدِ البعيرِ

قال : نعم ، فقال الأعرابى :

فسبحانَ الذى أعطاك ملكا ... وعلَّمَك القُعودَ على السرِّير(١)

وقدم أعرابى البصرة ، فنزل على ابن عم له ، فلما رأى البصرى شعث الأعرابى ، فأراد أن ينظفه ، فقال : إن الناس يتطهرون للجمعة ، ويتنظفون ، ويلبسون أحسن الثياب ، فتعال : أدخلك الحمام ؛ لتتنظف ، وتتطهر للصلاة ، فدخل معه الحمام ، فلما وطئ الأعرابى فرش أول بيت فى الحمام ، ولم يحسن المشى عليه لشدة ملاسته فزلق وسقط على وجهه ، فشج شجة منكرة ، فخرج وهو ينشد :

وقالوا : تَطَهَّرْ ؛ إنَّهُ يومُ جمْعَةٍ ... فَأُبْتُ من الحمَّام غَيْرَ مُطَهَّرِ
تزوَّدْتُ منه شجَّةً فوق حاجبى ... بغير جهادٍ ، بئسَ ما كان مَتْجَرى
وما تعرفُ الأعرابُ مَشْيا بأرضها ... فكيف ببيْتٍ ذى رخامٍ ومَرْمرِ(٢)

---

(١) الأبيات الثلاثة من الوافر ، وهى وحكايتها فى البيان والتبيين جـ٤ ، ص٥١ ، ويروى «على معن» ، وبعد البيت الأول بيت يقول :

أمير يأكل الفالوذ سرا ... ويطعم ضيفه خبز الشعير

(٢) الأبيات من الطويل .

وقال محمد بن سكرة : دخلت حماما ، فخرجت وقد سرقت نعلى ، فعدت إلى دارى حافيا وأنا أقول :

إليك أُزفُّ حَـمَّـامَ ابنِ مـوسى وإن فـاق المنى طيبـا وحـرًّا
تكاثرتِ اللصـوصُ عليه ، حتى لَيَـحْـفى مَنْ يطيبُ به ويَعْـرى
ولـم أفــقــدْ به ثوبا ، ولـكنْ دخلتُ «محمدا» ، وخرجت «بشرا»(١)

يريد : بشر الحافى ، وكان من كبار الزهاد ، لزم المشى حافيا ، فلقب : الحافى .

وقال بشار لراويته : أنشدنى ما قال حماد فىّ ، فقال :

دُعـيتَ إلى بُرْدٍ ، وأنتَ لغـيْـرِه وهَبْكَ ابنَ بُردٍ . . . أمُّكَ ـ مَنْ بُرْدُ؟(٢)

فقال بشار : أهاهنا أحد ؟ قال : لا ، قال : أحسن ، والله ، ابن الزانية ، ولقد تبين له على فى بيت واحد خمسة معان من الهجو وهى : دعيت إلى برد معنى ، وأنت لغيره ثان ، وهبك ابن برد معنى ثالث ، و . . . أمك ، شتم واستخفاف مجرد وهو معنى رابع ، ثم ختمها بقوله : من برد ؟ ، فأتى بالطامة الكبرى .

وكان الحطيئة قبيح المنظر ، كثير الشر ، فالتمس يوما إنسانا يهجوه ، فلم يجده ، فوقف على ماء ، وجعل يقول :

أَبَتْ شـفـتـاىَ اليـومَ إلا تَكَلُّمـا بشـرٍّ ، ولا أدْرى لمن أنا قـائلُهْ

ثم نظر إلى الماء ، فرأى وجهه ، فقال :

أرى لىَ وجْـهًـا قـبَّحَ اللهُ خَلْقَـهُ فَقُبِّحَ مِنْ وجهٍ ، وقُبِّحَ حامِلُهْ(٣)

وقال أبو القاسم بن الأزرق : دخلت على الشافعى ـ رحمه الله ـ فقلت : يا أبا عبدالله ، ما تنصفنا ، لك هذا الفقه تفوز بفوائده ، ولنا هذا الشعر ، وقد جئت تداخلنا فيه ، فإما

(١) الأبيات من الوافر .

(٢) البيت من الطويل ، وهو لحماد عجرد .

(٣) البيتان من الطويل ، وفى المتن : قبح الله وجهه ، ولا معنى لها ، وهما فى الشعر والشعراء ص١٨٢ ، وفى الأغانى جـ٢ ، ص١٦٣ ـ ١٦٤ .

أفردتنا بالشعر ، أو أشركتنا فى الفقه ، وقد جئت بأبيات إن أجزتنا بمثلها تبت من الشعر ، وإن أعجزت عنها تبت ، فقال لى : إيه يا هذا ، فأنشدته :

مـا هِمَّـتى إلا مـقـارعـةُ العِـدا ... خَلِقَ الزمـانُ ، وهمـتى لـم تَخْلُقِ
والناسُ أعينُهم إلى سَلَبِ الفتى ... لا يسـألونَ عن الحِـجَى والأَوْلَقِ
لكنَّ من رُزِقَ الحجى حُرِمِ الغنى ... ضـدّان مـفـتـرقـانِ ، أىَّ تفـرق
لو كان بالحِيَلِ الغنى ، لو جذتَنِى ... بنجـومِ أقطارِ السـمـاء تَعَلُّقى

فقال الشافعى : ألا قلت ، كما أقول ، ارتجالا :

إن الذى رُزِقَ اليسارَ ، فلم يُصبْ ... حـمـدا ولا أجـرا ، لَغَـيْـرُ مُـوَفَّقِ
فـالجْـدُّ يُدنى كلَّ شىءٍ شـاسعٍ ... والجـد يفـتـحُ كلَّ بابٍ مُـغْلق
فإذا سـمـعتَ بأن مجدودا حوى ... عُـودا ، فـأثمـرَ فى يديه ، فَحَـقِّق
وإذا سـمْـعت بأن مـحـرومـا أتى ... مـاءً ليـشربَه ، فـغـاضَ ، فَصَـدِّق
وأحقُّ خلْقِ الله بالـهـم امــرؤٌ ... ذو همـــة يُبْلَـى برزْقٍ ضَــيِّق
ومن الدليلِ على القضاء وكـونه ... بُؤسُ اللبيب ، وطيبُ عيشٍ الأحمق
ولربما عــرضـتْ لنفـــسى فكرةٌ ... فـــأودُّ منهــا أننى لم أُخْلق(١)

فقلت : تالله ، لا قلت شعرا بعدها .

وقيل للمنصور : إن أبا دلامة لا يحضر الصلاة ، وأنه معتكف على الخمر ، وقد أفسد فتيان العسكر ، فلو أمرته بالصلاة معك لأصلحته وغيره ، فلما دخل عليه قال أبو دلامة الماجن ، قال : يا أمير المؤمنين ، مالنا والمجون ؟ فقال : دعنى من اشتكائك وتضرعك ، وإياك أن تفوتك صلاة الظهر والعصر فى مسجدى ، فإن فاتتك لأحسنن أدبك ، ولأطيلن حبسك ، فوقع فى أمر عظيم ، فلزم المسجد أياما ، ثم كتب رقعة ، ودفعها إلى المهدى ، فأوصلها إلى أبيه ، وفيها :

---

(١) هذه الأبيات من الكامل ، وهى فى وفيات الأعيان جـ٤ ، ص١٦٦ ، والأبيات السابقة من بحرها وقافيتها ، وبيت الشافعى الأخير زيادة [ح] .

أَلَمْ تَعْلمـا أن الخليـفـة لَزَّنى بمسجده والقصرِ ، ما لى وللقصْرِ؟
أصلِّى بها الأولى جميعا وعصْرَها فويْلى من الأولى ، وويلى من العصر
أُصليهما بالكرهِ فى غير مسجدى فما لىَ فى الأولى ، وفى العصر ، مِنْ أجرْ
يكلِّفُنى من بعدِ ما شِبتُ توبةً يُحطُّ بها عنّى الثـقيلُ من الوِزْر
ووالله ، ما لى نيةٌ فى صلاتها ولا البرُّ والإحسانُ والخير من أمرى
لقد كان فى قومى مساجدُ جمعة ولم ينشرحْ يوما لغِشْيانها صدرى
ومـا ضَـرَّهُ ، واللهُ يغـفـرُ ذنْبَـهُ لَوَ انَّ ذُنو العـالمين على ظهـرى(١)

فقال : صدق ، وما يضرنى ذلك ، والله ، لا يصلح هذا أبدا ، ودعوه يفعل ما يشاء .

وحكى إسحاق الموصلى قال : دخلت على الرشيد ، وهو مستلق على قفاه ، وهو يقول : أحسن والله ، فتى قريش وظريفها وشاعرها ، قلت : فيم يا أمير المؤمنين ؟ قال فى قوله :

لا أسألُ اللهَ تغـيـيرا لما فـعلتْ نامت ، وقد أَسْهَرتْ عَيْنَىَّ عيناها
فـالليلَ أطولُ شىء حين أفقـدُها والليل أقصرُ شىءٍ حين ألقاها(٢)

ثم قال : أتعرفه ؟ قلت بصوت ضعيف : لا ، فقال : بحقى عليك ؟ فقلت : نعم ، هو الوليد بن يزيد ، قال : استر ما سمعت منى ، وإنه ليستحق أكثر مما وصفته به .

ولما بنى المأمون على بوران ، وأراد غشيانها حاضت ، فقالت : ﴿ **أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلاَ تَسْتَعْجِلُوهُ** ﴾(٣) ، فنام فى فراش آخر ، فلما أصبح دخل عليه أفاضل ندمائه يهنئونه ، ويدعون له ، فأنشدهم بديها :

فـارس فى الحـرب منغـمس عـارف بالطعن فى الظلم
رام أن يدمى فـريسـتـه فـاتقـتـه من دم بدم(٤)

(١) الأبيات من الطويل ، وهى وحكايتها فى : الأغانى جـ١٠ ، ص٢٤٦ - ٢٤٧ ، ووفيات الأعيان - جـ٢ ، ص٣٢٢ .
(٢) البيتان من البسيط .
(٣) سورة النحل - الآية الأولى .
(٤) البيتان من مجزوء المديد .

وجاء رجل إلى خياط ؛ ليصنع له قميصا ، فقال : والله ، لأفصلنه لك تفصيلا لا يدرى أقميص هو أم قباء ، ففعل ذلك ، قال صاحب الثوب : أنا ـ والله ، لأدعون لك دعاء لا يدرى أهو لك أم عليك ، وكان الخياط أعور يسمى بشرا فقال :

خاط لى بشرٌ قباءْ ليتَ عينيْهِ سواءْ(١)

وروى أن المنصور أنشده أبو دلامة ما أعجب به ، فكساه طيلسانا ، وأمر له بمال ، وعاهده ألا يشرب الخمر ، فحلف له ، وخرج إلى بنى داود بن على ، فضحكوا به ، وقص عليهم الخبر ، فسقوه حتى أسكروه وأخرجوه ، فأعلم المنصور الخبر ، فأرسل فيه ، وأمر المنصور ، بسجنه ، وتمزيق ساجه ، وألا يمكن من قرطاس ولا مداد ، ففعل به الرسول ذلك ، فانتبه فى جوف الليل ، فنادى جاريته ، فقال له السجان : أطعنه فى كبدك ؟ فقال له : ويلك ، من أنت ؟ وأين أنا ؟ ، فقال : سل نفسك ، أين كنت عشاء أمس ؟ فاستحلفه من أنت ؟ فقال : أنا السجان ، بعث بك أمير المؤمنين ، وأنت سكران ، فأمرنى أن أحبسك مع الدجاج ، فقال له : أحب أن تسرج لى سراجا ، وتأتينى بدواة وقرطاس ، ولك عندى صلة ، فقال له : أما السراج فنعم ، وأما القرطاس والدواة فما أمرت أن أمكنك منهما ، فلما أتاه بالسراج وجد ساجه ممزقا ، متلطخا بأزبال الدجاج ، ورأى نفسه جالسا بينها ، فقال له : ادع لى ابنى دلامة ، فدعاه ، فأمره أن يجيد حلق رأسه ، وأن يأتيه بفحمة ، فكتب على رأس ابنه :

أَمِنْ صَهْبَاء صافيةِ المِزاج كأنَّ شعاعَها لَهَبُ السِّراجِ
تَهَشُّ لها القلوبُ ، وتشتهيها إذا بَرزتْ تَرَقْرَقُ فى الزجاجِ
أُقادُ إلى السجون بغيرِ جُرْمٍ كأنِّى بعضُ عُمّالِ الخراجِ
ولو معهمْ حُبستُ ، لكان خيراً ولكنى حُبستُ مع الدجاجِ
أميرَ المؤمنين ، فدتْكَ نفسى ففيم حَبَسْتَنى وخَرقْتَ ساجى
على أنِّى ، وإن لاقيتُ شرا ، لخيرِكِ بعد ذاك الشرِّ راجِ(٢)

(١) البيت من مجزوء الرمل ، وهو وحكايته فى العقد الفريد ـ جـ٣ ، ص ١٢٠ .

(٢) الأبيات من الوافر ، وهى والحكاية فى : الأغانى جـ١٠ ، ص٢٥١ ـ ٢٥٢ ، وفى العقد الفريد ـ جـ١ ، ص٦٩ ، وفى [د] طعنت فى كبدك ، ولعلها الأصوب .

ثم قال : يا أمير المؤمنين ، هذه أمانة ، فإذا قرأت ، فمزق الرقعة ، ثم أمر دلامة أن يدخل على أمير المؤمنين ، ويقرئه ما فى رأسه ، فأتى الباب وصاح : دعوة مظلوم ، فأعلم المنصور بذلك ، فأمر بإدخاله ، فكشف رأسه وقال : إن ظلامتى مكتوبة فى رأسى ، فأدنى منه حتى قرأها ، فاشتد ضحكه ، وعجب من حيلته وأمر بإخراجه وقال : ما أحوج هذه الرقعة أن تمزق ، ثم وصله بصلة ، ونهاه أن يوجد وهو سكران .

وضلت ناقة لأعرابى فى ليلة مظلمة ، فأكثر طلبها ، فلم يجدها ، فلما طلع القمر وانبسط نوره وجدها إلى جانبه ببعض الأودية ، وكان قد اجتاز بموضعها مرارا ، فلم يرها ؛ لشدة الظلام ، فرفع رأسه إلى القمر وقال :

ماذا أقول ، وقولى فيك ذو حَصَرٍ   وقد كَفَيْتَنِىَ التفصيلَ والجملا
إن قُلتُ : لا زلتَ مرفوعًا ، فأنت كذا   أو قُلتُ : زانَك ربىٌّ ، فَهو قد فعلا[1]

وكان أبو هرمة أبخل الناس على ادعائه الكرم فى شعره ، فأتاه يوما جماعة ، فقال : ما جاء بكم؟ فقالوا : شعرك ، حيث تقول :

أغْشَى الطريقَ بِقُبَتّى وَرِواقِـها   وأحلُّ فى قُلَلِ الرُّبى ، وأُقـيمُ
إن امـرءاً جـعلَ الطريقَ لبيـتـه   طُنُبًا ، وأنْكَرَ حـقَّـه لَلَئِـيمُ[2]

فنظر إلينا وقال : ما على الأرض عصبة أسخف منكم عقولا ، أما سمعتم قول الله سبحانه : ﴿وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لاَ يَفْعَلُونَ﴾[3] فى الشعراء ؛ والله ، إنى لأقول ما لا أفعل ، وأنتم تريدون أن أفعل ما أقول ، والله لا عصيت ربى فى رضاكم .

وكان عبدالصمد مؤدب الوليد لوطيا زنديقا ، وكان سعيد بن عبدالرحمن بن حسان ابن ثابت جميل الوجه شاعرا ، فدخل على عبدالصمد ، فأراده فى نفسه ، فسبه وخرج مغضبا ، فدخل على هشام بن عبدالملك وهو يقول :

إنّـه والـلـه ، لـولا أنْـت ، لـم   يَنْجُ منى سـالمًا عـبـدالصـمـدْ

(١) البيتان من البسيط .
(٢) البيتان من الكامل .
(٣) سورة الشعراء ـ الآية ٢٢٦ .

قال هشام : ولم؟ قال :

إنـه قـــــد رام منـى خُـطَّـةً   لم يَرَمْــهَــا قَــبْله منِّى أحَــدْ

قال : وما هى؟ قال :

رام جــهْــلا بى ، وجــهــلا بأبى   يُدخل الأفْعى إلى غِيلِ الأسَدْ(١)

فضحك هشام ، وقال : لو فعلت به شيئا لم أنكر عليك ، وهذا من أبدع الكتابة ، وقد أحسن التعبير حيث رقق هذا المنكر الأكبر ، وعبر عنه بلفظ يليق أن يقابل به خليفة .

وقال أبو بكر الصولى : اجتمعت الشعراء بباب المعتصم ، فبعث إليهم محمد بن عبدالملك الزيات ، وقال لهم : أمير المؤمنين يقرئكم السلام ، ويقول لكم : من كان يحسن أن يقول مثل قول النمرى فى الرشيد فليدخل ، وأنشد له :

إن المكـارمَ والمعـــــروفَ أوديـةٌ   أحلَّك اللهُ منهـا حـيث تجـتـمعُ
من لم يكنْ بك ، يا هارون معتصما   فليس بالصلوات الخمس ينتفع(٢)

فقال ابن وهب الحميرى : فينا من يقول مثله ، وأحسن منه ، وأنشد له :

ثلاثةٌ تُشرقُ الدنيـا ببـهـجـتـهمْ   شمسُ الضحى وأبو إسحاقَ والقمرُ
تحكى أنـامِلَهُ فى كـلِّ نـائبـــةٍ   الغيثُ والليثُ والصَّمْصَامةُ الذكَرُ(٣)

وقـال الزبير بن بكار : ذكـر عبـدالله بن مـالك الخزاعى قـال : كنا بالرقـة مع هارون الرشـيـد ، فـأتى مـوت الكسـائى وإبراهيم الموصلى والعبـاس بن الأحنف فى وقت واحـد ، فقال لابنه المأمون : اخرج فصل عليهم ، فخرج فى وجوه قواده وخاصته ، وقد ذهبوا له ، فقالوا له : من تقدم منهم؟ فقال : الذى يقول :

(١) الأبيات الثلاثة من الرمل .
(٢) البيتان من البسيط .
(٣) البيتان من البسيط .

يا بعـــيـــدَ الـدارِ مِنْ وَطَنِهْ   مُــفْــرَدا يبكى على شــجنِه
كلمــا هاجتْ صــبــابتُــهُ   زادتِ الأســقـــامُ فى بدنه
ولقـــد زادَ الـفـــؤاد شــجًــا   هـاتـفٌ يـبـكـى عـلـى فَـنَـنِـه
شــفَّــه مــا شــفَّنى ، فـبكى   كلُّنا يبكى على شـــجنه[1]

فقالوا : هذا ، وأشاروا إلى نعش العباس بن الأحنف ، فقدمه عليهم .

وقال أيضا الزبير بن بكار : أنشد منشد أبا العباس المخزومى :

بَيْناهُمُ سَكَنٌ بجـــيـــرتهم   ذكروا الفراقَ ، فأصبحوا سفرا[2]

فبكى أبو السائب وقال : ويحهم ، أما علقوا سفره ، أو أوكوا قربة ، أو ودعوا صديقا؟

قال الزبير : رحم الله أبا السائب ، كيف لو سمع قول العباس بن الأحنف :

ســألونا عنْ حــالنا : كـيفَ أنتمْ   وقَـــرنا وَدَاعـــهُم بالســـؤال
مـا نَزَلْنَا حتى رحلنا ، فمـا نَفْرِقُ   بـين الـنزول والتَّـــرحـــال[3]

وقال أحمد بن إبراهيم : وقع بين أحمد بن حامد وامرأته شر ، كادا يخرجان معه إلى القطيعة ، وكان يحبها ، فلقيته يوما ، فسألته عن حاله ، فأومأ أنه استراح ، إذ هجرها ، فقالت له : ذهب عنك قول العباس بن الأحنف :

تَعَبٌ يكون به الرجاءُ مع الهوى   خـيـرٌ له من راحـةٍ فى اليـأس
لولا كــرامــتكم لما عــاتبــتكم   ولكنتم عندى كـبـعض الناس[4]

ثم غنت فيه لحنا ، وغنته إياه ، واصطلحا .

(١) الأبيات من المديد المجزوء ، وهى حكايتها فى العقد الفريد جـ١ ص١١٧ ، وهى فى وفيات الأعيان - جـ٣ ص٢٦ وتقول حكايتها إنه أنشدها وهو يحتضر ، والبيت الأول : «يا غريب» . وفى الصفحة السابقة من الوفيات تقال الحكاية مع أبيات أخرى دالية ، وتشكك الروايات فى الحكاية كلها لعدم اتفاق تاريخ الوفاة للثلاثة ، ويبدو أنها جاءت لتقدمة العباس حيا وميتا ، وعارض هذه الأبيات على الجارم دون التزامه هاء الوصل حين قال :

طائر يشدو على فنن   جدد الذكرى لذى شجن

وأخلت [د ، س] بالبيت الأخير .

(٢) البيت من الكامل الأحذ .

(٣) البيتان من الخفيف .

(٤) البتان من الكامل ، وهذه من [د ، س] وأخلت با [ح] .

وعن إسحاق الموصلى قال : غضب الفضل بن الربيع على جارية له ، كانت أحب الناس إليه ، وتأخرت عن استرضائه ، فوجه إلى يعلمنى بذلك ، ويشكوها إلى ، فكتبت إليه : لك العز والشرف ، ولأعدائك الذل والتلف ، استعمل قول العباس بن الأحنف :

تَحَمَّل عظِيمَ الذنب مِمَّنْ تُحبه وإن كنْتَ مظلوما فَقُلْ : أنا ظالمُ
فإنك إن لم تغفر الذنب فى الهوى تفارقُ مَنْ تهوى ، وأنفُك راغم(١)

ففعل ذلك فاصطلحا ، ووصلنى بجائزة .

وغضب الرشيد مرة على زبيدة أم جعفر وترضاها ، فأبت أن ترضى ، وأرق ليلة وقال : افرشوا لى على دجلة ففعلوا ، وقعد ينظر إلى الماء ، فسمع غناء فى هذا الشعر :

جَرى السيْلُ ، فاستبكانى السيلُ إذْ جرى وفاضتْ له من مُقْلَتَىَّ غرُوبُ
وما ذاكَ إلا أنْ تيَقَّنْتُ أنَّهُ يمرُّ بواد أنتَ منه قريبُ
يكون أُجاجا دونكم ، فإذا انتهى إليكم ، تَلَقَّى طيبكمْ فيطيبُ
فيا ساكنى أكنافَ دجلةَ ، كُلكمْ إلى القلب من أجل الحبيب حبيب(٢)

فسأل عن الناحية التى فيها الغناء وعن المغنى ، فإذا هو الزبير بن دحمان ، فسأله عن الشعر ، فقال : هو للعباس بن الأحنف يا أمير المؤمنين ، فأمر بإحضاره ، واستنشده ، وجعل الزبير يغنيه ، والعباس ينشده حتى أصبح ، ودخل إلى أم جعفر ، فسألت عن دخوله إليها فعرفت ، فوجهت إلى العباس بألف دينار ، وإلى الزبير بخمسمائة دينار .

وكان لمخارق من الكلف بجارية أم جعفر بهار ما لا غاية بعده ، وعلمت بذلك أم جعفر ، فشق على مخارق علم أم جعفر بحبه فاستعمل الجفاء بينه وبينها ؛ إجلالا لأم جعفر ، وطمعا للسلو عنها ، فبينما هو منصرف ليلة من الليالى من دار المأمون ، وأم جعفر مشرفة على دجلة ، فلما حاذى دارها رفع عقيرته ، فتغنى بشعر العباس بن الأحنف :

إنْ تَمْنَعونى مَمَرِّى قُرْبَ داركُمُ فسوفَ أنظرُ من بُعْد إلى الدار
لا يقدرون على مَنْعى وإن جَهِدوا إذا مَرَرْتُ فَتَسْليمى بإضْمارى
سِيَما الهوى عُرِفَتْ ، حتى شُهْرتُ بها إنى مُحبٌ ، وما بالحبِّ من عار(٣)

---

(١) البيتان من الطويل ـ الأغانى ـ جـ٨ ص٣٦٨ ، والرواية كلها أخلت بها [ح] وهى فى [د ، س] .
(٢) الأبيات من الطويل ، وأخلت [س] بالشطر الثانى من البيت الثانى ، والبيت الثالث كله . وهى لابن الدمينة ـ العقد الفريد جـ٣ ص١٩٠ .
(٣) الأبيات من البسيط .

فسمعته أم جعفر ، وأمرت خدمها ، وصاحوا بالملاح : قدم ، فقدم الزورق حتى حاذى باب الدار ، ونزل مخارق ، وطلع إلى أم جعفر ، ودعت له بكرسى ، وكأس فيه نبيذ ، فشرب وخلعت عليه وأجازته ، وقالت لجواريها : اضربن عليه فكان أول ما غنى به قول العباس ابن الأحنف :

أغـيـبُ عنكَ بِوُدٍّ لا يُغَـيِّـرُهُ   نَأْيُ المَحَل ، ولا صـرفٌ من الزَّمَن
فإن أعِشْ ، فلعلَّ الدهر يجمعُنا   وإن أمُتْ ، فـقـتـيلُ الهمِّ والحَزَن
قد حَسَّنَ اللهُ فى عينَّى ما صنعتْ   حتى أرى حسنا ، ما ليس بالحسن

فاندفعت بهار تغنى جواب ما غنى به مخارق فقالت :

تَعْـتَلُّ بالشـغْل عنا مـا تكلَّمُنا   والشغلُ للقلب ليس الشغل للبدن[1]

فضحكت أم جعفر وقالت : ما سمعت بألطف من مخاطبتكما ، خذها مخارق ، وقد وهبتها لك فحملها مخارق من وقته إلى داره .

ويروى أن أبا نواس والعباس بن الأحنف والحسين الخليع ، وصريع الغوانى ، خرجوا إلى متنزه لهم ، ومعهم رجل يقال له : يحيى بن المعلى ، فحضرت الصلاة فقدموه يصلى بهم ، فنسى : «**الحمد**»[2] ، وقرأ : «**قل هو الله أحد**»[3] وارتج عليه فى نصفها فقال أبو نواس :

أكـثـر يحـيـى غلطا   فـى قُـلْ هـو الـلـه أحـدْ

وقال العباس بن الأحنف :

ونَسِىَ الحـمْـدَ ، ومـا   مَـرَّتْ لـه عـلـى خَـلَـدْ

وقال صريع الغوانى :

---

(١) الأبيات الأربعة للعباس بن الأحنف لا كما يوهم الفصل بينها ، وهى من البسيط ، ووردت فى وفيات الأعيان جـ٣ ص٢٣ ، ويعلق فيها الزبير بن بكار بقوله عليها : لا أعلم شيئا من أمور الدنيا خيرها وشرها إلا وهو يصلح أن يتمثل فيه بنصف هذا البيت الأخير ، يقصد : الشطر الثانى منه ، تذييل جار مجرى المثل .

(٢) أول سورة الفاتحة .

(٣) سورة الإخلاص - الآية الأولى .

قام طويلا راكعا حتى إذا أعْيا سجد

وقال الحسين الخليع :

كأنما لسانُهُ شُدَّ بحبْلٍ من مَسَدْ[١]

وقال أبو العتاهية : سبقنى أبو نواس إلى ثلاثة أبيات ، وددت أنى سبقته إليها بكل ما قلت من الشعر ، منها قوله :

إذا امْتَحَنَ الدُّنيا لبيبٌ تكشفَتْ له عن عدوٍّ فى ثياب صديق[٢]

وقوله :

فإن يكُ باقٍ إفْكُ فرعونَ فيكمُ فإنّ عصا موسى بكفٍّ خَصيب[٣]

وقوله :

يا كثيرَ الذَّنب عفوُ الله من ذنبك أكبر[٤]

ولله دره ، ما أكثر إنصافه .

وقال أبو عمر الشيبانى : دخلت على المأمون ، فقال لى : يا أبا عمر ، من أشعر الناس؟ قلت : يا أمير المؤمنين ، اختلف العلماء فى ذلك ، وهم القدوة ، ونحن المقتدون . وقد قالوا : أشعر الناس امرؤ القيس إذا ركب ، والنابغة إذا رهب ، وزهير إذا رغب ، والأعشى إذا طرب ، قال المأمون : من الذى يقول :

(١) الأبيات كلها من مجزوء الرجز ، وأخلت [س] من قوله : وأرتج عليه إلى آخر بيت أبى نواس ، ثم أخلت من قوله : وقال الحسين إلى آخر بيته .

(٢) البيت من الطويل ، الشعر والشعراء ص٥١٧ ، وزهر الآداب المجلد الأول ـ ص٩٤ ، وفيات الأعيان جـ٢ ص٩٧ .

(٣) البيت من الطويل ، من قصيدة ذائعة فى مدح الخصيب والى مصر ، ويروى فى روايات أخرى : فإن يك باق سحر فرعون» . الشعر والشعراء ص٥١١ ، ووفيات الأعيان ـ جـ٢ ص٩٧ .

(٤) البيت من مجزوء الرمل ، وورد فى الوفيات جـ٢ ص١٠٢ ، وفى البيان والتبيين جـ٣ ص١٩٩ ـ ٢٠٠ من جملة أبيات تقول :

يا نواس تفكر وتعز وتصبر
ساءك الدهر بشىء ولما سرك أكثر
يا كبير الذنب عفو الله من ذنبك أكبر
أكبر الأشياء فى أصغر عفو الله يصغر

ورواية : يا كبير الذنب أدق للسياق ، ولعلها هى الصحيحة .

إذا ما أتتْ دون اللَّهَاةِ من الفتى دعـا هَمّـه من صـدره برحـيل[١]

قلت : أبو نواس ، قال : فمن الذى يقول :

فـتـمـشّتْ فى مـفـاصلهمْ كـتـمـشّى البـرءِ فى السَّـقَمِ[٢]

قلت : أبو نواس ، قال : فمن الذى يقول :

هى الخمرُ لا زالتْ تُذيعُ فضائحى وتفعلُ ما شاءت بىَ الخمرُ من أمْرِ
متى أكتسبْ مالا ، فللخمر شطره ويحكم ربُّ الخرَّدِ العِين فى الشَّطْرِ[٣]

قلت : هذا من ديباج قول أبى نواس ، قال : فمن الذى يقول :

أَقَلُّ مـا فيـه من فـضـائله أَمْنُكَ من طَمْـثِـهِ وَمِنْ حَبَلِهْ[٤]

قلت : هو أبو نواس ، قـال : هو أشـعـر الأولين والآخـرين من الإنس والجن ، قـال : فعجبت من المأمون ، وعنايته بأبى نواس ، وحفظه لشعره .

وقال الأصمعى : قلت يوما لبشار : رأيت رجال الرأى يتعجبون من أبياتك التى فى المشورة ، وهى قولك :

إذا بلغ الرأى المشورةَ ، فاستـعنْ بقـولِ نصـيح ، أو مـشـورةِ حـازم
ولا تجعل الشّورى عليك غضاضةً فـإن الخَـوافى عـدة للقَـوادم
وخلِّ الهُوَيْنى للضعيف ، ولا تكنْ نئـومًـا ؛ فـإن الحـزمَ ليس بنائم
وما خيرُ كفٍّ أمسكَ الغلُّ أختها وما خيرُ سيفٍ لم يُقَيَّدْ بقائم[٥]

(١) البيت من الطويل ـ العقد الفريد جـ٣ ص٢٩٩ .
(٢) البيت من مجزوء المديد .
(٣) البيتان من الطويل .
(٤) البيت من المنسرح .
(٥) الأبيات من الطويل ، الأغانى جـ٣ ص٢١٤ ـ وفيات الأعيان جـ١ ص٢٧٢ ، زهر الآداب . المجلد الثانى ص٨٨١ ، وفى الروايات بعض خلاف ، وكذلك فى البيتان والتبيين جـ٤ ص٤٩ .

فقال بشار : أما علمت أن المشاور على إحدى الحسنين ، صواب يفوز به ، وبثمرته ، أو خطأ يشارك فى مكروهه ، قال الأصمعى : أنت ، والله ، فى قولك أشعر منك فى شعرك .

ودخل على الحجاج سليك بن سلكة فقال : أصلح الله الأمير ، أعرنى سمعك ، واغضض عنى بصرك ، واكفف عنى عزك ، فإن سمعت خطأ أو زللا فدونك والعقوبة ، قال : قل ، قال : عصى عاص من العشيرة ، فخلق على اسمى ، وحرمت عطائى ، وهدم منزلى ، فقال الحجاج : هيهات ، أما سمعت قول الشاعر :

جـانيك من يَجْنى عليك ، وربما تُفْدِى الصِّحاحَ مَبَارِكُ الجُرْبِ
ولرُبَّ مـأخـوذٍ بذنب عـشـيـرةٍ ونجـا المقـاربُ صـاحبُ الذنب[1]

قال : أصلح الله الأمير : إنى سمعت الله يقول غير هذا ، قال : وما ذاك؟ قال الله» ﴿يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ (٧٨) قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ نَأْخُذَ إِلاَّ مَنْ وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عِنْدَهُ إِنَّا إِذًا لَظَالِمُونَ﴾[2] قال الحجاج : على بيزيد بن مسلم ، فوقف بين يديه ، فقال : افكك لهذا عن اسمه ، واصكك له بعطائه ، وابن له منزله ، ومر مناديا ينادى فى الناس : صدق الله ، وكذب الشاعر .

ولما هجا الحطيئة الزبرقان بن بدر بالشعر الذى يقول فيه :

دَعِ المكارمَ ، لا ترحلْ لبُغْـيـتـهـا واقعدْ ، فإنك أنت الطاعمُ الكاسى[3]

استعدى عليه عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وأنشده البيت ، فقال : ما أرى به بأسا ، قال الزبرقان : والله ، يا أمير المؤمنين ، ماهجيت ببيت قط أشد على منه ، فبعث إلى حسان ابن ثابت فقال : انظر إن كان هجاه ، فقال : ما هجاه ولكن سلح عليه ، ولم يكن عمر رضي الله عنه يجهل موضع الهجاء ، ولكن كره أن يتعرض لشأنه ، فبعث إلى شاعر مثله ، وأمر بالحطيئة

---

(١) البيتان من الكامل ، وهما والحكاية فى العقد الفريد جـ٣ ، ص٦ . وأخلت [س] بقوله : ولرب مأخوذ ـ إلى أصلح الله الأمير .

(٢) سورة يوسف الآية ٧٨ ـ ٧٩ .

(٣) البيت من البسيط ، الشعر والشعراء ص١٨٦ ، وطبقات فحول الشعراء ـ السفر الأول ص١١٦ . والأغانى جـ٢ ، ص١٨٥ .

إلى السجن ، وقال : يا خبيث ، لأشغلنك عن أعراض المسلمين ، فكتب إليه من السجن :

مـاذا تقـولُ لأفـراخ بذى مـرَخ خُمْرِ الحواصل لا ماءٌ ولا شجَرُ
ألقيْتَ كاسبهُمْ فى قَعْرِ مُظْلمةٍ فاغفرْ عليك سلام الله يا عمرُ
أنت الإمامُ الذى من بَعْدِ صاحبه ألْقَتْ إليك مقاليدَ النهى البشرُ
مـا آثروك بهـا ، إذ قـدَّمـوك لهـا لكنْ لأنفسهم كانت بها الأُثُر(١)

ولما هجا النجاشى رهط تميم بن مقبل ، استعدوا عليه عمر بن الخطاب ، وقالوا : يا أمير المؤمنين ، إنه هجانا ، قال : فما قال فيكم؟ قالوا : إنه قال :

إذا اللهُ عـادى أهْلَ لؤم وذلـةٍ فَعادى بنى العجلان رهطَ ابْن مُقْبِل

فقال عمر : رجل دعا ، فإن كان مظلوما استجيب له ، وإن لم يكن مظلوما لم يستجب له ، قالوا : فقد قال بعد هذا :

قـبيلتـهمْ لا يخـفِـرون بذمَّـةٍ ولا يظلمـون الناسَ حَبَّةَ خَرْدَل

فقال عمر رضي الله عنه : ليت آل بنى الخطاب مثل هؤلاء ، قالوا : فإنه يقول بعد هذا :

ولا يَرِدون الماءَ إلا عَـشِـيَّـةً إذا صَـدَرَ الوُرَّاد عنْ كل مَنْهَل

فقال عمر : ذلك أجم لهم وأمكن قالوا : فإنه يقول بعد هذا :

ومـا سُـمِّىَ العـجـلانُ إلا لقـولِهِ خذِ القَعْبَ واحلُبْ أيها العبدُ واعجل(٢)

فقال عمر : سيد القوم خادمهم ، فما أرى بهذا بأسا ، ولم يكن عمر رضي الله عنه ينكر أن ذلك هجو ، ولكنه أراد أن يدرأ الحد بالشبهات .

(١) الأبيات من البسيط ـ العقد الفريد ـ جـ٣ ، ص٩١ ـ ٩٢ ـ وطبقات فحول الشعراء ـ السفر الأول ـ ص١١٦ـ ١١٧ والأغانى جـ٢ ، ص١٨٨ .
(٢) الأبيات من الطويل ـ الشعر والشعراء ص١٨٧ ـ ١٩٠ ، والعقد الفريد ـ جـ٣ ، ص٩٩ـ ١٠٠ ، وزهر الآداب ـ المجلد الأول ، ص٥٤ ـ ٥٥ . والبيان والتبيين جـ٤ ص٣٧ .

وكان بنو عبد المدان الحارثيون يفخرون بطول أجسامهم ، حتى قال فيهم حسان بن ثابت :

لا بأس بالقوم من طولٍ ومن غِلَظٍ ... جسْمُ البغالِ وأحلامُ العصافير(١)

فقالوا له : يا أبا الوليد ، والله ، لقد تركتنا ونحن نستحى من ذكر أجسامنا ، بعد أن كنا نفخر بذلك .

وكان بنو نمير أشراف قيس وذؤابتها ، وكان الرجل منهم يفخر بذلك ويقول : النميرى ، ويمد صوته حتى قال جرير :

فَغُضَّ الطرْفَ إنك من نميْرٍ ... فلا كعْبا بلغْتَ ولا كلابا(٢)

فانكسرت شوكتهم من يومئذ ، ولم تعرف لهم علامة بعد ذلك .

وكان بنو أنف الناقة يسمون بهذا الاسم ، يسأل الرجل منهم عن نسبه فيخفيه ، ولا ينتسب لأنف الناقة ، حتى قال فيهم الحطيئة :

قومٌ همُ الأنفُ والأذنابُ غيرهُمُ ... ومنْ يُسَوِّى بأنْفِ الناقةِ الذَّنَبا(٣)

وجاء أعرابى إلى أبى داود بن المهلب فقال له : إنى مدحتك فاسمع منى ، قال : قف قليلا ، ثم دخل بيته وتقلد سيفه ، وخرج فقال : قل ، فإن أحسنت حكمناك ، وإن لم تحسن قتلناك ، فقال :

أَمِنْتُ بداودٍ وجودِ يمينه ... من المُحْدَثِ المْخشىّ والبؤْسِ والفقْرِ
فأصبحتُ لا أخشى بداودَ نَبْوَةً ... من الحَدَثانِ ، إذْ شَدَدْتُ به أَزرى
له حِلْمُ لقمان ، وصورة يوسف ... وحكمُ سليمان ، وعدلُ أبى بكر
فَتَىَ تَفْرَقُ الأموالُ من جود كفِّه ... كما يَفْرَقُ الشيطانُ من ليلة القدر(٤)

---

(١) البيت من البسيط ـ ديوان حسان ـ ص٢٧٠ ـ وروايته (ومن عظم) .

(٢) البيت من الوافر ـ وهو وحكايته فى زهر الآداب ـ المجلد الأول ص٥٥ ـ ٥٦ . وهذه النادرة من [د ، س] . وأخلت بها [ح] .

(٣) البيت من البسيط .

وهذه النادرة أخلت بها [ح ، د] .

(٤) الأبيات من الطويل ـ العقد الفريد ـ جـ١ ص٦٨ .

فقال له : قل ، فقد حكمناك ، فإن شئت على قدرنا ، وإن شئت على قدرك ، قال : بل على قدرى ، فأعطاه خمسين ألفا ، فقال له جلساؤه : هلا احتكمت على قدر الأمير؟ قال : لم يكن فى ماله ما يفى بقدره ، فقال له داود : أنت فى هذا أشعر منك فى شعرك ، وأمر له بمثل ما أعطاه .

وقال الأصمعى : كنت عند الرشيد ، إذ دخل عليه إبراهيم الموصلى فأنشده :

وآمرةٍ بالبخلِ قلتُ لها : اقْصِرِى   فليسَ إلى مـا تأمـرينَ سـبـيلُ
فَـعـالِى فَـعـالُ المُكْثـرِينَ تَجَمُّـلاً   ومـالى كـمـا قـد تَعْلَمِين قليلُ
وكيف أخافُ الفقْرَ ، أو أُحْرَمُ الغنى   ورأىُ أمـيـر المؤمنين جـمـيـل(١)

فقال له الرشيد : لله أبيات ، تأتينا بها ، ما أحسن أصولها ، وأبين فصولها ، وأقل فضولها ، يا غلام : أعطه عشرين ألفا ، قال : والله ، لا أخذت منها درهما ، قال : ولم؟ قال : لأن كلامك ، والله ، يا أمير المؤمنين ، خير من شعرى ، قال : أعطوه أربعين ألفا ، قال الأصمعى : فعرفت أنه أصيد لدراهم الملوك منى .

وقال الشيبانى : ولد لأبى دلامة ابنة ليلا ، فأوقد السراج ، وجعل يخيط خريطة شقق ، فلما أصبح طواها بين أصابعه ، وغدا بها إلى المهدى فاستأذن عليه . فأذن له ، وكان لا يحجب عنه ، فأنشده :

لو كان يقعدُ فوق الشمسِ من كَرَمٍ   قومٌ . لقيل : اقعدوا يا آل عباسِ
ثم ارتَقُو من شعاعِ الشمس فى دَرَجٍ   إلى السماءِ ؛ فأنتمْ أكرمُ الناس (٢)

فقال المهدى : أحسنت ، والله ، يا أبا دلامة ، فما الذى غدا بك إلينا؟ فقال : ولدت لى جارية ، يا أمير المؤمنين ، قال : فهل قلت فيها شعرا؟ قال : قلت :

بَلَّلْتِ علىَّ ـ لا حُـيـيتِ ـ ثوْبى   فَـبـالَ عليكِ شـيطانٌ رجـيـمُ
فـمـا ولدتْكِ مـريمُ أمُّ عـيـسى   ولم يكفُلْكِ لقـمـانُ الحكيم
ولكنْ قـدْ تضـمُّكِ أمُّ سـوءٍ   إلى لَبَّـاتِهـا ، وأبٌ لئـيـم (٣)

---

(١) الأبيات من الطويل ـ العقد الفريد ـ جـ١ ص٦٨ ، وفيات الأعيان ـ جـ١ ، ص٢٠٣ ، وزهر الآداب ـ المجلد الثانى ص١٠٨٥ .
(٢) البيتان من البسيط ـ العقد الفريد ـ جـ١ ص٦٩ .
(٣) الأبيات من الوافر ـ العقد الفريد ـ جـ١ ، ص٦٩ .

قال : فضحك المهدى وقال : فيم تريد أن أعينك فى تربيتها؟ قال : تملأ لى هذه يا أمير المؤمنين ، وأشار إليه بالخريطة بين أصابعه ، قال له المهدى : وما عسى أن تحمل هذه؟ قال : من لم يقنع بالقليل ، لم يقنع بالكثير ، فأمر أن تملأ له ، فلما نشرت بلغت صحن الدار ، فدخل فيها أربعة آلاف درهم .

وكتب أبو دلامة إلى عيسى بن موسى ، وهو والى الكوفة رقعة فيها هذه الأبيات :

إذا جـئْتَ الأمـيـرَ فـقُلْ سـلامٌ ... عليك ورحـمـةُ الربِّ الرحـيـم
فـأمـا بعـد ذاك فلى غـريمٌ ... من الأنصـار قُـبِّحَ مِنْ غـريمِ
لَزُومٌ مـا عَلِمْتُ لبـابِ دارى ... لزُومَ الكلْبِ أصحـابَ الرَّقـيم
له مـائةٌ علىَّ ونصفُ أخـرى ... ونصفُ النصف من صَكٍّ قـديم
دراهمُ مـا انتـفـعتُ بهـا ولكنْ ... حبوتُ بها شيوخَ بنى تميم[1]

فبعث إليه[2] بمائة ألف .

ولقى أبو دلامة أبا دلف فى صيد له ، وهو والى العراق ، فأخذ بعنان فرسه ، وأنشد :

إنى حلفتُ لئنْ رأيتُك سـالما ... بقـرى العـراقِ ، وأنت ذو وفـر
لتـصليَنَّ على النبىِّ مـحـمـدٍ ... ولتـمـلأنَّ دراهمـا حِجْـرى[3]

فقال : أما الصلاة على النبى ﷺ فنعم ، وأما الدراهم ، فلما نرجع إن شاء الله ، فقال : جعلت فداك ، لا تفرق بينهما ، فاستسلفها له ، وصبت فى حجره ، حتى أثقلته .

ودخل رجل من الشعراء على يحيى بن خالد بن برمك فأنشده :

سألْتُ النَّدى : هل أنتَ حرٌّ؟ فقال : لا ... ولكننى عبدٌ ليحيى بنِ خالدِ
فقلت : شراءً؟ قال : لا ، بل وراثةً ... توارثنى عن والدٍ بعـد والد[4]

فأمر له بعشرة آلاف درهم .

(١) الأبيات من الوافر ـ المرجع السابق ـ ص٧٠ ، و جـ٣ ص٣٩١ .
(٢) فبعث إليه بمائتى درهم (د) .
(٣) البيتان من الكامل ـ العقد الفريد ـ جـ١ ص٧٠ ، والأغانى جـ١٠ ص٣٥٣
وروايتها : إنى نذرت ، ووفيات الأعيان جـ٢ ص٣٢٥ .
(٤) البيتان من الطويل ـ العقد الفريد ـ جـ١ ص٧١ .

وصنع بعض الناس وليمة ، وكان فيها المبرد ، وكانوا يسمعون غناء مغنية من وراء ستر ، فاندفعت تغنى :

وقالوا لها : هذا حبيبُكِ مُعْرِضٌ فقلت لهم : إعراضُه أيْسَرُ الخَطْبِ
ومـا هيَ إلا نظرةٌ ثم حَسْـرةٌ فتصطكُّ رِجْلاهُ ، ويسقطُ للْجَنْبِ[1]

فطرب كل من حضر طربا شديدا ، إلا المبرد ، فأخذ صاحب الوليمة يعاتبه على عدم طربه ، فقالت له المغنية : دعه يا سيدى ، فلعله توهم أنى لحنت فى قولى ؛ هذا حبيبك معرض ، ولم يعلم أن ابن مسعود قرأ : ﴿وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا﴾[2] ، فبلغ الطرب بالمبرد أن شد فى ثيابه ، وهذا من أحسن ما يوجد من طرب النساء وكمالهن .

وأهدى رجل من الثقلاء إلى رجل من الظرفاء جملا ، ثم نزل عليه حتى أبرمه ، فقال فيه :

يا مُـبْـرِمـا أهدى جَـمَلْ خـذْ وارتحلْ ألفَىْ جَـمَلْ
قـال : ومـا أوقِـرُها قلت : زبيبٌ وعَـسَل
قـال : ومن يقـودها قلت له : ألفـا بطل
قال : ومـا لباسُـهُمْ قلتُ : حلىٌ وحُـلَلٌ
قال : ومـا سلاحـهمْ قلت : سيـوفٌ وأَسَل
قـال : عـبيـدٌ لى إذن قلت : نعم ، ثم خَـوَل
قـال : وقـد أضجـرتكمْ قلـت : أجـل ، ثـم أجـل
قال : وقـد أبرمـتكم قلت له : الأمـرُ جَلَل
قـال : وقـد أثقلتكم قلت له : فـوق الثـقل
قـال : فـإنى راحلٌ قلت : العَجَلْ ، ثم العجل
يا جـبـلاً من جـبلٍ فى جـبل فـوق الجبل [3]

---

(١) البيتان من الطويل ـ وفيات الأعيان ـ جـ٤ ص٣١٧ .

(٢) سورة هود الآية ٧٢ . وكتبت فى المتن مرفوعة .

(٣) الأبيات من الزجر ، والبيت الثانى من [د ، س] .
وقافية البيت السادس تعنى الأتباع .

وبينما خالد بن عبدالله القسرى جالس فى مظلة ، إذ نظر إلى أعرابى يخب إليه بعيره ، مقبلا نحوه ، فقال لحاجبه : إذا قدم فلا تحجبه ، فلما دخل عليه سلم وقال :

أَصْلَحَكَ اللهُ ، قَلَّ مـا بيـدى ... فـما أطيقُ العيـالَ إذ كَـثُـروا
أنـاخَ دهـرٌ أَلـقـى بكـلْـكَـلِـه ... فـأرسلونى إليك وانتظروا (١)

فقال خالد : أرسلوك وانتظروا ، والله لا تنزل حتى تنصرف إليهم بما يسرهم ، وأمر له بجائزة عظيمة ، وكسوة شريفة .

ووقف رجل من الشعراء إلى عبدالله بن طاهر ، فأنشده :

إذا قـيل : أنىَّ فـتىً تعلمـونَ ... أهشُّ إلى البـأسِ والنائِلِ؟
وأضـربَ للهـام يوم الوغى ... وأطـعـمَ فـى الـزمـن الماحـلِ؟
أشـار إليك جـمـيع الأنام ... إشـارةَ غـرقى إلى سـاحل (٢)

فأمر له بخمسين ألف درهم .

وقال أحمد بن مطير : أنشدت عبدالله بن طاهر أبياتا ، كنت مدحت بها بعض الولاة ، وهى :

له يومُ بؤسٍ فـيـه للناس أبْؤسٌ ... ويوم نعـيمٍ ، فـيـه للناس أنعُمُ
فيقطرُ يومَ الجود من كفِّه الندى ... ويقطرُ يوم البـؤس من كـفـه الدَّمُ
فلو أن يوم البـؤس خلَّى عـقـابه ... على الناس لم يصبح على الأرض مجرم
ولـو أن يوم الجـود خلَّى نواله ... على الأرض لم يصبح على الأرض مُعْدِم (٣)

فقال : كم أعطاك عليها؟ قلت : خمسة آلاف ، قال : فقبلتها؟ قلت : نعم ، قال : أخطأت ، ما ثمن هذه إلا مائة ألف .

(١) البيتان من المنسرح ـ العقد الفريد ـ جـ١ ص٨٣ ، ووفيات الأعيان جـ٥ ص٢٤٨ ، وتنسب الحكاية إلى معن .
(٢) الأبيات من المتقارب .
(٣) الأبيات من الطويل ، وهى للحسين بن مطير الأسدى فى مدح المهدى ، انظر زهر الآداب المجلد الثانى ص١٠٥١ ، وتوكأنا عليه فى رواية البيتين الأخيرين ، إذ أخلت بالرابع (ح) وهو مضطرب فى [د ، س] والثالث مضطرب فى (ح) ، وفى العقد الفريد منسوبة لأحمد بن مطير مما يؤكد اعتماد الحدائق عليه ، انظر جـ١ ص٨٥ .

وحدث أحمد بن زهير قال : كان أحمد بن زيدان الكاتب قاعدا بين يدى يحيى بن أكثم يكتب ، وكان شابا جميلا ، فقرص يحيى خده ، فاستحى ابن زيدان ، واحمر وجهه ، ورمى القلم من يده ، فقال له : خذ القلم واكتب ، فأخذ القلم وكتب :

أيا قَمَرا جَمَّشْتُهُ فَتَغَضَّبا ... وأصبح من تيهٍ به متجنبا
إذا كُنت للتخميش والقرصِ كارها ... فكن أبدا يا مُنْيَتى مُتَنَقِّبا
ولا تُظهرِ الأصداغَ للناس فتنةً ... وتجعلها من فوق خدِّكَ عَقْربا
فتقتلَ مشتاقا ، وتَفْتِنَ ناسكا ... وتتركَ قاضى المسلمين مُعَذَّبا(١)

ودخل أعرابى على خالد بن عبدالله القسرى ، فرأى عنده شعراء وهم ينشدونه فسكت الأعرابى يسمع المدائح ، وينظر إلى الجوائز تفرق ، فقام ثم قال : جعلت فداك ، يا أمير المؤمنين ، ما يمنعنى من إنشادى إلا قلة ما معى مما قلته فيك من الشعر ، فأمر أن يكتب ما معه فكتب :

تَبَرَّعْتَ لى بالجود ، حتى مَلَكْتَنى ... وأعطيْتَنى حتى حسبتُكَ تَلْعَبُ
فأنت الندى وابن الندى وأبو الندى ... وحِلْفُ الندى ، ما للندى عنك مَذْهَبُ(٢)

قال : ما حاجتك؟ قال : على دين ، قال : كم؟ قال : خمسون ألف درهم ، فقضاها عنه ، وأمر له بمثلها .

وزار إسماعيل بن خارجة صديق له ، فلما كان بباب الدار وثب كلب فانصرف ، وكتب إليه :

لو كنتُ أحمل خمرا حين زُرْتكمُ ... لم ينكرِ الكلبُ أنّى صاحبُ الدّار
لكنْ أتيتُ ، وريحُ المسك يَقْدُمُنى ... وعَنْبَرُ الهند مَصْبوبٌ على السّارى
فأنكرَ الكلبُ ريحى حين أبصرنى ... وكان يعرفُ ريح الزِّقِّ والنار(٣)

وكان جد خارجة خمارا .

(١) الأبيات من الطويل ، والبيت الأول أخلت به [ح] .
(٢) البيتان من الطويل ، ورواية [س] تسرعت ، وفى الأبيات تكرار معيب فى الندى ، مثل تكرار النوى الذى عابه الأصمعى ، وتمنى أن تأكله شاة .
(٣) الأبيات من البسيط ، وفى [س] منصوب على السارى ، وفى [د ، س] جد خارجه .

ودخل أعرابى مسجد الرسول ﷺ ، وسأل عن الفقهاء ، فدل على بن أبى ذيب ، فأتى حلقته ، فقال : أيكم الذيب؟ فقال ما تريد؟ قال : أنت هو؟ قال : نعم ، فسأله عن مسألة فى الطلاق ، فقال : ما أراك حانثًا ، فولى الأعرابى وهو يقول :

أتيتُ ابن ذيبٍ ، أطلبُ الفقْهَ عنده ... فطلَّقَ ليلى البتَّ ؛ بُتَّتْ أَناملُهْ
أتُتْرَكُ فى فقه ابن ذيب حَليلتى ... وعند ابن ذيبٍ أهلهُ ، وحلائِلُهْ؟(١)

وقدم عمر بن أبى ربيعة ، فأقبل إليه الأحوص ونصيب ، فجعلوا يتحدثون ، ثم سألهما عن كثير عزة ، فقال له نصيب : هو ها هنا قريب ، فلو أرسلنا إليه ، قال : هو أشد بأسًا من ذلك ، قال : فاذهب بنا إليه ، فألفوه فى خيمة له ، فوالله ما قام للقرشى ، ولا وسع له ، فجلسوا إليه وتحدثوا ساعة ، فالتفت كثير إلى عمر بن أبى ربيعة ، فقال له : إنك لشاعر ، لولا أنك تشبب بالمرأة وتدعها ، وتشبب بنفسك ، أخبرنى عن قولك :

ثم اسْبَطَرَّتْ تَشْتَدُّ فى أَثرى ... تسأَلُ أهْلَ الطَّوافِ عن عُمر(٢)

والله ، لو وصفت بهذا هرة أهلك لكان كثيرًا ، ألا قلت كما قال هذا ، يعنى الأحوص :

أدورُ ، ولولا أن أرى أمَّ جعفرٍ ... بأبياتكم ، ما دُرتُ حيثُ أدورُ
وما كنتُ زوّارا ، ولكنَّ ذا الهوى ... إذا لم يُزَرْ ، لابد أن سيزور(٣)

قال : فانكسر عمر بن أبى ربيعة ، ودخلت الأحوص زهوة ، ثم التفت إلى الأحوص وقال له : أخبرنى عن قولك :

فإنْ تَصلى أصلْكِ ، وإن تَبينى ... بهجرٍ بَعْدَ وصلك ما أُبالى(٤)

والله ، لو كنت حرًا لباليت ، ولو كسر أنفك ، ألا قلت كما قال هذا الأسود وأشار إلى نصيب :

بزينب أَلِمْ قبل أن ينزلَ الرَّكْبُ ... وقُلْ : إنْ تَمَلِّينا ، فما مَلَّكِ الْقَلْبُ(٥)

---

(١) البيتان من الطويل .
(٢) البيت من المنسرح ، والحكاية فى العقد الفريد جـ ٣ ص١١٥ .
(٣) البيتان من الطويل .
(٤) البيت من الوافر ، وصوبناه من العقد ـ معنى ـ ، وهو مختل الوزن فى [س] .
(٥) البيت من الطويل ، وورد فى العقد جـ ٣ ص١٧٧ .

فانكسر الأحوص ، ودخلت نصيبًا زهوة ، ثم التفت إلى نصيب ، فقال أخبرني عن قولك :

أهيمُ بدَعْدٍ ما حييتُ ، فإن أمُتْ فَواكَبِدى مَنْ ذا يهيمُ بها بَعْدى(١)

أهمك ويحك ، من يفعل بها بعدك ؟ فقال القوم : الله أكبر ، استوت الفرق ، قوموا بنا من عند هذا

ودخل كثير على سكينة بنت الحسين فقالت له : يا ابن أبى جمعة ، أخبرنى عن قولك فى عزة :

ومـا روضـةٌ بالحَزْنِ طيبـةُ الثَّرى يَمُجُّ الندى جَثْجَاثُها وعِرَارُها
بأطيَبَ من أرْدانِ عَـزَّةَ مَـوْهِنًا وقد أُوقدتْ بالمَنْدلِ الرَّطْب نَارُها(٢)

ويحك ، وهل فى الأرض زنجية منتنة الإبطين ، توقد بالمندل الرطب نارها ، إلا طاب ريحها؟ ألا قلت كما قال عمك امرؤ القيس؟

أَلَمْ تَرَيانى كلَّمـا جـئتُ طارقًـا وَجَدتُ بها طيبًا ، وإن لم تَطَيَّبِ(٣)

وسهر عبدالملك بن مروان ذات ليلة ، وعنده كثير عزة ، فقال له : أنشدنى بعض ما قلت فى عزة ، فأنشده حتى انتهى إلى هذا البيت :

هَمَمْتُ وهَمَّتْ ، ثمَّ هابتْ وهِبْتُها حيـاءً ، ومثلى بالحيـاءِ خليقُ(٤)

فقال له عبدالملك : أما والله ، لولا بيت أنشدتنيه قبل هذا لحرمتك جائزتك .

قال : ولم يا أمير المؤمنين؟ قال : لأنك أشركتها فى الهيبة ثم استأثرت بالحياء دونها ، قال : فأى بيت عفوت به عنى يا أمير المؤمنين؟ قال : قولك :

دعـونى ، لا أريد بهـا سـواها دعونى هائمًا ، فيمنْ يهيمُ(٥)

---

(١) البيت من الطويل ، وينسب إلى النمر بن تولب عن الأصمعى ، وينسب أيضا إلى نصيب ، ورواية النمر« أوص بدعد من يهيم بها بعدى» انظر فى الروايتين : الشعر والشعراء ص ١٧٤ ، ٢٤٣ .
(٢) البيتان الطويل ، وعدلنا الأول منهما من العقد جـ ٣ ص١١٥ ، ومن وفيات الأعيان - جـ ٤ ص١١٠ .
(٣) البيت من الطويل .
(٤) البيت من الطويل ، وهو وحكايته فى العقد جـ ٣ ص١١٥ .
(٥) البيت من الوافر .

ودعا الأعور بن بنان التغلبى الأخطل الشاعر إلى منزله ، فأدخله بيتًا قد فرش بالفرش الشريفة ، والوطاء العجيبة ، وله امرأة تسمى برة ، فى غاية الحسن والجمال ، فقال له : يا أبا مالك ، إنك تدخل على الملوك فى مجالسهم ، فهل ترى فى بيتى عيبًا؟ قال : ما أرى فى بيتك عيبًا غيرك ، قال : إنما ألوم نفسى ؛ إذا كنت أدخل مثلك بيتى ، أخرج عليك لعنة الله ، فخرج الأخطل ، وهو يقول :

وكيف يُداوينى الطبيبُ من الجوى ... وَبَرَّةُ عند الأعـــور بن سِنَانِ
ويُلصِقُ بطنًا مُنتِنَ الريحِ دائمـا ... إلى بطنِ خوْدٍ دائمِ الخَفَقانِ[1]

ودخل الشعبى على بشر بن مروان ، وهو والى العراق لأخيه عبدالملك بن مروان وعنده جارية ، فى حجرها عود ، فلما دخل الشعبى ، أمرها فوضعت العود ، فقال له الشعبى : لا ينبغى للأمير أن يستحى من عبده ، قال : صدقت ، ثم قال للجارية : هات ما عندك ، فأخذت عودها وغنت :

ومما شجـانى أنهـا يوم ودعتْ ... تولتْ ، وماءُ العين فى الجفن حائرُ
فلما أعـادتْ من بعيـدٍ بنظرةٍ ... إليَّ التفاتًا ، أسْلَمَتْهُ المحاجِرُ[2]

فقال الشعبى الصغير أكيسهما يريد الزير ، ثم قال لها : يا هذه ، أرخى من فمك ، واشددى فى زيرك ، فقال له بشر : وما علمك؟ قال : أظن العمل فيهما؟ قال : صدقت ، ومن لم ينفعه ظنه لم ينفعه يقينه .

وقال الأصمعى : قدم أعرابى بعدل من خمر العراق إلى المدينة ، فباعها إلا السود ، فشكى ذلك إلى الدارمى ، وكان قد تنسك ، وترك الشعر ، ولزم المسجد ، فقال له : ما تجعل لى على أن أحتال لك بحيلة حتى تبيعها كلها؟ قال : حكمك ، فعمد الدارمى إلى ثياب نسكه فألقاها عنه ، وعاد إلى مثل شأنه الأول ، وقال شعرا ودفعه إلى صديق له من المغنين ، وقال له : تغن بهذا الشعر :

(١) البيتان من الطويل ، وهما والحكاية فى العقد الفريد ـ جـ ٣ ص١٢٠ .
(٢) البيتان من الطويل ، وهما والحكاية فى العقد جـ ٣ص ١٦٣ .

قُلْ للمليحة فى الخمار الأسود ... مـاذا أردت بزاهد متـعبـد
قـد كـان شـمَّـرَ للصلاة رداءه ... حتى وَقفْتِ له بباب المسجد
رُدِّى عليه صلاتَه وصيـامَه ... لا تفتنيه بحقِّ دينِ محمد[1]

فشاع هذا الغناء بالمدينة ، وقالوا : قد رجع الدارمى ، وتعشق صاحبة الخمار الأسود ، فلم تبق مليحة بالمدينة إلا اشترت خمارًا أسود ، وباع التاجر ما كان معه ، فكان إخوان الدارمى من النساك يلقون الدارمى فيقولون له : ما صنعت؟ فيقول : ستعلمون نبأه بعد حين ، فلما أنفذ العراقى ما كان معه ، رجع الدارمى إلى نسكه وثيابه فلبسها .

وقال الأحوص يومًا لمعبد : امض بنا إلى عقيلة نتحدث معها ، ونستمع من غنائها ، وغناء جواريها ، فمضيا ، فألفيا على بابها معاذ الأنصارى وابن صياد ، فاستأذنوا عليها ، فأذنت لهم إلا الأحوص ، فقالت : نحن على الأحوص غضاب فانصرف الأحوص وهو يلوم أصحابه على استبدادهم بها ، وقال :

ضنَّتْ عقيلةُ عنكَ اليوم بالزاد ... وآثرتْ حاجةَ الثاوى على الغادى
قولا لمنزلها : حُيِّيتَ من طلَلٍ ... وللعقيقِ ، ألا حُيِيت من وادى
إنى وهبتُ نصيبى من مودتها ... لمعبدٍ ومعاذٍ ، وابن صياد[2]

(١) الأبيات من الكامل ، وهى وحكايتها فى العقد جـ٣ ص١٦٤ ، وقد صوبنا بعض كلماتها اعتماد عليه وعلى السياق ، ووردت فى وفيات الأعيان جـ٤ ص ١٦١ ، وقبلها أبيات للقاضى التنوخى تشبهها ، تقول :

قل للمليحة فى الخمار المذهب ... أفسدت نسك أخى التقى المترهب
نور الخمار ونور خدك تحته ... عجبا لوجهك ، كيف لم يتلهب
وجمعت بين المذهبين ، فلم يكن ... للحسن عن ذهبيهما من مذهب
وإذا أتت عين لتسرق نظره ... قال الشعاع لها : اذهبى ثم اذهبى

وأبيات مسكين أطبع ، وثمة بيتان للنابغة ربما كانا أمام مسكين :

لو أنها عرضت لأشمط واهب ... عبد الإله صرورة متعبد
لرنا لبهجتها وحسن حديثها ... ولخاله رشدا وإن لم يرشد

الشعر والشعراء ص٧٣ .

(٢) الأبيات من البسيط .

وخرج أبو السائب مع عمر بن أبى ربيعة متنزهًا إلى بعض نواحى مكة ، فذهب أبو السائب ليبول ، وعليه طويلة فرجع دونها ، فقال له ابن أبى عتيق ، ما فعلت طويلتك؟ قال : ذكرت قول كثير عزة :

أرى الإزارَ على لُبنى فأحسدُه   إن الإزارَ على ما ضمَّ محسود(١)

فتصدقت بها على الشيطان الذى أجرى هذا البيت على لسانى ، فأخذ ابن أبى عتيق طويلته ، ورمى بها وقال : فى حر أم من تقدمته أنت إلى بر الشيطان .

وقال الأصمعى : كان أبو الطمحان شاعرًا مجيدًا ، وكان يطلب الإذن على يزيد بن عبدالملك ، فلم يصل إليه ، فقال لبعض المغنين : ألا أعطيك بيتين من الشعر تغنى بهما أمير المؤمنين ، فإن سألك من قالهما ، فأخبره أنى بالباب ، فما رزقنى الله منه فهو بينى وبينك ، قال : هات ، فأعطاه هذين البيتين :

يكادُ الغمامُ الحر يُرعدُ أن رأى   مُحيا ابنِ مروان ، ويَنْهَلَّ بارقُهْ
يظلُّ فتيتُ المسك فى رونق الضحى   تسيلُ به أصداغُهُ ومفارقه(٢)

قال : فغناه بهما فى وقت أريحيته ، وطرب لهما طربًا شديدًا وقال : لله قائلهما ، من هو؟ قال : أبو الطمحان ، وهو بالباب يا أمير المؤمنين ، قال : ما أعرفه ، فقال بعض جلسائه : هو صاحب الدير يا أمير المؤمنين ، قال : وما قصة الدير؟ قال : قيل لأبى الطمحان : ما أيسر ذنوبك؟ قال : ليلة الدير ، قيل له : وما ليلة الدير؟ قال : نزلت ليلة بدير نصرانية(٣) ، فأكلت عندها طفيشلا بلحم خنزير ، وشربت من خمرها ، وزنيت بها ، وسرقت كساءها ومضيت ، فضحك يزيد ، وأمر له بألفى درهم ، وقال : لا يدخل علينا ، فأخذ أبو الطمحان الألفين ، وانسل بهما وخيب المغنى .

وقال إبراهيم الموصلى : دخلت على هارون الرشيد ، فلما رأيته قد أخذ فى حديث الجوارى وغلبتهن على الرجال ، غنيته بأبياته التى يقول فيها :

---

(١) البيت من البسيط ، وهو وحكايته فى العقد الفريد جـ٣ ص١٦٧ ، مع زيادة فى الحدائق .
(٢) البيتان من الطويل ، وهما والحكاية فى العقد الفريد ـ جـ٣ ص١٧٢ـ ١٧٣ .
(٣) فى الأصل : بدير ابنتى ، ولامعنى لها ، بل هى غلط ، ونقلنا : بدير نصرانية من العقد .

مَلَكَ الثـلاثُ الآنسـاتُ عِنانى وحَلَلْنَ من قلبى بكلِّ مكانِ
مـالى تُطاوعنى البـريةُ كلُّهـا وأُطيعـهنَّ وهُنَّ فى عصيـانى
مـاذاك إلا أن سلطانَ الهـوى - وبه قَوِينَ - أعزُّ من سلطانى(١)

فارتاح وطرب ، وأمر لى بعشرة آلاف درهم .

وقال أبو العباس : حدثت أن أبا العباس عمر الوادى قال : أقبلت من مكة أريد المدينة ، فسمعت غناء من القرى لم أر مثله ، فقلت : والله لأتوصلن إليه ، فإذا هو عبد أسود ، فقلت : أعد على ما سمعت ، فقال : والله ، لو كان عندى قرى أقريكه لفعلت(٢) ، ولكنى أجعله قراك ، فإنى ، والله ، ربما غنيت هذا الصوت وأنا جائع فأشبع ، وربما غنيته وأنا كسلان فأنشط ، وربما غنيته وأنا عطشان فأروى ، ثم اندفع يغنى :

وكنتُ إذا ما زُرتُ سُعدى بأرضها أرى الأرض تُطوى لى ويَدْنو بعيدُها
من الخَفِراتِ البيض ، وَدَّ جليسُها إذا ما انقضتْ أُحدوثةٌ لو تُعيدها(٣)

قال عمر : فحفظته عنه ، ثم تغنيت به على الحالات التى وصف ، فهو كما ذكر .

وحكى الشيبانى قال : كان بالعراق قينة ، وكان أبو نواس يختلف إليها ، فكانت تظهر له أنها لا تحب غيره ، وكان كلما جاءها وجد عندها فتى يجلس إليها ويتحدث معها ، فقال فيها :

ومُظهـرةٍ لخلق الله وُدّا وتُلقى بالتحيـة والسلام
أتيتُ فـؤادَها أشكو إليـها فلم أَخْلُصْ إليـه من الزحام
فـيا مَنْ ليس يكْفيـه خليلٌ ولا خمسـون ألفًا كلَّ عام
أراكِ بقيـةً من قـوم موسى فـهم لا يَصْبرون على طعام(٤)

وأبخل البخلاء حميد الأرقط الذى يقال له : هجاء الأضياف ، وهو القائل فى ضيف له :

(١) الأبيات من الكامل ، وهى وحكايتها فى العقد جـ ٣ ص١٧٦ .
(٢) فى الأصل : ما فعلت ، وهى خطأ .
(٣) البيتان من الطويل .
(٤) الأبيات من الوافر .

تُجَهِّزُ كفّاه ، ويحدِرُ حَلْقَه ... إلى الزَّوْرِ ، ما ضُمَّتْ عليه الأناملُ
أتانا ، وما ساواه سحبانُ وائلٍ ... بيانًا وعلمًا ، ما الذى هو قائل
فما زال عنه اللَّقْمُ ، حتى كأنه ... من العيِّ ، لما أن تكلّمَ باقل(١)

وحكى ابن عدى قال : نزل على أبى حفصة الشاعر رجل باليمامة ، فأخلى له المنزل ، ثم هرب ؛ مخافة أن يلزمه قراه تلك الليلة ، فخرج الضيف ، فاشترى ما احتاج إليه ، ثم رجع وكتب إليه :

يا أيُّها الخارجُ من بيْتِه ... وهاربًا من شدَّةِ الخوْف
ضيفُكَ قد جاءَ بزادٍ لَهُ ... فَارجعْ وكُنْ ضيفًا على الضيف(٢)

وصلى الوليد بن عقبة بأهل الكوفة الصبح ثلاث ركعات ، وهو سكران ، ثم التفت إليهم وقال : وإن شئتم زدتكم ، فشهدوا عليه وجلده على بن أبى طالب بين يدى عثمان رضى الله عنهما ، وهو أخو عثمان لأمه ، فقال فيه الحطيئة وكان نديمه :

شهدَ الحطيئةُ يوم يلقى ربَّه ... أن الوليدَ أحقُّ بالعذْرِ
نادى ، وقد تمَّتْ صلاتُهُمُ ... ليَزيدَهُمْ خيْرا على خير
ليزيدهم خيرًا ، ولو قَبِلُوا ... لَقَرَنْتَ بين الشَّفْع والوَترْ
كَبَحُوا عِنانَكَ إذْ جَرَيْتَ ، ولوْ ... تركوا عنانَك لم تكنْ تجَرى(٣)

وكان بعض الظرفاء ينادم رجلاً من الرؤساء ، فكان يكسوه إذا سكر قميصًا ، فإذا صحا نزعه عنه ، فقال فى ذلك :

كسانى قميصا مرتيْنِ ، إذا انْتَشى ... وينزَعُهُ منىَّ إذا كان صاحيا
فلى فَرْحَةٌ فى سُكْرِهِ بقميصِهِ ... وفى الصحْوِ رَوعَاتٌ تُشيبُ النَّواصيا
فياليتَ حظِّى من سرورى وَتَرْحَتى ... بكُسْوَتِهِ أنْ لاَ عَلَىَّ ولاليا(٤)

---

(١) الأبيات من الطويل ، وهى وحكايتها فى العقد الفريد جـ٣ ص ٢٣٢ .
(٢) البيتان من السريع ، وهما والحكاية فى العقد - جـ ٣ ص٢٣٢ .
(٣) الأبيات من الكامل الأحذ المضمر .
(٤) الأبيات من الطويل - العقد الفريد - جـ٣ ص٢٩٩ - ٣٠٠ .

وحدث أبو جعفر قال : بينما الأمين فى قصر له ، إذ مر بجارية سكرى ، وعليها كساء خز ، تسحب أذياله ، فراودها عن نفسها ، فقالت : يا أمير المؤمنين ، أنا على ماترى ، ولكن إذا كان فى غد إن شاء الله ، فلما كان من الغد ، سار إليها ، فقال لها : الميعاد ، فقالت : يا أمير المؤمنين ، أما علمت أن كلام الليل يمحوه النهار ، فضحك ، وخرج من مجلسه وقال : من بالباب من الشعراء ، فقيل له : مصعب والرقاشى وأبو نواس ، فأمر فأدخلوا عليه ، فلما جلسوا بين يديه قال : ليقل كل واحد منكم شعرا ، يكون آخره : كلام الليل يمحوه النهار ، فقال الرقاش :

متى تصحُو ، وقلبُكَ مُسْتطارُ — وقد مُنعَ القرارُ ، فلا قَرَارُ
وقد تركتْكَ صَبًّا مُسْتهاما — فتاةٌ ، لا تزور ولا تُزار
إذا استنجزْتَ منها الوعد ، قالت — كلامُ الليل يمحوه النهار

وقال مصعب :

أتعذلُنى ، وقلبى مستطار — كئيبٌ ، لا يَقَرُّ به قرار
بحبِّ مليحةٍ صادتْ فؤادى — بألحاظ ، يخالطُها احْورار
ولما أنْ مَدَدتُ يدى إليها — لألْمسَهَا بَدا منها نِفار
ولما جئتُ مُقتضيًا ، أجابتْ — كلامُ الليل يمحوه النهار

وقال أبو نواس :

وليلى أقبلتْ فى القصر سكْرى — ولكنْ زيَّنَ السُّكْرَ الوقار
وهزَّ الريحُ أردافا ثقالا — وغُصنا ، فيه رمانٌ صغار
وقد سقَط الرِّدا عن مَنْكبيْهَا — من التَّكريه ، وانحلَّ الإزار
فقلت : الوعدُ سيدتى ، فقالتْ : — كلام الليل يمحوه النهار[1]

فقال : أخزاك الله ، ياحسن ، أكنت معنا ، أم مطلعا علينا؟ فقال : يا أمير المؤمنين ، عرفت مافى نفسك ، فأعربت عما فى ضميرك ، فأمر له بأربعة آلاف درهم ، ولصاحبيه بمثلها .

(١) الأبيات كلها من الوافر ، وهى وحكايتها فى العقد جـ ٣ ص٣١٩ .

وحدث حماد بن إسحاق الموصلى قال : حدثنى أبى قال : غدوت يوما وأنا ضجر من ملازمة دار الخلافة ، فركبت عازما على أن أطوف فى الصحراء وقلت لغلمانى : إن جاء رسول الخليفة ، فعرفوه أنى ركبت فى مهم لى ، ومضيت وطفت ما بدا لى ، وعدت وقد حمى النهار ، فوقفت فى ظل شارع لأستريح فلم ألبث أن جاء خادم يقود حمارا فارها ، عليه جارية ، عليها لباس فاخر ، فرأيت لها شمائل ظريفة ، وطرفا فاترا ، فحدست أنها مغنية ، فدخلت الدار التى كنت واقفا عليها ، فعلقها قلبى ، ولم أستطع براحا ، وأقبل رجلان يتماشيان ، لهما هيئة تدل على قدرهما ، وهما راكبان ، فحملنى حب الجارية ، وحسن حالهما أن توسلت بهما ، فدخلت معهما ، فظنا أن صاحب الدار دعانى ، وظن هو أنى معهما ، فجلسنا ودعا بالطعام فأكلنا وجىء بالشراب ، فخرجت الجارية ، وفى يدها عود ، فرأيت جارية حسناء ، فغنت غناء صالحا ، فتمكنت من قلبى وشربنا ، ثم قمت للبول ، فسألهما صاحب الدار عنى ، فأنكرانى ، فقال : هذا طفيلى ، ولكن ظريف ، فأجملوا عشرته ، فجئت وجلست ، فغنت فى لحن لى :

ذكـرتُك ، أمْ مـرَّتْ بنا أمُّ شـادنٍ أمـام المطايا تسـتـريبُ وتَسْنَحُ
من المُؤْلِفَاتِ الرَّمْلِ ، إذ ماءُ خدِّها شعاعُ الضحى فى لونِهِ يَتَوَضَّحُ(١)

فأدته صالحا ، ثم غنت من صنعتى فى شعرى :

قُلْ لمن صَـدَّ عـاتبـا ونأى عنك جـانبـا
قـد بلغْتَ الذى أردْت ، وإن كُنْتَ لاعـبـا
واعـترفْنابما ادَّعَـيْتَ ، وإن كُنتَ كـاذبـا(٢)

فغنته أصلح من الأول ، فاستعدته منها ، فأقبل على أحد الرجلين وقال : ما رأيت طفيليا أصفق وجها منك ، لم ترض التطفيل حتى اقترحت؟ وهذا تصديق المثل : طفيلى ويقترح ، فلم أجبه ، وكفه عنى صاحبه ، فلم ينكف ، ثم قالوا : للصلاة ، فأخذت عود الجارية وأصلحته إصلاحا محكما ، وعدت إلى موضعى فصليت ، ثم عادوا ، فعاد ذلك الرجل فى عربدته على ، وأنا صامت ، فأخذت الجارية عودها وجسته وقالت : من مس

(١) البيتان من الطويل .
(٢) الأبيات من مجزوء الخفيف ، وهى فى الأغانى جـ١٠ ص١١٠ ، ويقول الأصفهانى : لم أجده - أى الصوت - فى مجموع شعره .

عودى؟ فقالوا : مامسه أحد ، فقالت : والله ، لقد مسه حاذق ومتقدم ، وشد طبقته ، فقلت لها : أنا أصلحته ، فقالت : بالله عليك خذه واضرب به ، فأخذته منها وضربت ، فبدأ ظريفا عجيبا[١] ، فيه نقرات محكمات ، فما بقى منهم أحد إلا وثب فجلس بين يدى وقالوا : بالله ، ياسيدنا ، أتغنى؟ قلت : نعم ، وأعرفكم بنفسى ، أنا إسحاق الموصلى والله ، إنى لأتيه على الخليفة ، وأنتم تشتموننى اليوم ؛ لأنى تملحت معكم بسبب[٢] هذه الجارية ، والله ، إنى لانطقت بحرف ، ولاجلست معكم حتى تخرجوا هذا المعربد ، ونهضت لأخرج ، فتعلقوا بى ، وتعلقت الجارية ، فقلت : والله ، لا أجلس إلا أن يخرج ، فقال له صاحبه : من شبه هذا حذرت عليك ، فأخرجوه ، فغنيت الأصوات التى غنتها الجارية من صنعتى ، فطرب رب الدار طربا شديدا وقال لى : هل لك فى أمر أعرضه عليك؟ قلت : ماهو؟ قال : تقيم عندى شهرا ، والحمار والجارية مع ماعليها لك ، قلت : أفعل ، فأقمت عنده ثلاثين يوما لايعرف أحد أين أنا ، والمأمون يطلبنى ، فجئت بذلك منزلى بعد شهر ، وركبت إلى المأمون ، فقال لى : إسحاق ، ويحك ، أين كنت؟ فعرفته الخبر ، فقال : على بالرجل الساعة ، فعرفتهم موضعه ، فأحضر ، وقال له : أنت رجل ذو مروءة ، وسبيلك أن تعاون عليها ، ثم أمر له بمائة ألف درهم ، ونهاه أن يعاشر ذلك المعربد الرذيل ، وأمر لى بخمسين ألفا ، وقال : أحضروا الجارية فأحضرت فغنته ، فقال : قد جعلت لها نوبة فى كل يوم ثلاثاء تغنى مع الجوارى ، وأمر لها بخمسين ألفا .

وتشبه هذه الحكاية حكاية إبراهيم بن المهدى ، إذ تشفع إلى المأمون فى طفيلى ، قدمنا ذكره فى الباب قبل هذا ، فقال ابراهيم : يا أمير المؤمنين ، هب لى ذنبه ، وأحدثك بحديث فى التطفيل عن نفسى ، قال : قل ، قال : خرجت يوما ، فمررت فى سكك بغداد ، فشممت رائحة أبزار وقدور قد فاحت[٣] ، فسألت خياطا عن رب الدار ، فقال : هو رجل من التجار اسمه فلان ، وخرج من شباك فى أعلى الدار كف ومعصم ، مارأيت مثلهما قط ، فذهب عقلى وبهت ، فإذا رجلان مقبلان ، فقال لى الخياط : هذان نديمان ، وهما فلان وفلان ، فحركت دابتى ، ودخلت بينهما وقلت : قد استبطأكما أبو فلان ، فأتينا الباب

(١) سقط من [د] جملة أوراق من بعد قوله : عجيبا ـ إلى قوله : ثم دعوت الثالثة . الواردة فى حديث أنس من الباب الثالث .
(٢) أخلت [س] من قوله : بسبب ـ إلى قوله : المعربد .
(٣) فى [س] قد فاحت من دار .

ودخلنا ، فلم يشك صاحب الدار أنى منهما ، فرحب بى ، وأجلسنى فى أجل موضع ، فأتينا بالألوان ، فكان طعمها أطيب من رائحتها ، فقلت فى نفسى : أكلت الألوان ، وبقى الكف والمعصم ، ثم سرنا إلى مجلس المنادمة ، فإذا هو أنبل مجلس ، وصاحب الدار يقبل باللطف والحديث على ؛ لما ظن أنى منهما ، فخرجت جارية تتثنى ، كأنها خوط بان ، فسلمت وجلست وأخذت عودا وجسته ، فتبينت الحذق فى جسها ، وغنت بهذا الصوت :

أشَرْتُ إليها : هل حَفِظْتِ مودَّتى ... فردَّتْ بطرفِ العيْنِ :إنَّى على العهدِ
فَحِدْتُ عن الإظهارِ عمدًا لِسِرِّها ... وحادتْ عن الإظهار أيضا على العمد(١)

فجاءنى مالم أملك معه نفسى ، وقلت : السلام ، ثم غنت :

ألَيْسَ عجيبًا أن بيْتا يضمُّنا ... وإيّاكِ ، لانخلُو ، ولانتكلَّمُ؟
سوى أعينٍ تشكو الهوى بجفونِها ... وترجعُ أحشاء على النار تُضْرم
إشارةُ أفواهٍ ، وغمزُ حواجبٍ ... وتكسيرُ أجفانٍ ، وقلب متيم(٢)

فحسدتها على حذقها وقلت : ياجارية ، بقى عليك شىء ، فغضبت ورمت بالعود وقالت : متى كنتم تحضرون البغضاء فى مجالسكم مثل هذا؟ فندمت ، ورأيت تغير القوم ، فدعوت بالعود وغنيت :

ما للمنازلِ لايُجِبْنَ حزينا ... أَصَمَمْنَ أمْ بَعُدَ المدى فَبَلينا
راحوا العشَّية رَوْحةً مذكورة ... إن متْنَ مِتْنا ، أوحَيِينَ حيينا(٣)

فأكبت على رجلى تقبلها وتقول : المعذرة ياسيدى ، ماسمعت من يغنيه مثلك ، وقام مولاها وصاحباه فصنعوا مثلها ، وشربوا بالطاسات طربا ، ثم غنيت :

غدا مُحِبُّكِ مَطْوِيًا على كَمَدِه ... صَبٌّ مدامعُه تجْرِى على جسدهْ
له يدٌ تسأل الرحمن راحَتَه ... مماّ به ، ويدٌ أخرى على كبده
يامن رأى كِلَفًا مستهدَفًا أبدًا ... كانت منيتُه فى طرْفِه ويده(٤)

(١) البيتان من الطويل .
(٢) الأبيات من الطويل .
(٣) البيتان من الكامل .
(٤) الأبيات من البسيط ، وأخلت[س] بقوله : صب مدامعه .

فصاحت الجارية : السلام هذا ، والله ، الغناء يامولاى ، وسكروا ، وأمر صاحب الدار غلمانه بحفظهم إلى منازلهم ، وبقيت أشرب معه ، وكان جيد[1] الشراب ، وقال لى : ياسيدى ، ذهب والله ، ماخلا من أيامى باطلا ، إذ كنت لا أعرفك ، فمن أنت ، فأخبرته ، فقبل رأسى ، وقال لى : أنا أعجب من هذا الأدب ، وسألنى عن قصتى ، فأخبرته خبر الطعام والمعصم ، فأحضر جواريه فلم أره : فقال : مابقى غير أمى وأختى ، ولأنزلنهما إليك ، فعجبت من كرمه وسعة صدره ، وقلت : أبدأ بالأخت ، فلما رأيت معصما قلت : هى هى ، فأرسل إلى عشرة مشايخ ، وأحضر بدريتين وقال : أشهدكم أنى زوجت أختى فلانة من سيدى ابراهيم بن المهدى ، وأمهرتها عنه عشرة آلاف درهم ، فدفعت إليه بدرة ، وفرقت الأخرى على المشايخ فانصرفوا ، وقال لى : ياسيدى ، أمهد لك بعض البيوت ، فاحشمنى ، فقلت : بل أحملها إلى منزلى فى عمارية ، فو حقك يا أمير المؤمنين ، لقد حمل إلى من جهازها ما ضاق عنه بعض دورى ، فتعجب المأمون من كرمه . وأمر بإحضاره فصار من خواصه ؛ لأجل كرمه .

(١) «كان جيد الشراب» عبارة يقصد بها الظرف والأدب على الشراب ، وثمة عبارة مشابهة فى الإسبانية تقول : Sabe Llevar Una Copa . وترجمتها الحرفية يعرف كيف يمسك بالكأس .

الباب الثالث

فى حكايات الأولياء والعباد والصلحاء والزهاد ، وما يرجع إلى ذلك

حدث محمد بن مسلم الرجل الصالح قال : رأيت يحيى بن أكثم فى المنام فقلت : ما فعل الله بك ؟ قال : أو قفنى بين يديه ، وقال لى : يا شيخ السوء ، لولا شيبتك لأحرقتك بالنار ، فأخذنى ما يأخذ العبد بين يدى مولاه ، فلما أفقت ، قالها ثانيا وثالثا ، فقلت : يا رب ، ما هكذا حدثت عنك ، فقال تعالى : وما حدثت عنى ؟ قلت : حدثنى عبدالرزاق قال : حدثنى معمر بن راشد عن الزهرى عن أنس بن مالك عن نبيك صلى الله عليه وسلم عن جبريل ، عنك يا عظيم أنك قلت : "ما شاب لى عبد فى الإسلام شيبة إلا استحييت أن أعذبه بالنار"[1] ، فقال الله تعالى : صدق عبدالرزاق وصدق معمر ، وصدق الزهرى ، وصدق أنس ، وصدق نبيى ، وصدق جبريل ، أنا قلت ذلك ، انطلقوا به إلى الجنة .

وجاء فى حديث أنس رضى الله عنه أنه قال : كان على رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل يتجر من بلاد الشام إلى المدينة ولا يصحب القافلة توكلا على الله ، فبينما هو جاء من الشام إذ عرض له لص على فرس ، فصاح بالتاجر : قف ، فوقف التاجر وقال له : شأنك ومالى ؟ فقال له اللص : المال مالى ، وإنما أردت نفسك ، فقال له : أنظرنى حتى أصلى ، فقال : افعل ما بدا لك ، فصلى أربع ركعات ، ورفع رأسه إلى السماء وجعل يقول : يا ودود ، يا ودود ، يا ودود ، يا ذا العرش المجيد ، يا فعالا لما يريد ، أسألك بنور وجهك الذى ملأ أركان عرشك ، وأسألك بقدرتك التى قدرت بها على خلقك ، وبرحمتك التى وسعت كل شىء ، لا إله إلا أنت ، يا مغيث أغثنى ، ثلاث مرات ، وإذا بفارس بيده حربة ، فلما نظر إليه اللص ترك التاجر ومضى نحوه ، فلما دنا منه طعنه الفارس فأداره عن فرسه وقتله ، وقال للتاجر : اعلم أنى ملك من السماء الثالثة ، دعوت الأولى فسمعنا لأبواب السماء قعقعة ، فقلنا أمر حدث ، ثم دعوت الثانية ففتحت أبواب

---

(١) مسند أحمد بن حنبل جـ ٢ ، ص ٢٠٧

السماء ولها شرر ، ثم دعوت الثالثة[٢] ، فهبط جبريل ينادى : من لهذا المكروب ؟ فدعوت الله أن يولينى قتله ، واعلم يا عبد الله أنه من دعا بدعائك هذا فى كل شدة أغاثه وفرج عنه ، ثم جاء التاجر إلى النبى صلى الله عليه وسلم فقال له : لقد لقنك الله أسماء الله الحسنى التى إذا دعى بها أجاب ، وإذا سئل بها أعطى .

ووجه سليمان بن عبد الملك محمد بن يزيد إلى العراق ، فأطلق أهل سجون الحجاج ، وضايق على يزيد بن أبى مسلم كاتب الحجاج ، فظفر به بعد ذلك يزيد ، لما ولى أفريقية فجعل محمد يقول : اللهم احفظ لى إطلاق الأسرى ، وإعطاء الفقراء ، فلما دنا يزيد منه ، وفى يده عنقود قال : يا محمد ، ما زلت أسأل الله أن يظفرنى بك ، فقال له محمد : وما زلت أستجير الله منك ، قال : فوالله ، ما أجارك ولا أعاذك منى ، ووالله ، لأقتلنك قبل أن آكل هذه الحبة من العنب ، ووالله ، لو رأيت ملكا يريد قبض روحك لسبقته إليها ، وأقيمت الصلاة ، ووضعت حبة العنب بين يديه ، وتقدم فصلى بهم ، وكان أهل افريقية قد اجتمعوا على قتل يزيد ، فلما ركع ضربه رجل بعمود فقتله ، وقيل لمحمد : اذهب حيث شئت .

وقال أبو على الدارنى : صحبت الفضيل ثلاثين سنة ، ما رأيته ضاحكا ولا مبتسما إلا يوم مات ابنه ، فقلت له فى ذلك ، فقال : إن الله تعالى أحب أمرا فأحببته ، والفضيل هذا من رجال رسالة القشيرى ، مشهور بزهد وصلاح ، وكان يقول : إذا رأيت الليل مقبلا فرحت ، وقلت : أخلو لربى ، وإذا أبصرت الصبح استرجعت ؛ كراهة أن يجئ من يشغلنى ، وكان فى أول أمره شاطرا ، يقطع الطريق ، وسبب توبته أنه عشق جارية ، فبينما هو ذات ليلة ، يرتقب الجواز إليها ، إذ سمع تاليا يتلو : ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ﴾[٢] ، فقال : يا رب ، قد آن ، فرجع إلى خربة ، فإذا فيها قافلة ، فقال بعضهم : نرتحل ، وقال بعضهم : حتى يصبح ؛ فإن الفضيل على الطريق يقطع علينا ، فأمنهم وجاور الحرم .

وقال محمد بن المبارك : كنت مع إبراهيم بن أدهم فى طريق بيت المقدس ، فنزلنا وقت القيلولة ، تحت شجرة رمان ، فصلينا ركعات ، فسمعت صوتا من أصل الرمانة يقول : يا أبا إسحاق ، أكرمنا بأن تأكل منا ، فطأطأ رأسه قال ذلك ثلاث مرات ، ثم قال : يا

(١) انتهى السقط من [د] .
(٢) سورة الحديد الآية ١٦ .

محمد ، كن شفيعنا إليه ، ليتناول منا شيئا ، فقلت : يا أبا إسحاق ، لقد سمعت ، فقام فأخذ رمانتين ، فأكل الواحدة وناولنى الأخرى ، فأكلتها ، وهى حامضة ، وكانت قصيرة ، فلما رجعنا مررنا بها ، وهى شجرة عالية ، ورمانها حلو ، وهى تثمر فى كل عام مرتين ، وسموها رمانة العابدين ، وإبراهيم هذا من كبار شيوخ الصوفية وهو من رجال رسالة القشيرى .

وركب فى مركب فهاجت ريح شديدة ، فلف رأسه ، وطرح نفسه مع الناس فسمعوا من البحر صوتا يقول : لا تخافوا ؟ ففيكم إبراهيم بن أدهم ، وصاح الناس فى المركب : أين ابراهيم بن أدهم ، ثم سكنت الريح ، فخرجوا وما عرفوه .

وتوفى رجل على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان مسرفا على نفسه ، وحين حضرته الوفاة رفع رأسه ، فإذا أبواه يبكيان عليه ، فقال : ما يبكيكما ؟ فقالا : نبكى ، لإسرافك على نفسك ، فقال : لا تبكيا ؛ فوالله ما سرنى أن الذى بيد الله من أمرى بأيديكما ، فأتى جبريل إلى النبى صلى الله عليه وسلم ، فأخبره أن فتى توفى اليوم ، فأشهده بأنه من أهل الجنة ، فاستكشف رسول الله صلى الله عليه وسلم أبويه عن عمله ، فقالا : ما علمنا عنده شيئا من خير إلا أنه قال عند الموت : كذا وكذا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من هاهنا ، إن حسن الظن بالله من أفضل العمل عنده[1] .

وكان محمد بن نافع الناسك صديقا لأبى نواس ، قال : لما بلغنى موته أشفقت عليه ، فرأيته فى المنام ، فقلت : أبو نواس ؟ فقال : لات حين كنية ، قلت : الحسن ؟ قال : نعم ، قلت : ما فعل الله بك ؟ قال : غفر لى ، قلت : بأى شيء ؟ قال : بتوبة تبتها قبل موتى بأبيات شعر قلتها ، قلت : وما هى ؟ قال : هى عند أهلى ، فسرت إلى أمه ، فلما رأتنى أخذت فى البكاء ، فأخبرتها بما رأيت ، وبما قال ، فسكتت ، وأخرجت إلى كتبا منظمة[2] ، فوجدت بخطه كأنه قريب :

يارب إن عَظُمَتْ ذُنوبى كَثْرةً ... فلقدْ علمتُ بأن عفوَكَ أعظمُ
إن كان لا يرجوك إلا مُحْسِنٌ ... فَمَنِ الذى يَرْجو المسيءُ المجرمُ

(١) مسند أحمد بن حنبل ج ٢ ص ٣٠٤ ، مع خلاف .
(٢) فى [د] كتبا مقطعة .

أدعوك ربِّ ، كما أَمَرْتَ تَضَرُّعاً فإذا رَدَدْتَ يدى ، فَمَنْ ذا يرحمُ
مالِى إليك وسيلةٌ إلا الرَّجا وجميلُ ظنِّى ، ثم إنى مُسْلِمُ(١)

وقال سفيان الثورى لرابعة العدوية : ما حقيقة إيمانك ؟ قالت : ما عبدته خوف النار ، ولا رجاء الجنة ، فأكون كالأجير السوء ، بل عبدته حبا فيه وشوقا إليه ، وقالت فى معنى ذلك :

أحبُّكَ حبَّيْنِ ، حبَّ الهوى وحبًّا لأنك أهلٌ لذاكا
فأمَّا الذى هو حبُّ الهوى فَشُغْلِى بذكْرِكَ عَمَّنْ سِواكا
وأمَّا الذى أنت أهلٌ له فكَشْفُكَ لِى الحُجُبَ حتى أراكا
فلا الحمدُ فى ذا ولا ذاك لى ولكنْ لك الحمدُ فى ذا وذاكا(٢)

واحتاجت إلى شىء ، فقيل لها : لو بعثت إلى فلان ، فقالت : والله ، لا أطلب الدنيا ممن يملكها ، فكيف من لا يملكها .

وزارها أصحابها ، فذكروا الدنيا ، وأقبلوا على ذمها ، فقالت : اسكتوا من ذمها ؛ فلولا موضعها من قلوبكم ، ما أكثرتم من ذكرها ، ألا من أحب شيئا أكثر من ذكره .

وقال عبد الرحمن بن يزيد : رأيت ليلة مات الحسن البصرى فى النوم أبواب السماء ، كأنها منفتحة ، وكأن الملائكة صفوف ، فقلت : إن هذا لأمر عظيم ، فقال لى قائل : الحسن البصرى قدم على الله ، وهو عنه راض .

وكان للمأمون غلام ، فبينما هو يصب الماء على يده ، إذ سقط الإناء ، فغضب المأمون ، فقال له الخادم : يا أمير المؤمنين ، إن الله عز وجل يقول : ﴿وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ﴾ ، قال : كظمت غيظى ، قال : ﴿وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ﴾ ، قال : قد عفوت عنك ، قال : ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾(٣) ، قال : اذهب ، فأنت حر .

وقال بكر بن سليمان الصواف : دخلنا على مالك بن أنس رضى الله عنه فى العشية التى قبض فيها ، فقلنا : يا عبدالله ، كيف تجدك ؟ فقال : لا أدرى ما أقول لكم ، ستعاينون من عفو الله تعالى ما لم يكن فى حسابكم ، ثم ما خرجنا حتى غمضنا عينيه .

(١) الأبيات من الكامل . وردت هى وحكايتها فى وفيات الأعيان ـ ج ٢ ص ١٠٢ ـ ١٠٣ ، مع إضافات ، فيها بعض خلاف فى التفصيل .
(٢) الأبيات من المتقارب .
(٣) سورة آل عمران الآية ١٣٤ .

وقيل : إن ثلاثة نفر من العابدين اجتمعوا فى الموقف ، فقالوا : تعالوا ، حتى نعرض أنفسنا على مولانا ، ونصف حالتنا ، فتقدم أحدهم ورمى بثوبه عن عاتقه ، وبقى فى المتزر ، ثم قال : نفسى معيوب(١) ، وكلامى معيوب ، والكل منى معيوب ، فإن كنت تقبل معيوبا ، فلبيك اللهم لبيك ، قال : فنودى فى سره : عبدى ، لم تعيب نفسا أنا خلقتها وبلطفى رزقتها ، ولولا أنى غفرت لها ما أدنيتها ، وتقدم الثانى فقال : نفسى مطلوب ، وعقلى مغلوب ، ولسانى مقر بالذنوب ، فما حيلتى يا علام الغيوب ؟ فنودى فى سره : عبدى ، لم تقبح نفسك ولم أجعل بينى وبينك ثالثا ، عصيتنى سرا ، وغفرت لك سرا ، وتقدم الثالث فقال : مولاى ، ما لى لسان أناديك ، ولا سر أناجيك ، ولا يد أرفعها لك ، فارحم تضرعى وتذللى بين يديك ، فنودى فى سره : عبدى حجك مبرور ، وسعيك مشكور ، وذنبك مغفور ، وقد وهبنا لك أهل الموقف ، فمن جاءنا بالذلة والافتقار ، استقبلناه بالعز والافتخار ، ومن جاءنا بالذلة والخضوع استقبلناه بحسن الرجوع .

وسئل سهل بن عبد الله التسترى عن أصل عبادته فقال : اعلموا ، رحمكم الله ، أنى كت ألفت حوضا فى الجامع أصلى فيه ، فلما كان فى بعض الأيام ، وكان يوم جمعة ، توضأت وأسرعت إلى المسجد ، فوجدته قد غص بالناس ، فبقيت متحيرا ، فأسأت الأدب ، وتخطيت رقاب الناس ، حتى وصلت إلى ذلك الحوض ، فركعت وجلست ، فإذا عن يمينى شاب حسن الصورة ، وعليه ثياب صوف بيض ، وعلى كتفيه طيلسان أبيض ، فنظر إلى وقال : كيف تجدك يا سهل ؟ فقلت : بخير ، أصلحك الله ، وبقيت مفكرا فى معرفته لى ، وأنا لم أعرفه ، فبينما أنا كذلك إذ أخذتنى حرقة بول ، فأكربتنى وبقيت على وجل حياء من الناس أن أسيء أدبى وأتخطاهم ثانية ، وإن جلست لم يكن لى صلاة ، فبينما أنا كذلك ، إذ التفت إلى الشاب وقال : يا سهل ، هل أخذتك حرقة البول ؟ فقلت : أجل ، فنزع طيلسانه من منكبيه ، وغشانى به ، ثم قال لى : يا سهل ، اقض حاجتك ، وأسرع تلحق الصلاة ، قال : فأغمى على ثم فتحت عينى ، فإذا أنا بباب مفتوح ، وسمعت قائلا يقول : لج ، يرحمك الله فولجت الباب ، فإذا قصر على البنيان شامخ الأركان ، وإذا فى وسطه نخلة قائمة ، وإذا جانبها مطهرة مملوءة ماء ، ونظرت إلى موضع إراقة الماء ، وإذا منشفة معلقة وسواك ، فحللت سراويلى وبلت واغتسلت ،

(١) استعمل هنا الصيغة المرجوحة فى اسم المفعول من الأجوف .

وتوضأت وضوءا كاملا ، وتنشفت . فسمعته يقول : قد قضيت أربك ؟ قلت : نعم ، فوضع الطيلسان ، فإذا أنا جالس فى مكانى ، لم يشعر بى أحد ، فبقيت متحيرا ، لا أدرى ما حل بى ، وأنا مكذب لروحى فيما جرى ، وقامت الصلاة ، فلم أدر ما صليت ، ولم يكن همى غير الفتى ، فلما خرج تتبعت أثره ، فإذا به قد دخل إلى درب عظيم وأنا خلفه ، فالتفت إلى ورائه ، فلما رآنى قال : يا سهل ، كأنك ما أيقنت ؟ فقلت : كلا ، فقال : لج الباب يرحمك الله ، فنظرت إلى الباب بعينه ، فولجت القصر ، فرأيت النخلة والمطهر والحال بعينه ، والمنشفة مبلولة بحالها ، فقلت : آمنت بالله تعالى ، فقال : يا سهل ، من أطاع الله أطاعه كل شىء ، يا سهل ، اطلبه تجده ، فتغرغرت عيناى بالدموع ، فلما مسحتهما فتحتهما ، فلم أر الفتى ولا القصر ، فبقيت متحيرا على ما فاتنى منه متأسفا ، فاجتهدت عند ذلك فى الخدمة ، واستعنت بالله تعالى فأعاننى .

وقيل : أن سهلا هذا صام من يوم خروجه من بطن أمه إلى دخوله إلى القبر ، لم يفطر فى عمره إلا العيدين ، وذلك أن أمه كانت تعرض عليه ثديها بالنهار فلا يرضعه[1] فإذا كان المغرب رضعه ، فلم يزل كذلك إلى أن بلغ سبع سنين ، فأخذ فى الصيام والعبادة ، حتى لقى الله عز وجل .

وقيل : لما كان يوم وفاته ، خرج الناس بنعشه فى يوم حر وشمس ، فإذا بيهودى يصيح : معشر الناس ، هل ترون ما أرى ؟ فنظروا ، فإذا بنسور قد سدت الأفق ، ونشرت أجنحتها ؛ تستر الناس من الشمس ، فقال اليهودى عند ذلك : أشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أن محمدا رسول الله حقا حقا ، ثم قضى نحبه من ساعته ، فأخذوا فى غسله وتكفينه ، وصلى عليهما جميعا ، ودفن إلى جانب قبر سهل .

وقال ابن شريح فى مرضه الذى مات فيه : رأيت البارحة فى المنام كأن قائلا يقول : هذا ربك يخاطبك ، فسمعت : ﴿مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ﴾[2] ، فوقع فى قلبى أنه يراد منى زيادة فى الجواب ، فقلت : بالإيمان والتصديق ، غير أنا قد أصبنا من هذه الذنوب ، فقال : أما أنى سأغفرها لكم .

وكان رجل شريف جمع قوما من ندمائه ودفع إلى غلام له أربعة دراهم يشترى بها فواكه للمجلس ، فمر الغلام بمجلس منصور بن عمار الواعظ ، وهو يسأل لفقير شيئا ،

(١) فى [ح] فلا يأكله فإذا المغرب أكله .
(٢) سورة القصص الآية ٦٥ .

ويقول : من دفع له أربعة دراهم دعوت لـه أربع دعوات ، فدفع له الغلام الدراهم ، فقال له منصور : ما الذى تريد أن أدعو لك به ؟ فقال : أن يعتقنى الله من العبودية ، فدعا منصور ، وأمن الناس على دعائه ، قال : والثانية يا غلام ؟ فقال : أن يخلف الله على الدراهم فدعا له وأمن الناس ، ثم قال له : والثالثة يا غلام ؟ فقال : أن يتوب الله على مولاى ، فدعا وأمن الناس ، ثم قال : والرابعة يا غلام ؟ قال : أن يغفر الله لى ولمولاى ولك يا منصور وللحاضرين ، فدعا منصور ، وأمن الناس على دعائه ، فرجع الغلام فقال له مولاه : لم أبطأت ؟ فقص عليه القصة ، قال : وبم دعا ؟ قال : سألت لنفسى العتق ، قال : اذهب ، فأنت حر ، قال : والثانية ؟ قال : أن يخلف الله على الدراهم ، قال : لك أربعة آلاف درهم ، قال : والثالثة ؟ قال : أن يتوب الله عليك ، قال : تبت إلى الله عز وجل ، قال : والرابعة ؟ قال : أن يغفر الله لى ولك وله وللحاضرين ، قال : هذه واحدة ليست إلى ، فلما بات رأى فى المنام كأن قائلا قال له : أنت فعلت ما كان إليك ، أترانى لا أفعل ما كان إلى ؟ قد غفرت لك وللغلام ولمنصور وللحاضرين أجمعين .

وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما

ولا حول ولا قوة إلا بالله العظيم

وآخر دعواهم أن الحمد لله

رب العالمين

فهرس الآيات القرآنية

فهرس الأحاديث النبوية الشريفة

فهرس الأشعار

هذه هى رموز البحور على ترتيبها فى علم العروض :

"ط" الطويل ، "م" المديد ، "ب" البسيط ، "ل" مخلع البسيط ، "و" الوافر ، "ك" الكامل ، "ه" الهزج ، "ر" الرمل ، "س" السريع ، "ح" المنسرح ، "خ" الخفيف ، "ع" المضارع ، "ض" المقتضب ، "ث" المجتث ، "ق" المتقارب ، وقد أفدت من طريقة أستاذنا أبى فهر محمود شاكر فى طبقات فحول الشعراء ، فى هذا الفهرس وفى كثير مما أدين له به .

الهاء

الياء

فهرس الأرجاز

فهرس الأعلام

حرف الألف

حرف الباء

حرف التاء

حرف الثاء

حرف الجيم

حرف الحاء

حرف الخاء

حرف الدال

حرف الذال

حرف الشين

حرف الصاد

حرف الضاد

حرف الطاء

حرف العين

حرف الغين

حرف الفاء

حرف القاف

فهرس الموضوعات